

البيان والبيان

﴿ في التاريخ ﴾

للامام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل

ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

﴿ الطبعة الأولى سنة ١٣٥١ هـ سنة ١٩٣٢ م ﴾

بنفقة مطبعة السعادة والمطبعة السلفية ومكتبة الخانجي

البيان والبيان

بنفقة السعادة بجوار مطبعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب كيفية بدء الوحي

﴿ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر أول شيء أنزل عليه من القرآن العظيم ﴾
كان ذلك وله ﷺ من العمر أربعون سنة . وحكى ابن جرير عن ابن عباس وسعيد بن المسيب : أنه كان عمره إذ ذاك ثلاثاً وأربعين سنة .
قال البخاري : حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها . أنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حجب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنن فيه — وهو التعمد — الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء . فجاءه الملك فقال اقرأ . فقال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني . فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني . فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد . ثم أرسلني فقال : (اقرأ بسم ربك الذي خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف

فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد . فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الزرع . فقال
 خديجة - وأخبرها الخبر - لقد خشيت على نفسي . فقالت خديجة : كلا والله لا يخزيك الله أبداً .
 إنك لتصل الرحم وتقري الضيف ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق ،
 فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد المزي ابن عم خديجة . وكان امرأ قد
 تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن
 يكتب . وكان شيخاً كبيراً قد عمى . فقالت له خديجة : يا ابن عمي ! اسمع من ابن أخيك فقال له
 ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس
 الذي كان ينزل على موسى ، ياليتني فيها جذعا ، ليتني أكون حياً ، إذ يخرجك قومك . فقال رسول
 الله ﷺ : « أومحرجي عم ؟ » فقال : نعم . لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي . وإن
 يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزراً . ثم لم ينشأ ورقة أن توفي وفتر الوحي ^(١) فترة . حتى حزن
 رسول الله ﷺ - فيما بلغنا - حزناً غداً منه مراراً كي يتردى من رؤس شواهد الجبال فكلما أوفى
 بذروة جبل لكي يلتقي نفسه تبدي له جبريل فقال : يا محمد إنك رسول الله حقاً فيسكن لذلك
 جأشه ، وتقرب نفسه . فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا كمثل ذلك . قال فإذا أوفى بذروة جبل
 تبدي له جبريل فقال له : مثل ذلك هكذا وقع مطولاً في باب التعبير من البخاري . قال ابن شهاب :
 وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال - وهو يحدث عن فترة
 الوحي - فقال في حديثه : « بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك
 الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض . فرعبت منه . فرجعت فقلت : زملوني ،
 زملوني فأمر الله (يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر) فحمى الوحي
 وتتابع » ثم قال البخاري تابعه عبد الله بن يوسف ، وأبو صالح ، يعني عن الثيب ، وتابعه هلال بن
 داود عن الزهري . وقال يونس ومعم - بوادره . وهذا الحديث قد رواه الامام البخاري رحمه الله
 في كتابه في مواضع منه ، وتكلمنا عليه مطولاً في أول شرح البخاري في كتاب بدء الوحي اسناداً
 ومثنياً والله الحمد والمنة .

وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث الثيب به ، ومن طريق يونس ومعم عن الزهري كما علقه
 البخاري عليهما ، وقد رمزنا في الحواشي على زيادات مسلم ورواياته والله الحمد وانتهى سياقه الى قول
 ورقة : أنصرك نصرأ مؤزراً .

(١) الى هنا رواية البخاري في صحيحه مع اختلاف في بعض الالفاظ لا تغير المعنى اهلنا
 التعرض اليها لئلا نشوش على المطالع .

فَقَوْلُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ . أَوَّلُ مَا بَدَأَ بِهِ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةُ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ
مِثْلَ فَلَقِ الصَّبْحِ ، يَقْوَى مَا ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِسَارَ عَنْ عَبْدِ بْنِ عُمَرَ اللَّيْثِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ
قَالَ : « نَجَاءَنِي جِبْرِيلُ وَأَنَا نَائِمٌ بِنَمَطٍ » . دِيْبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ . فَقَالَ : اقْرَأْ ، فَقُلْتُ مَا اقْرَأُ ؟ ففَتَنَنِي ،
حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي « وَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ عَائِشَةَ سِوَاهُ ، فَكَانَ هَذَا كَالْتَوَظُّعَةِ لِمَا
يَأْتِي بَعْدَهُ مِنَ الْيَقِظَةِ ، وَقَدْ جَاءَ مَصْرُوحًا بِهَذَا فِي مَغَازِي مُوسَى بْنِ عَقْبَةَ عَنْ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ رَأَى ذَلِكَ
فِي الْمَنَامِ ثُمَّ جَاءَهُ الْمَلَكُ فِي الْيَقِظَةِ .

وَقَدْ قَالَ الْحَافِظُ أَبُو نَعِيمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ : فِي كِتَابِهِ دَلَالُ النَّبُوَّةِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ
حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا جُنَابُ بْنُ الْحَارِثِ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَجْلَحِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ
عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ قَيْسٍ . قَالَ : إِنْ أَوَّلَ مَا يُؤْتَى بِهِ الْأَنْبِيَاءُ فِي الْمَنَامِ حَتَّى تَهْدَأَ قُلُوبُهُمْ ثُمَّ يَنْزِلُ الْوَحْيُ بَعْدَ
وَهَذَا مِنْ قَبْلِ عَلْقَمَةَ بْنِ قَيْسٍ نَفْسُهُ وَهُوَ كَلَامُ حَسَنِ يُؤَيِّدُهُ مَا قَبْلَهُ وَيُؤَيِّدُهُ مَا بَعْدَهُ .

﴿ ذَكَرَ عَمْرَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَقَدْ بَعَثَهُ وَتَارِيخُهَا ﴾

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدَى عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدَ عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ نَزَلَتْ عَلَيْهِ النَّبُوَّةُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَعَرْنَ بِنَبُوَّتِهِ إِسْرَافِيلُ ثَلَاثَ سِنِينَ ، فَكَانَ يَعْلَمُهُ
الْكَلِمَةُ وَالشَّيْءُ ، وَلَمْ يَنْزِلِ الْقُرْآنُ ، فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثَ سِنِينَ قَرْنَ بِنَبُوَّتِهِ جِبْرِيلُ فَتَرَلَّ الْقُرْآنَ عَلَى لِسَانِهِ
عِشْرِينَ سَنَةً عَشْرًا بِمَكَّةَ وَعَشْرًا بِالْمَدِينَةِ . فَهَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً . فَهَذَا اسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى
الشَّعْبِيِّ وَهُوَ يَقْتَضِي أَنَّ إِسْرَافِيلَ قَرْنَ مَعَهُ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ ثَلَاثَ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُ جِبْرِيلُ .

وَأَمَّا الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ فَانَّهُ قَدْ قَالَ : وَحَدِيثُ عَائِشَةَ لَا يَنَافِي هَذَا فَانَّهُ يَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ أَوَّلُ أَمْرِهِ الرَّؤْيَا . ثُمَّ وَكَلَّ بِهِ إِسْرَافِيلُ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ يَخْلُوفُ فِيهَا بِحَرَاءٍ فَكَانَ يَلْقَى إِلَيْهِ
الْكَلِمَةُ بِسُرْعَةٍ وَلَا يَتَّقِمُ مَعَهُ تَدْرِيجًا لَهُ وَتَمَرِينًا إِلَى أَنْ جَاءَهُ جِبْرِيلُ . فَعَلِمَهُ بَعْدَ مَا غَطَّاهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ،
فَحَسَكَتْ عَائِشَةُ مَا جَرَى لَهُ مَعَ جِبْرِيلَ وَلَمْ تَحْكُ مَا جَرَى لَهُ مَعَ إِسْرَافِيلَ اخْتِصَارًا لِلْحَدِيثِ ، أَوْ لَمْ تَسْكُنْ
وَقَعَتْ عَلَى قِصَّةِ إِسْرَافِيلَ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ هِشَامٍ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ
ابْنُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ فَحَسَكَتْ بِمَكَّةَ عَشْرًا وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرًا . وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ ، وَهَكَذَا
رَوَى يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ ثُمَّ رَوَى أَحْمَدُ عَنْ غُنْدَرٍ وَزَيْدُ بْنُ هَارُونَ كِلَاهُمَا عَنْ هِشَامٍ
عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً
فَحَسَكَتْ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً وَبِالْمَدِينَةِ عِشْرِينَ سَنَةً . وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً . وَقَالَ الْإِمَامُ

أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أن أنبا عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال أقام النبي ﷺ بمكة خمس عشرة سنة سبع سنين يرى الضوء ويسمع الصوت وثماني سنين يوحى إليه وأقام بالمدينة عشر سنين .

قال أبو شامة : وقد كان رسول الله ﷺ يرى عجائب قبل بعثته فمن ذلك ما في صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله ﷺ : « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن » انتهى كلامه .

وانما كان رسول الله ﷺ يحب الخلاء والانفراد عن قومه ، لما يراهم عليه من الضلال المبين من عبادة الأوثان والسجود للأصنام ، وقويت محبته للخلاوة عند مقاربه إجماع الله إليه صلوات الله وسلامه عليه . وقد ذكر محمد بن اسحاق عن عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن حارثة - قال : وكان واعية - عن بعض أهل العلم قال : وكان رسول الله ﷺ يخرج إلى حراء في كل عام شهراً من السنة يتسلك فيه . وكان من تسلك قريش في الجاهلية ، يطعم من جاءه من المساكين حتى إذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة . وهكذا روى عن وهب بن كيسان أنه سمع عبيد بن عمير يحدث عبد الله بن الزبير مثل ذلك ، وهذا يدل على أن هذا كان من عادة المتعبدين في قريش أنهم يجاورون في حراء للعبادة ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المشهورة :

وتورد ومن أدرسى تميراً مكانه وراق ليرقى في حراء وفازل

هكذا صوبه على رواية هذا البيت كما ذكره السهيلي وأبو شامة وشيخنا الحافظ أبو الخجاج المزني رحمهم الله ، وقد تصحف على بعض الرواة فقال فيه : وراق ليرقى في حر وفازل - وهذا ركيك ومخالف للصواب والله أعلم .

وحراء يقصر ويمد ويصرف وينع ، وهو جبل بأعلى مكة على ثلاثة أميال منها عن يسار المسار إلى منى ، له قلة مشرفة على الكعبة منحنية والفار في تلك الحنية وما أحسن ما قال رؤبة بن العجاج

فلا ورب الآمات القطن ورب ركن من حراء منحني

وقوله في الحديث : والتحنث التعبد ، تفسير بالمعنى ، وإلا لحقيقة التحنث من حنث البنية (١) فيما قاله السهيلي الدخول في الحنث ولكن سمعت ألفاظ قليلة في اللغة معناها الخروج من ذلك الشيء كحنث أي خرج من الحنث وتحوب وتخرج وتأنم وتهجد هو ترك الهجود وهو النوم للصلاة وتنحس وتقذر أوردتها أبو شامة . وقد سئل ابن الأعرابي عن قوله يتحنث أي يتعبد . فقال : لا أعرف هذا إنما هو يتحنف من الخفيفية دين إبراهيم عليه السلام . قال ابن هشام : والعرب تقول التحنث

(١) كذا في الخلبية وفي المصرية : الثنية وعبرة السهيلي : والتحنث بالمثلثة بالناء المثناة .

والتحذف يبدلون الناء من الشاء ، كما قالوا جذف وجذف كما قال رؤبة :

* لو كان أحجارى مع الأجداف *

يريد الأجداف . قال وحدثنى أبو عبيدة أن العرب تقول فم في موضع ثم . قلت : ومن ذلك قول بعض المفسرين وفومها أن المراد نومها .

وقد اختلف العلماء في لعباده عليه السلام قبل البعثة هل كان على شرع أم لا ؟ وما ذلك الشرع فقبل شرع نوح وقيل شرع إبراهيم . وهو الأشبه الأقوى . وقيل موسى ، وقيل عيسى ، وقيل كل ما ثبت أنه شرع عنده اتبعه وعمل به ، ولبسط هذه الأقوال ومناسباتها مواضع أخرى في أصول الفقه والله أعلم .

وقوله حتى فجئه الحق وهو بغار حراء أى جاء بغتة على غير موعد كما قال تعالى (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب إلا رحمة من ربك) الآية . وقد كان نزول صدر هذه السورة الكريمة وهى (اقرأ باسم ربك الذى خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) وهى أول ما نزل من القرآن كما قررنا ذلك فى التفسير وكما سيأتى أيضا فى يوم الاثنين كما ثبت فى صحيح مسلم عن أبى قتادة أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين ؟ فقال : « ذلك يوم ولدت فيه ، ويوم أنزل على فيه » وقال ابن عباس : ولد نبيكم محمد ﷺ يوم الاثنين ، ونبى يوم الاثنين . وهكذا قال عبيد بن عمير وأبو جعفر الباقر وغير واحد من العلماء : أنه عليه الصلاة والسلام أوحى إليه يوم الاثنين ، وهذا مالا خلاف فيه بينهم .

ثم قيل : كان ذلك فى شهر ربيع الأول ، كما تقدم عن ابن عباس وجابر أنه ولد عليه السلام ، فى الثانى عشر من ربيع الأول يوم الاثنين وفيه بعث وفيه عرج به إلى السماء ، والمشهور أنه بعث عليه الصلاة والسلام فى شهر رمضان ، كما نص على ذلك عبيد بن عمير ، ومحمد بن اسحاق وغيرهما . قال ابن اسحاق مستدلا على ذلك بما قال الله تعالى : (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس) فتبيل فى عشره . وروى الواقدي بسنده عن أبى جعفر الباقر أنه قال : كان ابتداء الوحي إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين ، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان وقيل فى الرابع والعشرين منه .

قال الامام احمد : حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا عمران أبو العوام عن قتادة عن أبى المليح عن وائلة بن الأسقع أن رسول الله ﷺ قال : « أنزلت صحف إبراهيم فى أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان ، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان » وروى ابن مردويه فى تفسيره عن جابر بن عبد الله مرفوعا نحوه ، ولهذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين ، إلى أن ليلة القدر ليلة أربع وعشرين .

وأما قول جبريل (اقرأ) فقال : « ما أنا بقارئ » فالصحيح ان قوله « ما أنا بقارئ » نفى أى لست ممن يحسن القراءة . ومن روجه النووي وقبّله الشيخ أبو شامة . ومن قال إنها استفهامية فقوله بعيد لأن الباء لا تزداد في الاثبات . ويؤيد الأول رواية أبي نعيم من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه : فقال رسول الله ﷺ — وهو خائف يرمد — « ما قرأت كتاباً قط ولا أحسنه وما أكتب وما أقرأ » فأخذه جبريل ففّته غمّاً شديداً . ثم تركه فقال : له اقرأ . فقال محمد ﷺ « ما أرى شيئاً أقرأه ، وما أقرأ ، وما أكتب » يروى فغطني كما في الصحيحين وغطني ويروى قد غطني أى خفني « حتى بلغ مني الجهد » يروى بضم الجيم وفتحها وبالنصب وبالرفع . وفعل به ذلك ثلاثاً .

قال أبو سليمان الخطابي : وإنما فعل ذلك به ليبلو صبره ويحسن تأديبه فيرتاض لاحتمال ما كلفه به من أعباء النبوة ، ولذلك كان يعتريه مثل حال الحموم وتأخذه الرخضاء أى البهر والعرق . وقال غيره : إنما فعل ذلك لأمر : منها أن يستيقظ لعظمة ما يلقي إليه بعد هذا الصنيع المشق على النفوس . كما قال تعالى (إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً) ولهذا كان عليه الصلاة والسلام إذا جاءه الوحي يحمر وجهه ويغط كما يغط البكر من الابل ويتفصّد جبينه عرقاً في اليوم الشديد البرد . وقوله فرجع بها رسول الله ﷺ إلى خديجة يرجف فؤاده . وفي رواية : يوارده ، جمع بادرة قال أبو عبيدة : وهي لحة بين المنكب والعنق . وقال غيره : هو عروق تضطرب عند الفزع وفي بعض الروايات ترجف بأدله واحدها بادلة . وقيل بادل : وهو ما بين العنق والترقوة وقيل أصل الثدي . وقيل لحم الثديين وقيل غير ذلك .

فقال : « زملوني زملوني » فلما ذهب عنه الروح قال لخديجة : « مالي ؟ أى شئ عرض لي ؟ » وأخبرها ما كان من الأمر . ثم قال : « لقد خشيت على نفسي » وذلك لأنه شاهد أمراً لم يعهده قبل ذلك ، ولا كان في خلقه . ولهذا قالت خديجة : ابشر ، كلا والله لا يخزيك الله أبداً . قيل من الخزي ، وقيل من الحزن ، وهذا لعلمها بما أجرى الله به جميل العوائد في خلقه أن من كان متصفاً بصفات الخير لا يخزي في الدنيا ولا في الآخرة ثم ذكرت له من صفاته الجميلة ما كان من سجاياه الحسنة . فقالت : إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث — وقد كان مشهوراً بذلك صاوات الله وسلامه عليه عند الموافق والمفارق — وتحمل الكل . أى عن غيرك تعطى صاحب العيلة ما يريحه من ثقل مؤنة عياله — وتكسب المعدوم أى تسبق إلى فعل الخير فتبادر إلى إعطاء الفقير فتكسب حسنة قبل غيرك . ويسمى الفقير معدوماً لأن حياته ناقصة . فوجوده وعدمه سواء كما قال بعضهم :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

وقال أبو الحسن التهامي ، فيما نقله عنه القاضي عياض في شرح مسلم :
عدّ ذا الفقر ميتاً وكساد كفنّاً بالياً ومأواه قبراً

وقال الخطابي : الصواب (وتسكب المعدم) أى تبذل اليه أو يكون تلبس المعدم بعطية مالا يعيش به . واختار شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي أن المراد بالمعدوم ههنا المال المعطى ، أى يعطى المال لمن هو عادمه . ومن قال إن المراد أنك تسكب بالتجارك المال المعدوم ، أو النفيس القليل النظير ، فقد أبعد النجعة وأغرق في التزع وتكاف ما ليس له به علم ، فإن مثل هذا لا يندرج به غالباً ، وقد ضعف هذا القول عياض والنووي وغيرهما والله أعلم .

وتقرى الضيف - أى تكرمه في تقديم قراه ، واحسان مأواه . وتعين على نواصب الحق ويروى الخبير ، أى إذا وقعت نائبة لأحد في خير أعنت فيها ، وقمت مع صاحبها حتى يجد سداداً من عيش أو قواماً من عيش ، وقوله : ثم أخذته فانطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل . وكان شيخاً كبيراً قد عمى . وقد قدمنا طرفاً من خبره مع ذكر زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله . وأنه كان ممن تنصّر في الجاهلية ففارقهم وارتحل إلى الشام ، هو وزيد بن عمرو وعثمان بن الحويرث ، وعبيد الله بن جحش فنصّروا أكابهم ، لأنهم وجدوه أقرب الأديان إذ ذاك إلى الحق ، إلا زيد بن عمرو بن نفيل فإنه رأى فيه دخلاً وتخييطاً وتبديلاً وتحريقاً وتأويلًا . فأبت فطرته الدخول فيه أيضاً ، وبشروه الأحبار والرهبان بوجود نبي قد أوف زمانه واقترب أوانه ، فرجع يتطلب ذلك ، واستمر على فطرته وتوحيده . لكن اخترمه المنية قبل البعثة الحميدة . وأدركها ورقة بن نوفل وكان يتوسّمها في رسول الله ﷺ كما قدمنا بما كانت خديجة تنعته له وتصفه له ، وما هو منطوق عليه من الصفات الطاهرة الجميلة وما ظهر عليه من الدلائل والآيات ، ولهذا لما وقع ما وقع أخذت بيد رسول الله ﷺ وجاءت به إليه فوقفت به عليه . وقالت : ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فلما قص عليه رسول الله ﷺ خبر ما رأى قال ورقة : سُبُوحٌ سُبُوحٌ ، هذا الناموس الذي أنزل على موسى ، ولم يذكر عيسى وإن كان متأخراً بعد موسى ، لأنه كانت شريعته متممة ومكاملة لشريعة موسى عليهما السلام ، ونسخت بعضها على الصحيح من قول العلماء . كما قال (ولا حلّ لكم بعض الذي حرّم عليكم) . وقول ورقة هذا كما قالت الجن : (يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصداقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم) . ثم قال ورقة : ياليتني فيها جنذا . أى ياليتني أكون اليوم شاباً متمكناً من الإيمان والعلم النافع والعمل الصالح ، ياليتني أكون حياً حين يخرجك قومك يعني حتى أخرج معك وأنعرك ؟ فعندها قال رسول الله ﷺ : « أو مخرجي هم ؟ » قال السهيلي وإنما قال ذلك ، لأن فراق الوطن شديد على النفوس ، فقال : نعم ، إنه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن

يُذَكِّرُنِي يَوْمَكَ أَنْصَرَكَ أَنْصَرَكَ مُؤَزَّرًا أَيْ أَنْصَرَكَ أَنْصَرَكَ عَزِيزًا أَبَدًا. وقوله « ثم لم ينشب ورقة أن توفي » أي توفي بعد هذه القصة بقليل رحمه الله ورضي عنه ، فإن مثل هذا الذي صدر عنه تصديق بما وجد وإيمان بما حصل من الوحي ونية صالحة للمستقبل .

وقد قال الامام احمد حدثنا حسن عن ابن طهية حدثني أبو الأسود عن عروة عن عائشة . أن خديجة سألت رسول الله ﷺ عن ورقة بن نوفل فقال : « قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض فأحبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض » . وهذا اسناد حسن لكن رواه الزهري وهشام عن عروة مرسلًا فالله أعلم . وروى الحافظ أبو يعلى عن شريح بن يونس عن اسماعيل عن مجاهد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ سئل عن ورقة بن نوفل فقال : « قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض أبصرته في بطنان الجنة وعليه السندس » . وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال « يبعث يوم القيامة امة وحده » . وسئل عن أبي طالب فقال : « أخرجته من غمرة من جهنم إلى ضحاح منها » وسئل عن خديجة لأنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن - فقال : « أبصرتها على نهر في الجنة في بيت من قصب لاصحب فيه ولا نصب » اسناد حسن ولبعضه شواهد في الصحيح والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عبيد بن اسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . قالت قال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنة أو جنتين » وكذا رواه ابن عساكر من حديث أبي سعيد الأشج عن أبي معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة وهذا اسناد جيد . وروى مرسلًا وهو أشبه .

وروى الحافظان البيهقي وأبو نعيم في كتابيهما دلائل النبوة من حديث يونس بن بكير عن يونس بن عمرو عن أبيه عن عمرو بن شرحبيل أن رسول الله ﷺ قال لخديجة : « إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء ، وقد خشيت والله أن يكون لهذا أمر » . قالت : معاذ الله ما كان ليفعل ذلك بك فوالله إنك لتؤدى الأمانة ، وتصل الرحم ، وتصدق الحديث . فلما دخل أبو بكر وليس رسول الله ﷺ ثم ذكرت له خديجة فقالت : يا عتيق اذهب مع محمد إلى ورقة . فلما دخل رسول الله ﷺ أخذ بيده أبو بكر . فقال : انطلق بنا إلى ورقة قال : « ومن أخبرك ؟ » قال خديجة فانطلقا إليه فقصا عليه . فقال رسول الله ﷺ : « إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي : يا محمد يا محمد فانطلق هاربًا في الأرض » . فقال له لا تفعل . إذا أتاك فابت ، حتى تسمع ما يقول لك ثم انثنى فأخبرني . فلما خلا ناداه يا محمد قل (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين) حتى بلغ (ولا الضالين) قل لا إله إلا الله . فأتى ورقة فذكر له ذلك ، فقال له ورقة : ابشر ثم ابشر . فأتا اشهد

انك الذي بشر بك ابن مريم ، وانك على مثل تاموس موسى ، وانك نبي مرسل ، وانك ستؤمر
بالجهاد بعد يودك هذا . ولئن ادركني ذلك لأجاهدك معك . فلما توفي ، قال رسول الله ﷺ :
« لقد رأيت النفس في الجنة عليه ثياب الحرير ، لأنه آمن بي وصدقني » يعني ورقة . هذا لفظ
البيهقي وهو مرسل وفيه غرابة وهو كون الفاتحة اول ما نزل . وقد قدمنا من شعره ما يدل على اخباره
الايمان وعقده عليه وثنا كده عنده ، وذلك حين اخبرته خديجة ما كان من امره مع غلامها ميسرة
وكيف كانت الغرامة تظا له في هجير القيط . فقال ورقة في ذلك اشعارا قدمناها قبل هذا ، منها قوله :

لججت وكنت في الذكري لجوجا	لأمر طالما بعث النشيجا
ووصف من خديجة بعد وصف	فقد طال انتظارى يا خديجا
بمطن المكتن على رجائي	حديثك أن أرى منه خروجا
بما خبرتنا من قول قس	من الرهبان اكره ان يعوجا
بأن محمداً سيود قوماً	ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد نياء نور	يقيم به البهية ان ^(١) تعوجا
فيلقى من يحارب به خساراً	ويلقى من يسلمه فلوجا
فياليتي إذا ما كان ذا كم	شهدت وكنت اولهم ولوجا
ولو كان الذي كرهت قریش	ولو عجت بمكثها عجيجا
ارجى بالذي كرهوا جميعاً	إلى ذى العرش اذ سفلوا عروجا
فان يبقوا وابق يكن اموراً	يضج الكافرون لها ضجيجا

وقال أيضاً في قصيدته الأخرى :

واخبار صادق خبرت عن محمد	يخبرها عنه إذا غاب فاصح
بان ابن عبد الله احمد مرسل	إلى كل من ضمت عليه الأباطح
وظنى به ان سوف يبعث صادقاً	كما أرسل العبدان هود وصالح
وموسى وإبراهيم حتى يرى له	بهاء ومنشور من الحق ^(٢) واضح
ويقيم حياً لى بن غالب	شبابهم والأشعيون الجحاجح
فان ابقى حتى يدرك الناس دهره	فانى به مستبشر الود فارح
وإلا فانى يا خديجة فاعلمى	عن أرضك في الأرض العريضة سائح

(١) وردت في السيرة لابن هشام : أن تعوجا . مع بعض اختلاف في بعض الالفاظ .

(٢) في الخلية : من الذكر واضح . والقصيدة ذكرها السهيلي وفيها طول .

وقال يونس من بكبير عن ابن اسحاق قال ورقة :

فان يك حقاً يا خديجة فانلى
وجبريل ياتيه وميكال ميمها
يفوز به من فاز فيها بتوبة
فريقان منهم فرقة في جنانه
اذا نادعوا بالويل فيها تنابعت
فسيحان من يهوى الرياح بأمره
ومن عرشه فوق السموات كلها
وقال ورقة أيضاً :

يا للرجال وصرف الدهر والتندر
حتى خديجة تدعوني لأخبرها
ونخبرتي بأمر قد سمعت به
بأن احمد ياتيه فيخبره
فقلت عل الذي ترجين ينجزه
وارسله اليك كي نسائله
فقال حين اتانا منحةً عجباً
إني رأيت امين الله واجبه
ثم استمر فكاد الخوف يذعري
فقلت ظني وما ادري ايصدقني
وسوف يبليك ان اعانت دعوتهم
وما لشيء قضاه الله من غير
أمرأ أراه سيأتي الناس من آخر
فيما مضى من قديم الدهر والعصر
جبريل انك مبعوث إلى البشر
لك الاله فرجى الخير وانتظري
عن أمره ما يرى في النوم والسير
يقف منه اعلى الجبل والشعر
في صورة أكملت من أعظم الصور
مما يسلم من حول من الشجر
ان سوف يبعث يتلوه نزل السور
من الجهاد بلا من ولا كدر

هكذا أورد ذلك الحافظ البيهقي من الدلائل وحدثني في صحتها عن ورقة نظر والله أعلم .

وقال ابن اسحاق حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي - وكان داعية - عن بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان اذا خرج لحاجة أبعد حتى يحسر الثوب عنه ويفضي إلى شعاب مكة ويطون أوديتها فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله . قال فبلغت حوله عن يمينه وعن شماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة فكث كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يملكه ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاء من كرامة الله وهو بمجرأ في رمضان قال ابن اسحاق وحدثني وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال

سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي حدثنا يا عبيد كيف كان بدو ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من النبوة حين جاءه جبريل قال فقال عبيد وأنا حاضر - يحدث عبد الله ابن الزبير ومن عنده من الناس - : كان رسول الله ﷺ يجاور في حراء في كل سنة شهراً يتحنث قال وكان ذلك مما يحب به قريش في الجاهلية والتحنث التبر فساكن رسول الله ﷺ يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين فاذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعمائة أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به فيه ما أراد من كرامته من السنة التي بعثه فيها وذلك الشهر رمضان خرج إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله حتى إذا كانت الليلة التي أكرمها الله فيها برسالته ورحم العباد به جاءه جبريل بأمر الله تعالى قال رسول الله ﷺ : « جاءني وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب اقرأ ؟ قلت ما اقرأ ؟ قال ففتني حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما اقرأ ؟ قال ففتني حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني ، فقال اقرأ قلت ما اقرأ ؟ قال ففتني حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني . فقال اقرأ ماذا اقرأ ما أقول ذلك ألا اقتدا منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي فقال : (اقرأ باسم ربك الذي خلق الذي خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) . قال فقرأتها ثم انتهت وانصرف عني وهببت من نومي فساكنما كتب في قلبي كتاباً . قال فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل قال فرفعت رأسي إلى السماء فأنظر فاذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فوقفت أنظر إليه فما أقدم وما تأخر وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء فما أنظر في ناحية منها إلا رأيت كذاك فما زلت واقفاً ما أقدم أمامي وما أرجع ورأيت حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي فبلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك ثم انصرف عني وانصرفت راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى نخلها مضيقاً إليها فقالت يا أبا القاسم أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسل في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلي ثم حدثتها بالذي رأيت . فقالت أبشري يا ابن العم واثبت فوالذي نفس خديجة بيده اني لا رجو أن تكون نبي هذه الأمة ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل فاخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ فقال ورقة : قدوس قدوس والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاء الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وأنه لنبي هذه الأمة ، وقولي له فليثبت . فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ فاخبرته بقول ورقة فلما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة فطاف بها فلقبه ورقة بن نوفل وهو يطوف

بالسكبة فقال يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت فأخبره فقال له ورقة والذي نفسي بيده أنك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ، ولتكذبه وتؤذنه وتخرجنه ولتقاتلنه ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرًا يعلمه . ثم أدنى رأسه منه فقبل يا فوخه ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله . وهذا الذي ذكره عبيد بن عمير كما ذكرناه كالتوطئة لما جاء بعده من اليقظة كما تقدم من قول عائشة رضي الله عنها فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ويحتمل أن هذا المنام كان بعد ما رآه في اليقظة صبيحة ليلته ويحتمل أنه كان بعده بمدة والله أعلم .

وقال موسى بن عقبة عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال وكان فيما بلغنا أول ما رأى يعنى رسول الله ﷺ أن الله تعالى أراه رؤيا في المنام فشق ذلك عليه فذكرها لامرأته خديجة فمعصمها الله عن التكذيب وشرح صدرها للتصديق فقالت أبشر فإن الله لم يصنع بك إلا خيراً ثم إنه خرج من عندها ثم رجع إليها فأخبرها أنه رأى بطنه شق ثم غسل وطهر ثم أعيد كما كان قالت هذا والله خير فأبشر ثم استعلن له جبريل وهو بأعلى مكة فاجلسه على مجلس كريم معجب كان النبي ﷺ يقول أجلسني على بساط كهيئة الدرنوك فيه الياقوت والؤلؤ فبشره برسالة الله عز وجل حتى اطمأن رسول الله ﷺ فقال له جبريل اقرأ فقال كيف اقرأ فقال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » . قال ويزعم ناس أن « يا أيها المدثر » أول سورة نزلت عليه والله أعلم . قال فقبل رسول الله ﷺ رسالة ربه واتبع ما جاء به جبريل من عند الله فلما انصرف من قلبه إلى بيته جعل لا يمر على شجر ولا حجر إلا سلم عليه فرجع إلى أهله مسروراً موقناً أنه قد رأى أمراً عظيماً فلما دخل على خديجة قال أرايتك التي كنت حدثتك أني رأيته في المنام فانه جبريل استعلن إلى أرسله إلى ربي عز وجل وأخبرها بالذي جاءه من الله وما سمع منه فقالت أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً وأقبل الذي جاءك من أمر الله فانه حق وأبشر فانك رسول الله حقاً . ثم انطلقت من مكانها فأتت غلاماً لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس نصرانياً من أهل نينوى يقال له عداس فقالت له يا عداس أذكرك بالله إلا ما أخبرتني هل عندك علم من جبريل فقال : قدوس قدوس ما شأن جبريل يذكر بهذه الأرض التي أهلها أهل الأوثان . فقالت : أخبرني بعلامك فيه . قال فانه أمين الله بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام . فرجعت خديجة من عنده فجأت ورقة بن نوفل فذكرت له ما كان من أمر النبي ﷺ وما ألقاه اليه جبريل . فقال لها ورقة : يا بنية أخي ما أدري لعل صاحبك النبي الذي ينتظر أهل الكتاب الذي يجذونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ، وأقسم بالله لا إن كان إياه ثم

أخبر دعواه وأنا حتى لا بلى الله في ثلاثة رسوله وحسن مؤازرته للصبر والنصر . فمات ورقة رحمه الله . قال الزهري فكانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله ﷺ . قال الحافظ البيهقي بعد إيراد ما ذكرناه والذي ذكر فيه من شق بطنه يحتمل أن يكون حكاية منه لما صنع به في صباه يعني شق بطنه عند حليلة ويحتمل أن يكون شق مرة أخرى ثم ثالثة حين عرج به إلى السماء والله أعلم . وقد (١) ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة ورقة باسناد إلى سليمان بن طرخان التيمي . قال : بلغنا أن الله تعالى بعث محمداً رسولاً على رأس خمسين سنة من بناء الكعبة وكان أول شيء اختصه به من النبوة والكرامة رؤيا كان يراها فقص ذلك على زوجته خديجة بنت خويلد فقالت له : ابشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً فبينما هو ذات يوم في حراء وكان يفر اليه من قومه إذ نزل عليه جبريل فدنا منه تخافه رسول الله ﷺ مخافة شديدة فوضع جبريل يده على صدره ومن خلفه بين كتفيه . فقال : اللهم احطط وزرد ، واشرح صدره ، وظهر قلبه ، يا محمد ابشرا فانك نبي هذه الأمة . اقرأ . فقال له نبي الله : وهو خائف برعد . ما قرأت كتاباً قط ولا أحسنه وما أكتب وما أقرأ فأخذه جبريل فغتنه غتاً شديداً ثم تركه ثم قال له اقرأ فأعاد عليه مثله فأجلسه على بساط كهيفة الدرنوك فرأى فيه من صفاته وحسنه كهيفة المثلوث والياقوت وقال له : (اقرأ باسم ربك الذي خلق) الآيات ثم قال له لا تخف يا محمد إنك رسول الله ثم انصرف وأقبل على رسول الله ﷺ معه فقال كيف أضنع وكيف أقول تقوى ثم قام رسول الله ﷺ وهو خائف فأتاه جبريل من امامه وهو في صعرته فرأى رسول الله ﷺ أمراً عظيماً لا صدره فقال له جبريل لا تخف يا محمد جبريل رسول الله جبريل رسول الله إلى أنبيائه ورسوله فأيقن بكرامة الله فانك رسول الله فرجع رسول الله ﷺ لا يمر على شجر ولا حجر الا هو ساجد يقول السلام عليك يا رسول الله . فاطمأنت نفسه وعرف كرامة الله إياه فلما انتهى إلى زوجته خديجة ابصرت ما بوجهه من تغير لونه فأفرغها ذلك ، فقامت إليه فلما دنت منه جعلت تمسح عن وجهه وتقول لعلاك لبعض ما كنت ترى وتسمع قبل اليوم فقال يا خديجة أريت الذي كنت أرى في المنام والصوت الذي كنت اسمع في اليقظة واهال منه فانه جبريل قد استمعن لي وكفى وأقراني كلاماً فرغت منه ثم عاد إلى فأخبرني اني نبي هذه الأمة فأقبلت راجعاً فأقبلت على شجر وحجارة فقالن السلام عليك يا رسول الله . فقالت خديجة : ابشر فوالله لقد كنت أعلم ان الله لن يفعل بك إلا خيراً واشهد انك نبي هذه الأمة الذي تنتظره اليهود قد اخبرني به ناصح غلامى وبخيري الراهب وامرني ان أتزوجك منذ أكثر من عشرين سنة . فلم نزل برسول الله ﷺ حتى طعم وشرب وضحك ثم خرجت إلى الراهب وكان قريباً من مكة فلما دنت منه وعرفها .

قال : مالك يا سنييدة نساء قریش ؟ فقالت : أقبلت اليك لتخبرني عن جبريل فقال سبحانه الله ربنا القدوس ما بال جبريل يذكرك في هذه البلاد التي يعبد أهلها الاوثان جبريل أمين الله ورسوله الى أنبيائه ورسله وهو صاحب موسى وعيسى ، فعرفت كرامة الله لحمد ثم أتت عبداً لعقبة بن ربيعة يقال له عداس فسأله فآخبرها بمثل ما أخبرها به الراهب وأزيد . قال : جبريل كان مع موسى حين أغرق الله فرعون وقومه ، وكان معه حين كلمه الله على الطور ، وهو صاحب عيسى بن مريم الذي أيده الله به . ثم قامت من عنده فأتت ورقة بن نوفل فسأله عن جبريل فقال لها مثل ذلك ثم سألهما ما الخبر فاحلفته أن يكتم ما تقول له فحلف لها فقالت له إن ابن عبد الله ذكرني وهو صادق أحلف بالله ما كذب ولا كذب أنه نزل عليه جبريل بحراء وأنه أخبره أنه نبي هذه الامة وأقرأه آيات أرسل بها . قال : فدع ورقة لذلك وقال لئن كان جبريل قد استقرت قدماء على الارض لقد نزل على خير أهل الارض وما نزل إلا على نبي وهو صاحب الانبياء والرسل برسالة الله اليهم وقد صدقت عنه فارسلني إلى ابن عبد الله أسأله وأسمع من قوله وأحدثه فاني أخاف أن يكون غير جبريل فان بعض الشياطين يتشبه به ليضل به بعض بني آدم ويفسد بهم حتى يصير الرجل بعد العقل الرضي منها مجنوناً . فقامت من عنده وهي واثقة بالله أن لا يفعل بصاحبها إلا خيراً فرجعت إلى رسول الله ﷺ فآخبرته بما قال ورقة فانزل الله تعالى : « ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون » الآيات . فقال لها : كلا والله إنه لجبريل فقالت له أحب أن تأتيه فتخبره لعل الله أن يهديه فجاءه رسول الله ﷺ فقال له ورقة هذا الذي جاءك جاءك في نور أو ظلمة فآخبره رسول الله ﷺ عن صفة جبريل وما رآه من عظمته وما أوحاه اليه . فقال ورقة : أشهد أن هذا جبريل وأن هذا كلام الله فقد أمرك بشيء تبلغه قومك وأنه لأمر نبوة فان أدرك زمانك أتبعك ثم قال أبشر ابن عبد المطلب بما بشرك الله به . قال : وذاع قول ورقة وقصديته لرسول الله ﷺ فشق ذلك على الملائكة من قومه قال وفتر الوحي . فقالوا : لو كان من عند الله لتابع ولكن الله قلاذ فانزل الله والضحي وألم نشرح بكلماتها . وقال البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس عن ابن اسحاق حدثني اسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير أنه حدثه عن خديجة بنت خويلد أنها قالت لرسول الله ﷺ فيما بينه مما أكرمه الله به من نبوته : يا ابن عم تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك . فقال نعم فقالت : إذا جاءك فآخبرني . فبينما رسول الله ﷺ عندها إذ جاء جبريل فرآه رسول الله ﷺ . فقال : يا خديجة هذا جبريل فقالت : أتراد الآن قال نعم قالت فاجلس إلى شقي اليمين فتحول فجلس فقالت أتراد الآن قال نعم قالت فتحول فاجلس في حجرها فقالت هل تراه الآن قال نعم ! فتحسرت رأسها فشالت

خارها ورسول الله ﷺ جالس في حجرها فقالت هل تراه الآن قال لا قالت ما هذا بشيطان أن هذا الملك يا ابن عم فائبت وأبشر ثم آمنت به وشهدت أن ما جاء به هو الحق .

قال ابن اسحاق فحدثت عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال قد سمعت أمي فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة إلا أنني سمعتها تقول أدخلت رسول الله ﷺ بينها وبين درعها فذهب عنده ذلك جبريل عليه السلام . قال : البهقي وهذا شيء كان من خديجة قصته تستثبت به الأمر احتياطاً لدينها وتصديقاً . فاما النبي ﷺ فقد كان وثق بما قال له جبريل وأراه من الآيات التي ذكرناها مرة بعد أخرى ، وما كان من تسليم الشجر والحجر عليه ﷺ تسليماً .

وقد قال مسلم في صحيحه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يحيى بن بكير حدثنا إبراهيم بن طهمان حدثني سفيان بن حرب عن جابر بن سمرة رضي الله عنه . أن رسول الله ﷺ قال : « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن بعث إني لأعرفه الآن » . وقال أبو داود الطيالسي حدثنا سليمان بن معاذ عن سفيان بن حرب عن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ قال : « إن بمكة لحجراً كان يسلم على ليالي بعثت إني لأعرفه إذا مررت عليه » . وروى البهقي من حديث اسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير عن عباد بن عبد الله عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . قال : كنا مع رسول الله ﷺ بمكة فخرج في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال السلام عليك يا رسول الله . وفي رواية لغيري رأيتني أدخل معه الوادي فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليكم يا رسول الله وأنا أسمع .

﴿ فصل ﴾

قال البخاري في روايته المتقدمة ثم فتر الوحي حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزنا غدا منه مراراً كي يتردى من رؤس شواهد الجبال فكأما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدي له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فإذا طالت فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدي له جبريل فقال له مثل ذلك . وفي الصحيحين من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال سمعت أبا سلمة عبد الرحمن يحدث عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي قال : فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء فخثت منه فرقا حتى هويت إلى الأرض فجئت أهلي فقلت زملوني زملوني فانزل الله : « يأأيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر » قال ثم حي الوحي وتتابع فهذا كان أول ما نزل من القرآن

بعد فترة الوحي لا مطلقاً ، ذاك قوله (اقرأ باسم ربك الذى خلق) وقد ثبت عن جابر أن أول ما نزل (يا أيها المدثر) واللائق حمل كلامه ما أمكن على ما قلناه فان فى سياق كلامه ما يدل على تقدم مجيء الملك الذى عرفه ثانياً بما عرفه به أولاً اليه . ثم قوله : يحدث عن فترة الوحي دليل على تقدم الوحي على هذا الإجماع والله أعلم . وقد ثبت فى الصحيحين من حديث على بن المبارك وعند مسلم والاوزاعي كلاهما عن يحيى بن أبي كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن أى القرآن أنزل قبل فقال : (يا أيها المدثر) فقلت (وقرأ باسم ربك) فقال سألت جابر بن عبد الله أى القرآن أنزل قبل فقال (يا أيها المدثر) فقلت (وقرأ باسم ربك) فقال قال رسول الله ﷺ : « إني جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الوادى فنوديت فنظرت بين يدي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أرى شيئاً ثم نظرت إلى السماء فإذا هو على العرش فى الهواء فآخذتني رعدة - أو قال وحشة - فانيت خديجة فامرتهم فدروني فانزل الله : (يا أيها المدثر) حتى بلغ (وثيابك فطهر) - وقال فى رواية - فإذا الملك الذى جاء فى بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فنجيت منه » وهذا صريح فى تقدم آياته اليه وانزاله الوحي من الله عليه كما ذكرناه والله أعلم . ومنهم زعم أن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة (والضحي والليل إذا سجي ما ودعتك ربك وما قلى) إلى آخرها . قاله محمد بن اسحاق . وقال بعض القراء : ولهذا كبر رسول الله ﷺ فى أولها فرحاً وهو قول بعيد يرد ما تقدم من رواية صاحبى الصحيح من أن أول القرآن نزولاً بعد فترة الوحي : (يا أيها المدثر قم فانذر) ولكن نزلت سورة والضحي بعد فترة أخرى كانت ليالى يسيرة كما ثبت فى الصحيحين وغيرهما من حديث الاسود بن قيس عن جندب بن عبد الله البجلي . قال : اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين أو ثلاثاً فقالت امرأة ما ترى شيئاً لك إلا تركك فانزل الله (والضحي والليل إذا سجي ما ودعتك ربك وما قلى) وبهذا الأمر حصل الارسل إلى الناس وبالأول حصلت النبوة . وقد قال بعضهم كانت مدة الفترة قريباً من سنتين أو سنتين ونصفاً ، والظاهر والله أعلم أنها المدة التى اقترن معه ميكائيل كما قال الشعبي وغيره ، ولا ينفي هذا تقدم إجماع جبريل اليه أولاً (اقرأ باسم ربك الذى خلق) ثم اقترن به جبريل بعد نزول (يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر) وثم حى الوحي بعد هذا وتتابع - أى تدارك شيئاً بعد شئ - وقام حينئذ رسول الله ﷺ فى الرسالة أتم القيام وشمر عن ساق العزم ودعا إلى الله التريب والبعيد ، والاحرار والعبيد ، فأمن به حينئذ كل لبيب نجيب سعيد ، واستمر على مخالفته وعصيانته كل جبار عنيد ، فكان أول من بادر إلى التصديق من الرجال الاحرار أبو بكر الصديق ، ومن الغلمان على بن أبى طالب ، ومن النساء خديجة بنت خويلد زوجته عليه السلام ، ومن الموالى مولاد زيد بن حارثة السكابي رضى

الله عنهم وأرضاهم. وتقدم الكلام على إيمان ورقة بن نوفل بما وجد من الوحي ومات في الفترة رضى الله عنه .

﴿ فصل ﴾

﴿ في منع الجن ومردة الشياطين من استراق السمع حين أنزل القرآن لئلا يختطف أحدهم منه ولو حرفاً واحداً فيلقيه على لسان وليه فيلتبس الأمر ويختلط الحق ﴾

فكان من رحمة الله وفضله ولطفه بخلقه أن حججهم عن السماء كما قال الله تعالى إخباراً عنهم في قوله : (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ، وأنا لا ندرى أشعر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً) . وقال تعالى : (وما تنزل به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لغزولون) . قال الحافظ أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد - وهو الطبراني - حدثنا عبد الله بن محمد ابن سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن يوسف الفريابي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس . قال : كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحي فإذا حفظوا الكلمة زادوا فيها تسعاً فلما الكلمة فتكون حتماً وأما ما زادوا فتكون باطلاً ، فلما بعث النبي ﷺ منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لأبليس ولم تكن النجوم يرى بها قبل ذلك فقال لهم إبليس هذا لأمر قد حدث في الأرض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائماً يصلي بين جبلين فاتوه فاخبروه فقال هذا الأمر الذي قد حدث في الأرض . وقال أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم ؟ قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب فقالوا ما ذاك إلا من شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فمن النفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا الذي حل بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم فقالوا : (يا قومنا أنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشداً فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً) فأوحى الله إلى نبيه ﷺ : (قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) الآية . أخرجاه في الصحيحين وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : إنه لم تكن قبيلة من الجن إلا ولهم مقاعد للسمع فإذا نزل الوحي سمعت الملائكة صوتاً كصوت الحديد القيثبة على الصفا ، قال فإذا سمعت الملائكة خروا سجداً فلم يرفعوا رؤسهم

حتى ينزل فاذا نزل قال بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم ؟ فان كان مما يكون في السماء قالوا الحق وهو
 العلي الكبير ، وإن كان مما يكون في الأرض من أمر الغيب أو موت أو شيء مما يكون في الأرض
 تكلموا به فقالوا يكون كذا وكذا فتسمعه الشياطين فينزلونه على أوليائهم فلما بعث النبي محمد
 ﷺ دحروا بالنجوم فكان أول من علم بها ثقيف فكان ذو الغنم منهم ينطلق إلى غنمه فيدبح
 كل يوم شاة وذا الابل فينحر كل يوم بعيراً فاسرع الناس في أموالهم فقال بعضهم لبعض لا تفعلوا
 فان كانت النجوم التي يهتدون بها وإلا فانه لأمر حدث فنظروا فاذا النجوم التي يهتدى بها كما
 هي لم يزل منها شيء فكفوا وصرف الله الجن فسمعوا القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا وانطلقت
 الشياطين إلى ابليس فآخبروه . فقال : هذا حدث حدث في الأرض فأقنوني من كل أرض بترية
 فأقنوه بترية تهامة فقال ههنا الحدث . ورواه البيهقي والحاكم من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن
 السائب . وقال الواقدي : حدثني أسامة بن زيد بن أسلم عن عمر بن عبدان العبسي عن كعب قال
 لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى تنبأ رسول الله ﷺ فرمى بها فرأت قريش أمراً لم تكن تراه
 فجعلوا يسيبون ألعامهم ويعتقون أرقاءهم يظنون أنه الفناء ، فبلغ ذلك من فعلهم أهل الطائف ففعلت
 ثقيف مثل ذلك فبلغ عبد ياليل بن عمرو ما صنعت ثقيف . قال : ولم فعلتم ما أرى ؟ قالوا رمى
 بالنجوم فأينها تهافت من السماء فقال إن افادة المال بعد ذهابه شديد فلا تعجلوا وانظروا فان
 تسكن نجوما تعرف فهو عندنا من فناء الناس وإن كانت نجوما لا تعرف فهو لأمر قد حدث فنظروا
 فاذا هي لا تعرف فآخبروه فقال الأمر فيه ميلة بعد هذا عند ظهور نبي . فما مكثوا إلا يسيراً حتى
 قدم عليهم أبو سفيان بن حرب إلى أمواله فجاء عبد ياليل فذا كره أمر النجوم فقال أبو سفيان :
 ظهر محمد بن عبد الله يدعى أنه نبي مرسل فقال عبد ياليل فعند ذلك رمى بها . وقال سعيد بن
 منصور عن خالد بن حصين عن عامر الشعبي . قال : كانت النجوم لا يرمى بها حتى بعث رسول الله
 ﷺ فسيبوا ألعامهم وأعتقوا رقيقهم . فقال عبد ياليل : أنظروا فان كانت النجوم التي تعرف فهو
 عند فناء الناس وإن كانت لا تعرف فهو لأمر قد حدث فنظروا فاذا هي لا تعرف . قال : فامسكوا
 فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى جاءهم خروج النبي ﷺ . وروى البيهقي والحاكم من طريق العوفي عن
 ابن عباس قال : لم تكن السماء الدنيا تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه .
 فاعمل مراد من أنفي ذلك أنها لم تكن تحرس حراسة شديدة ويجب حمل ذلك على هذا لما ثبت في
 الحديث من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله
 عنهما بينا رسول الله ﷺ جالس إذ رمى بنجم فاستأمر فقال : « ما كنتم تقولون إذا رمى بهذا »
 قال كنا نقول مات عظيم ، وولد عظيم فقال : « لا ولكن » . فذكر الحديث كما تقدم عند خلق

السماء وما فيها من السكواكب في أول بدء الخلق والله الحمد .

وقد ذكر ابن اسحاق في السيرة قصة رمي النجوم وذكر عن كبير ثقيف أنه قال لهم في النظر في النجوم : إن كانت أعلام السماء أو غيرها ولكن سماه عمرو بن أمية فأنه أعلم . وقال السدي لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر وكانت الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت المقاعد في سماء الدنيا يستمعون ما يحدث في السماء من أمر فلما بعث الله محمداً ﷺ نبياً رجوا ليلة من الليالي ، ففزع لذلك أهل الطائف . فقالوا : هلك أهل السماء لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب فجعلوا يعتقون أرقاءهم ، ويسميون مواشيهم . فقال لهم عبد ياليل بن عمرو ابن عمير : ويحك يا مشر أهل الطائف امسكوا عن أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم فإن رأيتموها مستقرة في أماكنها فلم يهلك أهل السماء وإنما هم من ابن أبي كبشة ، وإن أنتم لم تروها فقد هلك أهل السماء فانظروا فأروها فكفوا عن أموالهم وفزع الشياطين في تلك الليلة فأتوا إبليس فقال أئتوني من كل أرض بقبضة من تراب فاتوه فشتم قتال صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا مكة فوجدوا رسول الله ﷺ في المسجد الحرام يقرأ القرآن ، فدنوا منه حرصاً على القرآن حتى كادت كلابهم تصيبه ثم أسأوا فانزل الله أمرهم على نبيه ﷺ . وقال الواقدي : حدثني محمد بن صالح عن ابن أبي حكيم - يعني اسحاق - عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : لما بعث رسول الله ﷺ أصبح كل صنم منكساً فأتت الشياطين فقاتلوا له ما على الأرض من صنم إلا وقد أصبح منكساً ، قال هذا نبي قد بعث فالتمسوه في قرى الأرياف فالتمسوه فقالوا لم نجده فقال أنا صاحبه فخرج يلتمسه فنودي عليك بمنجبة الباب - يعني مكة - فالتمس به فوجده بها عند قرن الثعالب فخرج إلى الشياطين فقال : إني قد وجدته معه جبريل فما عندكم ؟ قالوا : نزين الشهوات في عين أصحابه ونحببها إليهم قال فلا آسى إذا . وقال الواقدي حدثني طلحة بن عمرو عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن عمرو قال لما كان اليوم الذي تلبأ فيه رسول الله ﷺ منعت الشياطين من السماء ورموا بالشهب فجاءوا إلى إبليس فذكروا ذلك له فقال : أمر قد حدث هذا نبي قد خرج عليكم بالأرض المقدسة فخرج نبي إسرائيل قال فذهبوا إلى الشام ثم رجعوا إليه فقالوا ليس بها أحد فقال إبليس أنا صاحبه فخرج في طلبه بمكة فإذا رسول الله ﷺ بجحراء منحدراً معه جبريل فرجع إلى أصحابه فقال قد بعث أحد وبعده جبريل فما عندكم ؟ قالوا : الدنيا نجبها إلى الناس قال فذاك إذا . قال الواقدي : وحدثني طلحة ابن عمرو عن عطاء بن ابن عباس . قال : كانت الشياطين يستمعون الوحي فلما بعث محمد ﷺ منعوا فشكوا ذلك إلى إبليس فقال : لقد حدث أمر فرقي فوق أبي قبيس - وهو أول جبل وضع على وجه الأرض - فرأى رسول الله ﷺ يد لي خلف المقام . فقال : اذهب فاكسر عنقه . فجاء ينظر

وجبريل عنده ، فركضه جبريل ركضة طرحه في كذا وكذا فولى الشيطان هاربا . ثم رواه الواقدي وأبو أحمد الزبيري كلاهما عن رباح بن أبي معروف عن قيس بن سعد عن مجاهد فذكر مثل هذا وقال فركضه برجاه فرماه بعدن .

﴿ فصل ﴾

﴿ في كيفية اتيان الوحي إلى رسول الله ﷺ ﴾

قد تقدم كيفية ما جاءه جبريل في أول مرة ، وثاني مرة أيضا وقال مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها . إن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ . قال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال : « أحيانا يأتيني مثل حلصة الجرس - وهو أشده عليّ - فيفصم عني وقد وعيت ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا يكلمني فأعي ما يقول » . قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيته ﷺ ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه ليتفصد عرقا أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به . ورواه الإمام أحمد عن عامر بن صالح عن هشام بن عروة به نحوه . وكذا رواه عبدة بن سليمان وأنس بن عياض عن هشام بن عروة ، وقد رواه أيوب السخيتاني عن هشام عن أبيه عن الحارث بن هشام أنه قال سألت رسول الله ﷺ فقلت كيف يأتيك الوحي ؟ فذكره ، ولم يذكر عائشة . وفي حديث الألفك قالت عائشة : فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه . فاخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى أنه كان يتحدر منه مثل الجمان من العرق ، وهو في يوم شات من ثقل الوحي الذي نزل عليه . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرني يونس بن سليم قال أمني على يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن عروة بن عبد الرحمن بن عبد القاري سمعت عمر بن الخطاب يقول : كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يسمع عند وجهه كدوى النحل ، وذكر تمام الحديث في نزول (قد أفلح المؤمنون) وكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الرزاق ، ثم قال النسائي : منكر لا نعرف أحداً رواه غير يونس بن سليم ، ولا نعرفه . وفي صحيح مسلم وغيره من حديث الحسن عن حطان ابن عبد الله الرقاشي عن عبادة بن الصامت . قال : كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي كربه ذلك وتر بدوجه - وفي رواية وغمض عينيه - وكنا نعرف ذلك منه . وفي الصحيحين حديث زيد ابن ثابت حين نزلت (لا يستوى القاعدون من المؤمنين) فلما شكى ابن أم مكتوم ضارته نزلت (غير أولى الضرر) . قال وكانت نخذ رسول الله ﷺ على فخذي وأنا أكتب فلما نزل الوحي كادت نخذة ترض فخذي . وفي صحيح مسلم من حديث همام بن يحيى عن عطاء عن يعلى بن أمية . قال قال

لي عمر: أيسرك أن تنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوحى إليه؟ فرفع طرف الثوب عن وجهه وهو يوحى إليه بالجرمارة، فإذا هو محمر الوجه. وشو يغط كما يغط البكر. وثبت في الصحيحين من حديث عائشة لما نزل الحجاب، وأن سودة خرجت بعد ذلك إلى المناصع ليلا، فقال عمر: قد عرفناك يا سودة. فرجعت إلى رسول الله ﷺ فسأله وهو جالس يتمشى والعرق في يده، فأوحى الله إليه والعرق في يده، ثم رفع رأسه فقال: «إنه قد أذن لكن أن تخرجن للمجتمكن». فدل هذا على أنه لم يكن الوحي يغيب عنه احساسه بالكيفية، بدليل أنه جالس ولم يسقط العرق أيضا من يده صفوات الله وسلامه دائما عليه. وقال أبو داود الطيالسي حدثنا عباد بن منصور حدثنا عكرمة عن ابن عباس. قال: كان رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي تربد لذلك جسده ووجهه وأمسك عن أصحابه ولم يكلمه أحد منهم. وفي مسند أحمد وغيره من حديث ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله هل تحس بالوحي؟ قال «نعم اسمع صلاصلا ثم أثبت عند ذلك، وما من مرة يوحى إلي إلا ظننت أن نفسي تفيض منه». وقال أبو يعلى الموصلي حدثنا إبراهيم بن الحجاج حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عاصم بن كليب حدثنا أبي عن خاله العليان بن عاصم. قال: كنا عند رسول الله ﷺ وأنزل عليه، وكان إذا أنزل عليه دام بصره وعيناه مفتوحة، وفرغ سمعه وقلبه لما يأتيه من الله عز وجل. وروى أبو نعيم من حديث قتيبة حدثنا علي بن غراب عن الاحوص بن حكيم عن أبي عوانة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة. قال: كان رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي صدع وغلف رأسه بالخناء. هذا حديث غريب جدا. وقال الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا أبو معاوية سنن عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد. قالت: إني لا آخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله ﷺ، إذ نزلت عليه المائدة كلها، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة. وقد رواه أبو نعيم من حديث الثوري عن ليث بن أبي سليم به. وقال الامام أحمد أيضا حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثني جبر بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو. قال: أنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله فزل عنها. وروى ابن مردويه من حديث صباح ابن سهل عن عاصم الاحول حدثني أم عمرو عن عمها أنه كان في مسير مع رسول الله ﷺ فنزلت عليه سورة المائدة، فاندق عنق الراحلة من ثقلها. وهذا غريب من هذا الوجه. ثم قد ثبت في الصحيحين نزول سورة الفتح على رسول الله ﷺ مرجعه من الحديبية، وهو على راحلته، فكان يكون تارة وتارة بحسب الحال والله أعلم. وقد ذكرنا أنواع الوحي إليه ﷺ في أول شرح البخاري وما ذكره الحلبي وغيره من الأئمة رضى الله عنهم.

﴿ فصل ﴾

قال الله تعالى : (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه) وقال تعالى : (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه ، وقل رب زدني علما) وكان هذا في الابتداء ، كان عليه السلام من شدة حرصه على اخذ من الملك ما يوحى اليه عن الله عز وجل ليساوقه في التلاوة ، فأمره الله تعالى أن ينصت لذلك حتى يفرغ من الوحي ، وتسكن له أن يجمعه في صدره ، وإن يسر عليه تلاوته وتبليغه ، وإن يبينه له ، ويفسر ويوضحه ويوقفه على المراد منه . ولهذا قال : (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه وقل رب زدني علما) وقال (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه) أي في صدرك (وقرآنه) أي وأن تقرأه (فإذا قرأناه) أي تلاه عليك الملك (فاتبع قرآنه) أي فاستمع له وتدبره (ثم إن علينا بيانه) وهو نظير قوله (وقل رب زدني علما) . وفي الصحيحين من حديث موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة ، فكان يحرك شفثيه ، فانزل الله (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) قال جمعه في صدرك ثم تقرأه (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) فاستمع له وأنصت (ثم إن علينا بيانه) قال فكان إذا أتاه جبريل أطرق ، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل .

﴿ فصل ﴾

قال ابن اسحاق : ثم تتابع الوحي إلى رسول الله ﷺ وهو مصدق بما جاءه منه ، قد قبله بقبوله وتحمل منه ما حمله - على رضا العباد وسخطهم - وللنبوة أفعال ومؤنة لا يحملها ولا يستضلع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل ، بعون الله وتوفيقه لما يلقون من الناس ، وما يرد عليهم مما جاؤا به عن الله عز وجل فمضى رسول الله ﷺ على ما أمر الله ، على ما يلقى من قومه من الخلاف والاذى . قال ابن اسحاق : وآمنت خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاءه من الله ووازرته على أمره ، وكانت أول من آمن بالله ورسوله وصدقت بما جاءه منه فخفف الله بذلك عن رسوله ، لا يسمع شيئا يكرهه من رد عليه ، وتسكن يده له فيحزنه ذلك ، إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه ، وتصدقه وتمهون عليه أمر الناس ، رضى الله عنها وأرضاها .

قال ابن اسحاق : وحدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر . قال قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أبشر خديجة ببیت من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب » . وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث هشام . قال ابن هشام : القصب هاهنا اللؤلؤ الجوف .

قال ابن اسحاق: وجعل رسول الله ﷺ يذكر جميع ما أنعم الله به عليه وعلى العباد من النبوة سرّاً إلى من يطمئن إليه من أهله. وقال موسى بن عقبة عن الزهري: كانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله، قبل أن تفرض الصلاة.

قلت: يعني الصلوات الخمس ليلة الاسراء. فأما أصل الصلاة فقد وجب في حياة خديجة رضي الله عنها كما سنبينه.

وقال ابن اسحاق: وكانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله، وصدق بما جاء به. ثم إن جبريل أتى رسول الله ﷺ حين افترضت عليه الصلاة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت له عين من ماء زمزم، فتوضأ جبريل ومحمد عليهما السلام، ثم صلى ركعتين وسجد أربع سجعات، ثم رجع النبي ﷺ وقد أقر الله عينه، وطابت نفسه، وجاءه ما يحب من الله، فأخذ يد خديجة حتى أتى بها إلى العين، فتوضأ كما توضأ جبريل، ثم ركع ركعتين وأربع سجعات، ثم كان هو وخديجة يصليان سرّاً.

قلت: صلاة جبريل هذه غير الصلاة التي صلاها به عند البيت مرتين، فبين له أوقات الصلوات الخمس، أولها وآخرها، فإن ذلك كان بعد فرضيتها ليلة الاسراء، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله وبه الثقة، وعليه التكلان.

﴿فصل﴾

﴿في ذكر أول من أسلم، ثم ذكر متقدمي الاسلام من الصحابة وغيرهم﴾

قال ابن اسحاق: ثم إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاء بعد ذلك بيوم وهما يصليان. فقال علي يا محمد ما هذا؟ قال دين الله الذي اصطفى لنفسه، وبعث به رسلاً، فادعوك إلى الله وحده لا شريك له، وإلى عبادته. وأن تكفر باللات والعزى. فقال علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فليست بقاض أمراً حتى أحدث به أبا طالب. فسكره رسول الله ﷺ أن يفشى عليه سره قبل أن يستعلن أمره. فقال له: يا علي إذا لم تسلم^(١) فأكتم. فكث على تلك الليلة، ثم إن الله أوقع في قلب علي الاسلام، فأصبح غادياً إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه فقال ماذا عرضت علي يا محمد؟ فقال له رسول الله ﷺ: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الانداد» ففعل علي وأسلم، وكث يأتيه على خوف من أبي طالب وكم على اسلامه ولم يظهره، وأسلم ابن حارثة — يعني زيدا — فكنا قريباً من شهر يختلف علي إلى رسول الله ﷺ، وكان

(١) في المصرية: اذ لم تسمع فأكتم

مما أنعم الله به على علي أنه كان في حجر رسول الله ﷺ قبل الاسلام .
 قال ابن اسحاق : حدثني ابن أبي نجيح عن مجاهد . قال : وكان مما أنعم الله به على علي أن
 قرشا أصابهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة ، وقتل رسول الله ﷺ لعمه العباس
 - وكان من أيسر بني هاشم - « يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى
 من هذه الأزمة ، فانطلق حتى تخفف عنه من عياله » فآخذ رسول الله ﷺ عليا فضمه إليه ، فلم يزل
 مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبياً ، فاتبعه علي وآمن به وحده . وقال يونس بن بكير عن محمد
 ابن اسحاق حدثني يحيى بن أبي الاشعث الكندي - من أهل الكوفة - حدثني اسماعيل بن أبي
 إلياس بن عفيف عن أبيه عن جده عفيف - وكان عفيف أخا الاشعث بن قيس لأمه - أنه قال :
 كنت امرأة تاجراً قدمت من أيام الحج ، وكان العباس بن عبد المطلب امرأة تاجراً ، فاتتته ابتاع
 منه وابيعة ، قال فبينما نحن إذ خرج رجل من خباء فقام يصلي تجاه الكعبة ثم خرجت امرأة فقامت
 تصلي ، وخرج غلام فقام يصلي معه . فقلت : يا عباس ما هذا الدين ؟ إن هذا الدين ما ندرى ما هو
 فقال : هذا محمد بن عبد الله يزعم أن الله أرسله ، وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه ، وهذه
 امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به ، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب آمن به . قال عفيف
 فليتني كنت آمنت يومئذ فكنت أكون نانيا . وتابعه إبراهيم بن سعد عن ابن اسحاق ، وقال :
 في الحديث : إذ خرج رجل من خباء قريب منه ، فنظر إلى السماء فلما رآها قد مالت قام يصلي . ثم
 ذكر قيام خديجة وراءه . وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي حدثنا سعيد بن خشم عن أسد
 ابن عبد البجلي عن يحيى بن عفيف . قال : جئت زمن الجاهلية إلى مكة ، فزلت على العباس بن
 عبد المطلب ، فلما طلعت الشمس وحلقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة ، أقبل شاب فرمى ببصره
 إلى السماء ، ثم استقبل الكعبة فقام مستقبلاً فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه ، فلم يلبث حتى
 جاءت امرأة فقامت خلفهما ، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة ، وفرغ الشاب وفرغ الغلام والمرأة ففرغ
 الشاب ساجداً فسجداً معه ، فقلت يا عباس أمر عظيم ! فقال أمر عظيم . فقال أتدرى من هذا ؟ فقلت
 لا ، فقال هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي ، أتدرى من الغلام ؟ قلت لا ، قال هذا علي
 ابن أبي طالب - رضي الله عنه - أتدرى من هذه المرأة التي خلفهما ؟ قلت لا ، قال هذه خديجة بنت
 خويلد زوجة ابن أخي . وهذا حدثني أن ربك رب السماء والأرض أمره بهذا الذي تراهم عليه ،
 وإيم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الذين غير هؤلاء الثلاثة . وقال ابن جرير حدثني
 ابن حميد حدثنا عيسى بن سودة بن أبي الجعد حدثنا محمد بن المنكدر وربيعة بن أبي عبد الرحمن
 وأبو حازم والسكاكي . قالوا : على أول من أسلم . قال السكاكي : أسلم وهو ابن تسع سنين . وحدثنا

ابن حنبل حدثنا سلمة عن ابن اسحاق . قال : أول ذكر آمن برسول الله ﷺ وصلى الله عليه وصدقته
على بن أبي طالب ، وهو ابن عشر سنين ، وكان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام . قال الواقدي
أخبرنا إبراهيم بن نافع عن ابن أبي نجيح عن مجاهد . قال : أسلم على وهو ابن عشر سنين . قال
الواقدي : واجمع أصحابنا على أن علياً أسلم بعد ما تنبأ رسول الله ﷺ . وقال محمد بن كعب : أول
من أسلم من هذه الأمة خديجة وأول رجلين أسلما أبو بكر وعلي ، وأسلم على قبل أبي بكر ، وكان علي
يكنى إمامته خوفاً من أبيه ، حتى لقيه أبوه قال أسأمت ؟ قال نعم ! قال وأزر ابن عمك وانصرده . قال
وكان أبو بكر الصديق أول من أظهر الإسلام . وروى ابن جرير في تاريخه من حديث شعبة عن أبي
بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس . قال : أول من صلى على . وحدثنا عبد الحميد بن يحيى
حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر . قال : بعث النبي ﷺ يوم الاثنين وصلى
على يوم الثلاثاء . وروى من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة - رجل من الانصار -
سمعت زيد بن أرقم يقول : أول من أسلم مع رسول الله ﷺ على بن أبي طالب . قال فذكرته
للنخعي فأنكره . وقال : أبو بكر أول من أسلم . ثم قال حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا العلاء عن
المنهال بن عمرو عن عباد بن عباد بن عبيد الله سمعت علياً يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق
الاكبر ، لا يقولها بعدى الا كاذب مقتر ، صليت قبل الناس بسبع سنين . وهكذا رواه ابن
ماجه عن محمد بن اسماعيل الرازي عن عبيد الله بن موسى الفهمي - وهو شيعي من رجال الصحيح -
عن العلاء بن صالح الأزدي الكوفي - وثقه - ولكن قال أبو حاتم : كان من عتق الشيعة - وقال
على بن المديني روى أحاديث منا كبر والمنهال بن عمرو ثقة . وأما شيخه عباد بن عبد الله - وهو
الاسدي الكوفي - فقد قال فيه علي بن المديني هو ضعيف الحديث ، وقال البخاري فيه نظر . وذكره
ابن حبان في الثقات ، وهذا الحديث منكر بكل حال ، ولا يقوله على رضي الله عنه ، وكيف يمكن
أن يصلي قبل الناس بسبع سنين ؟ هذا لا يتصور أصلاً والله أعلم . وقال آخرون : أول من أسلم من
هذه الأمة أبو بكر الصديق ، والجمع بين الأقوال كلها أن خديجة أول من أسلم من النساء وظاهر
السياقات - وقيل الرجال أيضاً - وأول من أسلم من الموالى زيد بن حارثة ، وأول من أسلم من العلمان
على بن أبي طالب . فانه كان صغيراً دون البلوغ على المشهور ، وهؤلاء كانوا إذ ذاك أهل البيت .
وأول من أسلم من الرجال الاحرار أبو بكر الصديق ، وإسلامه كان أنفع من اسلام من تقدم ذكرهم
إذ كان صدره معظماً ، ورئيساً في قريش مكرماً ، وصاحب مال ، وداعية إلى الاسلام . وكان محبباً
متألماً يبذل المال في طاعة الله ورسوله كما سيأتي تفصيله . قال يونس عن ابن اسحاق ثم بن أبي بكر
الصديق لقي رسول الله ﷺ فقال : أحق ما تقول قريش يا محمد ؟ من تركك آلهتنا ، وتسفيناك

عقولنا ، وتسكفرك آباءنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « بلى إني رسول الله ونبيه ، بعثني لا بلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق فوالله إنه للحق ، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ، ولا تعبد غيره والمواولة على طاعته » وقرأ عليه القرآن ، فلم يقر ولم ينكر . فأسلم وكفر بالآصنام ، وخلع الانداد وأقر بحق الاسلام ، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق .

قال ابن اسحاق : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي أن رسول الله ﷺ قال : « ما دعوت أحداً إلى الاسلام إلا كانت عنده كهوة وتردد ونظر ، إلا أبا بكر ما علم عنه حين ذكرته ، ولا تردد فيه » تكلم — أي تلبث — وهذا الذي ذكره ابن اسحاق في قوله فلم يقر ولم ينكر ، منكر فان ابن اسحاق وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله ﷺ قبل البعثة ، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه ، ما يمنعه من الكذب على الخلق . فكيف يكذب على الله ؟ ولهذا بمجرد ما ذكر له إن الله أرسله بادر إلى تصديقه ولم يتلثم ، ولا عكم وقد ذكرنا كيفية إسلامه في كتابنا الذي أفردناه في سيرته وأوردنا فضائله وشماله واتبعنا ذلك بسيرة الفاروق أيضاً وأوردنا ما رواه كل منهما عن النبي ﷺ من الأحاديث ، وما روى عنه من الآثار والاحكام والفتاوى ، فبلغ ذلك ثلاث مجلدات والله الحمد والمنة . وقد ثبت في صحيح البخاري عن أبي الدرداء في حديث ما كان بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من المصومة وفيه . فقال رسول الله ﷺ : « إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر صدق . وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لي صاحبي » مرتين . فما أودى لبعدها ، وهذا كالنص على أنه أول من أسلم رضي الله عنه وقد روى الترمذي وابن حبان من حديث شعبة عن سعيد الجريري عن أبي لؤي عن أبي سعيد . قال قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : ألت أحق الناس بها ، ألت أول من أسلم ، ألت صاحب كذا ؟ وروى ابن عساکر من طريق بهلول بن عبيد حدثنا أبو اسحاق السبيعي عن الحارث سمعت علياً يقول : أول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق ، وأول من صلى مع النبي ﷺ من الرجال علي بن أبي طالب . وقال شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال : أول من صلى مع النبي ﷺ أبو بكر الصديق . رواه أحمد والترمذي والنسائي من حديث شعبة وقال الترمذي حسن صحيح . وقد تقدم رواية ابن جرير لهذا الحديث من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال : أول من أسلم علي بن أبي طالب . قال عمرو بن مرة فذكرته لأبراهيم النخعي فأنكره وقال أول من أسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه . وروى الواقدي بإسناد عن أبي أروى الدبسي وأبي مسلم بن عبد الرحمن في جماعة من السلف أول من أسلم أبو بكر الصديق . وقال يعقوب بن سفيان حدثنا أبو بكر الحميدي حدثنا سفيان بن عيينة عن مالك بن مغول

عن رجل قال سئل ابن عباس من أول من آمن؟ فقال: أبو بكر الصديق، أما سمعت قول حسان:

إذا تذكرت شعجراً من أخى ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أوفاهما وأعدلهما بمد النبي وأولاهما بما حملا
والثاني الثاني المحمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسلا
عاش حميداً لأمر الله متبعاً بأمر صاحبه الماضي وما انتقلا

وقد رواد أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا شيخ لنا عن مجالد عن عامر قال سألت ابن عباس - أو سئل ابن عباس - أي الناس أول إسلاماً؟ قال: أما سمعت قول حسان بن ثابت فذكره وهكذا رواه الهيثم بن عدي عن مجالد عن عامر الشعبي سألت ابن عباس فذكره. وقال أبو القاسم البغوي حدثني سريج بن يونس حدثنا يوسف بن الماجشون قال أدركت مشيختنا منهم محمد بن المنكدر، وربيع بن أبي عبد الرحمن، وصالح بن كيسان، وعثمان بن محمد، لا يشكون أن أول القوم إسلاماً أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

قلت: وهكذا قال إبراهيم النخعي ومحمد بن كعب ومحمد بن سيرين وسعد بن إبراهيم وهو المشهور عن جمهور أهل السنة. وروى ابن عساکر عن سعد بن أبي وقاص ومحمد بن الحنفية أنهما قالا: لم يكن أولهم إسلاماً، ولكن كان أفضلهم إسلاماً. قال سعد: وقد آمن قبله خمسة، وثبت في صحيح البخاري من حديث همام بن الحارث عن عمار بن ياسر. قال: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد، وعمار، وأبو بكر، وروى الإمام أحمد وابن ماجه من حديث عاصم بن أبي النجود عن زر عن ابن مسعود. قال: أول من أظهر الإسلام سبعة رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد. فاما رسول الله ﷺ فتمعه الله بعده، وأما أبو بكر فتمعه الله بقومه، وأما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا، إلا بلالاً فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فاخذوه فاعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحد أحد. وهكذا رواه الثوري عن منصور عن مجاهد مرسلًا. فاما ما رواه ابن جرير قائلًا أخبرنا ابن حبيب حدثنا كنانة بن حبل (١) عن إبراهيم بن طهمان عن حجاج عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن محمد بن سعد بن أبي وقاص. قال قلت لأبي أكان أبو بكر أولكم إسلاماً قال: لا، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ولكن كان أفضلنا إسلاماً. فانه حديث منكرو اسناداً وممتناً. قال ابن جرير وقال آخرون: كان أول من أسلم زيد ابن حارثة، ثم روى من طريق الواقدي عن ابن أبي ذئب، سألت الزهري عن أول من أسلم من النساء؟ قال خديجة. قلت فمن الرجال؟ قال زيد بن حارثة. وكذا قال عروة وسليمان بن يسار وغير (١) في الأصلين حبل بالهمزة وفي ابن جرير حبل بالجم.

واحد أول من أسلم من الرجال زيد بن حارثة . وقد أحباب أبو حنيفة رضى الله عنه بالجمع بين هذه الأقوال بأن أول من أسلم من الرجال الإحرار أبو بكر ، ومن النساء خديجة ، ومن الموالى زيد بن حارثة ، ومن الغلمان على بن أبي طالب رضى الله عنهم أجمعين .

قال محمد بن اسحاق : فلما أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه دعا إلى الله عز وجل ، وكان أبو بكر رجلاً مألفاً لقومه محباً سهلاً ، وكان أنسب قریش لقریش ، وأعلم قریش بما كان فيها من خير وشر . وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعله وتجارته وحسن مجالسته . فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يشاء ويجلس إليه فاسلم على يديه فيما بلغنى الزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم ، فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ ومعهم أبو بكر . فمضى عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحق الإسلام فآمنوا ، وكان هؤلاء نفر الثمانية الذين سبقوا في الإسلام صدقوا رسول الله ﷺ وآمنوا بما جاء من عنده الله . وقال محمد بن عمر الواقدي حدثني الضحاك ابن عثمان عن محزمة بن سليمان الوالى عن إبراهيم بن محمد بن أبي طلحة . قال قال طلحة بن عبيد الله حضرت سوق بصرى فاذا راهب فى صومعته يقول : سلوا أهل الموسم أفبهم رجل من أهل الحرم ؟ قال طلحة قلت نعم أنا ، فقال هل ظير أحمد بعد ؟ قلت ومن أحمد ؟ قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذى يخرج فيه ، وهو آخر الانبياء مخرجه من الحرم ، ومهاجره إلى نخل وحره وسباخ ، فاياك أن تسبق إليه . قال طلحة : فوقع فى قلبى ما قال ، فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة فقلت هل كان من حديث ؟ قالوا نعم محمد بن عبد الله الأمين قد نلنا ، وقد اتبعه أبو بكر بن أبي قحافة . قال فخرجت حتى قدمت على أبي بكر ، فقلت اتبعت هذا الرجل ؟ قال نعم فانطلق اليه فادخل عليه فاتبعه فانه يدعو إلى الحق ، فاخبره طلحة بما قال الراهب . فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله ﷺ فاسلم طلحة ، وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الراهب فسر بذلك . فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية — وكان يدعى أسد قریش — فشدهما فى جبل واحد ولم يمنعهما بنو تميم فلذلك سمى أبو بكر وطلحة القرينين . وقال النبى ﷺ : « اللهم اكفنا شر ابن العدوية » رواه البيهقي . وقال الحافظ أبو الحسن خيشمة بن سليمان الاطرابلسي حدثنا عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز العمري قاضى المصيصة حدثنا أبو بكر عبد الله بن عبيد الله بن اسحاق بن محمد ابن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله حدثني أبي عبيد الله حدثني عبد الله بن محمد ابن عمران ابن ابراهيم بن محمد بن طلحة قال حدثني أبي محمد بن عمران عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن عائشة رضى الله عنها قالت : خرج أبو بكر يريد رسول الله ﷺ وكان له صديقاً فى الجاهلية ، فلتيه فقال

يا أبا القاسم قدمت من مجالس قومك واتهموك بالغيب لا بأبها وأمهاتها . فقال رسول الله ﷺ :
« إني رسول الله أدعوك إلى الله » فلما فرغ كلامه أسلم أبو بكر فانطلق عنه رسول الله ﷺ وما
بين الاخشبين أحد أكثر سروراً منه بإسلام أبي بكر ، وهضي أبو بكر فراح لعثمان بن عفان وطلحة
ابن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص فاسلموا ، ثم جاء الغد لعثمان بن مظعون وأبي
عميرة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وأبي سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم فاسلموا
رضي الله عنهم . قال عبد الله بن محمد فحدثني أبي محمد بن عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة .
قالت : لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً أخ أبو بكر على رسول الله ﷺ في
الظهور فقال : « يا أبا بكر إنا قليل » فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق المسلمون
في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته ، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله ﷺ جالس
فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ ونار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا
في نواحي المسجد ضرباً شديداً ووطئ أبو بكر وضرب ضرباً شديداً ودنا منه الفاسق عتبة بن
ربيعة فجعل يضربه بعملين مخصوصتين ويحرفهما لوجهه ، ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه
من أنفه وجاء بنو تميم يتمادون فاجلت المشركين عن أبي بكر وحملت بنو تميم أبا بكر في ثوب حتى
أدخلوه منزله ولا يشكون في موته ، ثم رجعت بنو تميم فدخلوا المسجد وقالوا والله لأن مات أبو بكر
لنقتل عتبة بن ربيعة ، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تميم يكلمون أبا بكر حتى أجاب ،
فتكلم آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فسوا منه بالسقم وعذله ، ثم قاموا وقالوا لأمه
أم الخير أنظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه فلما خلت به الحلت عليه وجعل يقول : ما فعل رسول
الله ﷺ ؟ فقالت والله مالي غم بصاحبك . فقال اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه ،
فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت إن أبا بكر يدالك عن محمد بن عبد الله ؟ فقالت ما أعرف أبا
بكر ولا محمد بن عبد الله وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك قالت نعم . فضمت معها حتى
وجدت أبا بكر صريعاً دافعاً ، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت والله إن قوما نالوا هذا منك
لاهل فسق وكفر ، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم . قال فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالت هذه
أمك تسمع ، قال فلا شيء عليك منها ، قالت سالم صالح . قال أين هو ؟ قالت في دار ابن الأرقم ، قال
فإن لله على أن لا أذوق طاماً ولا أشرب شراباً أو آتى رسول الله ﷺ . فامبلتا حتى إذا هدأت
الرجل وسكن الناس ، خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتا على رسول الله ﷺ ، قال فأكب عليه
رسول الله ﷺ فقبلاه وأكب عليه المسلمون ، وورق له رسول الله ﷺ رقة شديدة . فقال أبو بكر
بابي وأمي يا رسول الله ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي ، وهذه أمي برة بولدها ، وأنت مبارك

فادعها إلى الله وأدع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار . قال فدعاهما رسول الله ﷺ ودعاهما إلى الله فأسلمتا ، وأقاموا مع رسول الله ﷺ في الدار شهرا وهم تسعة وثلاثون رجلا ، وقد كان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضرب أبو بكر ، ودعا رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب — أولأبي جهل بن هشام — فاصبح عمر وكانت الدعوة يوم الاربعاء فاسلم عمر يوم الخميس ، فكبر رسول الله ﷺ وأهل البيت تكبيرة سمعت بأعلا مكة ، وخرج أبو الارقم — وهو أعشى كافر — وهو يقول : اللهم اغفر لبني عبيد الارقم فانه كفر ، فقام عمر فقال يا رسول الله على ما نخفى ديننا ونحن على الحق ويظهر دينهم وهم على الباطل ؟ قال : « يا عمر إنا قليل قد رأيت ما لقينا » فقال عمر : فوالذي بعثت بالحق لا يمتنى مجلس جلست فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الايمان ، ثم خرج فطاف بالبيت ، ثم مر بقريش وهي تنتظره ، فقال أبو جهل بن هشام : يزعم فلان أنك صبت ؟ فقال عمر : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله . فوثب المشركون إليه ، ووثب على عتبة فبرك عليه وجعل يضربه ، وأدخل اصبعه في عينيه ، فجعل عتبة يصيح فتدحى الناس فقام عمر ، فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ بشريف من دنا منه ، حتى أعجز الناس . واتبع المجالس التي كان يجالس فيها فيظهر الايمان ، ثم انصرف إلى النبي ﷺ وهو ظاهر عليهم . قال ما عليك بابي وأمي والله ما بقى مجلس كنت أجلس فيه بالكفر الا أظهرت فيه الايمان غير هائب ولا خائف ، فخرج رسول الله ﷺ وخرج عمر أمامه وحمزة بن عبد المطلب حتى طاف بالبيت وصلى الظهر مؤمنا ، ثم انصرف إلى دار الارقم ومعه عمر ، ثم انصرف عمر وحده ، ثم انصرف النبي ﷺ . والصحيح أن عمر إنما أسلم بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة وذلك في السنة السادسة من البعثة كما سيأتي في موضعه إن شاء الله . وقد استقصينا كيفية اسلام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في كتاب سيرتهما على انفرادهما ، وبسطنا القول هنالك والله الحمد . وثبت في صحيح مسلم من حديث أبي أمامة عن عمرو ابن عبسة السلمي رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ في أول ما بعث وهو بمكة ، وهو حينئذ مستخفي ، فقلت ما أنت ؟ قال أنا نبي ، فقلت وما النبي ؟ قال رسول الله ، قلت الله أرسلاك ؟ قال نعم قلت بما أرسلاك ؟ قال بأن تعبد الله وحده لا شريك له وتكسر الاصنام ، وتوصل الارحام . قال قلت نعم ما أرسلاك به فمن تبعك على هذا ؟ قال حر وعبد . - يعني أبا بكر وبلالا - قال فكان عمرو يقول : لقد رأيتني وأنا ربيع الاسلام . قل فأسلمت ، قلت فاتبعت يا رسول الله ، قال لا ولكن الحق بقومك ، فاذا أخبرت أني قد خرجت فاتبعني . ويقال إن معنى قوله عليه السلام حر وعبد اسم جنس وتفسير ذلك بابي بكر وبلال فقط فيه نظر . فانه قد كان جماعة قد أسلموا قبل عمرو بن عبسة . وقد كان زيد بن حارثة أسلم قبل بلال أيضا فلعله أخبر أنه ربيع الاسلام بحسب علمه فان

المؤمنين كانوا إذ ذاك يستسرون بإسلامهم لا يتطالع على أمرهم كثير أحد من قرباتهم دع الأجانب
دع أهل البادية من الأعراب والله أعلم . وفي صحيح البخاري من طريق أبي أسامة عن هاشم بن
هاشم عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : ما أسلم أحد في اليوم الذي
أسلمت فيه ، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثالث الإسلام . أما قوله ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت
فيه فسهل ، وبروي إلا في اليوم الذي أسلمت فيه وهو مشكل ، إذ يقتضى أنه لم يسبقه أحد
بالإسلام . وقد علم أن الصديق وعلياً وخديجة وزيد بن حارثة أسلموا قبله ، كما قد حكى الإجماع على
تقدم إسلام هؤلاء غير واحد ، منهم ابن الأثير . ونص أبو حنيفة رضى الله عنه على أن كلا من
هؤلاء أسلم قبل أبناء جنسه والله أعلم . وأما قوله ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثالث الإسلام فمشكل
وما أدري على ماذا يوضع عليه إلا أن يكون أخبر بحسب ما علمه والله أعلم . وقال أبو دواد الطيالسي
حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله - وهو ابن مسعود - قال : كنت غلاماً يافماً
ارعى غنماً لعقبة بن أبي معيط بمكة . فأتى على رسول الله ﷺ وأبو بكر - وقد فرا من المشركين -
فقال - أو قللاً - عندك يا غلام لبن تسقيننا ؟ قلت إني مؤمن ، ولست بساقيكما فقال هل عندك من
جذعة لم ينز عليها الفحل بعد ؟ قلت نعم ! فأتيتهما بها فاعتقها أبو بكر وأخذ رسول الله ﷺ
الضرع ودعا فخل الضرع ، وأتاه أبو بكر بصخرة متقكرة فخل فيها ثم شرب هو وأبو بكر ثم سقياني
ثم قال للضرع اقلص فقلص ، فلما كان بعد أتيت رسول الله ﷺ فقلت علمني من هذا القول الطيب
- يعنى القرآن - فقال : « إنك غلام معلم » فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد .
وهكذا رواد الإمام أحمد عن عفان عن حماد بن سلمة به . ورواه الحسن بن عرفة عن أبي بكر بن
عياش عن عاصم بن أبي النجود به . وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله بن
بطنة الإصبهاني حدثنا الحسن بن الجهم حدثنا الحسين بن الفرج حدثنا محمد بن عمر حدثني جعفر
ابن محمد بن خالد بن الزبير عن أبيه - أو عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان - . قال : كان
إسلام خالد بن سعيد بن العاص قديماً وكان أول أخوته أسلم . وكان بدء إسلامه أنه رأى في المنام أنه
وقف به على شفير النار ، فدكر من سمعها ما الله أعلم به . ويرى في النوم كأن آت أتاه يدفنه فيها
ويرى رسول الله ﷺ آخذاً بحمقه لا يقع ، ففرغ من نومه فقال احلف بالله أن هذه لرؤيا حق ،
فلقي أبا بكر بن أبي قحافة فذكر ذلك له ، فقال أريد بك خير هذا رسول ﷺ فاتبعه فانك ستنبه
وتدخل معه في الإسلام ، والإسلام يحجزك أن تدخل فيها وأبوك واقع فيها فلقي رسول الله ﷺ وهو
بأجباد ، فقال يا رسول الله يا محمد إلى ما تدعو ؟ قال : « أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وأن محمداً
عبده ورسوله ، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ، ولا يضر ، ولا يبصر ، ولا ينفع ، ولا

يدري من عبده عن لا يعبد . قال خالد : فأتى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله . فسر رسول الله ﷺ بإسلامه ، وتغيب خالد وعلم أبوه بإسلامه ، فارتحل في طلبه فأتى به : فأنبه وضربه بمقرعة في يده حتى كسرها على رأسه . وقال : والله لأمنعك القوت : فقال خالد إن منعتني فإن الله يرزقني ما أعيش به ، وانصرف إلى رسول الله ﷺ فكان يكرمه ويكرمه معه .

﴿ ذكر اسلام حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ رضي الله عنه ﴾

قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني رجل من اسلم - وكان واعية - ان أبا جهل اعترض رسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه وقال منه ما يكره من العيب لدينه ، فذكر ذلك لحمزة بن عبد المطلب ، فاقبل نحوه حتى اذا قام على رأسه رفع القوس فضر به بها ضربة شديدة منها شجرة منكورة ، وقامت رجال من قريش من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه . وقالوا ما تراك يا حمزة إلا قد صبوت ؟ قال حمزة ومن يمنعني وقد استبان لي منه ما أشهد أنه رسول الله ﷺ وأن الذي يقول حق ، فوالله لا أنزع فامنعوني إن كنتم صادقين . فقال أبو جهل : دعوا أبا عماره فأتى والله لند سببت ابن أخيه سباً قبيحاً ، فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع فكفوا عما كانوا يتناولون منه . وقال حمزة في ذلك شعراً (١) .

قال ابن اسحاق : ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطان فقال أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ وتركت دين آبائك ، الموت خير لك مما صنعت . فاقبل حمزة على نفسه وقال ما صنعت اللهم إن كان رشداً فاجعل تصديقه في قلبي ، وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجاً فبات ليلة لم يبت بثلاث من وسوسة الشيطان : حتى أصبح فغدا على رسول الله ﷺ . فقال : يا ابن أخي إني قد وقعت في أمر ولا أعرف المخرج منه ، واقامة مثلي على ما لا أدري ما هو أرشد أم هو غي شديد ؟ فحدثني حديثاً فقد انتهيت يا ابن أخي أن تحدثني ، فاقبل رسول الله ﷺ فذكر وعظه ، وخوفه وبشره : فأتى الله في قلبه الايمان بما قال رسول الله ﷺ . فقال : أشهد أنك الصادق شهادة النصيق ، فظهر يا ابن أخي دينك فوالله ما أحب أن لي مأطلة السماء ، وأنى على ديني الاول . فكان حمزة ممن أعز الله به الدين . وهكذا رواه البيهقي عن الحارث بن الأصبغ عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير به .

(١) لم يذكر المؤلف شعر حمزة وذكر السهيلي في الروض الأنف قطعة له مطلعها :

حمت الله حين هدى فؤادي * إلى الاسلام والدين الخنيف . الخ

﴿ ذكر اسلام أبي ذر رضي الله عنه ﴾

قال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ حدثنا الحسين بن محمد بن زياد حدثنا عبد الله بن الرومي حدثنا النضر بن محمد حدثنا تكملة بن عمار عن أبي زميل سماك بن الوليد عن مالك بن مرثد عن أبيه عن أبي ذر . قال : كنت ربيع الاسلام ، أسلم قبلي ثلاثة نفر وأنا الرابع ، أتيت رسول الله ﷺ فقلت : السلام عليك يا رسول الله . أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فرأيت الاستبشار في وجه رسول الله ﷺ . هذا سياق مختصر . وقال البخاري اسلام أبي ذر : حدثنا عمرو بن عباس حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن المثني عن أبي حمزة عن ابن عباس . قال لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله ﷺ قال لآخيه : اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء . فاسمع من قوله ثم ائتني فاطلق الآخر حتى قدمه وسمع من كلامه ، ثم رجع إلي أبي ذر فقال له رأيته يأمر بمكارم الاخلاق وكلاماً ما هو بالشعر . فقال ما شفيتني بما أردت . فترود وحمل شنة فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد فالتمس رسول الله ﷺ ولا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل اضطجع فرآه على عرف أنه غريب ، فلما رآه تبعه ولم يسأل واحداً منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح ، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي ﷺ حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه فمر به على فقال أما أن للرجل يعلم منزله فأقامه فذهب به معه لا يسأل واحداً منهما صاحبه عن شيء حتى إذا كان يوم الثالث فعاد على مثل ذلك فأقام معه فقال ألا تجدني بالذي أقدمت ؟ قال إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت ، ففعل فآخبره . قال فأنه حق وأنه رسول الله ﷺ فإذا أصبحت فاتبعني فاني إن رأيت شيئاً أخاف عليك فمت كأني أريق الماء ، وإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ، ففعل فاطلق يقفوه حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه ، فسمع من قوله وأسلم مكانه . فقال له النبي ﷺ : « ارجع إلى قومك فآخبرهم حتى يأتيك أمري » فقال والذي بعثك بالحق لا صرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلا صوته أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم قام فضر بوه حتى أضجموه ، فأتى العباس فاكب عليه فقال ويلكم أستم تعلمون أنه من غفار ، وأن طريق تجارتكم إلى الشام . فأنقذه منهم . ثم عاد من الغد بمثلها فضر بوه وناروا اليه فاكب العباس عليه هذا لفظ البخاري . وقد جاء اسلامه مبسوطاً في صحيح مسلم وغيره فقال الامام احمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن هلال عن عبد الله ابن الصامت قال أبو ذر : خرجنا من قومنا غفار - وكان يحلون الشهر الحرام - أنا وأخي أنيس وأما

فانطلقنا حتى نزلنا على خال لننادي مال وذى هيئة فأكرمنا خالنا وأحسن إلينا ، لحسدنا قومه فقالوا له : إنك إذا خرجت عن أهلك خلقت إليهم أنيس : فجاء خالنا فنشئ ما قيل له ^(١) فقلت له أمّا ما مضى من معروفك فقد كدّرت ، ولا جماع لنا فيما بعد . قال : فقررتنا صرمتنا فاحسبنا عليها وتغطي خالنا بشوبه وجعل يبكي قال فانطلقنا حتى نزلنا حضرة مكة ، قال فنافر أنيس عن صرمتنا وعن مثلها فاتيا الكاهن نخير أنيسا . فاتانا بصرمتنا ومثلها ، وقد صليت يابن أخى قبل أن اتقى رسول الله ﷺ ثلاث سنين ، قال قلت لمن ؟ قال لله ، قلت فأين توجه ؟ قال حيث وجهنى الله . قال واصلى عشاء حتى إذا كان من آخر الليل الفيت كأنى خفاء ^(٢) حتى تعلو فى الشمس قال فقال أنيس : إن لى حاجة بمكة فألقنى حتى آتيك قال فانطلق فرأى على ، ثم أتانى فقلت ما حبسك ؟ قال لقيت رجلا يزعم أن الله أرسله على دينك ، قال فقلت ما يقول الناس له ؟ قال يقولوا إنه شاعر وساحر ، وكان أنيس شاعراً . قال فقال لقد سمعت الكهان فما يقول بقولهم . وقد وضعت قوله على إقراء الشعر فوالله ما يلتئم لسان أحد أنه شعر ، ووالله إنه لصادق وإنهم لكاذبون . قال : فقلت له هل أنت كافى حتى اطلق ؟ قال نعم ! وكن من أهل مكة على حذر فانهم قد شنعوا له وتجهموا له . قال فانطلقت حتى قدمت مكة فتضمنت رجلا منهم فقلت أين هذا الرجل الذى يدعونه الصابى ؟ قال فإشار إلى فإل أهل الوادى على بكل مدرة وعظم حتى خرجت مغشياً على ، ثم ارتفعت حين ارتفعت كأنى نصب احمر ، فأتيت زمزم فشربت من ماءها وغسلت عنى الدم ودخلت بين الكعبة وأستارها ، فلبثت به يابن أخى ثلاثين من يوم وليلة مالى طعام إلا ماء زمزم ، فسميت حتى تكسرت عكن بطنى وما وجدت على كبدى سخفة جوع قال فبينما أهل مكة فى ليلة قراء أضحيان وضرب الله على أشحمة أهل مكة فما يطوف بالبيت غير امرأتين ، فاتتا على وما يدعوان أساف وتائلة . فقلت : انسكحوا أحدهما الآخر فما نأها ذلك ، فقلت وهن مثل النشبة غير أنى لم أركن . قال : فانطلقنا يولولان ويقولان لو كان ههنا أحد من أنفارنا ، قال فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبو بكر وهما هابطان من الجبل فقال ما لكما ؟ فقالا الصابى بين الكعبة وأستارها قال ما قال لكما ؟ قاتنا قال لنا كلمة تملأ الفم ، قال وجاء رسول الله ﷺ هو وصاحبه حتى استلم الحجر وطاف بالبيت ، ثم صلى . قال فاتيت فكنمت أول من حيّاه بتحية أهل الاسلام . فقال : « عليك السلام ورحمة الله من أنت ؟ » قال قلت من غفار ، قال فاهوى بيده فوضعا على جبهته قال فقلت فى نفسى كره أن أنتميت إلى غفار ، قال فأردت أن آخذ بيده فتمدقنى صاحبه وكان أنلم به منى ، قال متى كنت ههنا ؟ قال قلت

(١)

(٢) فى النهاية وفى حديث أبى ذر . سقطت كأنى خفاء ، الخفاء الكساء .

كنت ههنا منذ ثلاثين من بين ليلة ويوم . قال : فمن كان يأساك ؟ قلت ما كان لي طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطي ، وما وجدت على كبدى سخنة جوع . قال قال رسول الله ﷺ : « إنها مباركة ، إنها طعام طعم » قال فقال أبو بكر ائذن لي يا رسول الله في طعامه الليلة قال ففعل قال فانطلق النبي ﷺ وأنطلقت معهما حتى فتح أبو بكر بابا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف ، قال فكان ذلك أول طعام أكلته بها . فلبثت ما لبثت . فقال رسول الله ﷺ : « إني قد وجهت إلى أرض ذات نخل ولا أحسبها إلا يثرب ، فهل أنت مبلغ عني قومك لعل الله ينفعهم بك ويأجرك فيهم ؟ » . قال فانطلقت حتى أتيت أخي أنيسا ، قال فقال لي ما صنعت ؟ قال قلت صنعت أنى أسأمت وصدقت ، قال فما بي رغبة عن دينك فاني قد أسأمت وصدقت ، ثم أتينا أمنا فقالت ما بي رغبة عن دينكما فاني قد أسأمت وصدقت ، فتحملنا حتى أتينا قومنا غفار ، قال فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله ﷺ المدينة ، وكان يؤمهم خفاف بن إيماء بن رخصة الغفاري وكان سيدهم يومئذ . وقال : بقيتهم إذا قدم رسول الله ﷺ أسأمتنا ، قال فقدم رسول الله ﷺ فأسلم بقيتهم قال وجاءت أسلم فقالوا يا رسول الله اخواننا نسلم على الذي أسلموا عليه ، فقال رسول الله ﷺ « غفار غفر الله لها ، وأسلم سلمها الله » . ورواه مسلم عن هدية بن خالد عن سليمان بن المغيرة به نحوه . وقد روى قصة إسلامه على وجه آخر وفيه زيادات غريبة فلهذا أعلم . وتقدم ذكر إسلام سلمان الفارسي في كتاب البشارات بمبعثه عليه الصلاة والسلام .

﴿ ذكر إسلام ضماد ﴾

(روى مسلم والبيهقي من حديث داود بن أبي هند عن عمرو بن سعيد عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس . قال : قدم ضماد مكة وهو رجل من أزدشنوءة ، وكان يرقى من هذه الرياح ، فسمع سفهاء من سفه مكة يقولون : إن محمداً مجنون . فقال أين هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي ؟ فقلت محمداً فقلت إني أرقى من هذه الرياح ، وأن الله يشفي على يدي من شاء ففهم . فقال محمد : « إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ثلاث مرات » . فقال والله لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء فما سمعت مثل هؤلاء التكلمات ففهم يدك أبايعك على الإسلام . فبأيه رسول الله ﷺ فقال له وعني قومك فقال وعني قومي . فبعث النبي ﷺ جيشا فمروا بقوم ضماد . فقال صاحب الجيش للسرية هل أصبتم من هؤلاء القوم شيئا ؟ فقال رجل منهم أصبت منهم مطهرة . فقال ردها عليهم فانهم قوم ضماد . وفي رواية فقال له ضماد : أعد على كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر .

وقد ذكر أبو نعيم في دلائل النبوة اسلام من أسلم من الاعيان فصلا طويلا ، واستقصى ذلك استقصاء حسنا رحمه الله وأثابه . وقد سرد ابن اسحاق أسماء من أسلم قديما من الصحابة رضى الله عنهم . قال : ثم أسلم أبو عبيدة ، وأبو سامة ، والأرقم بن أبي الأرقم ، وعثمان بن مظعون ، وعبيدة بن الحارث ، وسعيد بن زيد ، وامراته فاطمة بنت الخطاب ، وأسماء بنت أبي بكر ، وعائشة بنت أبي بكر — وهى صغيرة — وقدامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون ، وخباب بن الارت ، وعمر بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود ، ومسعود بن القارى ، وسليط بن عمرو ، وعياش بن أبي ربيعة ، وامراته أسماء بنت سامة ^(١) بن مخزومة النخعي ، وخنيس بن حذافة ، وعامر بن ربيعة ، وعبد الله بن جحش ، وأبو احمد بن جحش ، وجعفر بن أبي طالب ، وامراته أسماء بنت عميس ، وحاطب بن الحارث ، وامراته فكيمة ابنة يسار ^(٢) ، ومعمربن الحارث بن معمر الجحفي ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، والمطلب بن أزهري بن عبد مناف ^(٣) . وامراته رملة بنت أبي عوف بن صيرة بن سعيد بن سهم ، والنحام واسمه نعيم بن عبد الله بن أمية ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، وخالد بن سعيد ، وأمينة ابنة خلف بن سعد بن عامر بن بياضة بن خراعة ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وواقد بن عبد الله بن عرين بن ثعلبة التميمي حليف بني عدى ، وخالد ابن البكير ، وعامر بن البكير ، وعافل بن البكير ، وإياس بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن شبرة بن بني سعد بن ليث ، وكان اسم عافل غافلا فسماه رسول الله ﷺ عاقلا ، وهم حلفاء بني عدى ابن كعب بن عامر بن ياسر ، وسهيب بن سنان . ثم دخل الناس أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا أمر الاسلام بمكة وتحدث به .

قال ابن اسحاق : ثم أمر الله ﷺ بعد ثلاث سنين من البعثة بان يصدع بما أمر ، وأن يصير على أذى المشركين . قال وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صعدوا ذهبوا في الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم . فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر يصاون بشماب مكة إذ ظهر عليهم بعض المشركين فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوه . فغضب سعد رجلا من المشركين بلحى جمل فشجبه ، فكان أول دم أهرق في الاسلام . وروى الاموي في معازيه عن طريق الوقاصي عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه . فذكر القصة بطولها وفيه أن المشجوج هو عبد الله بن خطل لعنه الله .

(١) في السيرة لابن هشام : أسماء بنت سلامة بن مخزومة التميمية . (٢) كذا في الاصلين . وفي ابن هشام : حاطب بن الحارث وامراته فاطمة بنت الجلال . واخوه خطاب بن الحارث وامراته فكيمة الخ . (٣) وفيها : ابن عبد عوف مكان : مناف .

﴿باب﴾

(أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام بإبلاغ الرسالة)

إلى الخاص والعام، وأمره له بالصبر والاحتمال والاعراض عن الجاهلين المعاندين المكذبين بصدق قيام
الحجة عليهم، وإرسال الرسول الأعظم إليهم وذكر ما لقي من الأذية منهم هو وأصحابه رضي الله عنهم
قال الله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن
عصوك فقل إني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين
إنه هو السميع العليم). وقال تعالى: (وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) وقال تعالى: (إن
الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) أي إن الذي فرض عليك وأوجب عليك بتبليغ
القرآن لرادك إلى دار الآخرة وهي المعاد، فيسألك عن ذلك كما قال تعالى: (فوريك لتسألنهم
أجمعين عما كانوا يعملون) والآيات والاحاديث في هذا كثيرة جداً. وقد تفحصنا الكلام على
ذلك في كتابنا التفسير، وبسطنا من القول في ذلك عند قوله تعالى في سورة الشراء: (وأنذر
عشيرتك الأقربين). وأوردنا أحاديث جمة في ذلك، فمن ذلك: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله
ابن نمير عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما أنزل الله
(وأنذر عشيرتك الأقربين) أتى النبي ﷺ الصفا فصعد عليه ثم نادى: «يا صباحاه» فاجتمع
الناس إليه بين رجل يحمي إليه وبين رجل يبعث رسوله. فقال رسول الله ﷺ: «يا بني عبد المطلب
يا بني فهر، يا بني كعب أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم
صدقتموني؟» قالوا نعم! قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب - لعنه
الله - تبالك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا؟ وأنزل الله عز وجل (تبت يدا أبي لهب وتب) وأخرجاه
من حديث الأعمش به نحوه. وقال أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنا عبد الملك بن
عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة. قال: لما نزلت هذه الآية (وأنذر عشيرتك الأقربين)
دعا رسول الله ﷺ قريشاً فعم وخص. فقال: «يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني
كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني عبد المطلب
أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار، فإني والله لا أملك لكم من
الله شيئاً إلا أن لكم رحماً سأبلاها ببلائها» ورواه مسلم من حديث عبد الملك بن عمير، وأخرجاه
في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة عن أبي هريرة، وله طرق أخر
عن أبي هريرة في مسند أحمد وغيره. وقال أحمد أيضاً حدثنا وكيع بن هشام عن أبيه عن عائشة

رضى الله عنها . قالت : لما نزل (وأنذر عشيرتک الاقربين) . قام رسول الله ﷺ فقال : « يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية بنت عبد المطلب ، يا بنى عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئا ، سلوني من مالى ما شئتم » . ورواه مسلم أيضا . وقال الحافظ أبو بكر البيهقي فى الدلائل : أخبرنا محمد بن عبد الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق قال حدثني من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل - واستكنفى اسمه - عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب . قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ (وأنذر عشيرتک الاقربين) ، وأخفص جناحك لمن اتبعتك من المؤمنين) . قال رسول الله ﷺ : « عرفت ائى إن بادأت بها قومي رأيت منهم ما أكره ، فصمت . فجاءني جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك بالنار » . قال فسماني فقال « يا على إن الله قد أمرني أن أنذر عشيرتي الاقربين فاصنع لنا يا على شاة على صاع من طعام ، وأعد لنا عس لبن ، ثم اجمع لي بنى عبد المطلب » ففعلت فاجتمعوا له يومئذ وهم أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصون فيهم أعمامه أبو طالب ، وحمزة والعباس ، وأبو لهب الكافر الخبيث . فقدمت اليهم ثلاث الخفنة ، فآخذ رسول الله ﷺ منها حذية فشقه باسنانه ثم رمى بها في نواحيها وقال : « كلوا باسم الله » . فاكل القوم حتى نهوا عنه ما نرى إلا آثار أصابعهم ، والله إن كان الرجل ليأكل مثلها . ثم قال رسول الله ﷺ : « اسقهم يا على » فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهوا جميعا وإيم الله إن كان الرجل ليشرب مثله . فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بדרه أبو لهب لعنه الله فقال لهم ما سحركم صاحبكم ، فنفروا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ . فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ : « عدلنا مثل الذى كنت صنعت لنا بالامس من الطعام والشراب ، فان هذا الرجل قد بدر الى ما سمعت قبل أن أكلم القوم » ففعلت ثم جمعتهم له وصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالامس ، فاكلوا حتى نهوا عنه وإيم الله إن كان الرجل ليأكل مثلها . ثم قال رسول الله ﷺ أسقهم يا على ، فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهوا جميعا وإيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم ، بדרه أبو لهب لعنه الله إلى الكلام فقال : لهم ما سحركم صاحبكم ؟ فنفروا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ . فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ : « يا على عدلنا مثل الذى كنت صنعت بالامس من الطعام والشراب فان هذا الرجل قد بدرني إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم » ففعلت ثم جمعتهم له . فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالامس فاكلوا حتى نهوا عنه ، ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهوا ، وإيم الله إن كان الرجل ليأكل مثلها ويشرب مثلها . ثم قال رسول الله ﷺ : « يا بنى عبد المطلب إني والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل من ما جئتمكم به إني قد جئتمكم بأمر الدنيا والآخرة » هكذا

رواه البيهقي من طريق يونس بن بكير عن ابن اسحاق عن شيخهم اسمه عن عبد الله بن الحارث به . وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن محمد بن حميد الرازي عن سلمة بن الفضل الأبرش عن محمد بن اسحاق عن عبد الغفار أبو مريم بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس عن علي بن فضال عن مثله . وزاد بعد قوله : « وإني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه ، فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى » وكذا وكذا . قال فالحجج القوم عنها جميعاً ، وقلت ولأئني لأحدثهم سناً وأرهبهم عينا ، وأعظمهم بطناً ، وأخشهم ساقاً ، أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فآخذ برقبتي فقال : « إن هذا أخى وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا » . قال فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع فتفرد به عبد الغفار ابن القاسم أبو مريم وهو كذاب شيعي اتهمه على بن المديني وغيره بوضع الحديث . وضعفه الباقر . ولكن روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن الحسين بن عيسى بن ميسرة الحارثي عن عبد الله ابن عبد القدوس عن الأعشى عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث . قال قال علي : لما نزلت هذه الآية (وأنذر عشيرتلك الاقربين) . قال لي رسول الله ﷺ : اصنع لي رجل شاة يصنع من طعام ، وإنا لبنا ، وأدع لي بني هاشم فدعوتهم وإتهم يومئذ لاربعون غير رجل ، أو أربعمائة رجل فذكر القصة نحو ما تقدم إلى أن قال : وبدرهم رسول الله ﷺ الكلام . فقال : « أيكم يقضى عني ديني ويكون خليفتي في أهلي ؟ » قال فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله ، قال وسكت أنا لسن العباس . ثم قال مرة أخرى فسكت العباس ، فلما رأيت ذلك قلت : أنا يا رسول الله ، قال أنت ؟ قال وإني يومئذ لاسوأهم هيئة ، وإني لأعشى العينين ، ضخم البطن ، خش الساقين . وهذه الطريق فيها شاهد لما تقدم إلا أنه لم يذكر ابن عباس فيها فالحق أعلم . وقد روى الامام أحمد في مسنده من حديث عباد بن عبد الله الاسدي وربيعة بن ناجد عن علي نحو ما تقدم — أو كالشاهد له — والله أعلم . ومعنى قوله في هذا الحديث : من يقضى عني ديني ويكون خليفتي في أهلي يعني إذا مت ، وكأنه ﷺ خشي إذا قام ببلاغ الرسالة إلى مشركي العرب (١) أن يقتلوه ، فاستوثق من يقوم بعده بما يصلح أهله ، ويقضى عنه ، وقد آمنه الله من ذلك في قوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك : وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) الآية والمقدود أن رسول الله ﷺ استمر يدعو إلى الله تعالى ليسلاً ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، لا يصرفه عن ذلك صارف ولا يردده عن ذلك راد ، ولا يصده عنه ذلك صاد ، يتبع الناس في أنديتهم ، وجماعهم ومحافلهم وفي المواسم ، ومواقف الحج . يدعو من لقيه من حر وعبد وضعيف وقوى ، وغنى وفقير ،

(١) في المصرية : ببلاغ مشركي العرب رسالة الله .

جميع الخلق في ذلك عنده شرع سواء . وتسلط عليه وعلى من اتبعه من آحاد الناس من ضعفائهم
الأشداء الأقوياء من مشركي قريش بالأذية القولية والفعلية ، وكان من أشد الناس عليه عمه أبو لهب
— واسمه عبد العزى بن عبد المطلب — وامراته أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي
سفيان . وخالفه في ذلك عمه أبو طالب بن عبد المطلب ، وكان رسول الله ﷺ أحب خلق الله إليه
طبعاً وكان يحنو عليه ويحسن إليه ، ويدافع عنه ويحامي ، ويخالف قومه في ذلك مع أنه على دينهم
وعلى خلتهم ، إلا أن الله تعالى قد امتحن قلبه بحبه حباً طبعياً لا شرعياً . وكان استمراره على دين
قومه من حكمة الله تعالى ، ومما صنعه لرسوله من الحماية ، إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند
مشركي قريش وجاهة ولا كلمة ، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه . ولا جترأ عليه ، ولمدوا أيديهم
وألفتهم بالسوء إليه ، وربك يخلق ما يشاء ويختار . وقد قسم خلقه أنواعاً وأجناساً ، فهذان العمان
كافران أبو طالب وأبو لهب . ولكن هذا يكون في القيامة في حضضاح من نار ، وذلك في الدرك
الأسفل من النار ، وأنزل الله فيه سورة في كتابه تنبئ على المنابر ، وتقرأ في المواعظ والخطب . تتضمن
أنه سيصلى ناراً ذات لب ، وامراته حمالة الحطب . قال الامام احمد حدثنا ابراهيم بن أبي العباس
حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه . قال أخبر رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الدليل
— وكان جاهلياً فاسماً — قال : رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية في سوق ذي الحجاز وهو يقول :
« يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضى الوجه
أحول ذو غديرتين يقول : إنه صابئ كاذب يتبعه حيث ذهب ، فالت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب
ثم رواد هو والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد بنحوه . وقال البيهقي أيضاً حدثنا أبو طاهر
القيسي حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن القطان حدثنا أبو الأزر حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري
حدثنا محمد بن عمر عن محمد بن المنكدر عن ربيعة الديلي . قال : رأيت رسول الله ﷺ بذي الحجاز
يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله ، ووراءه رجل أحول تقد وجنتاه وهو يقول : أيها الناس لا
يغرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم . قلت من هذا ؟ قيل هذا أبو لهب . ثم رواد من طريق
شعبة عن الأشعث بن سليم عن رجل من كنانة . قال رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي الحجاز وهو
يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » وإذا رجل خلفه يسفي عليه التراب ، وإذا هو أبو
جهل ، وإذا هو يقول : يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم فانما يريد أن تتركوا عبادة اللات
والعزى كذا قال أبو جهل ، وظاهر أنه أبو لهب ، وسند كبريئة ترجمته عند ذكر وفاته وذلك بعد
وقعة بدر إن شاء الله تعالى .

وأما أبو طالب فكان في غاية الشفقة والحنو الطبيعي كما سيظهر من صفاته ، وسجاياه ، واعماله

فيما يحامي به عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم . قال يونس بن بكير عن طلحة بن يحيى عن عبد الله بن موسى بن طلحة أخبرني عقيل بن أبي طالب . قال جاءت قریش الى أبي طالب فقالوا : إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فأنبه عنا . فقال يا عقيل انطلق فأنني بمحمد ، فالطلقت اليه فاستخرجته من كنس - أو قال خنس - يقول بيت صغير ، فجاء به في الظهيرة في شدة الحر ، فلما أتاهم قال إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديتهم ومسجدهم ، فأنته عن أذاهم فخلق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء . فقال : « ترون هذه الشمس ؟ » قالوا نعم . قال : « فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشتملوا منه بشملة » . فقال أبو طالب : والله ما كذب ابن أخي قط فارجعوا . رواد البخاري في التاريخ عن محمد بن العلاء عن يونس بن بكير . ورواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عنه به - وهذا لفظه - . ثم روى البيهقي من طريق يونس عن ابن اسحاق حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث . أن قریشاً حين قالت لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ . فقال له : يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني وقالوا كذا وكذا ، فأبق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت . فأكفف عن قومك ما يكرهون من قولك . فظن رسول الله ﷺ أن قد بدا لسمه فيه ، وأنه خاذله ومسله ، وضعف عن القيام معه . فقال رسول الله ﷺ : « يا عم لو وضعت الشمس في يميني والتمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه » . ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ، فلما ولي قال له حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله ﷺ : يا ابن أخي فأقبل عليه ، فقال أمض على أمرك وافعل ما أحببت ، فوالله لا أسألك لشيء أبداً . قال ابن اسحاق ثم قال أبو طالب في ذلك :

والله لن يصلوا اليك بمجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا
فامض لأمرك ما عليك غضاضة أبشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك ناصي فلقد صدقت وكنت قدم أمينا
وعرضت ديننا قد عرفت بأنه من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذارى سبة لوجدتني سمحا بذاك مينا

ثم قال البيهقي وذكر ابن اسحاق لأبي طالب في ذلك أشعاراً ، وفي ذلك دلالة على أن الله تعالى عصمه بعمه مع خلافه إياه في دينه ، وقد كن يعصمه حيث لا يكون عمه بما شاء لا معقب لحكمه . وقال يونس بن بكير : حدثني محمد بن اسحاق حدثني رجل من أهل مصر قديماً منذ بضعا وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس في قصة طويلة جرت بين مشركي مكة وبين رسول الله ﷺ . فلما قام رسول الله ﷺ قال أبو جهل بن هشام : يا مشرك قریش إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا ،

وشتم آباؤنا وتسفيه أحمالنا ، وسب آلهتنا وإنى أعاهد الله لأجلس له غداً بحجر فاذا سجد في صلاته
 فضخت به رأسه فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ، فلما أصبح أبو جهل لعنه الله أخذ
 حجراً ثم جلس لرسول الله ﷺ فينتظره ، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يفتدو ، وكان قبلته الشام .
 فكان إذا صلى صلى بين الزكنتين الأسود واليماني ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام . فقام رسول الله
 ﷺ يصلي ، وقد غدت قريش فجلسوا في أندية يفتظرون ، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل
 أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهبتاً ممتعاً لونه فرعوباً قد بدست يدها على
 حجره ، حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجال من قريش . فقالوا له : ما بك يا أبا الحكم ؟
 فقال قت إليه لا فعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه لخل من الأبل والله
 ما رأيت مثل هامته ، ولا قصرته ^(١) ، ولا أنيابه لفعل قط فهم أن يأكلوا . قال ابن اسحاق :
 فدكر لي أن رسول الله ﷺ قال : « ذلك جبريل ، ولو دنا منه لأخذه » . وقال البيهقي : أخبرنا
 أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو النضر الفقيه حدثنا عثمان الدارمي حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا
 الليث بن سعد عن اسحاق بن عبد الله ابن أبي فروة عن أبان بن صالح عن علي بن عبد الله بن
 عباس عن أبيه عن عباس بن عبد المطلب . قال : كنت يوماً في المسجد فاقبل أبو جهل - لعنه الله -
 فقال : إن لله علي إن رأيت محمداً ساجداً أن أطأ على رقبته ، فخرجت على رسول الله ﷺ حتى
 دخلت عليه فاخبرته بقول أبي جهل ، فخرج غضاباً حتى جاء المسجد فعمل أن يدخل من الباب
 فاقتحم الحائط . فقلت هذا يوم شر ، فانزرت ثم اتبعته فدخل رسول الله ﷺ فقرأ (اقرأ باسم
 ربك الذي خلق الإنسان من علق) فلما بلغ شأن أبي جهل (كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه
 استغنى) فقال إنسان لأبي جهل : يا أبا الحكم هذا محمد ؟ فقال أبو جهل ألا ترون ما أرى ؟ والله
 لقد سد أفق السماء علي فلما بلغ رسول الله ﷺ آخر السورة سجد . وقال الامام أحمد حدثنا عبد
 الرزاق أخبرنا معمر عن عبد الكريم عن عكرمة قال قال ابن عباس : قال أبو جهل لئن رأيت
 محمداً يصلي عند الكعبة لأطأ على عنقه ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : « لو فعل لأخذه
 الملائكة عياناً » . ورواه البخاري عن يحيى عن عبد الرزاق به . قال داود بن أبي هند عن عكرمة
 عن ابن عباس . قال ، مر أبو جهل بالنبي ﷺ وهو يصلي . فقال : ألم أنهك أن تصلي يا محمد ؟
 لقد علمت ما بها أحد أكثر نادياً مني ، فأنهز النبي ﷺ . فقال جبريل : (فليدع ناديه سندع
 الزبانية) والله لو دعا ناديه لأخذه زبانية العذاب . ورواه أحمد والترمذي وصححه النسائي من طريق
 داود به . وقال الامام أحمد حدثنا اسماعيل بن يزيد أبو زيد حدثنا فراء عن عبد الكريم عن

عكرمة عن ابن عباس . قال قال أبو جهل : لأن رأيت محمداً عند السكبة يصلي لآتيته حتى أطأ عنته ، قال فقال : « لو فعل لأخذته الزبانية عياناً » . وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا يونس بن أبي اسحاق عن الوليد بن الميزار عن ابن عباس . قال قال : أبو جهل لأن عاد محمد يصلي عند المقام لأقتلنه ، فانزل الله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق) حتى بلغ من الآية (لنسفنا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية) . فجاء النبي ﷺ يصلي فقبل ما يمنعك ؟ قال : قد اسود ما بيني وبينه من السكتائب . قال ابن عباس : والله لو تحرك لأخذته الملائكة والناس ينظرون اليه . وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا المعتمر عن أبيه عن نعيم بن أبي هند عن أبي حازم عن أبي هريرة . قال قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا نعم ! قال فقال والللات والعزى لأن رأيتنه يصلي كذلك لأطأن على رقبته ، ولأعفرن وجهه بالتراب . فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليظاً على رقبته . قال فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقى يسديه ، قال فقيل له مالك ؟ قال إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة . قال فقال رسول الله ﷺ : « لودنا مني لاخطفتني الملائكة عضواً عضواً » . قال وأنزل الله تعالى - لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا - (كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) إلى آخر السورة وقد رواه أحمد ومسلم والنسائي وابن أبي حاتم والبيهقي من حديث معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي به . وقال الإمام أحمد حدثنا وهب بن جرير حدثنا شعبة عن أبي اسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله . قال : ما رأيت رسول الله ﷺ دعا على قریش غير يوم واحد ، فانه كان يصلي ورهط من قریش جلوس ، وسلاح جزور قريب منه . فقالوا : من يأخذ هذا السلاح فيلقيه على ظهره ؟ فقال عقبة ابن أبي معيط أنا ، فأخذه فالتاه على ظهره . فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة فأخذته عن ظهره . فقال رسول الله ﷺ : « اللهم عليك بهذا الملاء من قریش ، اللهم عليك بعقبة بن ربيعة ، اللهم عليك بشيبة بن ربيعة ، اللهم عليك بابي جيل بن هشام ، اللهم عليك بعقبة بن أبي معيط ، اللهم عليك بابي بن خلف - أو أمية بن خلف - » شعبة الشاك قال عبد الله : فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعاً ، ثم سحبوا إلى القليب غير أبي - أو أمية بن خلف - فانه كان رجلاً ضخماً فتقطع . وقد رواه البخاري في مواضع متعددة من صحيحه ومسلم من طرق عن ابن اسحاق به . والصواب أمية بن خلف فانه الذي قتل يوم بدر ، وأخوه أبي إنما قتل يوم أحد كما سيأتي بيانه - والسلاح الذي يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المرأة . وفي بعض الفاظ الصحيح أنهم لما فعلوا ذلك استضحكوا حتى جعل بعضهم يميل على بعض ، أي يميل هذا على هذا من شدة الضحك لعنهم الله . وفيه أن فاطمة لما القتته عنده أقبلت عليهم فسبتهم ، وأنه ﷺ لما فرغ من صلاته رفع يديه يدعو عليهم ، فلما

رأوا ذلك سكن عنهم الضحك ، وخافوا دعوته ، وأنه ﷺ دعا على الملائكة منهم جملة وعين في دعائه سبعة . وقع في أكثر الروايات تسمية ستة منهم : وهم عتبة ، وأخوه شيمية أبنا ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأبوجهل بن هشام ، وعقبة بن أبي معيط ، وأميسة بن خلف . قال ابن اسحاق : ونسيت السابع . قلت : وهو عمارة بن الوليد وقع تسميته في صحيح البخاري .

﴿ قصة الاراشي ^(١) ﴾

قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثنا عبد الملك بن أبي سفيان الثقفى . قال : قدم رجل من إراش بإبل له الى مكة فابتاعها منه أبوجهل بن هشام ، فطاعه بأمانتها . فاقبل الاراشي حتى وقف على نادى قريش ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد . فقال : يامعشر قريش من رجل يهديني على أبي الحكم بن هشام فاني غريب وابن سبيل ، وقد غلبني على حق ؟ فقال أهل المجلس ترى ذلك - يهزون به ^(٢) إلى رسول الله ﷺ لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة ، اذهب اليه فهو يهديك عليه ^(٣) . فاقبل الاراشي حتى وقف على رسول الله ﷺ فذكر ذلك له ، فقام معه . فلما رأوه قام معه قالوا رجل ممن معهم اتبعه فانظر ما يصنع ؟ فخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه فضرب عليه بابه . فقال : من هذا ؟ قال محمد فاخرج ! فخرج اليه وما في وجهه قطرة دم ، وقد انتقع لونه . فقال : أعط هذا الرجل حقه ، قال لا تبرح حتى أعطيه الذي له . قال فدخل فخرج اليه بحقه فدفعه اليه ، ثم انصرف رسول الله ﷺ وقال للاراشي الحق لشأنك . فاقبل الاراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال جزاء الله خيراً ، فقد أخذت الذي لى ، وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا ويحك ماذا رأيت ؟ قال عجبا من العجب ، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج وما معه روحه فقال : أعط هذا الرجل حقه . فقال : نعم ! لا تبرح حتى أخرج اليه حقه ، فدخل فاخرج اليه حقه فاعطاه . ثم لم يلبث أن جاء أبوجهل فقالوا له ويلك مالك فوالله ما رأينا مثل ما صنعت ؟ فقال : وبحكم والله ما هو إلا أن ضرب على بابي وسمعت صوته فقلت رعبا ، ثم خرجت اليه وإن فوق رأسه لفحلا من الأبل ما رأيت مثل هامته ، ولا قصرته ولا أنيابها لفحل قط ، فوالله لو أبيت لا كاني .

﴿ فصل ﴾

وقال البخاري حدثنا عياش بن الوليد حدثنا الوليد بن مسلم حدثني الاوزاعي عن يحيى بن أبي

(١) الاراشي نسبة الى إراش بالكسر والشين معجمة موضع حكاك ياقوت . (٢) هذا نص الحلبي بالزاي المعجمة وفي المصرية : وهم يهزون به بالراء المهملة . (٣) في الاصلين : يؤديك عليه .

كثير عن محمد بن ابراهيم التيمي حدثني عروة بن الزبير . سألت ابن العاص فقلت : أخبرني بأحد شيء صنعته المشركون برسول الله ﷺ قال : بينما النبي ﷺ يصلي في حجر السكبة ، إذ أقبل عليه عقبة ابن أبي معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقا شديدا ، فاقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال : (أقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) الآية . تابعه ابن اسحاق قال أخبرني يحيى بن عروة عن أبيه قال قلت لعبد الله بن عمرو . وقال عبادة عن هشام عن أبيه قال قيل لعمر بن العاص . وقال محمد بن عمرو عن أبي سلمة حدثني عمرو ابن العاص . قال البيهقي وكذلك رواه سليمان بن بلال عن هشام بن عروة كما رواه عبادة . انفرد به البخاري . وقد رواه في أما كن من صحيحه وصرح في بعضها بعبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو أشبه لرواية عروة عنه ، وكونه عن عمرو أشبه لتقدم هذه القصة . وقد روى البيهقي عن الخاكم عن الأصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس عن محمد بن اسحاق . حدثني يحيى بن عروة عن أبيه عروة . قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهره من عداوته ؟ فقال : لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر ، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط ، سغه أحلامنا وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعاتنا ، وسب آلهتنا ، وصرنا منه على أمر عظيم - أو كما قال - قال فبينما هم في ذلك طلع رسول الله ﷺ فاقبل ينشئ حتى أستم للركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت فغمزوه ببعض القول ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ فغضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فغمرتها في وجهه فغضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها . فقال : « أأسمعون يا معشر قريش ؟ أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح » (١) . فاخذت القوم كلمته حتى ما منهم من رجل إلا وكأنا على رأسه طار ووقع حتى أن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفوه حتى إنه ليقول انصرف أبا القاسم راشدا فما كنت بمجهول . فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه ، حتى إذا بدأكم بما تكرهون تركتموه . فبينما هم على ذلك طلع رسول الله ﷺ فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فاحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا ؟ لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله ﷺ : « نعم أنا الذي أقول ذلك » ولقد رأيت رجلا منهم أخذ بجماع رداءه ، وقام أبو بكر ينكي دونه ويقول : ويلكم (أقتلون رجلا أن يقول ربي الله) ثم انصرفوا عنه . فان ذلك لأ كبر ما رأيت قريشا بلغت منه قط .

(١) في الحلبية : بالذبح مهمة وفي ابن هشام : بالذبح .

﴿فصل﴾

في تأليب الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه واجتماعهم بهمه أبي طالب القائم في منعه ونصرتهم وحرصهم عليه أن يسلمه اليهم فأبى عليهم ذلك بحول الله وقوته .

قال الامام احمد حدثنا وكيع عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس . قال قال رسول الله ﷺ : « لقد أوديت في الله وما يؤذى أحد ، وأخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أتت على ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال ما يأكله ذو كبد إلا ما يورى إبط بلال » . وأخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث حماد بن سلمة به وقال الترمذي حسن صحيح . وقال محمد بن اسحاق : وحسب على رسول الله ﷺ عهد أبو طالب ومنعه وقام دونه ، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مظهراً لدينه لا يرد عنه شيء ، فلما رأيت قريش أن رسول الله ﷺ لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ، وروا أن عهد أبو طالب قد حذب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب ، عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، وأبوسفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، وأبوالبختري - واسمه العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، والاسود بن المطب بن أسد بن عبد العزى ، وأبو جهل - واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي ، ونبيه ومنبه ، ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة ابن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي ، والعاص بن وائل بن سعيد بن سهم . قال ابن اسحاق أو من مشى منهم . فقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا وسفه أعلامنا ، وضلل آباءنا ، فلما أن تكفه عنا وأما أن نخلي بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيك ؟ فقال لهم أبو طالب : قولوا رفيقا ، وردهم رداً جميلاً فانصرفوا عنه ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه ، يظهر دين الله ويدعو اليه ، ثم سرى الامر بينهم وبينه حتى تباعد الرجال وتضاغنوا . وأكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ بينهم فتدأمرؤا فيه وحض بعضهم بعضاً عليه ، ثم أنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى . فقالوا : يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً ونزلة فينا وإنا قد استنبيناك من ابن أخيك فلم تنبه عنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أعلامنا ، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننزله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين - أو كما قالوا - ثم انصرفوا عنه فغظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطلب نفساً بإسلام رسول الله ﷺ ولا خذلانه .

قال ابن اسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس أنه حدث أن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا كذا وكذا الذي قالوا له ، فابق على وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر مالا أطيع ، قال فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعنه فيه بدو وأنه خاذله ومسله ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه قال فقال له رسول الله ﷺ : « يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أوأهلك فيه ما تركته » قال ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ثم قام ، فلما ولي ناداه أبو طالب . فقال : أقبل يا ابن أخي ، فأقبل عليه رسول الله ﷺ . فقال : اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمتك لشيء أبداً . قال ابن اسحاق . ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أخذ لان رسول الله ﷺ واسلامه واجتماعه لفراقهم في ذلك وعداوته مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له — فيما بلغني — : يا أبا طالب ههنا عمارة بن الوليد أنهدقني في قريش وأجمله ، نخد فلك عقله ونصره ، واتخذ ولداً فهو لك ؟ وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وسفه أعلامنا فنقتله فانما هو رجل برجل ! قال : والله لبئس ما تسومونني ؟ أتعطونني ابنكم أغدوه لكم ، وأعطيك ابنى فتقتلونه ! ههنا والله ما لا يكون أبداً . قال فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصي : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً ؟ فقال أبو طالب للمطعم : والله ما أنصفوني ، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم على فاصنع ما بدا لك — أو كما قال — فغلب الأمر ، وحيت الحرب ، وتنابد القوم ، ونادى بعضهم بعضاً . فقال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عدى ويعم من خذله من بني عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش ، ويدكر ما سألوه وما تباعد من أمرهم :

ألا قل لعمر و الوليد ومطعم	ألا ليت حظي من حياطتكم بكر
من الخور حبيبك كثير رقاؤه	يرش على الساقين من بوله قطر
تخلف خلف الورد ليس باللاحق	إذ ما علا الفيفاء قيل له وبر
أرى أخويننا من أبنينا وأمننا	إذا سئلا قالا إلى غيرنا الأمر
بلى لهما أمر ولكن نخرجما	كما خرجت من رأس ذي علق الصخر
أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلا	هما نبدانا مثل ما نبد الحجر
هما أعزنا للقوم في أخوينهما	فقد أصبحا منهم أ كفهما صفر
هما أشركا في الحمد من لأباله	من الناس إلا أن يرس له ذكر

وتيم وخزوم وزهرة منهم وكانوا لنا مولى إذا بغى النصر
فوالله لا تنفك منا عداوة ولا منكم ما دام من نسلنا شفر
قال ابن هشام : وتركنا منها بيتين أقذع فيهما (١) .

﴿فصل﴾

(في مبالغتهم في الاذية لآحاد المسلمين المستضعفين)

قال ابن اسحاق : ثم إن قريشا تذا مروا بينهم على من في القبائل من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله منهم رسول الله ﷺ بعنه أبي طالب . وقد قام أبو طالب حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني عبد المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه فاجتمعوا اليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبي لطب عدو الله . فقال في ذلك يمدحهم ويحرضهم على ما وافقوه عليه من الحذب والنصرة لرسول الله ﷺ :

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر فعبد مناف سرها وصميمها
وإن حصلت اشراف عبد منافها ففي هاشم اشرافها وقديمها
وإن نفرت يوما فان محمداً هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غنمها وسمينها علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنا قديماً لانقر ظلامه اذ ما ثنوا صعر الرقاب نقيمها
ونحى حماها كل يوم كريمة واضرب عن أحجارها من يرومها
بما اتمش العود الزواء وإنما با كفافنا تندى وتنمى أرومها

﴿فصل﴾

فما اعترض به المشركون على رسول الله ﷺ ، وما تعنتوا له في أسئلتهم إياه أنواعاً من الآيات وخرق العادات على وجه العناد ، لا على وجه طلب الهدى والرشاد . فلهذا لم يجابوا إلى كثير مما طلبوا ولأما اليه رغبوا ، لعلم الحق سبحانه أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما أرادوا لاستمروا في طغيانهم

(١) في هذه القطعة اختلاف بين الاصلين وبينهما مع ابن اسحاق وقد اجتهدنا أن يكون الاصل النسخة الحلبية الا ما كان خطأ فنعمد فيه على ابن اسحاق فالببيت الخامس منها أثبتناه كما في الاصلين وفي ابن اسحاق جرحها . وجرحت (بالجيم) وانكر السهيلي ان تكون الرواية كما عنده (ذى علق صخر)

يعصون ، ولظالوا في غيهم وضلالهم يتردنون . قال الله تعالى : (واقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ، ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ، ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) . وقال تعالى : (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) . وقال تعالى : (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً) . وقال تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً) وقد تكلمنا على هذه الآيات وما يشابهها في أممنا في التفسير والله الحمد . وقد روى يونس وزياد عن ابن اسحاق عن بعض أهل العلم — وهو شيخ من أهل مصر يقال له محمد بن أبي محمد — عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس . قال : اجتمع حليمة من أشرف قريش — وعدد أسماءهم — بعد غروب الشمس عند ظهر السكبة ، فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلّموه ، وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا إليه إن أشرف قومه قد اجتمعوا لك ليكلّموك ، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً وهو يظن أنه قد بدلهم في أمره بدء ، وكان حريصاً يحب رشدكم ويعز عليه عنيتهم ، حتى جلس إليهم . فقالوا : يا محمد إنا قد بعثنا إليك لتعذر فيك ، وإنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك : لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وسفيت الأحلام ، وشتمت الأكلة وفرقت الجماعة ، وما بقي من قبيل إلا وقد جثته فيما بيننا وبينك . فان كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رؤياً تراه قد غلب عليك — وكان يسمون التابع من الجن الرئي — فربما كان ذلك ؛ بذلنا أهوالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ما بي ما تقولون ، ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني اليكم رسولاً ، وانزل على كتاباً ، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ، فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » — أو كما قال رسول الله ﷺ — فقالوا يا محمد فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك

فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيّق بلاداً ، ولا أقلّ مالا ، ولا أشدّ عيشاً منا . فسل لنا
 ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيّقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ،
 وليجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيما يبعث لنا منهم
 قصي بن كلاب فإنه كان شيخاً صدوقاً فسألهم عما تقول أحق هو أم باطل ؟ فان فعلت ما سألناك
 وصدقوك صدقتك وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك رسولا كما تقول . فقال لهم رسول الله ﷺ
 « ما بهذا بعثت إنما جئتكم من عند الله بما بعثني به فقد بلغتمكم ما أرسلت به إليكم ، فان تقبلوه فهو
 حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوا على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » قالوا فان لم
 تفعل لنا هذا نخذ لنفوسك فلربك أن يبعث لنا ملكا يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وتساله
 فيجعل لنا جناتاً وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة ، ويعنيك عما نراك تبتغي فانك تقوم في الأسواق
 وتلتبس المعاش كالتمسح حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم ، فقال لهم
 « ما أنا بفاعل ، ما أنا بالذي يسأل ربه هذا ، وما بعثت إليكم بهذا ، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً
 فان تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة . وإن تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله
 بيني وبينكم » . قالوا فاسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ، فانا لن نؤمن لك إلا أن تفعل
 فقال : « ذلك إلى الله إن شاء فعل بكم ذلك » فقالوا يا محمد ما علم ربك أناس يجلس معك ونسألك عما
 سألناك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدم اليك ويعلمك ما تراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانع
 في ذلك بنا إذا لم تقبل منك ما جئتنا به ؟ فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل بالجمامة يقال له الرحمن ،
 وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً فقد أعذرنا إليك يا محمد ، أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى
 نهلكك أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله ، وقال قائلهم : لن نؤمن لك
 حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً . فلما قالوا ذلك قام رسول الله ﷺ عنهم وقام معه عبد الله بن أبي
 أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — وهو ابن عمته عائكة بنت عبد المطلب — فقال
 يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله . ثم سألوكم لأنفسهم أهوراً ليعرفوا بها منزلتك من الله
 فلم تفعل ، ثم سألوكم أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب . فوالله لا أؤمن لك أبداً حتى تتخذ إلى
 السماء سلماً ثم ترق منه وأنا أنظر حتى تأتينا وتأتي معك بدسيسة منشورة ومعك أربعة من الملائكة
 يشهدون لك أنك كما تقول ، وأيم الله لو فعلت ذلك لخنفت أني لأصدقك . ثم انصرف عن رسول
 الله ﷺ وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينا أسفا لما فاته بما طمع فيه من قومه حين دعوه ،
 ولما رأى من مبادئهم إياه وهذا المجلس الذي اجتمع عليه هؤلاء الملائكة بجلوس ظلم وعدوان وعناد ،
 ولهذا اقتضت الحكمة الإلهية ، والرحمة الربانية ، ألا يجابوا إلى ما سألوا لأن الله علم أنهم لا يؤمنون

بذلك فيعاجلهم بالعذاب كما قال الامام احمد حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن الاعمش عن
جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل
لهم الصفا ذهباً ، وأن ينحى عنهم الجبال فيزدروها ، فقيل له إن شئت أن تستأني بهم ، وإن شئت
أن تؤت بهم الذي سألوا فإن كفروا هلكوا كما أهلكت من قبلهم الامم . قال : « لا بل أستأني بهم »
فأنزل الله تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ، وآتينا نوحاً الناقة مبصرة
فظالموا بها) الآية . وهكذا رواه النسائي من حديث جرير . وقال احمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا
سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران بن حكيم عن ابن عباس . قال قالت قريش للنبي ﷺ : ادع
لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك ، قال وتفعّلوا ؟ قالوا نعم . قال فدعا فأتاه جبريل فقال إن
ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك إن شئت أصبح الصفا لهم ذهباً . فمن كفر منهم بعد ذلك أعذبه
عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ، وإن شئت فتحت لهم باب الرحمة والتوبة ، قال : « بل التوبة
والرحمة » . وهذان اسنادان جيدان ، وقد جاء مرسلان عن جماعة من التابعين منهم سعيد بن جبير
وقتيادة وابن جريج وغير واحد . وروى الامام احمد والترمذي من حديث عبد الله بن المبارك
حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن (١) أبي أمامة عن النبي
ﷺ قال : « عرض على ربي عز وجل أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً ، فقلت لا يا رب أشبع يوماً
وأجوع يوماً — أو نحو ذلك — فاذا جعت تضرعت اليك وذكرك ، وإذا شبعت حمدتك
وشكرك » لفظ احمد . وقال الترمذي هذا حديث حسن ، وعلي بن يزيد يضعف في الحديث .
وقال محمد بن اسحاق : حدثني شيخ من أهل مصر — قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة — عن
عكرمة عن ابن عباس . قال : بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود
بالمدينة ، فقالوا لهم سلوهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبرهم بقوله فانهم أهل الكتاب الاول ، وعندهم
علم ما ليس عندنا من علم الانبياء . فخرجوا حتى قدما المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ
وصفا لهم أمره وبعض قوله ، وقالوا إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا .
قال فقالت لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل
فهو رجل متقول فروا فيسه رأيكم ، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان من أمرهم ؟ فانه قد
كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف طاف مشارق الارض ومغاربها ما كان [نبؤه] ، وسلوه
عن الروح ما هي ؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه ، وإن لم يخبركم فانه رجل متقول فاصنعوا في
(١) في الاصلين : القاسم بن أبي أمامة ، وإنما هو القاسم بن عبد الرحمن مولى بني أمية الدمشقي
ولم يرو عن أحد من الصحابة إلا عن أبي أمامة . كما في الخلاصة .

أمره ما بدا لكم . فاقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقالوا : يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور فاخبرهم بها ، فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد أخبرنا فسأله عما أمرهم به . فقال لهم رسول الله ﷺ : « أخبركم غداً بما سألتكم عنه » ولم يستثن . فانصرفوا عنه ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث له في ذلك وحياً ، ولا يأتيه جبريل حتى أُرْجِفَ أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه ، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله عز وجل بسورة الكهف فيها معانيته إياه على حزنه عليهم [وخبر] ما سأله عنه من أمر القنية والرجل الطواف ، وقال الله تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) . وقد تكلمنا على ذلك كله في التفسير مطولاً فمن أراد فعله بكشفه من هناك . ونزل قوله (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) ثم شرع في تفصيل أمرهم واعترض في الوسط بتعليمه الاستثناء تحقيقاً لا تعليقاً في قوله (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت) ثم ذكر قصة موسى المتعلقة بقصة الخضر ، ثم ذى القرنين ثم قال (ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً) ثم شرح أمره وحكى خبره . وقال في سورة سبحان (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) أي خلق عجيب من خلقه ، وأمر من أمره ، قال لها كوني فكانت . وليس لكم الاطلاع على كل ما خلقه ، وتصوير حقيقته في نفس الأمر يصعب عليكم بالنسبة إلى قدرة الله تعالى وحكمته ، ولهذا قال (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) وقد ثبت في الصحيحين أن اليهود سألو عن ذلك رسول الله ﷺ بالمدينة ، فتلا عليهم هذه الآية - فاما أنها نزلت مرة ثانية أو ذكرها جواباً - وإن كان نزولها متقدماً ومن قال إنها إنما نزلت بالمدينة واستثنائها من سورة سبحان ففي قوله نظر ، والله أعلم . قال ابن اسحاق : ولما خشي أبو طالب دهم العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته التي تعود فيها بحرم مكة وبمكانته منها ، وتودد فيها لشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في شعره أنه خير مسلم لرسول الله ﷺ ، ولا تاركة لشيء أبداً حتى يهلك دونه . فقال :

ولما رأيت القوم لاود فيهم	وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى	وقد طأوعوا أمر العدو المزايل
وقد حالفوا قوما علينا أظنة	يعضون غيظاً خلفنا بالانامل
سبرت لهم نفسي بسمرأ سمحة	وأبيض غضب من تراث المقاتل
وأحضرت عند البيت رهطى وأخوتى	وأمسكت من أثوابه بالوصل

قياما مما مستقبلين رتاجه
 وحيث يُنسيخ الاشعرون ركامهم
 موسمة الاعضاء أو قصراتها
 نرى الودع فيها والرخام وزينة
 أعوذ برب الناس من كل طاعن
 ومن كاشح يسمي لنا بمعينة
 وثور ومن أرسى ثيبراً مكانه
 وبالبيت حق البيت من بطن مكة
 وبالحجر المسود إذ يمسحونه
 وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة
 وأشواط بين المروتين إلى الصفا
 ومن حج بيت الله من كل راكب
 وبالشمر الأقصى إذا عمدوا له
 وتوقاهم فوق الجبال عشية
 وليلة جمع والمنازل من منى
 وجمع إذا ما المقربات أجزته
 وبالجرة الكبرى إذا صمدوا لها
 وكندة إذ هم بالحصاب عشية
 حليان شدا عقد ما اختلفا له
 وحطهم سمر الزماح وسرحه
 فهل بعد هذا من معاذ لعائد
 يطاع بنا أمر العدا وذا أننا
 كذبتم وبيت الله نترك مكة
 كذبتم وبيت الله نبذى محمدا
 ونسائه حتى نصرع حوله
 وينهض قوم بالحديد اليكم
 لدى حيث يقضى حلفه كل نافل
 يقضى السيول من إساف ونائل
 مخيمة بين السديس وبازل
 باعناقها معقودة كالمشاكل (١)
 علينا بسوء أو ملح يبطل
 ومن ملحق في الدين ما لم نحاول
 وراق ليرقى في حراء ونازل
 وبالله إن الله ليس بغافل
 إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل
 على قدميه حافيا غير فاعل
 وما فيهما من صورة وتماثل
 ومن كل ذي نذر ومن كل راجل
 إلال إلى مفضى الشراج القوابل
 يقيمون بالأيدي صدور الرواحل
 وهل فوقها من حرمة ومنازل
 سراعاً كما يخرجون من وقع وابل
 يؤمون قنظاً رأسها بالجنادل
 تحيزهم حجاج بكر بن وائل
 وردا عليه عاطفات الوسائل
 وشبرقه وخذ النعام الجوافل
 وهل من معيد يتقى الله عادل
 يسد بنا أبواب ترك وكابل
 ونظمن إلا أمركم في بلابل
 ولما نطاعن دونه وتناضل
 ونذهل عن أبنائنا والخلائل
 نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل

(١) في الأصل : الفناكل . وصححه من سيرة ابن هشام والعشكول : العنق .

وحتى نرى ذا الضغن بركب ردعه
وإنا لعمر الله إن جد ما أرى
بكفى قفى مثل الشهاب سميع
شهوراً وأياماً وحولاً محرماً
وما ترك قوم - لا أبالك - سيداً
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
يلوذ به الهلاك من آل هاشم
لعمرى لقد أجرى أسيد وبكره
ودنان لم يربع علينا وقنفد
أطاعاً أياً وابن عبد يغوثهم
كما قد لقينا من سبيع ونوفل
فان يلفيا أو يمكن الله منهما
وذاك أبو عمرو أبى غير بغضنا
ينالجي بنا فى كل مسمى ومصباح
ويؤلى لنا بالله ما أن يغشنا
أضاق عليه بغضنا كل تلة
وسائل أبا الوليد ماذا حبوتنا
وكنت امرأة ممن يعاش برأيه
فعتبة لا تسمع بنا قول كاشح
ومر أبو سفيان عنى معرضاً
يفر إلى نجد وبرد مياحه
ويخبرنا فعل المناصح أنه
أمطعم لم أخذ لك فى يوم نجدة
ولا يوم خصم إذ أتوك ألدة
أمطعم إن القوم ساءوك خطرة
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا
بميزان قسط لا يخيس شعيرة

من الطمن فعل الأ نكب المتحامل
لتلتبسا أسياضاً بالامائل
أخى ثقة حامى الحقيقة بامل
علينا وتأتى حجة بعد قابل
يحوط الذمار غير ذرب مواكل
ئمال اليتامى عصمة للأراذل
فهم عنده فى رحمة وفواضل
إلى بغضنا وجزأنا لا كل
ولكن أطاعا أمر تلك القبائل
ولم يرقبا فينا مقالة قائل
وكل تولى معرضاً لم يجامل
نكل لها صاعاً بصاع المكاييل
ليظعننا فى أهل شاء وجامل
فناج أبا عمرو بنا ثم خائل
بلى قد تراه جهرة غير خائل
من الأرض بين أخشب فمجادل
بميك فينا معرضاً كالحائل
ورحمته فينا ولست بجاهل
حسود كذوب مبعض ذى دغول
كما مر قيل من عظام المقاتل
ويزعم أنى لست عنكم بغافل
شفيق ويخفى عارمات الدواخل
ولا معظم عند الأمور الجللائل
أولى جدل من الخصوم المساجل
وإنى متى أوكل فلت بوائل
عقوبة شر عاجلاً غير آجل
له شاهد من نفسه غير عائل

لقد سفت أحلام قوم تبدلوا
 ونحن الصميم من ذؤابة هاشم
 وسهم ومخزوم تمالوا وألبوا
 فعبد مناف أنتم خير قومكم
 لعمرى لقد وهنتم وعجزتم
 وكنتم حديثا حطب قدر وأنتم
 لهن بنى عبد مناف عقوقنا
 فان لك قوما فتئر ما صنعتم
 | (١) وسائط كانت في لوى بن غالب
 ورهط نفيل شر من وطئ الحصى
 فابلق قصيا أن سينشر أمرنا
 ولو طرقت ليلا قصيا عظيمة
 ولو صدقوا ضربا خلال بيوتهم
 فكل صديق وابن اخت لعمه
 سوى أن رهط من كلاب بن مرة
 | (٢) وهما لهم حتى تبدد جمعهم
 وكان لنا حوض السقاية فيهم
 شباب من المطيبين وهاشم
 فما أدركوا ذحلا ولا سفكوا دما
 بضرب ترى الفتيان فيه كأنهم
 بنى أمة محبوبة هند كية
 ولكننا نسل كرام لسادة
 ونعم ابن أخت القوم غير مكذب
 اشتم من الشم الهاليل يفتحي
 لعمرى لقد كلفت وجداً باحمد
 بنى خلف قيضاً بنا والغياطل
 وآل قصي في الخطوب الاوائل
 علينا المدى من كل طمل وخامل
 فلا تشرخوا في أمركم كل واغل
 وجئتم بأمر مخطئ للمفاصل
 الآن حطاب أقدر ومراجل
 وخذلانا وتركنا في الماقل
 وتحتلبوها للتحفة غير باهل
 نفاهم اليينا كل صقر حلال
 والأم حاف من معد وناغل
 وبشر قصيا بعدنا بالتخاذل
 إذا ما لجأنا دونهم في المداخل
 لكننا أسي عند النساء المطاقل
 لعمرى وجدنا غبة غير طائل
 براء اليينا من معقة خاذل
 ويحسر عنا كل باغ وجاهل
 ونحن السكدي من غالب والكواهل
 كبض السيوف بين أيدي الصياقل
 ولا حالفوا إلا شرار القبائل
 ضواري أسود فوق لحم خراذل
 بنى جمح عبيد قيس بن عاقل
 بهم نعى الاقوام عند البواطل
 زهير حساما مفرداً من حمائل
 إلى حسب في حومة المجد فاضل
 وإخوته دأب الحب الموائل

(١) لم يرد هذان البيتان في الاصلين ، وزدناهما من سيرة ابن هشام .

(٢) هذه الابيات السبعة لم ترد في الاصلين ، وزدناهما من سيرة ابن هشام .

فمن مثله في الناس أى مؤمل إذا قاسه المسكام عند التفاضل
 حلیم رشید عادل غیر طائش یوالی إلہا لیس عنه بغافل
 کریم المسامحی ماجد وابن ماجد له إرث مجید ثابت غیر فاضل
 وأیده رب العباد بتصرده وأظهر دینا حقه غیر زائل
 فوالله لولا أن أجيء بسبة تجر علی أشیائنا فی المحافل
 لکننا تبعناه علی کل حالة من الدهر جدًّا غیر قول التهازل
 لقد علموا أن ابننا لا مکتب لدينا ولا یعنی بقول الابطال
 فاصبح فینا احمد فی أرومة یقصر عنها سورة المتطاول
 حدثت بنمشی دونه وحیته ودافعت عنه بالذری والکلا کل

قال ابن هشام : هذا ما صح لى من هذه القصيدة وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها .
 قلت : هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع بقولها إلا من نسبت اليه ، وهى أغل من
 المعلقة السبع ، وابلغ فى تأدية المعنى فيها جميعها ، وقد أوردتها الاموي فى مغازيه مطولة بزيادات
 اخر والله أعلم ^(١) .

﴿ فصل ﴾

قال ابن اسحاق : ثم إنهم عبدوا على من أسلم واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه فوثبت كل
 قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونه ويعدونهم بالضرب والجوع والعطش وبرهضاء مكة
 إذا اشتد الحر من استضعفوه منهم يقتلونهم عن دينهم ، فمنهم من يقتل من شدة البلاء الذى يصيبهم
 ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم ، فكان بلال مولى أبى بكر لبعض بنى جمح مولداً من
 مولديهم وهو بلال بن رباح ، واسم امه حمامة ، وكان صادق الاسلام طاهر القلب ، وكان أمية بن
 خلف يخرجهم إذا حيت الظهيرة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له : لا والله لا
 (١) فى سيرة ابن هشام زيادة على ما أوردته المؤلف من هذه القصيدة واختلاف فى بعض الألفاظ
 وتقديم وتأخير ليس هنا محل بسطه ولهذا القصيدة نسخ مطبوعة على حديثها فليرجع اليها من أراد
 ذلك وزاد ابن هشام هذه الابيات :

فلا زال فى الدنيا جمالا لاهلها وزينا لمن واده رب المشا كل
 رجال كرام غير ميل تمام إلى الخير آباء كرام المحاصل
 فان تلك كعب من لوى صقيبة فلا بد يوماً مرة من ترايل

نزال هكنا حتى تموت أو تكفر محمد ﷺ ، وتعبد اللات والعزيزى فيقول : - وهو فى ذلك - أحد أحد . قال ابن اسحاق : فحدثني هشام بن عروة عن أبيه قال كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب لذلك وهو يقول أحد أحد ، فيقول أحد أحد والله يا بلال ، ثم يقبل على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بنى جمع فيقول : أحلف بالله لئن قتلتهمود على هذا لأخذنه حنانا .

قلت : قد استشكل بعضهم هذا من جهة أن ورقة توفي بعد البعثة فى فترة الوحى ، واسلام من أسلم إنما كان بعد نزول (يا أيها المدثر) فكيف يمر ورقة ببلال ، وهو يعذب وفيه نظر . ثم ذكر ابن اسحاق مرورا بى بكر ببلال وهو يعذب ، فاشتراد من أمية بعبد له أسود فاعتقه وأراحه من العذاب وذكر مشتراد الجماعة من أسلم من العبيد والاماء ، منهم بلال ، وعامر بن فهيرة ، وأم عيسى (١) التى أصيب بصرها ثم رده الله تعالى لها ، والهدية وأبنتها اشتراها من بنى عبد الدار بعشمتها سيدتهما تطحنان لها فسمعها وهى تقول لها : والله لا أعتقكما أبداً فقال أبو بكر : حل يا أم فلان ، فقلت حل أنت أفستهما فاعتقهما ، قال فبكم هما ؟ قالت بكنا وكنا . قال قد أخذتهما وهما حرتان ، أرجعا إليهما طحينها . قالتا : أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليهما ؟ قال : ذلك إن شئتما . واشترى جارية بنى مؤمل - حى من بنى عدى - كان عمر يضربها على الاسلام . قال ابن اسحاق : فحدثني محمد بن عبد الله بن أبى عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض أهله . قال قال أبو قحافة لابنه أبى بكر : يا بنى إني أراك تعتق ضعافا ، فأوأنت إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالا جلداء يمنعونك ويقومون دونك ؟ قال فقال أبو بكر : يا أبة إني إنما أريد ما أريد . قال : فتحدث أنه ما أنزل هؤلاء الآيات إلا فيه وفيها قال أبوه (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) إلى آخر السورة وقد تقدم ما رواه الامام احمد وابن ماجه من حديث عاصم بن بهدلة عن زر عن ابن مسعود . قال أول من أظهر الاسلام سبعة ، رسول الله ﷺ وأبو بكر ، وعمار ، وأمه سمية ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد فاما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه ، وأبو بكر منعه الله بقومه ، وأما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوه أدرع الحديد وصبروهم فى الشمس ، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه فى الله تعالى ، وهان على قومه فاخذوه فاعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول : أحد أحد . ورواه الثورى عن منصور عن مجاهد مرسلا .

قال ابن اسحاق : وكانت بنو مخزوم يخرجون بهار بن ياسر وبأبيه وأمه - وكانوا أهل بيت اسلام - إذا حمت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة . فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول - فيما بلغنى - : (١) كذا فى الاملين . والصحيح أن الذى أصيب بصرها (زنيرة) وضبطها السهيلي بكسر الزاى وتشديد النون فسكانها سقطت من النسخ لأن ابن هشام ذكرها بعد أم عيسى .

« صبراً آل ياسر موعدهم الجنة » وقد روى البيهقي عن الحاكم عن ابراهيم بن عصمة العدل حدثنا السري بن خزيمة حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا هشام بن أبي عبيد الله عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ مر بعمار وأهله وهم يعذبون فقال : « أبشروا آل عمار وآل ياسر فإن موعدهم الجنة » فاما أمه فيقتلونها فتأبى الا الاسلام . وقال الامام احمد حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد . قال أول شهيد كان في أول الاسلام استشهد أم عمار سمية طعنها أبو جهل بحربة في قلبها . وهذا مرسل .

قال محمد بن اسحاق : وكان أبو جهل الفاسق الذي يغري بهم في رجال من قريش ، إن سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وخزاه وقال : تركت دين أبيك وهو خير منك ، لنسفن حملك ، ولنفلين رأيك ، ولننضم شرفك . وإن كان تاجراً قال والله لنكسبن تجارتك ، ولنهلكن مالك . وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به لعنه الله وقبحه . قال ابن اسحاق : وحدثني حكيم بن جبير عن عن سعيد بن جبير قال قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم ؟ قال نعم والله ! إن كانوا ليضربون أحدهم ويجمعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوى جالساً من شدة الضر الذي به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة ، حتى يقولوا له اللات والعزى إلهان من دون الله فيقول نعم ! افتداء منهم بما يبلغون من جهنم .

قلت : وفي مثل هذا أنزل الله تعالى (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مضطرب) بالآيمان ولكن من شرح بالكفر صدره فعليه غضب من الله ولهم عذاب عظيم) الآية فهو لا كانوا معذورين بما حصل لهم من الاهانة والعذاب البليغ ، أجازنا الله من ذلك بحوله وقوته . وقال الإمام احمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن مسلم عن مسروق عن خباب بن الارت . قال : كنت رجلاً قيناً وكان لي على العاص بن وائل دين ، فانيته اتقاضاً فقال لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد . فقلت لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث . قال فاني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد فاعطيك ، فانزل الله تعالى (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً) إلى قوله (ويأتينا فرداً) أخرجاه في الصحيحين وغيرهما من طرق عن الاعمش به . وفي لفظ البخاري كنت قيناً بمكة ، فعملت العاص بن وائل سيفاً فجئت اتقاضاً فذكر الحديث . وقال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا بنان واسماعيل . قالا : سمعنا قيساً يقول سمعت خباباً يقول : أتيت النبي ﷺ وهو متوسد ببرد وهو في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت ألا تدعو الله ؟ فقام وهو محمر وجهه . فقال : « قد كان من كان قبلكم ليشط بأشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق بالنتين ما

يصرقه ذلك عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله عز وجل « زاد بنان » والذئب على غنمه « وفي رواية » ولكنكم تستعجلون «
 انفرد به البخاري دون مسلم . وقد روى من وجه آخر عن خباب وهو مختصر من هذا والله أعلم .
 وقال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن عن سفيان وابن جعفر حدثنا شعبة عن أبي اسحاق عن سعيد
 ابن وهب عن خباب . قال شكونا إلى النبي ﷺ شدة الرمضاء فما أشكنا — يعني في الصلاة —
 وقال ابن جعفر : فلم يشكنا . وقال أيضا : حدثنا سليمان بن داود حدثنا شعبة عن أبي اسحاق قال
 سمعت سعيد بن وهب يقول سمعت خبابا يقول : شكونا إلى رسول الله ﷺ الرمضاء فلم يشكنا ،
 قال شعبة يعني في الظهيرة . ورواه مسلم والنسائي والبيهقي من حديث أبي اسحاق السبيعي عن
 سعيد بن وهب عن خباب . قال شكونا إلى رسول الله ﷺ حر الرمضاء . — زاد البيهقي في وجوهنا
 واكفنا — فلم يشكنا . وفي رواية شكونا إلى رسول الله ﷺ الصلاة في الرمضاء فلم يشكنا . ورواه
 ابن ماجه عن علي بن محمد الطنافسي عن وكيع عن الاعمش عن أبي اسحاق عن حارثة بن مضرب
 العبدى عن خباب . قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ حر الرمضاء فلم يشكنا . والذي يقع لي
 — والله أعلم — أن هذا الحديث مختصر من الأول وهو أنهم شكوا إليه ﷺ ما يلقون من المشركين
 من التعذيب بحر الرمضاء ، وأنهم يسحبونهم على وجوههم فينقون بأكفهم ، وغير ذلك من أنواع
 العذاب كما تقدم عن ابن اسحاق وغيره ، وسألوا منه ﷺ أن يدعو الله لهم على المشركين أو
 يستنصر عليهم فوعدهم ذلك ولم ينجز لهم في الحالة الراهنة وأخبرهم عن كان قبلهم أنهم كانوا يلقون
 من العذاب ما هو أشد مما أصابهم ولا يصرفهم ذلك عن دينهم ، ويبشرهم أن الله سيقم هذا الأمر
 ويظهره ويعلمه وينشره وينصره في الآفاق والالقاء حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت
 لا يخاف إلا الله عز وجل والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون . ولهذا قال شكونا إلى رسول
 الله ﷺ حر الرمضاء في وجوهنا واكفنا فلم يشكنا ، أي لم يدع لنا في الساعة الراهنة ، فن استدلل
 بهذا الحديث على عدم الإبراد أو على وجوب مباشرة المصلي بالكف كما هو أحد قولي الشافعي
 ففيه نظر والله أعلم .

باب

في جادة المشركين رسول الله ﷺ وإقامة الحجعة الدامغة عليهم واعترافهم في
 أنفسهم بالحق وإن أظهروا المخالفة عناداً وحسداً وبعياً وجحوداً *

قال اسحاق بن راهويه : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب السخيتاني عن عكرمة عن
 ابن عباس . أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليه القرآن ، فكانه رقى له فبلغ

ذلك أبا جهل فأتاه فقال يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا . قال لم ؟ قال ليعطوكه فانك
أنت محمدًا لتعرض ما قبله ، قال قد علمت قريش أتى من أكثرها مالا ، قال فقل فيه قولاً يبلغ
قومك أنك منكروه . قال وماذا أقول ؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه ،
ولا بقصيده مني ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله الذي
يقوله خلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه منسق أسفله ، وإنه ليعلم ولا يعلم ، وإنه ليعظم
ما تحته . قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال قف عني حتى أفكر فيه ، فلما فكر . قال :
إن هذا إلا سحر يؤثر يأثره عن غيره قنزلت (ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالا ممدوداً
وبنين شهوداً) الآيات هكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن عبد الله بن محمد الصنعاني بحكاية عن
اسحاق به . وقد رواه حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة مرسلاً . فيه أنه قرأ عليه (إن الله يأمر
بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون)
وقال البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق
حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبيرة - أو عكرمة عن ابن عباس - أن الوليد بن المغيرة اجتمع
ونفر من قريش وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر المواسم فقال إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد
سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضهم بعضاً ، ويرد قول بعضهم
بعضاً . فقيل : يا أبا عبد شمس قتل واقم لنا رأياً تقوم به ، فقال بل أنتم تقولوا وأنا اسمع . فقالوا
نقول كاهن ؟ فقال ما هو بكاهن رأيت الكهان . فما هو بزمنة الكهان . فقالوا نقول مجنون ؟
فقال ما هو بمجنون ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته . فقال نقول
شاعر ؟ فقال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقرضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر .
قالوا فنقول هو ساحر ؟ قال ما هو بساحر قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنقته ولا بعقده . قالوا فما
نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله خلاوة ، وإن أصله لمعق ، وإن فرعه لجنى فما أنتم بقائلين
من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول لأن تقولوا هذا ساحر ، فتقولوا هو ساحر يفرق
بين المرء ودينه ، وبين المرء وأبيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وعشيرته
فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون للناس حتى قدموا الموسم لا يمر بهم أحد لا حذرود أياه وذكروا لهم
أمره وأنزل الله في الوليد (ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً) الآيات
وفي أولئك النفر الذين جعلوا القرآن عضين (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) .

قلت : وفي ذلك قال الله تعالى اخبروا عن جهلهم وقلة عقلهم (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء
بل هو شاعر فليستنا بآية كما أرسل الأولون) فخاروا ماذا يقولون فيه فكل شيء يقولونه باطل . لأن

من خرج عن الحق مهما قاله أخطأ . قال الله تعالى : (أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) . وقال الامام عبد بن حميد في مسنده حدثني أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا علي ابن مسهر عن الاجلج هو ابن عبد الله الكندي عن الذيال بن حرمة الاسدي عن جابر بن عبد الله . قال : اجتمع قريش يوما فقالوا أنظروا أعلامكم بالسحر والسكينة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشئت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه . ولينظر ماذا يرد عليه ؟ فقالوا ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة . فقالوا : أنت يا أبا الوليد ، فأنه عتبة فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله فسكت رسول الله ﷺ . فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله ﷺ . قال فان كنت تزعم ان هؤلاء خير منك فقد عبادوا الاكلمة التي عبت : وان كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك إنا والله ما رأينا سخلة ^(١) قط اشأم على قومه منك فرقت جماعتنا ، وشئت أمرنا ، وعبت ديننا ، وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً ، وان في قريش كاهناً . والله ما ننتظر الا مثل صيحة الحبل أن يقوم بعضنا الى بعض بالسيف حتى نتفاني : أيها الرجل إن كان انما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً ، وإن كان انما بك الباد فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً . فقال رسول الله ﷺ : « فرغت ؟ » قال نعم ! فقال رسول الله ﷺ : « بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون) الى ان بلغ (فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) . فقال عتبة : حسبك ما عندك غير هذا ؟ قال لا ! فرجع الى قريش فقالوا ما وراءك ؟ قال : ما تركت شيئاً أرى أنكم تسكاهونه الا كلمته . قالوا : فبلى أجابك ؟ فقال نعم ! ثم قال لا والذي نصبتها بنية ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . قالوا : ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال ؟ قال : لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة . وقد رواه البيهقي وغيره عن الحاكم عن الاصم عن عباس الدوري عن يحيى بن معين عن محمد بن فضيل عن الاجلج . وفيه كلام ، وزاد : وان كنت إنما بك الرياسة عقداً أؤيتنا لك فكنت رأساً ما بقيت وعنده أنه لما قال : (فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) أمسك عتبة على فيه ونأشده الرحيم أن يكف عنه ، ولم يخرج الى أهله واحتبس عنهم . فقال أبو جهل : والله يامعشر قريش ما نرى عتبة الا حياً الى محمد وأعجبه طمأنه ، وما ذاك الا من حاجة أصابته ، انطلقوا بنا اليه فاقوه . فقال أبو جهل : والله يا عتبة ما جئنا الا أنك صهوت الى محمد وأعجبتك أمره ، فان كان بك حاجة جمعنا لك من أمهالننا ما يغنيك عن طعام محمد . فمضب واقسم بالله لا يكلم محمد ابداً . وقال : لقد علمت أني

(١) كذا في الاصلين . وفي النهاية السخل : المولود المحبب الى أبويه .

من أكثر قريش مالا ، ولكنني أتيتهم وقص عليهم القصة فاجابني بشئ والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة ، قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم) حتى بلغ (فان اعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فامسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف ، وقد علمت أن محمداً اذا قال شيئاً لم يكن يكذب ، فخفت أن ينزل عليكم العذاب . ثم قال البيهقي عن الخا كم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس عن محمد بن اسحاق حدثني يزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم عن محمد بن كعب قال حدثت أن عتبة بن ربيعة ، وكان سيداً حليماً . قال - ذات يوم وهو جالس في نادى قريش ، ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد - : يا معشر قريش ألا أقوم الى هذا فأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها ويكف عنا . قالوا : بلى يا أبا الوليد ! فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله ﷺ فذكر الحديث فيما قال له عتبة وفيما عرض على رسول الله ﷺ من المال والمالك وغير ذلك . وقال زياد بن اسحاق فقال : عتبة يا معشر قريش ألا أقوم الى محمد فأكله وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه اياها ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيمون ويكثرون فقالوا : بلى يا أبا الوليد ! فقم اليه وكلمه : فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من الشطري العشرة والمكان في النسب ، وأنت قد أتيت قومك بامر عظيم فرقت جماعتهم ، وسفنت به أحوالهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضي من آبلهم . فاسمع مني حتى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . قال فقال له رسول الله ﷺ « يا أبا الوليد اسمع » . قال : يا ابن أخي إن كنت انما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا تقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً نراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الخب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتدأوى منه - أو كما قال له - حتى اذا فرغ عتبة . قال له النبي ﷺ : « افرغت يا أبا الوليد ؟ » قال نعم ! قال اسمع مني ، قال افعل ! فقال رسول الله ﷺ : (حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون) فمضى رسول الله ﷺ يقرأها فلما سمع بها عتبة انصت لها وألقى بيده خلفه أو خلف ظهره معتمداً عليها ليسمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ الى السجدة فوجدتها ثم قال : « سمعت يا أبا الوليد ؟ » قال سمعت . قال : « فانت وذاك » ثم قام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلسوا اليه قالوا ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال ورأى أني والله قد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة ، يا معشر قريش

أطيعوني واجعلوها بي . خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ ، فان تصبه العرب ففسد كفيتموه بنيركم ، وان يظهر على العرب فاسلك ملسكم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به . قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه . قال : هذا رأيي لكم فاحصموا ما بدا لكم . ثم ذكر يونس عن ابن اسحاق شعراً قاله أبو طالب يمدح فيه عتبة .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الاصبهاني أخبرنا أبو قتيبة سلمة بن الفضل الادمي بمكة حدثنا أبو أيوب احمد بن بشر الطيالسي حدثنا داود بن عمرو الضبي حدثنا المشي بن زرعة عن محمد بن اسحاق عن تافع عن ابن عمر . قال : لما قرأ رسول الله ﷺ على عتبة بن ربيعة (حم تنزيل من الرحمن الرحيم) أتى أصحابه فقال لهم : يا قوم أطيعوني في هذا الأمر اليوم ، واعصوني فيما بعده ، فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاماً ما سمعت أذنأى كلاماً مثله ، وما دريت ما أرد عليه وهذا حديث غريب جدا من هذا الوجه . ثم روى البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس عن ابن اسحاق حدثني الزهري . قال : حدثت أن أبا جهل وأبا سفيان والاخنس بن شريق خرجوا ليلة ليسموا من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته ، فآخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع منه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى اذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلورآكم بعض سفهاءكم لا وقعتم في نفسه شيئاً . ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه ، فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، قال بعضهم لبعض مثل ما قالوا اول مرة ثم انصرفوا . فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقالوا لا نبرح حتى نتعاهد أن لا نعود . فتماهدوا على ذلك ثم تفرقوا . فلما أصبح الاخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء اعرفها واعرف ما يراد بها فقال الاخنس : وأنا والذي حلفت به . ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، واعطوا فأعطينا ، حتى اذا تجائنا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فتي ندرك هذه ؟ والله لا نسمع به أبداً ولا نصدق . فقام عنه الاخنس بن شريق ثم قال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس حدثنا احمد حدثنا يونس عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن المغيرة بن شعبه . قال : إن أول يوم عرفت رسول الله ﷺ أني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة ، إذ لقينا رسول الله ﷺ

فقال رسول الله ﷺ لأبي جهل : « يا أبا الحكم ، هلم إلى الله وإلى رسوله ، أدعوك إلى الله » . فقال أبو جهل : يا محمد ، هل أنت منته عن سب آلهمنا ؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت ؟ فحين نشهد أن قد بلغت ؟ فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حق لا تبعثك . فانصرف رسول الله ﷺ . وأقبل على فقال : والله أني لأعلم أن ما يقول حق ، ولكن لا يمنعني أشي . إن بني قصى قالوا : فينا الحجابة . فقلنا نعم ، ثم قالوا فينا السقاية ، فقلنا نعم ، ثم قالوا فينا الندوة ، فقلنا نعم . ثم قالوا فينا اللواء ، فقلنا نعم . ثم أطعموا وأطعمنا . حتى إذا تحاكت الركب قالوا منا نبى ، والله لا أفعل . وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم حدثنا محمد بن خالد حدثنا أحمد بن خلف حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق . قال : مر النبي ﷺ على أبي جهل وأبي سفيان ، وهما جالسان . فقال أبو جهل : هذا نبيكم يا بني عبد شمس . قال أبو سفيان : وتعجب أن يكون منا نبى ؟ فأنبى يكون فيمن أقل منا وأذل . فقال أبو جهل : أعجب أن يخرج غلام من بين شيوخ نبيا ، ورسول الله ﷺ يسمع . فأتاهما فقال : « أما أنت يا أبا سفيان ، فما لله ورسوله غضبت ولكنك حيث للأصل . وأما أنت يا أبا الحكم ، فوالله لتضحكن قليلا ولتبكين كثيرا » فقال : بئسما تعدنى يا ابن أخى من نبوتك . هذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة .

وقول أبي جهل — لعنه الله — كما قال الله تعالى مخبرا عنه وعن أضرابه (وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً ، لهذا الذى بعث الله رسولا ؟ إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها . وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا) .

وقال الامام أحمد : حدثنا هشيم حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ متوار بمكة (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال : كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فدا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن وسبوا من أنزله ومن جاء به ، قال فقال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ (ولا تجهر بصلاتك) أى بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن (ولا تخافت بها) عن أصحابك ، فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك (وابتغ بين ذلك سبيلا) وهكذا رواد أصحابنا الصحيح من حديث أبي بشر جعفر بن أبي حية به .

وقال محمد بن إسحاق حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ إذا جهر بالقرآن — وهو يصلى — تفرقوا عنه وأبوا أن يسمعوا منه ، وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو . وهو يصلى ، استرق السمع . دونهم فرقا منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية إذا هم فلم يستمع ، فإن خفص رسول الله ﷺ لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئا . فانزل الله تعالى (ولا تجهر بصلاتك) فيتفرقوا عنك (ولا تخافت بها) فلا يسمع من أراد أن يسمعها ممن يسترق ذلك ، لعل يبرعوى إلى بعض ما يسمع ، فيفتنهم به (وابتغ بين ذلك سبيلا)

باب

﴿ هجرة من هاجر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من مكة إلى أرض الحبشة ، فراراً بدينهم من الفتنة ﴾

قد تقدم ذكر أذية المشركين للمستضعفين من المؤمنين، وما كانوا يعاملونهم به من الضرب الشديد . والاهانة البالغة . وكان الله عز وجل قد حذرهم عن رسوله ﷺ ، ومنعه بعده أبي طالب ، كما تقدم تفصيله والله الحمد والمثنة . وروى الواقدي أن خروجهم إليها في رجب سنة خمس من البعثة ، وأن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة ، وأنهم انتهوا إلى البحر ما بين ماش وراكب فاستأجروا سفينة بنصف دينار إلى الحبشة ، وهم عثمان بن عفان ، وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وأبو حذيفة بن عتبة ، وامرأته سهلة بنت سهيل ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية ، وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة العنزي ، وامرأته ليلى بنت أبي حنمة ، وأبو سبرة بن أبي رهم ، وإيثار بن أبي رهم ، وأبو حطاب بن عمرو^(٢) ، وسهيل بن بيضاء ، وعبد الله بن مسعود ، رضى الله عنهم أجمعين . قال ابن جرير وقال آخرون بل كانوا اثنين وثمانين رجلاً ، سوى نساءهم وبناتهم ، وعمار بن ياسر ، فشك فان كان فيهم فقد كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً .

وقال محمد بن اسحاق : فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله عز وجل ، ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء . قال لهم : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة ؟ فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق - حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه » فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله بدينهم . فكانت أول هجرة كانت في الاسلام فكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان ، وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ . وكذا روى البيهقي من حديث يعقوب بن سفيان عن عباس العنبري عن بشر بن موسى^(١) عن الحسن ابن زياد البرجي حدثنا قتادة . قال : أول من هاجر إلى الله تعالى بأهله عثمان بن عفان رضى الله عنه سمعت النضر بن أنس يقول سمعت أبا حمزة - يعني أنس بن مالك - يقول : خرج عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة ، فابطأ على رسول الله ﷺ خبرهما فقدمت امرأة من قريش فقالت : يا محمد قد رأيت ختنك ومعه امرأته . قال : « على أي حال رأيتهما ؟ »

(١) وفي ز : عن يونس بن عيسى . (٢) التصحيح عن ابن هشام والاصابه .

قالت رأيته قد حمل امرأته على حمار من هذه الديابة ، وهو يسوقها ، فقال رسول الله ﷺ : « صحبها الله ، ان عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام » .

قال ابن اسحاق : وأبو حذيفة بن عتبة ، وزوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو - وولدت له بالخبشة محمد بن أبي حذيفة - والزيبر بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة - وولدت له بها زينب - وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة - حليف آل الخطاب ، وهو من بني عترة بن وائل وامرأته ليلى بنت أبي حثمة ، وأبو سبرة بن أبي رهم العامري ، وامرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو - ويقال أبو حاطب ابن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر - وهو أول من قدمها فيما قيل - وسهيل بن بيضاء - فهؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الخبشة فيما بلغني . قال ابن هشام : وكان عليهم عثمان بن مظعون ، فيما ذكر بعض أهل العلم .

قال ابن اسحاق : ثم خرج جعفر بن أبي طالب ومعه امرأته أسماء بنت عميس ، وولدت له بها عبد الله بن جعفر . وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الخبشة .

وقد زعم موسى بن عقبة أن الهجرة الأولى إلى أرض الخبشة كانت حين دخل أبو طالب ومن حالفه مع رسول الله ﷺ إلى الشعب ، وفي هذا نظر والله أعلم . وزعم أن خروج جعفر بن أبي طالب إنما كان في الهجرة الثانية إليها . وذلك بعد عود بعض من كان خرج أولاً ، حين بلغهم أن المشركين أسلموا وصلوا ، فلما قدموا مكة - وكان فيمن قدم عثمان بن مظعون - فلم يجدوا ما أخبروا به من إسلام المشركين صحيحاً ، فرجع من رجع منهم ومكث آخرون بمكة . وخرج آخرون من المسلمين إلى أرض الخبشة ، وهي الهجرة الثانية - كما سيأتي بيانه . قال موسى بن عقبة : وكان جعفر ابن أبي طالب فيمن خرج ثانياً . وما ذكره ابن اسحاق من خروجه في الرميل الأول أظهر كما سيأتي بيانه والله أعلم . لكنه كان في زمرة ثانية من المهاجرين أولاً ، وهو المقدم عليهم والمترجم عنهم عند النجاشي وغيره ، كما سنورد مبسوطاً . ثم إن ابن اسحاق سرد الخارجين صحبة جعفر رضي الله عنهم . وهم عمرو بن سعيد بن العاص ، وامرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن مخزوم بن شق الكنانى . وأخوه خالد . وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد الخزاعي . وولدت له بها سعيداً ، وأمة التى تزوجها بعد ذلك الزبير ، فولدت له عمراً وخالداً . قال وعبد الله بن جحش بن رئاب ، وأخوه عبيد الله ، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وقيس بن عبد الله من بني أسد بن خزيمة ، وامرأته بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان ، ومعتيق بن أبي فاطمة ، وهو من وإلى سعيد بن العاص . قال ابن هشام : وهو من دوس . قال وأبو موسى [الاشعري] عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن

ربيعة . وسنكلام معه في هذا . وعتبة بن غزوان ، ويزيد بن زمة بن الاسود ، وعمر بن أمية بن
الحارث بن أسد ، وطليب بن عمير بن وهب بن أبي كثير بن عبد وسويبط بن سعد بن حريظة ،
وجهم بن قيس العبدوي ، ومعه امرأته أم حرملة بنت عبد الاسود بن خزيمة ، وولداه عمرو بن جهم
وخزيمة بن جهم ، وأبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وفراس بن النضر
ابن الحارث بن كلفة ، وعامر بن أبي وقاص أخو سعد ، والمطلب بن أذهر بن عبد عوف الزهري ،
وامرأته رمة بنت أبي عوف بن صبيدة . وولدت بها عبد الله ، وعبد الله بن مسعود . وأخوه
عتبة ، والمقداد بن الاسود ، والحارث بن خالد بن صخر التيمي ، وامرأته ربيعة بنت الحارث بن
جبيلة ، وولدت له بها موسى وعائشة وزينب وفاطمة ، وعمر بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد
ابن تميم بن مرة ، وثمان بن عثمان بن الشريد الخزومي . قال وإنما سمي شماساً لحسنه وأصل اسمه
عثمان بن عثمان . وهبار بن سفيان بن عبد الاسد الخزومي ، وأخوه عبد الله ، وهشام بن أبي حذيفة
ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وسامة بن هشام بن المغيرة ، وعياش بن أبي ربيعة
ابن المغيرة ، وعتب بن عوف بن عامر . ويقال له عيمامة . وهو من حلفاء بني مخزوم . قال :
وقدامة وعبد الله أخوا عثمان بن مظعون ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، وحاطب بن الحارث بن
معمر ، ومعه امرأته فاطمة بنت الجليل ، وابناه منها محمد والحارث ، وأخوه خطاب ، وامرأته فكيمة
بنت يسار ، وسفيان بن معمر بن حبيب ، وامرأته حسنة ، وابناه منها جابر وجنادة ، وابنها من
غيره . وهو شرحبيل بن عبد الله . أحد الغوث بن مزاحم بن تميم ، وهو الذي يقال له شرحبيل
ابن حسنة ، وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جمح ، وخنيس بن حذافة بن قيس
ابن عدي ، وعبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم ، وهشام بن العاص بن وائل
ابن سعيد ، وقيس بن حذافة بن قيس بن عدي ، وأخوه عبد الله ، وأبو قيس بن الحارث بن قيس
ابن عدي ، وإخوته الحارث ومعمر والسائب وبشر وسعيد أبناء الحارث ، وسعيد بن قيس
ابن عدي لأمه وهو سعيد بن عمرو التيمي . وعمير بن رباب بن حذيفة بن مهشم بن سعيد بن
سهم ، وحليف لبني سهم : وهو محمية بن جزء الزبيدي ، ومعمر بن عبد الله العبدوي ، وعروة بن
عبد العزى ، وعدي بن فضالة بن عبد العزى ، وابنه النعمان ، وعبد الله بن مخزومة العامري ، وعبد الله
ابن سهيل بن عمرو ، وسايط بن عمرو ، وأخوه السكران ، ومعه زوجته سودة بنت زمة ، ومالك بن
ربيعة ، وامرأته عمرة بنت السعدى ، وأبو حاطب بن عمرو العامري ، وحليفهم سعد بن خولة . وهو
من الذين ، وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري ، وسهيل بن بيضاء . وهى أمه ، واسمها
دعد بنت جحدم بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر ، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال

ابن ضبة بن الحارث ، وعمر بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث ،
وعياض بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة ، وعمر بن الحارث بن زهير
ابن أبي شداد بن ربيعة ، وعثمان بن عبد غنم بن زهير اخوات ، وسعيد بن عبد قيس بن لقيط ،
وأخوه الحارث القهريون . (١)

قال ابن اسحاق : فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر اليها من المسلمين سوى أبنائهم
الذين خرجوا بهم صغاراً وولدوا بها - ثلاثة وثلاثون رجلاً إن كان عمار بن ياسر فيهم ، وهو يشك فيه .
قلت : وذكر ابن اسحاق أبا موسى الاشعري فيمن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة غريب
جداً . وقد قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى سمعت خديجاً أخا زهير بن معاوية عن أبي اسحاق
عن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود . قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ، ونحن نحواً من
ثمانين رجلاً ، فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر ، وعبد الله بن عرفة ، وعثمان بن مظعون ، وأبو موسى
فاتوا النجاشي . وبعث قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية ، فلما دخلا على النجاشي
سجدوا له ثم ابتدءا عن يمينه وعن شماله ثم قالوا له : إن نفرًا من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا
وعن ملتنا . قال فأين هم ؟ قالوا : في أرضك ، فابعث اليهم ، فبعث اليهم ، فقال جعفر : أنا خطيبكم
اليوم فاتبعوه ، فسلم ولم يسجد ، فقالوا له : مالك لا تسجد للملك ؟ قال إنا لا نسجد إلا لله عز وجل
قال وما ذاك ؟ قال إن الله بعث انينا رسولاً ثم أمرنا أن لا نسجد لاحد إلا لله عز وجل وأمرنا بالصلاة
والزكاة . قال عمرو : فانهم يخالفونك في عيسى بن مريم ، قال فما تقولون في عيسى بن مريم وأمه ؟ قال
نقول كما قال الله : هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البتول ، التي لم يمسها بشر ، ولم يفرضها ولد . قال
فرجع عوداً من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان . والله ما يزيدون على الذي نقول
فيه ما سوى هذا ، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده ، أشهد أنه رسول الله ﷺ . وأنه الذي نجد في
الانجيل ، وأنه الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم ، انزلوا حيث شئتم ، والله لولا ما أنا فيه من
الملأ لأتيتهم حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه . وأمر بهدية الآخرين فردت اليهما ، ثم تعجل عبد الله
ابن مسعود حتى أدرك بدرًا . وزعم أن النبي ﷺ استغفر له حين بلغه موته . وهذا إسناد جيد
قوى وسياق حسن . وفيه ما يقتضي أن أبا موسى كان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة ، إن لم
يكن ذكره مدرجا من بعض الرواة والله أعلم . وقد روى عن أبي اسحاق السبيعي من وجه آخر .
(١) وقع اختلاف بين الاصلين وبينهما وبين السيرة لابن هشام في اسماء المهاجرين وعددهم
وحيث المؤلف اسند النقل عن ابن اسحاق فما وافق احد الاصلين مع ابن هشام اعتمدناه مع التثبت
من كتاب الاصابة لتصحيح تلك الاسماء .

فقال الحافظ أبو نعيم في الدلائل حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكريا النابلي حدثنا
 عبيد الله بن رجاء حدثنا إسرائيل . وحدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكريا حدثنا الحسن بن
 علوية القطان حدثنا عباد بن موسى الخثلي حدثنا اسماعيل بن جعفر حدثنا إسرائيل . وحدثنا أبو
 أحمد حدثنا عبيد الله بن محمد بن شيرويه حدثنا اسحاق بن إبراهيم - هو ابن راهويه - حدثنا
 عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن أبي اسحاق عن أبي بردة عن أبي موسى . قال : أُرنا رسول
 الله ﷺ أن ننتقل مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي ، فبلغ ذلك قريشا فبعثوا عمرو بن
 العاص وعمارة بن الوليد ، وجمعوا للنجاشي هدية وقدموا على النجاشي فأتياه بالهدية ، فقبلها وسجد له
 ثم قال عمرو بن العاص : إن ناساً من أرضنا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك . قال لهم النجاشي في
 أرضي ؟ قالوا نعم ! فبعث اليها ، فقال لنا جعفر : لا يتكلم منكم أحد . أنا خطيبكم اليوم ، فأتيناهما
 إلى النجاشي ، وهو جالس في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه ، وعمارة عن يساره . والقسيسون
 جالسون سامطين . وقد قال له عمرو وعمارة : إنهم لا يسجدون لك ، فلما اتهمنا بدرنا من عنده من
 القسيسين والرهبان : اسجدوا للملك . فقال جعفر : لا نسجد إلا لله عز وجل . فلما اتهمنا إلى
 النجاشي قال ما منعك أن تسجد ؟ قال لا نسجد إلا لله . فقال له النجاشي : وما ذاك ؟ قال إن الله
 بعث فينا رسولا - وهو الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من بعده اسمه
 أحمد ، فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ، وأمرنا بالمعروف ونهانا
 عن المنكر . فأعجب النجاشي قوله . فلما رأى ذلك عمرو بن العاص ، قال : أصلى الله الملك إليهم
 يخالفونك في عيسى بن مريم ، فقال النجاشي لجعفر : ما يقول صاحبكم في ابن مريم ؟ قال يقول فيه قول
 الله : هو روح الله وكلته أخرجه من العذراء البتول التي لم يقر بها بشر ولم يفرضها ولد . فتناول
 النجاشي عبداً من الأرض فرفعه فقال : يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيدون هؤلاء على ما نقول
 في ابن مريم ولا وزن هذه . مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده ، فانا أشهد أنه رسول الله وأنه الذي
 بشر به عيسى . ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيت حتى أقبل نعليه ، أمكنوا في أرضي ما شئتم ، وأمر
 لنا بطعام وكسوة . وقال ردوا على هذين هديتهما ، وكان عمرو بن العاص رجلاً قصيراً ، وكان عمارة
 رجلاً جليلاً ، وكنا أقبلا في البحر ، فشربا ومع عمرو امرأته ، فلما شربا قال عمارة لعمرو مر امرأتك
 فلتقبلني . فقال له عمرو : ألا تستحي ؟ فآخذ عمارة عمراً فرمى به في البحر ، فجعل عمرو : ينشد عمارة
 حتى أدخله السفينة ، فخذ عليه عمرو في ذلك . فقال عمرو للنجاشي : إنك إذا خرجت خلقت عمارة
 في أهلك . فدنا النجاشي بعمارة فنمخ في إحليله فطار مع الوحش . وهكذا رواه الحافظ البيهقي في
 الدلائل من طريق أبي علي الحسن بن سلام السواق عن عبيد الله بن موسى فذكر بإسناده مثله إلى

قوله : فامر لنا بسلام وكسوة . قال وهذا اسناد صحيح وظاهره يدل على أن أبا موسى كان بحكمة ، وأنه خرج مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة ، والصحيح عن يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن جده أبي بردة عن أبي موسى : أنهم بلغهم مخرج رسول الله ﷺ وهم باليمن فخرجوا مهاجرين في بضع وخمسين رجلا في سفينة ، فالتفتهم سفينةهم إلى النجاشي بأرض الحبشة ، فوافقوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عندهم ، فامر جعفر بالاقامة ، فاقاموا عنده حتى قدموا على رسول الله ﷺ زمن خيبر . قال وأبو موسى شهد ما جرى بين جعفر وبين النجاشي ، فأكسبه عنده . قال واسئل الزاوي وهم في قوله : أمرنا رسول الله ﷺ أن نتطلق والله أعلم .

وهكذا رواد البخاري في باب هجرة الحبشة . حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة حدثنا يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى . قال : بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن ، فركبنا سفينة فالتفتنا سفينةنا إلى النجاشي بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فاقفنا معه حتى قدمنا فوافينا النبي ﷺ حين افتتح خيبر ، فقال النبي ﷺ : « لستم أنتم أهل السفينة هجرتان » وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب وأبي عامر عبد الله بن براء بن يوسف بن أبي بردة عن أبي موسى [كلاهما عن أبي أسامة به ، وروياه في مواضع آخر مطولا والله أعلم .

وأما قصة جعفر مع النجاشي فان الحافظ ابن عساكر رواها في ترجمة جعفر بن أبي طالب من تاريخه من رواية نفسه ، ومن رواية عمرو بن العاص . وعلى يسيرها جرى الحديث ، ومن رواية ابن مسعود كما تقدم . وأم سامة كما سيأتي . فلما رواية جعفر فانها عزيزة جدا . رواها ابن عساكر عن أبي القاسم السمرقندي عن أبي الحسين بن النضر عن أبي طاهر الخليل عن أبي القاسم البغوي . قال حدثنا أبو عبد الرحمن الجعفي عن عبد الله بن عمر بن أبان حدثنا أسد بن عمرو البجلي عن مجاهد بن سعيد عن الشعبي عن عبد الله بن جعفر عن أبيه . قال : بعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية من أبي سفيان إلى النجاشي . فقالوا له - ونحن عنده - : قد صار اليك ناس من سفننا وسفنائنا ، فادفعهم الينا ، قال لا حتى أسمع كلامهم . قال فبعث الينا فقال : ما تقول هؤلاء ؟ قال قلنا هؤلاء قوم يعبدون الاوثان ، وإني والله بعث الينا رسولا فأمانا به وصداقتاه . فقال لهم النجاشي أعبيدهم لكم ؟ قالوا : لا . فقال : فلكم عليهم دين ؟ قالوا لا . قال فغافروا سبيلهم . قال فخرجنا من عنده فقال عمرو بن العاص إن هؤلاء يقولون في عيسى غير ما تقول ، قال إن لم يقولوا في عيسى مثل قولي لم أدعهم في أرضي ساعة من نهار . فارسل اليها فكانت الدعوة الثانية أشد علينا من الاولى ، قال ما يقول صاحبكم في عيسى بن مريم ؟ قلنا يقول : هو روح الله وكلمته انماها إلى عذراء بتول ، قال فارسل فقال ادعوا لي فلان القس ، وفلان الراهب . فأتاه ناس منهم فقال : ما تقولون في عيسى بن مريم ؟

فقالوا أنت أعلمنا ، فما تقول ؟ قال النجاشي - وأخذ شيئا من الأرض - قال ما عدا عيسى ما قال هؤلاء مثل هذا ، ثم قال أيؤذيكم أحدا ؟ قالوا نعم ! فنادى من أذى أحدا منهم فاغرموه أربعة دراهم ثم قال أيكفيكم ؟ قلنا لا ، فأضعفها . قال فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وظهر بها قلناه إن رسول الله ﷺ قد ظهر وهاجر إلى المدينة ، وقتل الذين كنا حدثناك عنهم ، وقد أردنا الرحيل إليه ، فردنا . قال نعم ! فحملنا وزودنا . ثم قال أخبر صاحبك بما صنعت اليكم ، وهذا صاحبي معكم أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله ، وقل له يستغفر لي . قال جعفر : فخرجنا حتى أتينا المدينة فلتقاني رسول الله ﷺ واعتنقني ، ثم قال : « ما أدرى أنا بفتح خبير أفرح أم بقدم جعفر ؟ » ووافق ذلك فتح خبير ، ثم جلس فقال رسول النجاشي : هذا جعفر فسل ما صنع به صاحبنا ؟ فقال نعم فعل بنا كذا وكذا وحملنا وزودنا ، وشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله . وقال لي قل له يستغفر لي . فقام رسول الله ﷺ فتوضأ ، ثم دعا ثلاث مرات « اللهم اغفر للنجاشي » فقال المسلمون آمين . ثم قال جعفر فقلت للرسول انطلق فأخبر صاحبك بما رأيت من رسول الله ﷺ . ثم قال ابن عساكر حسن غريب .

وأما رواية أم سلمة فقد قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام عن أم سلمة رضي الله عنها . أنها قالت : لما ضاقت مكة وأوذى أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم ، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم ، وكان رسول الله في منعة من قومه ومنعه لا يصل إليه شيء مما يكره ومما ينال أصحابه ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « إن بارض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده فآخضوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه » فخرجنا إليها ارسالا حتى اجتمعنا بها ، فقتلنا بخير دار إلى خير جار آمنين على ديننا ، ولم نخش فيها ظلما . فلما رأيت قريش أننا قد أصبنا دارا وأمانا ، غاروا منا ، فاجتمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشي فينا ليخرجونا من بلاده وليردنا عليهم فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ، فجمعوا له هدايا ولبطارقته ، فلم يدعوا منهم رجلا إلا هبوا له هدية على حدة ، وقالوا لهما ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تتكلموا فيهم ، ثم ادفعا إليه هداياه فان استعظتم أن يردكم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا . فقدمنا عليه فلم يبق بطريق من بطارقته إلا قدموا إليه هديته ، فكلموه فقالوا له : إنما قدمنا على هذا الملك في سفهائنا ، فارقوا أقوامهم في دينهم ولم يدخلوا في دينكم . فبعثنا قومهم ليردكم الملك عليهم ، فاذا نحن كلنا فاشيروا عليه بأن يفعل فقالوا نفعل . ثم قدموا إلى النجاشي هداياه ، وكان من أحب ما يهدون إليه من مكة الأدم - وذكر موسى بن عقبة أنهم أهدوا إليه فرسا وجبة ديباج - فلما أدخلوا عليه هداياه . قالوا له : أيها

الملك : إن فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجأؤا بدين مبتدع لا نعرفه ، وقد لجئوا إلى بلادك ، وقد بعثنا اليك فيهم عشارهم ، آبائهم وأعمامهم وقومهم لتردهم عليهم ، فانهم أعلاهم عيناً ، فانهم لن يدخلوا في دينك فتمنعهم لذلك . فغضب ثم قال : لا لعمر الله ! لا أردتهم عليهم حتى أدعواهم ، فأكلهم وأنظر ما أمرهم ، قوم لجئوا إلى بلادى واختاروا جوارى على جوار غيرى فان كانوا كما يقولون رددتهم عليهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعهم ولم أدخل بينهم وبينهم ، ولم أنعم عينا - [وذكر موسى بن عقبة أن أمراء أشاروا عليه بأن يردهم اليهم . فقال : لا والله ! حتى اسمع كلامهم واعلم على أى شئ هم عليه ؟ فلما دخلوا عليه ساموا ولم يسجدوا له . فقال : أيها الرهط ألا تحدثونى ما لكم لا تحبونى كما يحببني من أتانا من قومكم ؟ فآخبرونى ماذا تقولون في عيسى وما دينكم ؟ أنصارى أنتم ؟ قالوا : لا . قال أفيهود أنتم ؟ قالوا : لا . قال : فملى دين قومكم ؟ قالوا : لا . قال فما دينكم ؟ قالوا الاسلام . قال وما الاسلام ؟ قالوا نعبد الله لا نشرك به شيئاً . قال : من جاءكم بهذا ؟ قالوا جاءنا به رجل من أنفسنا ، قد عرفنا وجهه ونسبه ، بعثه الله إلينا كما بعث الرسل إلى من قبلنا ، فأمرنا بالبر والصدقة والوفاء وإداء الأمانة ، ونهانا أن نعبد الاوثان وأمرنا بعبادة الله وحده لا شريك له ، فصدقناه وعرفنا كلام الله وعلمنا أن الذى جاء به من عند الله ، فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا وعادوا النبى الصادق وكذبوه وأرادوا قتله ، وأرادونا على عبادة الاوثان ، ففردنا اليك بديننا ودمائنا من قومنا . قال : والله إن هذا لمن المشكاة التى خرج منها أمر موسى . قال جعفر : وأما التحية فان رسول الله ﷺ أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام ، وأمرنا بذلك فحينئذ بالذى يحيى بعضنا بعضاً . وأما عيسى ابن مريم فعبد الله ورسوله وكلته ألقاها إلى مريم وروح منه وابن العذراء المتبول . فأخذ عودا وقال : والله ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود . فقال عطاء الحبشة : والله لأن سمعت الحبشة لتخلعنك . فقال : والله لا أقول في عيسى غير هذا أبداً ، وما أطاع الله الناس في حين رد على ملكى فاطع الناس في دين الله . معاذ الله من ذلك . وقال يونس عن ابن اسحاق ^(١) [فأرسل اليهم النجاشى فجمعهم ولم يكن شئ ابغض لعمر بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة من أن يسمع كلامهم . فلما جاءهم رسول النجاشى اجتمع القوم فقالوا ماذا تقولون ؟ فقالوا وماذا نقول ، نقول والله ما نعرف . وما نحن عليه من أمر ديننا ، وما جاء به نبينا ﷺ كائن من ذلك ما كان ، فلما دخلوا عليه كان الذى يكلمه منهم جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه . فقال له النجاشى : ما هذا الدين الذى أنتم عليه ؟ فارقتم دين قومكم ولم تدخلوا في يهودية ، ولا نصرانية . فقال له جعفر : أيها الملك كنا قوماً على الشرك نعبد الاوثان ونأكل الميتة ونسى الجوارى يستحل المحارم بعضنا من

(١) ما بين المربعين زيادة من النسخة المصرية .

بعض في سفك الدماء وغيرها ، لا تحل شيئاً ولا نجس . فبعث الله اليها نبياً من أنفسنا فاعرف وفاءه وصداقه وامانتة فدعانا الى أن نعبد الله وحده لا شريك له ونصل الارحام ونحصى الجوار ونصلي لله عز وجل ، ونصوم له ، ولا نعبد غيره .

وقال زياد عن ابن اسحق : فدعانا الى الله لنوحده ونعبد ونصلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان ، وأمرنا بصديق الحديث وأداء الامانة وصلة الارحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . قال - فدعوا عليه أمور الاسلام - فصداقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله ، فعبدنا الله وحده لا شريك له ولم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا واحلنا ما أحل لنا ، فدعا علينا قومنا فمذبوننا ليفتنونا عن ديننا ويردونا الى عبادة الاوثان من عبادة الله : وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك . قالت فقال النجاشي : هل معك شيء مما جاء به ؟ وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله . فقال له جعفر ! نعم : قال هلم فأتل علي مما جاء به ، فقرأ عليه صدراً من كيعص فبكى والله النجاشي حتى أخضت لحيته وبكت أساقفته حتى أخضوا مصاحفهم . ثم قال : إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى ، انطلقوا راشدين لا والله لا أردم عليكم ولا أنعمكم عينا . فخرجنا من عنده وكان أبى الرجلين فينا عبد الله بن ربيعة . فقال عمرو بن العاص : والله لا آتينه غداً بما استأصل به خضراءهم ، ولا أخبرنه أنهم يزعمون أن إله الذي يعبد عيسى بن مريم عبد . فقال له عبد الله بن أبي ربيعة : لا تفعل فانهم وإن كانوا خالفونا فإن لهم رحماً ولهم حقاً . فقال : والله لأفعلن ! فلما كان الغد دخل عليه فقال : أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً ، فأرسل اليهم فسلمهم عنه . فبعث الله اليهم ولم ينزل بنا مثلاً ، فقال بعضهم لبعض ماذا تقولون له في عيسى ان هو يسألكم عنه ؟ فقالوا : نقول والله الذي قاله الله فيه ، والذي أمرنا نبينا ان نقوله فيه فدخلوا عليه وعنده بطارقته فقال ما تقولون في عيسى بن مريم ؟ فقال له جعفر : نقول هو عبد الله ورسوله وروحه وكلته القاها الى مريم العذراء البتول . فدلى النجاشي يده الى الارض فأخذ عوداً بين أصبعيه فقال : ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العويد . فتناخرت بطارقه . فقال : وإن تناخرتم والله ! اذهبوا فانتم سيوم في الارض - السيوم الآمنون في الارض ، من سبكم غرم ، من سبكم غرم ، من سبكم غرم ، ثلاثاً ما أحب أن لي دبراً وإني آذيت رجلاً منكم - والدبر بلسانهم الذهب . وقال زياد عن ابن اسحاق ما أحب أن لي دبراً من ذهب . قال

ابن هشام : ويقال زبرا وهو الجبل بلغتهم . ثم قال النجاشي : فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي ، ولا أطاع الناس في فاطم بن النجاشي فيه . ردوا عليهما هداياهم فلا حاجة لي بها . واخرجنا من بلادنا نخرجنا مقبوحين مردودا عليهما ما جاء به . قالت : فاقنا مع خير جار في خير دار ، فلم نشب أن خرج عليه رجل من الحبشة يئازعه في ملكه ، فوالله ما علمنا حزنا حزنا قط هو أشد منه ، فرقا من أن يظهر ذلك الملك عليه فيأتي ملك لا يعرف من حقنا ما كان يعرفه ، فجعلنا ندعوا الله ونستنصره للنجاشي نخرج اليه سائرا فقال أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم لبعض : من يخرج فيمضى الواقعة حتى ينظر على من تكون ؟ وقال الزبير - وكان من أحسنهم سنا - أنا ، فنفضوا له قربة فجعلها في صدره ، فجعل يسبح عليها في النيل حتى خرج من شقه الآخر إلى حيث التقى الناس ، فحضر الواقعة فهزم الله ذلك الملك وقتله ، وظهر النجاشي عليه . فجاءنا الزبير فجعل يلبس لنا بردائه ويقول ألا نابشروا ، فقد أظهر الله النجاشي . قلت : فوالله ما علمنا [أننا] فرحنا بشيء قط فرحنا بظهور النجاشي ثم اقنا عنده حتى خرج من خرج منا إلى مكة ، وأقام من أقام .

قال الزهري : حدثت هذا الحديث عروة بن الزبير عن أم سلمة . فقال عروة : أتدري ما قوله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فأخذ الرشوة فيه ، ولا أطاع الناس في فاطم بن النجاشي فيه ؟ فقلت لا ! ما حدثني ذلك أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة . فقال عروة : فان عائشة حدثني أن أباه كان ملك قومه ، وكان له أخ له من صلبه اثنا عشر رجلا ولم يكن لاب النجاشي ولد غير النجاشي فادارت الحبشة رأيها بينها فقالوا : لو أنا قتلنا أبا النجاشي وملكنا أخاه فان له اثنا عشر رجلا من صلبه فتوارثوا الملك ، لبقيت الحبشة عليهم دهورا طويلا لا يكون بينهم اختلاف ، فعدوا عليه فقتلوه وملكوا أخاه . فدخل النجاشي بعمره حتى غلب عليه فلا يدبر أمره غيره ، وكان لبيبا حازما من الرجال ، فلما رأت الحبشة مكانه من عمره قالوا قد غلب هذا الغلام على أمر عمره فما نأمن أن يملك علينا وقد عرف أننا قتلنا أباه ، فلئن فعل لم يدع منا شريفاً الا قتله ، فكلهمود فيه فليقتله أو ليخرجنه من بلادنا ، فمشوا إلى عمره فقالوا : قد رأينا مكان هذا الفتى منك ، وقد عرفت أننا قتلنا أباه وجعلنا مكانه وانا لا نأمن أن يملك علينا فيقتلنا ، فأما ان تقتله ، وأما أن تخرجه من بلادنا . قال : ويحكم قتلتم أباه بالأمس واقتله اليوم . بل اخرجته من بلادكم . فخرجوا به فوقوه في السوق وباعوه من تاجر من التجار فدفه في سفينة بمائة درهم أو بستمائة فانطلق به فلما كان العشي هاجت سحابة من سحاب الخريف فخرج عمره يتمطر تحتها فاصابه ساعة فقتلته ففرعوا إلى ولده فاذا هم محتمون ليس في أحد منهم خير فخرج على الحبشة أمرهم . فقال بعضهم لبعض : تعلمون والله ان ملككم الذي لا يصلح أمركم غيره للذي بعتم الغداة ، فان كان لكم بأمر الحبشة

حاجة فادر كوه قبل أن يذهب ، فخرجوا في طلبه فادر كوه فردوه فمقدوا عليه تاجه واجلسوه على سريره وملكوه ، فقال التاجر : ردوا على مالي كما أخذتم مني غلامي ، فقالوا : لا نعطيكم . فقال : اذا والله لا كلنه ، فمضى اليه فمكاهه فقال أيها الملك اني ابتعت غلاماً فقبض مني الذي باعوه منه ، ثم عدوا على غلامي فترعوه من يدي ولم يردوا على مالي ، فكان أول ماخبر به من سلاطة حكمه وعنده ان قال : لتردن عليه ماله ، أو لتجعلن يده غلامه في يده فليذهبن به حيث شاء . فقالوا : بل نعطيده ماله فاعطوه إياه ، فلذلك يقول : ما أخذ الله مني الرشوة فأخذ الرشوة حين رد على ملكي ، وما أطلع الناس في قاطيع الناس فيه .

وقال موسى بن عقبة : كان أبو النجاشي ملك الحبشة ، فمات والنجاشي غلام صغير فلوصى الى أخيه أن اليك ملك قومك حتى يبلغ ابني ، فاذا بلغ فله الملك فرغب أخوه في الملك فباع النجاشي من بعض التجار فمات عنه من ليلته وقضى ، فردت الحبشة النجاشي حتى وضعوا التاج على رأسه هكذا ذكره مختصراً وسياق ابن اسحق أحسن وأبسط فالله أعلم . والذي وقع في سياق ابن اسحاق انما هو ذكر عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ، والذي ذكره موسى بن عقبة والاموي وغير واحد انهما عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بن المغيرة وهو أحد السبعة الذين دعا عليهم رسول الله ﷺ حين قضا حكوام يوم وضع سلا الجزور على ظهره ﷺ وهو ساجد عند السكبة . وهكذا تقدم في حديث ابن مسعود وأبي موسى الاشعري . والمتقصد انهما حين خرجا من مكة كانت زوجة عمرو معه وعمارة كان شاباً حسناً فاصطحبا في السفينة وكان عمارة طمع في امرأة عمرو ابن العاص ، فألقى عمرراً في البحر ليهلكه فسبح حتى رجع اليها . فقال له عمارة : لو أعلم أنك تحسن السباحة لما ألقيتك ، فحقد عمرو وعليه فمالم يقض لهما حاجة في المهاجرين من النجاشي ، وكان عمارة قد توصل إلى بعض أهل النجاشي فوشى به عمرو فأمر به النجاشي فسمحر حتى ذهب عقله وساح في البرية مع الوحوش . — وقد ذكر الاموي — قصة مطولة جداً وأنه عاش إلى زمن أمانة عمرو بن الخطاب ، وأنه تقصده بعض الصحابة ومسكه فجعل يقول أرسلني أرسلني والامت فلما لم ير سده مات من ساعته فالله أعلم . وقد قيل أن قريشاً بعثت إلى النجاشي في أمر المهاجرين مرتين الاول مع عمرو بن العاص وعمارة والثانية مع عمرو ، وعبد الله بن أبي ربيعة . نص عليه أبو نعيم في الدلائل والله أعلم . وقد قيل : إن البعثة الثانية كانت بعد وقعة بدر قاله الزهري ، لينالوا ممن هناك ثاراً فلم يجيبهم النجاشي رضى الله عنه وأرضاه إلى شيء مما سألوا فله أعلم .

وقد ذكر زياد عن ابن اسحاق : أن أبا طالب لما رأى ذلك من صنيع قريش كتب إلى النجاشي أبيتا يحضه فيها على العدل وعلى الاحسان إلى من نزل عنده من قومه :

ألا ليت شعري كيف في النأي جعفر وعمر و أعداء العدو الاقارب
وما نالت أفعال النجاشي جعفراً وأصحابه أو عاق ذلك شاغب
نعلم آيت اللعن أنك ماجد كريم فلا يشقى اليك المجانب
ونعلم بأن الله زادك بسطة وأسباب خير كلها بك لازب

وقال يونس عن ابن اسحاق : حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير . قال : إنما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والمشهور أن جعفراً هو المترجم رضي الله عنهم . وقال زياد البكائي عن ابن اسحاق : حدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها . قالت لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور ، ورواه أبو داود عن محمد بن عمرو الرازي عن سامة بن الفضل عن محمد بن اسحاق به لما مات النجاشي رضي الله عنه كنا نتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور . وقال زياد عن محمد بن اسحاق : حدثني جعفر بن محمد عن أبيه . قال اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي : إنك فارقت ديننا وخرجوا عليه ، فإرسل إلى جعفر وأصحابه فيها لهم سفناً . وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم ، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم وإن ظفرت فاثبتوا . ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه هو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلته ألقاها إلى مريم ثم جعله في قبائه عند المنكب الايمن وخرج إلى الحبشة وصفوا له . فقال : يا معشر الحبشة الست أحق الناس بكم ؟ قالوا : بلى . قال : فكيف أنتم بسيرتي فيكم ؟ قالوا خير سيرة . قال : فما بكم ؟ قالوا فارقت ديننا ، وزعمت أن عيسى عبده ورسوله . قال : فما تقولون أنتم في عيسى ؟ قالوا : نقول هو ابن الله . فقال النجاشي - ووضع يده على صدره على قبائه - : وهو يشهد أن عيسى بن مريم لم يزد على هذا ، وإنما يعني على ما كتب ، ففرضوا وأنصرفوا . فبلغ رسول الله ﷺ فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له . وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات . وقال البخاري : موت النجاشي حدثنا أبو الربيع حدثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن جابر . قال قال رسول الله ﷺ - حين مات النجاشي - مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة . وروى ذلك من حديث أنس بن مالك وابن مسعود وغير واحد وفي بعض الروايات تسميته أصحمة ، وفي رواية مصحمة وهو أصحمة بن بجر^(١) وكان عبداً صالحاً لبيبا زكياً وكان عادلاً عالماً رضي الله عنه وأرضاه . وقال يونس عن ابن اسحاق اسم النجاشي مصحمة وفي نسخة صححها البيهقي أصحمة وهو بالعربية عطية

قال وإنما النجاشي اسم الملك : كقولك كسرى ، هرقلي .
قلت : كذا ولعل يدريد به قيصر فإنه علم لكل من ملك الشام مع الجزيرة من بلاد الروم ،
وكسرى علم على من ملك الفرس ، وفرعون علم لمن ملك مصر كافة ، والمقوقس لمن ملك الاسكندرية
وتبع لمن ملك اليمن والشحر ، والنجاشي لمن ملك الحبشة وبطليموس لمن ملك اليونان وقيل الهند
وخاقان لمن ملك الترك . وقال بعض العلماء إنما صلى عليه لأنه كان يكرم إيمانه من قومه فلم يكن عنده
يوم مات من يصل عليه فلماذا صلى عليه ﷺ . قالوا : فالغايب إن كان قد صلى عليه ببلده لا
تشرع الصلاة عليه ببلد أخرى ؟ ولهذا لم يصل النبي ﷺ في غير المدينة ، لا أهل مكة ولا غيرهم
وهكذا أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة لم ينقل أنه صلى على أحد منهم في غير البلدة التي
صلى عليه فيها فإله أعلم .

قلت : وشهود أبي هريرة رضي الله عنه الصلاة على النجاشي ، دليل على أنه إنما مات بعد فتح
خير^(١) التي قدم بقية المهاجرين إلى الحبشة مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يوم فتح خير
ولهذا روى أن النبي ﷺ قال « والله ما أدرى بأيهما أنا أسير بفتح خير أم بقوم جعفر بن أبي
طالب » وقدموا معهم بهدايا وتحف من عند النجاشي رضي الله عنه إلى النبي ﷺ وصحبته أهل
السفينة اليمنية أصحاب أبي موسى الأشعري وقومه من الأشعريين رضي الله عنهم ، ومع جعفر وهدايا
النجاشي ابن أخي النجاشي ذونخرا أو ذونخمرأ أرسله ليعلم النبي ﷺ عوضا عن عمه رضي الله
عنهما وأرضاهما . وقال السهيلي : توفي النجاشي في رجب سنة تسع من الهجرة وفي هذا نظر والله
أعلم . وقال البيهقي أنبأنا الفقيه أبو اسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطوسي حدثنا أبو العباس محمد
ابن يعقوب حدثنا هلال بن العلاء أنق حدثنا أبي العلاء بن مدرك حدثنا أبو هلال بن العلاء عن
أبيه عن أبي غالب عن أبي أمامة . قال قدم وفد النجاشي على رسول الله ﷺ فقام يخدمهم ، فقال
أصحابه : نحن نكفيك يا رسول الله . فقال : « انهم كانوا لأصحابي مكرمين وإني أحب أن
أكفيهم » . ثم قال وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الاصبهاني أنبأنا أبو سعيد بن الاعرابي
حدثنا هلال بن العلاء حدثنا أبي حدثنا طلحة بن زيد عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن
أبي سامة عن أبي قتادة . قال : قدم وفد النجاشي على رسول الله ﷺ فقام رسول الله ﷺ يخدمهم
فقال أصحابه : نحن نكفيك يا رسول الله . فقال : « انهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإني أحب أن
أكفيهم » . ففرد به طلحة بن زيد عن الاوزاعي . وقال البيهقي حدثنا أبو الحسين بن بشران
حدثنا أبو عمرو بن السالك حدثنا حنبل بن اسحاق حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو .
(١) كذا في الاصلين . ولعل العبارة (في السنة التي الخ) .

قال : لما قدم عمرو بن العاص من أرض الحبشة جلس في بيته فلم يخرج اليهم ، فقالوا : ما شأنه ماله لا يخرج ؟ فقال عمرو ان اصحمة يزعم ان صاحبكم نبي .

قال ابن اسحاق : ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله ﷺ ، وردهم النجاشي بما يكرهون ، وأسلم عمر بن الخطاب وكان رجلا ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله ﷺ وبجزة حتى غاطوا قريشا فكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه . قلت : وثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه قال : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب وقال زياد البكائي حدثني مسعر بن كدام عن سعد بن ابراهيم . قال قال ابن مسعود : إن اسلام عمر كان فتحا ، وإن هجرته كانت نصرا ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه .

قال ابن اسحاق : وكان اسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة . حدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبيد الله بن عياش بن أبي ربيعة عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه أم عبيد الله بنت أبي حشة قالت : والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا ، إذ أقبل عمر فوقف على وهو على شركه ، فقالت وكنا نلقي منه أذى لنا وشدة علينا قالت فقال إنه الانطلاق يا أم عبد الله ، قلت نعم والله لنخرجن في أرض من أرض الله إذ آذيتونا وقهرتمونا ؟ حتى يجعل الله لنا مخرجا . قالت فقتل أصحابكم الله ورأيت له رقة لم أكن أراها ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا قالت فجاء عامر بحاجتنا تلك فقلت له يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا قال : أطمعت في اسلامه قالت قلت نعم قال لا يسلم الذي رأيت حتى يسلم همار الخطاب ، قالت ياسأما منه لما كان يرى من غلظته وقسوته على الاسلام . قلت : هذا يرد قول من زعم أنه كان تمام الاربعين من المسلمين فان المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين ، اللهم إلا أن يقال إنه كان تمام الاربعين بعد خروج المهاجرين ويؤيد هذا ما ذكره ابن اسحاق ههنا في قصة اسلام عمر وحده رضى الله عنه . وسياقها فانه قال : وكان اسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كانت قد أسلمت واسلم زوجها سعيد بن زيد وهم مستخفون باسلامهم من عمر ، وكان نعيم بن عبد الله النخعي رجل من بني عدى قد أسلم أيضا مستخفيا باسلامه من قومه ، وكان خباب بن الارت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطا من أصحابه

فدكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين من بين رجال ونساء ومع رسول الله ﷺ معه حمزة وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهم ، في رجال من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة . فلقبه نعيم بن عبد الله فقال أين تريد يا عمر ؟ قال أريد محمداً هذا الصابي الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فاقته . فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك يا عمر ، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً ؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم قال : وأى أهل بيتي ، قال خنتك وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة فقد والله أساماً وتابها محمداً ﷺ على دينه ، فعليك بهما فرجع عمر عائداً إلى أخته فاطمة وعندها خباب بن الارت معه صحيفة فيها طه يقرئها إياها فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم ... أو في بعض البيت - وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذهما وقد سمع عمر حين دنا إلى الباب قراءة خباب عليها : فلما دخل قال ما هذه الهيمنة التي سمعت ؟ قالوا له ما سمعت شيئاً . قال بلى والله لقد أخبرت أنسك ما تبعنا محمداً على دينه وبطش بخنثه سعيد بن زيد . فقالت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتسكفه عن زوجها فضرها فشجها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وخنثه نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك ، فلما رأى عمر ما باخته من الدم نسيم على ما صنع وأرعوى ، وقال لا خنثه أعطيني هذه الصحيفة التي كنتم تقرؤن أنفاً أنظر ما هذا الذي جاء به محمداً ؟ وكان عمر كاتباً فلما قال ذلك قالت له أخته إنا نخشاك عليها ، قال لا تخافي وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها اليها ، فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت يا أخي انك نجس على شركك ، وإنه لا يمسه إلا المطهرون فقام عمر فاغتسل فاعطته الصحيفة وفيها طه فقرأها فلما قرأ منها صدراً . قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه . فلما سمع ذلك خباب بن الارت خرج إليه فقال له : والله يا عمر إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ﷺ ، فإني سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام - أو بممر بن الخطاب - فإله الله يا عمر فقال عند ذلك : فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فاسلم . فقال له خباب : هو في بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه ، فاخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب فإذا هو بممر متوشح بالسيف فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فرع فقال : يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشح بالسيف ، فقال حمزة فاذن له فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه . فقال رسول الله ﷺ « ايذن له » فاذن له الرجل ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة فاخذ بحجزته أو بمجمع رداءه ثم جذبه جذبة شديدة

فقال ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك فارعة، فقال عمر يا رسول الله جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله. قال فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة فمرف أهل البيت أن عمر قد أسلم، فنفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع اسلام حمزة وعاهوا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ، ويلتصفون بهما من عدوهم. قال ابن اسحاق فهذا حديث الزواة من أهل المدينة عن اسلام عمر حين أسلم رضى الله عنه.

قال ابن اسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح المكي عن أصحابه عطاء وبجاهد وعن روى ذلك: أن اسلام عمر فيما تحدثوا به عنه أنه كان يقول كنت للاسلام مباعدًا وكنت صاحب خمر في الجاهلية أحبها وأشربها، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالخزيرة فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك فلم أجده فيه منهم أحداً فقلت لو أني جئت فلانا لافار لعلني أجده عنده خمرًا فاشرب منها، فخرجت فجمته فلم أجده قال فقلت لو أني جئت الكعبة فطفت سبها أو سبعين، قال فجمت المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي، وكان إذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام وكان مصلاه بين الركنين الأسود والبنائي، قال فقلت حين رأيته والله لو أني استمعت لحمد الميمنة حتى اسمع ما يقول فقلت لئن دنوت منه لاستمع منه لأروعه. فجمت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها فجمت أمشي رويدا ورسول الله ﷺ قائم يصلي يقرأ القرآن، حتى قمت في قبلته مستقبلة ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة. قال: فلما سمعت القرآن رقي له قلبي وبكيت ودخلني الاسلام، فلم أزل في مكاني قائما حتى قضى رسول الله ﷺ مسلاته ثم انصرف وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين - وكان مسكنه في الدار الرقطاء التي كانت بيد معاوية - . قال عمر: فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزهر أدركته. فلما سمع حسي عرفني فظن أني انما اتبعته لا وذي، ففهمني^(١) ثم قال ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة؟ قال قلت جئت لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله. قال فحمد الله رسول الله ﷺ ثم قال: «قد هداك الله يا عمر» ثم مسح صدرى ودعاني بالثبات ثم انصرفت ودخل رسول الله ﷺ بيته. قال ابن اسحاق فوالله أعلم أي ذلك كان. قلت: وقد استقصيت كيفية اسلام عمر رضى الله عنه وما ورد في ذلك من الأحاديث والآثار مطولا في أول سيرته التي أفردتها على حدة والله الحمد والمنة.

قال ابن اسحاق وحدثني نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر. قال: لما أسلم عمر قال: أي قريش انتقل للحديث؟ فقيل له جميل بن معمر الجعفي فقدا عليه، قال عبد الله وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل - وأنا غلام أعقل كلما رأيت - حتى جاءه قتال له: اعلمت يا جميل اني أسلمت ودخلت في دين

(١) التهم: الزجر والنهم زجر الاسد. حكاه السهيلي.

محمد ﷺ؟ قال فوالله ما راجعه حتى قام يحجر رداءه واتبعه عمر وابنته أفا حتى قام على باب المسجد صرخ بأعلا صوته يا معشر قريش - وهم في انديتهم حول الكعبة - ألا إن ابن الخطاب قد صبا . قال يقول عمر من خلفه كذب ولكفى قد اسامت وشهدت أن لا إله إلا الله وإن محمداً رسول الله وثاروا اليه فما برح يقاتلهم ويقاثلونه حتى قامت الشمس على رؤسهم . قال وطلح (١) فقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم فاحلف بالله ان لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا . قال فيئداهم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم فقال ما شأنكم؟ فقالوا صبا عمر ، قال فله؟ رجل اختار لنفسه امرأً فإذا تريدون؟ أترون بنى عدى يسمون لكم صاحبهم هكذا؟ خالوا عن الرجل . قال فوالله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه . قال فقلت لأبي بعد أن هاجر الى المدينة يا ابة من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم اسامت وهم يقاتلونك؟ قال : ذاك أى بنى العاص بن وائل السهمي ، وهذا اسناد جيد قوى ، وهو يدل على تأخر اسلام عمر لأن ابن عمر عرض يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة وكانت احد في سنة ثلاث من الهجرة وقد كان ميّزا يوم أسلم أبوه ، فيكون اسلامه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين ، وذلك بعد البعثة بنحو تسع سنين والله أعلم .

وقال البيهقي : حدثنا الخاكم أخبرنا الأصم أخبرنا احمد بن عبد الجبار حدثنا يونس عن ابن اسحاق . قال ثم قدم على رسول الله ﷺ عشرون رجلا وهو بمكة . أو قريب من ذلك . من النصارى حين ظهر خبره من أرض الحبشة فوجده في المجلس ، فكلموه وسألوه ورجال من قريش في انديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مساءلتهم رسول الله ﷺ عما أرادوا ، دعاهم رسول الله ﷺ الى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن . فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره ، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقال : خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن بحالكم عنده حتى فارقم دينكم وصدقتموه بما قال لكم ، ما نعلم ركبا أحق منكم - أو كما قال - قالوا لهم : لا نجاهلكم سلام عليكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا نألون أنفسنا خيرا . فيقال إن النفر من نصارى نجران ، والله أعلم أى ذلك كان . ويقال والله أعلم أن فيهم نزلت هذه الآيات : (الذين آتيناكم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ، أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ، وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) .

(١) وطلح : أى أعنى كذا في النهاية في تفسيره هذا الخبر .

فصل

قال البيهقي في الدلائل : باب ما جاء في كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي ، ثم روى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن ابن إسحاق . قال : هذا كتاب من رسول الله ﷺ إلى النجاشي ^(١) الأصم عظيم الحبشة ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله فإني أنا رسوله فاسلم تسلم (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا أشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا باننا مسلمون) فإن أبيت فمليك إثم النصارى من قومك .

هكذا ذكره البيهقي بعد قصة هجرة الحبشة وفي ذكره ههنا نظر ، فإن الظاهر أن هذا الكتاب إنما هو إلى النجاشي الذي كان بعد المسلم صاحب جعفر وأصحابه ، وذلك حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله عز وجل قبيل الفتح كما كتب إلى هرقل عظيم الروم قيصر الشام ، وإلى كسرى ملك الفرس ، وإلى صاحب مصر ، وإلى النجاشي . قال الزهري : كانت كتب النبي ﷺ إليهم واحدة ، يعني نسخة واحدة ، وكلها فيها هذه الآية وهي من سورة آل عمران ، وهي مدنية بلا خلاف فإنه من صدر السورة ، وقد نزل ثلاث وثمانون آية من أولها في وفد نجران كما قرنا ذلك في التفسير والله الحمد والمنة . فهذا الكتاب إلى انثاني لا إلى الأول ، وقواه فيه إلى النجاشي الأصم لعل الأصم مقحم من الراوى بحسب ما فهم والله أعلم .

وأنسب من هذا ههنا ما ذكره البيهقي أيضاً عن الحاكم عن أبي الحسن محمد بن عبد الله الفقيه - يرو - حدثنا حماد بن أحمد حدثنا محمد بن حميد حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق . قال : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه وكتب معه كتاباً : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصم ملك الحبشة ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى روح الله وكتبه القاهها إلى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحسنة ، فحملت بعيسى نخلقه من روحه ونفخته كما خلق آدم بيده ونفخته ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاتة على طاعته وأن تتبعني فتؤمن بي وبالذي جاءني فإني رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمي جعفراً ومعه نفر من المسلمين ، فإذا جاؤوك فاقمهم ودع النجاشي فإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ، وقد بلغت وانصحت فاقبلوا نصيحتي ،

(١) في المصرية : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله إلى الخ وقوله الأصم كذا في الأصلين وتقدم في ص ٧٧ أنه أصحمة .

والسلام على من اتبع الهدى . فسكتب النجاشي إلى رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصم بن أبجر سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى ، فو رب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقرينا ابن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادقاً ومصدقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك واسلمت على يديه لله رب العالمين ، وقد بعثت إليك يا نبي الله بارحمنا من الأصم بن أبجر فإني لا أملك إلا نفسي وإن شئت أن آتيك فملت يا رسول الله ، فإني أشهد أن ما تقول حق .

﴿ فصل ﴾

في ذكر مخالفة قبائل قريش بنى هاشم وبنى عبد المطلب في نصر رسول الله ﷺ ومخالفتهم فيما بينهم عليهم ، على أن لا يبايعوهم ولا يناكحوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ ، وحصرهم إياهم في شعب أبي طالب مدة طويلة ، وكتابتهم بذلك صحيفة ظالمة فاجرة ، وما ظهر في ذلك كله من آيات النبوة ودلائل الصدق .

قال موسى بن عقبة عن الزهري : ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد ، واشتد عليهم البلاء ، وجمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله ﷺ علانية . فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بنى عبد المطلب وأمرهم أن يسلخوا رسول الله ﷺ عنهم ، وأمرهم أن يمنعوه ممن أرادوا قتله . فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم ، فمنهم من فعله حمية ، ومنهم من فعله إيماناً ويقيناً . فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله ﷺ ، وأجمعوا على ذلك اجتمع المشركون من قريش فاجمعوا أمرهم أن لا يجالسوه ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل ، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهوداً وهوائيق لا يقبلوا من بنى هاشم صاحباً أبداً ولا يأخذهم بهم رافة حتى يسلموه للقتل . فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين ، واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الأسواق فلا يتركوا لهم طعاماً يقدم مكة ولا بيعاً إلا بادروهم إليه فاشتروه يريدون بذلك أن يتركوا سفك دم رسول الله ﷺ ، فكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله ﷺ فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد به مكرأً واغتيالاً له ، فإذا نام الناس أمر أحد بنيهم أو أخوته أو بنى عمه فاضطجعوا على فراش رسول الله ﷺ وأمر رسول الله ﷺ أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه ، فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بنى عبد مناف ومن قصي ورجال من سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بنى هاشم ، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا

بالحق ، واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من النذر والبراءة منه ، وبعث الله على صحيفتهم الأرضة فاحسنت كما كان فيها من عهد وميثاق . ويقال كانت معلقة في سقف البيت فلم تترك أسما لله فيها إلا لحسته ، وبقي ما كان فيها من شرك وظلم وقطيعة رحم ، وأطلع الله عز وجل رسوله على الذي صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله ﷺ لابي طالب . فقال أبو طالب : لا والثواقب ما كذبني فاطلق يمشي بهصابته من بني عبد المطلب حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش ، فلما رأوهم عامدين لجماعتهم أنسكروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء فاتوهم ليعطوهم رسول الله ﷺ . فتسكلم أبو طالب فقال قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم ، فاتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها فله أن يكون بيننا وبينكم صلح ، وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها . فاتوا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكون أن رسول الله ﷺ مدفوعا إليهم فوضعوها بينهم . وقالوا : قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم فأنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطراً لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم . فقالوا أبو طالب : إنما أتيتكم لأعطيك أمراً لكم فيه نصف ، إن ابن أخي أخبرني - ولم يكذبني - إن الله برئ من هذه الصحيفة التي في أيديكم ومحاكل اسم هوله فيها وترك فيها غسدركم وقطيعةكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم . فان كان الحديث الذي قال ابن أخي كما قال فافيقوا فوالله لا نساها أبداً حتى يموت من عندنا آخرنا ، وإن كان الذي قال باطلا دفعناه اليكم فقتلتموه أو استحييتم . قالوا : قد رضينا بالذي تقول ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدق ﷺ قد أخبر خبرها ، فلما رأها قريش كالذي قال أبو طالب قالوا والله إن كان هذا قط الاسحر من صاحبكم فارتكسوا وعادوا بشر ما كانوا عليه من كفرهم ، والشدة على رسول الله ﷺ والقيام على رهطه بما تعاهدوا عليه . فقال أولئك النفر من بني عبد المطلب : إن أولى بالكذب والسحر غيرنا فكيف ترون فانا نعم إن الذي اجتمعتم عليه من قطيعةنا أقرب إلى الجبت والسحر من أمرنا ، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهي في أيديكم طمس ما كان فيها من اسمه وما كان فيها من بغي تركه أفنحن السحرة أم أنتم ؟ فقال عند ذلك النفر من بني عبد مناف وبني قصي ورجال من قريش ولدتهم نساء من بني هاشم منهم أبو البختري والمطعم بن عدى وزهير بن أبي أمية بن المغيرة وزمعة بن الاسود وهشام بن عمرو وكانت الصحيفة عنده وهو من بني عامر بن لؤي - في رجال من اشرافهم ووجوههم : نحن براء مما في هذه الصحيفة . فقال أبو جهل لعنه الله : هذا أمر قضى بليل وأنشأ أبو طالب يقول الشعر في شأن صحيفتهم ويمدح النفر الذين تبرؤا منها ونقضوا ما كان فيها من عهد ويمدح النجاشي .

قال البيهقي : وهكذا روى شيخنا أبو عبد الله الحافظ - يعني من طريق ابن أبي طيبة عن أبي

الاسود عن عروة بن الزبير - يثني كسيليقي موسى بن عقبة رجه الله - وقد تقدم عن موسى بن عقبة أنه قال : إنما كانت هجرة الغنبة بعد دخولهم إلى الشعب عن أمر رسول الله ﷺ لهم في ذلك والله أعلم .

قلت : والاشبه أن أبا طالب إنما قال قصيدته اللامية التي قدمنا ذكرها بعد دخولهم الشعب أيضا فذكرها ههنا أنسب والله أعلم . ثم روى البيهقي من طريق يونس عن محمد بن اسحاق . قال : لما مضى رسول الله ﷺ على الذي بعث به وقامت بنو هاشم وبنو المطلب دونه ، وأبوا أن يسلموه وهم من خلافه على مثل ما قومه عليهم إلا أنهم اتفقوا أن يستدلوا ويسألوا أخاهم لما قارفه من قومه . فلما فعلت ذلك بنو هاشم وبنو المطلب وعرفت قريش أن لا سبيل إلى محمد ، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بني هاشم وبني عبد المطلب أن لا يناكحهم ولا يشكحوا اليهم ولا يبايعوهم ولا يبتاعوا منهم وكتبوا صحيفة في ذلك وعلقوها بالكعبة ، ثم عدوا على من أسلم فاقومهم وأكروهم واشتد عليهم البلاء وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزالا شديداً ثم ذكر القصة بطولها في دخولهم شعب أبي طالب وما بلغوا فيه من فتنة الجهد الشديد حتى كان يسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع حتى كره عامة قريش ما أصابهم وأظلموا كراهيتهم لصحيفتهم الظالمة ، وذكروا أن الله برحمته أرسل على صحيفة قريش الأرض فلم تدع فيها لها هولاً إلا أكتته وبقى فيها الظالم والقطيعه والبهتان فآخبر الله تعالى بذلك رسول الله ﷺ فآخبر بذلك عمه أبو طالب ، ثم ذكر بقية القصة كرواية موسى بن عقبة وأتم .

وقال ابن هشام عن زياد عن محمد بن اسحاق : فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا منه اماناً وقراراً ، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم فكان هو وجمعة مع رسول الله ﷺ وأصحابه ، وجعل الاسلام يفسد في القبائل فاجتمعوا وأثتمروا على أن يكتبوا كتاباً يمتنعون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب على أن لا يشكحوا اليهم ولا يناكحهم ولا يبايعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة ثم تعاهدوا وتوافقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم ، وكان كاتب الصحيفة منصور ابن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي . قال ابن هشام : ويقال النضر ابن الحارث ، فدعا عليه رسول الله ﷺ فسل بعض أصحابه . وقال الواقدي : كان الذي كتب الصحيفة طلحة بن أبي طلحة العبدوي .

قلت : والمشهور أنه منصور بن عكرمة كما ذكره ابن اسحاق ، وهو الذي شلت يده فما كان يفتفع بها وكانت قريش تقول بيتها : أنظروا إلى منصور بن عكرمة . قال الواقدي : وكانت الصحيفة

معلقة في جوف الكعبة . قال ابن اسحاق : فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا اليه ، وخرج من بني هاشم أبو لهب وعبد العزى بن عبد المطلب إلى قريش فظاھروهم . وحدثني حسين بن عبد الله : أن أبا لهب لقي هند بنت عتبة ابن ربيعة حين فارق قومه وظاھر عليهم قريشا . فقال : يا ابنة عتبة هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقها وظاھر عليها ؟ قالت : نعم ! تجزأك الله خيرا يا أبا عتبة .

قال ابن اسحاق : وحدثت أنه كان يقول - في بعض ما يقول - يمدني محمد أشياء لا أراها يزعم أنها كائنة بعد الموت ، فإذا وضع في يدي بعد ذلك ، ثم ينزع في يديه فيقول تبالسكا لا أرى فيكما شيئا مما يقول محمد . فانزل الله تعالى (تبت يدا أبي لهب وتب) . قال ابن اسحاق : فلما اجتمعت على ذلك قريش وصنعوا فيه الذي صنعوا قال أبو طالب :

ألا أبلغنا عنى على ذات بيننا	لؤيا وخصا من لؤي بنى كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا	نبيا كومي خط في أول السكب
وأن عليه في العباد محبة	ولا خير ممن خصه الله بالحب (١)
وأن الذي الصقتموا من كتابكم	لكم كائن نحسا كراغية السكب
أفريقوا أفريقوا قبل أن يحفر الثرى	ويصبح من لم يحن ذنبا كنى الذنب
ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا	أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حربا عوانا وربما	أمر على من ذاقه حلب الحرب
فلسنا ورب البيت نسلم أحدا	أمرأ من عض الزمان ولا كرب
ولما تبين منا ومنكم سوائف	وأيد أثرت بالتقاسية الشهب
بمعترك ضيق ترى كسر القنا	به والنسور الطخم يمكن كالشرب
كأن ضحال الخيل في حجراته	وهمة الإبطال معركة الحرب
أليس أبونا هاشم شد أزرد	وأوصى بفيه باللعان وبالغرب
ولسنا نمل الحرب حتى نملنا	ولا نشكي ما قد ينوب من النكب
ولكننا أهل الحفاظ والنهي	إذا طار أرواح السكا من الرعب

قال ابن اسحاق : فاقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا ولم يصل اليهم شيء الا سرا مسخفيا به من أراد صلتهم من قريش ، وقد كان أبو جهل بن هشام - فيما يدكرون - لقي حكيم بن

(١) قال السهيلي قوله : ولا خير البيت . هو مشكل جدا . وأشبه ما يقال في البيت أن خير مخفف من خير كهين وميت . وقوله ممن من متعلقة بمحذوف كأنه قال لا خير أخير ممن خصه الله الخ .

حزام بن خويلد بن أسد معه غلام يحمل قمحا يريد به عنته خديجة بنت خويلد وهي عند رسول الله ﷺ في الشعب فمعلق به وقال أتذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ والله لا تذهب أنت وطعامك حتى أقضحك بمكة، فجاءه أبو البختري بن هشام بن الحارث بن أسد. فقال: مالك وله. فقال: يحمل الطعام إلى بني هاشم فقال له أبو البختري طعامك كان لعنته عنده بعثت به إليه أتمنعه أن يأتيها بطعامها؟ خل سبيل الرجل قال فابى أبو جهل لعنه الله حتى نال أحدهما من صاحبه فاختد أبو البختري لحي بعير فضر به فشجه ووطئه ووطئا شديداً، وحزرة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه فيشتمون بهم ورسول الله ﷺ على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً وسراً وجهراً منادياً بأمر الله تعالى لا يثقي فيه أحداً من الناس. فنجلت قريش حين منعه الله منها وقام عهد وقومه من بني هاشم وبني عبد المطلب دونته وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به يهزونه ويستهزؤن به ويخاصونه وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم وفيه من نصب لعداوتهم، منهم من سعى لنا ومنهم من نزل القرآن في عامة من ذكر الله من الكفار. فذكر ابن اسحاق أبا لهب ونزول السورة فيه، وأممية بن خلف ونزول قوله تعالى (ويل لسكل همزة لمزة) السورة بكلماتها فيه. والعاص بن وائل ونزول قوله (أفرأيت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولداً) فيه. وقد تقدم شيء من ذلك. وأبا جهل بن هشام وقوله للنبي ﷺ لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن آلهتنا ونزول قول الله فيه (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم) الآية. والنضر بن الحارث بن كعدة بن علقمة - ومنهم من يقول علقمة بن كعدة قاله السهيلي - وجلسه بعد النبي ﷺ في مجالسه حيث يتلو القرآن ويدعو إلى الله، فيتلو عليهم النضر شيئاً من أخبار رستم وامفنديار وما جرى بينهما من الحروب في زمن الفرس، ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثاً مني، وما حديثه إلا أساطير الاولين اكتبها كما اكتبها، فانزل الله تعالى (وقالوا أساطير الاولين اكتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً) وقوله (ويل لسكل أفاك أثيم).

قال ابن اسحاق: وجلس رسول الله ﷺ - فيما بلغنا - يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله ﷺ فعرض له النضر، فكلمه رسول الله ﷺ حتى أغضه، ثم تلا عليه وعليهم (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها رفير وهم فيها لا يسمعون). ثم قام رسول الله ﷺ وأقبل عبد الله بن الزبيري السهمي حتى جلس. فقال الوليد بن المغيرة له: والله ما قام والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب أنفاً وما قعد، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم. فقال عبد الله بن الزبيري: أما

والله لو وجدته لخصمته ، فسأوا محمداً أكل من لعبد من دون الله حصص جهنم مع من عبده ؟ فنحن لعبد الملائكة واليهود لعبد عزير والنصارى لعبد عيسى . فمجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول ابن الزبيرى ورأوا أنه قد احتج وخاصم^(١) فذكر ذلك لرسول الله ﷺ . فقال : « كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده في النار ، انهم إنما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته » فانزل الله تعالى : (إن الذين سبقتم من الملائكة أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيبها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون) أى عيسى وعزير ومن عبد من الاحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله تعالى . ونزل فيما يذكر أنهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله (وقالوا اتخذ الزحون ولداً سبحانه بل عباد مكرمون) والايات بعدها . ونزل في إعجاب المشركين بقول ابن الزبيرى (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون) وهذا الجدل الذى سلوكه باطل وهم يعلمون ذلك لأنهم قوم عرب ومن لغتهم أن ما لا يعقل ، فقولهم : (إنكم وما تعبديون من دون الله حصص جهنم أنتم لها واردون) إنما أريد بذلك ما كانوا يعبدونه من الاحجار التى كانت صور أصنام ، ولا يتناول ذلك الملائكة الذين زعموا أنهم يعبدونهم في هذه الصور ، ولا المسيح ، ولا عزير ، ولا أحداً من الصالحين لأن اللفظ لا يتناولهم لا لفظاً ولا معنى . فهم يعلمون أن ما ضربوه بعيسى ابن مريم من المثل جدل باطل كما قال الله تعالى (ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون) ثم قال (إن هو) أى عيسى (إلا عبد أنعمنا عليه) أى بنبوتنا (وجهلناه مثلاً لبنى اسرائيل) أى دليلاً على تمام قدرتنا على ما نشاء حيث خلقناه من أنثى بلا ذكر ، وقد خلقنا حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلقنا آدم لا من هذا ولا من هذا ، وخلقنا سائر بنى آدم من ذكر وأنثى كما قال في الآية الاخرى (ولنجعل آية للناس) أى أمانة ودليلاً على قدرتنا الباهرة (ورحمة منا) نرحم بها من نشاء .

وذكر ابن اسحاق : الاخص بن شريق ونزل قوله تعالى فيه (ولا تطع كل حلاف مهين) الايات ، وذكر الوليد بن المغيرة حيث . قال : أنزل على محمد وأترك وأنا كبير قریش وسيدها ، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمرو^(٢) الثقفى سيد تقيف فنحن عظاما القرىتين . ونزل قوله فيه (وقال لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) والى بعدها ، وذكر أبى بن خلف حين قال لعقبة بن أبى معيط : ألم يبلغنى أنك جالست محمداً وسمعت منه وجهى من وجهك حرام إلا أن تتفل في وجهه ففعل ذلك عدو الله عقبة لعنه الله ، فانزل الله (ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتنى في وجهه ففعل ذلك عدو الله عقبة لعنه الله) فانزل الله (ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتنى

(١) كذا في الاصلين وفي ابن هشام ولعل الصواب (وخصم) .

(٢) كذا في ح . وفي المصرية : عمرو بن عمر . وفي ابن هشام : عمر بن عمير .

اتخذت مع الرسول سبيلاً ، يا ويلتنا ليتنى لم اتخذ فلاناً خليلاً) والى بسدها . قال وهشئ أبى بن خلف بعظم بال قد أرم . فقال : يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرم ، ثم فته بيده ثم نفخه في الریح نحو رسول الله ﷺ . فقال : نعم ! أنا أقول ذلك يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ثم يدخلك النار . وأنزل الله تعالى (وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحيىها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) إلى آخر السورة . قال واعترض رسول الله ﷺ فيها بلفظ وهو يطوف عند باب الكعبة - الاسود بن المطلب : والوليد بن المغيرة ، وأمىة بن خلف ، والمص بن وائل . فقالوا : يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر . فانزل الله فيهم (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون) إلى آخرها . ولما سمع أبو جهرل بشجرة الزقوم . قال : أتدرون ما الزقوم ؟ هو تمر يضرب بالزبد ثم قال هلموا فلنترقم فانزل الله تعالى (إن شجرة الزقوم طعام الاثيم) قال : ووقف الوليد بن المغيرة فكلّم رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يكلمه وقد طمع في اسلامه ففر به ابن أم مكتوم - عائكة بقت عبد الله بن عسكنة - الاعمى فكلّم رسول الله ﷺ وجعل يستقر به القرآن ، فشق ذلك عليه حتى أضجره وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من اسلامه ، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابسا ، وتركه فانزل الله تعالى (عبس وتولى أن جاءه الاعمى) إلى قوله (مرغوة مطهرة) وقد قيل إن الذى كان يحدث رسول الله ﷺ حين جاءه ابن أم مكتوم أمىة بن خلف فأنه أعلم .

ثم ذكر ابن اسحاق من عاد من مهاجرة الحبشة إلى مكة وذلك حين بلغهم اسلام أهل مكة وكان النقل ليس بصحيح ، ولكن كان له سبب ، وهو ما ثبت في الصحيح وغيره أن رسول الله ﷺ جلس يوماً مع المشركين ، وأنزل الله عليه (والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم) يقرؤها عليهم حتى ختمها وسجد ، فسجد من هناك من المسلمين والمشركين والجن والانس ، وكان لذلك سبب ذكره كثير من المفسرين عند قوله تعالى (وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنىلقى الشيطان في أمينة فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) وذكر واقصة الغرائيق وقد أحببنا الاضراب عن ذكرها صفحاً لئلا يسمعها من لا يضعها على مواضعها ، إلا أن أصل القصة في الصحيح . قال البخارى حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس . قال : سجد النبي ﷺ بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس انفرد به البخارى دون مسلم . وقال البخارى حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبى اسحاق سمعت الاسود عن عبد الله . قال : قرأ النبي ﷺ والنجم بمكة ، فسجد فيها وسجد من معه غير شيخ أخذ كفاً من حصاً - أو تراباً - فرفعه إلى جبهته وقال : يكفينى هذا ، فرأيت بعد قتل كافراً

ورواه مسلم وأبو داود والنسائي عن حديث شعبة . وقال الامام احمد حدثنا ابراهيم حدثنا رباح عن
معمر عن ابن طاووس عن عكرمة بن خالد عن جعفر بن المطلب بن أبي وداعة عن أبيه . قال قرأ
رسول الله ﷺ بمكة سورة النجم ، فسجد وسجد من عنده ، فرفعت رأسي وأبیت أن أسجد ولم
يكن أسلم يومئذ المطلب . فكان بعد ذلك لا يسمع أحداً يقرأها إلا سجد معه . وقد رواه النسائي
عن عبد الملك بن عبد الحميد عن احمد بن حنبل به . وقد يجمع بين هذا والذي قبله بان هذا سجد
ولكنه رفع رأسه استكباراً ، وذلك الشيخ الذي استثناه ابن مسعود لم يسجد بالسكينة والله أعلم .
والمقصود أن الناقل لما رأى المشركين قد سجدوا متابعة لرسول الله ﷺ اعتقد أنهم قد أسلموا
واصطلحوا معه ولم يبق نزاع بينهم . فطار الخبر بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة بها ، فظنوا
صحة ذلك فاقبل منهم طائفة طامعين بذلك ، وثبتت جماعة وكلاهما حسن مصيب فيما فعل / فذكر
ابن اسحاق اسما من رجع منهم ، عثمان بن عفان وامراته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وأبو حذيفة بن
عتبة بن ربيعة ، وامراته سهيل بنت سهيل ، وعبد الله بن جحش بن رئاب ، وعتبة بن غزوان ،
والزبير بن العوام ، ومثعب بن عمير ، وسويبط بن سعد ، وطليب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف
والمقداد بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو سلمة بن عبد الاسد ، وامراته أم سلمة بنت أبي أمية
ابن المغيرة ، وشماس بن عثمان ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة . وقد حبس بمكة حتى
مضت بدرأ واحداً والخندق - وعمار بن ياسر - وهو ممن شك فيه أخرج إلى الحبشة أم لا . ومعتب
ابن عوف ، وعثمان بن مظعون ، وابنه السائب ، وأخوات قدامة وعبد الله ابنا مظعون ، وخنيس بن
حذافة ، وهشام بن العاص بن وائل - وقد حبس بمكة إلى بعد الخندق - وعامر بن ربيعة ، وامراته
ليلى بنت أبي حشمة . وعبد الله بن مخرمة ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو . وقد حبس حتى كان يوم
بدر فأنجاز إلى المسلمين فشهد معهم بدرأ - وأبو سبرة بن أبي رهم ، وامراته أم كلثوم بنت سهيل ،
والسكران بن عمرو بن عبد شمس ، وامراته سودة بنت زمعة - وقد مات بمكة قبل الهجرة وخلف
على امراته رسول الله ﷺ - وسعد بن خولة ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن الحارث بن زهير
وسهيل بن بيضاء ، وعمرو بن أبي سرح فجميعهم ثلاثة وثلاثون رجلاً رضى الله عنهم . وقال البخاري
وقالت عائشة قال رسول الله ﷺ : « أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين » فهاجر من هاجر
قبل المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر إلى الحبشة إلى المدينة . فيه عن أبي موسى واسماء رضى الله
عنهما عن النبي ﷺ وقد تقدم حديث أبي موسى وهو في الصحيحين ، وسيأتى حديث اسماء بنت
عميس بعد فتح خيبر حين قدم من كان تأخر من مهاجرة الحبشة إن شاء الله وبه الثقة . وقال
البخاري حدثنا يحيى بن حماد حدثنا أبو عوانة عن سليمان عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله . قال

كنا نسلم على النبي ﷺ وهو يصلي فترد علينا ، فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا ، فقلنا : يا رسول الله إنا كنا نسلم عليك فترد علينا ، فلما رجعنا من عند النجاشي لم ترد علينا ؟ » قال إن في الصلاة شغلا » وقد روى البخاري أيضا ومسلم وأبو داود والنفائي من طرق آخر عن سليمان بن مهران عن الأعشى به ، وهو يقوى تأويل من تأول حديث زيد بن أرقم الثابت في الصحيحين كما نتكلم في الصلاة حتى نزل قوله (وقوموا لله قانتين) فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام . على أن المراد جنس الصحابة فان زيدا أنصاري مدني ، وتحريم الكلام في الصلاة ثبت بمكة ، فتعين الحل على ما تقدم . وأما ذكره الآية وهي مدنية فشكل ولعلنا اعتقد أنها المحرمة لذلك وإنما كان المحرم له غيرها معها والله أعلم .

قال ابن اسحاق : وكان ممن دخل معهم بجوار عمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة ، وأبو سلمة بن عبد الأسد في جوار خاله أبي طالب فان أمه برقة بنت عبد المطلب . فاما عثمان بن مظعون فان صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف حدثني عن حدثه عن عثمان . قال : لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء وهو يروح ويفدو في أمان من الوليد ابن المغيرة قال والله إن غدوي ورواحي في جوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلتقون من البلاء والاذى في الله ما لا يصيبني لنقص كثير في نفسي ، فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له يا أبا عبد شمس وقت ذمتك وقد رددت إليك جوارك . قال لم يا ابن أخي ؟ لعله آذاك أحد من قومي قال لا ولكنني أرضى بجوار الله عز وجل ، ولا أريد أن أستجير بغيره . قال فانطلق إلى المسجد فاردد على جوارى علانية كما أجزتك علانية . قال فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد فقال الوليد بن المغيرة : هذا عثمان قد جاء يرد على جوارى . قال صدق قد وجدته وفيما كريم الجوار ولكنني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله فقد رددت عليه جواره . ثم انصرف عثمان رضى الله عنه وليد بن ربيعة بن مالك بن جعفر في مجلس من قریش ينشدهم ، فجلس معهم عثمان فقال لبيد :

* ألا كل شيء ما خلا الله باطل *

فقال عثمان : صدقت . فقال لبيد :

* وكل نعم لا محالة زائل *

فقال عثمان : كذبت نعم الجنة لا يزول . فقال لبيد : يا معشر قریش والله ما كان يؤذى جليكم فتى حدث هذا فيكم ؟ فقال رجل من القوم : ان هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تبجن في نفسك من قوله ، فرد عليه عثمان حتى شرى أمرها فقام إليه ذلك الرجل ولطم عينه فغضرها والوليد ابن المغيرة قريب يرى ما بلغ عثمان . فقال : والله يا ابن أخي ان كانت عينك عما أصابها لغنية ، ولقد

كنت في ذمة منيعة . قال يقول عثمان : بل والله ان عيني الصحيحة لقفيرة الى مثل ما اصاب أختها في الله واني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس . فقال له الوليد : هلم يا ابن أخي الى جوارك فمد . قال : لا .

قال ابن اسحاق : وأما أبو سلمة بن عبد الأسد فحدثني أبي اسحاق بن يسار عن سلمة بن عبد الله بن أبي سلمة أنه حدثه أن أبا سلمة لما استجار بأبي طالب مشى اليه رجال من بني مخزوم فقالوا له : يا أبا طالب هذا منعت منا ابن أخيك محمداً فمالك ولصاحبنا تمنعه منا؟ قال إنه استجار بي وهو ابن اختي وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي . فقام أبو طالب . فقال : يا مضر قرئش والله لقد أكرهتم على هذا الشيخ ما تزلون تتواثمون عليه في جواره من بين قومه ، والله لئن تم أو لنقومن معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد . قالوا بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة . وكان لهم ولياً وناصرأ على رسول الله ﷺ فابقوا على ذلك فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يتول ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله ﷺ ، فقال أبو طالب يحرض أبا طالب على نصرته ونصرة رسول الله ﷺ :

إن امرأاً أبو عتيبة عه لفي روضة ما ان يسام المظالم
أقول له وأين منه نصيحتي أبا ممتب^(٢) ثبت سوادك قائماً
ولا تقبلن الدهر ما عشت خلة تسببها إما هبطت المواسم
وول سبيل العجز غيرك منهم فانك لم تخلق على العجز لازماً
وحارب فان الحرب نصف ولن ترى أبا الحرب يعطى الخسف حتى يسالماً
وكيف ولم يحنوا عليك عزيمة ولم يخذلوك غائماً أو مغارماً
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً وقبلاً ومخزوماً غموقاً ومأتماً
بتفريقهم من بعد ود والفة جماعتنا كيما ينالوا المحارماً
كذبتم وبيت الله نيزى^(٣) محمداً ولما تروا يوماً لدى الشعب قائماً
قال ابن هشام : وبقي منها بيت تركناه .

﴿ ذكر عزم الصديق على الهجرة إلى أرض الحبشة ﴾

قال ابن اسحاق : وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه كما حدثني محمد بن مسلم الزهري عن

(١) كذا في الاصل وفي ابن هشام : (أبو عتيبة) . وبه يتزن البيت .

(٢) كذا في الاصل : وكنيته (أبو عتبة) (٣) قال ابن هشام : نيزى بالنسب .

عروة عن عائشة حين ضاقت عليه مكة وأسبابها لآذي ورأى من تظاھر قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ما رأى ، استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فاذن له ، فخرج أبو بكر رضي الله عنه مهاجراً حتى إذا سار من مكة يوماً -- أو يومين -- لقيه ابن الدغنة أخو بني الحارث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد الاحابيش . قال الواقدي : اسمه الحارث بن يزيد أحد بني بكر بن عبد مناة بن كنانة . وقال السهيلي : اسمه مالك . فقال : إلى أين يا أبا بكر ؟ قال أخرجني قومي وآذوني وضيقوا علي . قال ولم ؟ فوالله إنك لتزين المشيرة ، وتعين على النوائب ، وتفعل المعروف وتكسب الممدوم . أرجع فانك في جوارى . فرجع معه حتى إذا دخل مكة قام معه ابن الدغنة فقال : يا معشر قريش إني قد أجرت ابن أبي قحافة فلا يمرض له أحد الا بخير . قال : فكفروا عنه . قالت : وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره في بني جمح فكان يصلي فيه ، وكان رجلاً رقيقاً إذا قرأ القرآن استبكي قالت فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته ، قال فشئ رجال من قريش إلى ابن الدغنة . فقالوا : يا ابن الدغنة إنك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا ، إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق وكانت له هيئة ونحن نتخوف على صبياننا ونساءنا وضعفائنا أن يفتنهم ، فاته فره بان يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء . قالت : فشئ ابن الدغنة اليه فقال : يا أبا بكر إني لم أجرك لتؤذي قومي . وقد كرهوا مكانك الذي أنت به وتأذوا بذلك منك ، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت . قال : أو أرد عليك جوارك وأرضي بجوار الله . قال فردد علي جوارى . قال قد رددته عليك . قال فقام ابن الدغنة فقال يا معشر قريش إن ابن أبي قحافة قد رد علي جوارى فشأنكم بصاحبكم . وقد روى الامام البخاري هذا الحديث متفرداً به وفيه زيادة حسنة . فقال حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل قال ابن هشام فاخبرني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ . قالت : لم أعقل ابواي قط إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية ، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد ، لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجني قومي فإريد أن أسبح في الارض فاعبد ربى . فقال ابن الدغنة فان مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج مثله ، إنك تكسب الممدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق . وأما لك جار فارجع فاعبد ربك بملك . فرجع وارتحل معه ابن الدغنة ، وظاف ابن الدغنة عشية في اشراف قريش فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج ، أخرجون رجلاً يكسب الممدوم ، ويصل الرحم . ويحمل الكل ، ويقرى الضيف ، ويعين على نوائب الحق ؟ فلم يكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة مرأباً بكر فليعبد ربه في داره ويصل فيها وليقرأ

ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعملن به ، فانا نخشى أن يفتنن نساءنا وأبنائنا . فقال ابن الدغنة ذلك لأبي بكر ، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ، ولا يستعملن بصلاته ، ولا يقرأ في غير داره . ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفتاء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن ، فكان (١) نساء المشركين وأبنائهم يعجبون منه وينظرون اليه . وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، فافزع ذلك اشراف قریش من المشركين فارساوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم . فقالوا : إنا كما أجزنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفتاء داره فاعلن في الصلاة والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا أن يفتنن أبنائنا ونساءنا فأنهم فأن أحب على أن يقتصر أن يعبد ربه في داره فقل ، وأن أبي إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرد عليك ذمتك فانا قد كرهنا تخفرك ولنا مقرين لأبي بكر الاستعلان . قالت عائشة : فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال قد علمت الذي قد عاقدت عليه قریش (٢) فاما ان تقتصر على ذلك وأما ان ترد إلى ذمتي فاني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له . فقال أبو بكر : فاني أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل . ثم ذكر تمام الحديث في هجرة أبي بكر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ كما سيأتي مبسوطاً . قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال : لقيه - يعني أبا بكر الصديق حين خرج من جوار ابن الدغنة - سفينة من سفهاء قریش وهو عائد إلى الكعبة فثنا على رأسه تراباً ، فرباني بكر الوليد بن المغيرة - أو العاص بن وائل - فقال له أبو بكر رضي الله عنه : ألا ترى ما يصنع هذا السفية ؟ فقال : أنت فعلت ذلك بنفسك . وهو يقول أي رب ما أحلك ، أي رب ما أحلك ، أي رب ما أحلك .

فصل

كل هذه القصص ذكرها ابن اسحاق معترضاً بها بين تعاقب قریش على بني هاشم وبني المطلب وكتابتهم عليهم الصحيفة الظالمة وحصرهم إياهم في الشعب ، وبين نقض الصحيفة وما كان من أمرها وهي أمور مناسبة لهذا الوقت ، ولهذا قال الشافعي رحمه الله : من أراد المغازي فهو غيال على ابن اسحاق .

﴿ ذكر نقض الصحيفة ﴾

قال ابن اسحاق : هذا وبنو هاشم ، وبنو المطلب في منزلهم الذي تعاقبت فيه قریش عليهم

(١) في النسخة المصرية : فيتقذف نساء المشركين الخ .

(٢) في المصرية : قد عاقدتك عليه .

في الصحيفة التي كتبوها ، ثم إنه قام في نقض الصحيفة نفر من قريش ، ولم يبل فيها أحد أحسن
 من بلاء هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ، وذلك
 أنه كان ابن أخي نضلة بن هشام بن عبد مناف لأمه ، وكان هشام لبني هاشم واصلاً ، وكان
 ذا شرف في قومه فكان فيما بلغني - يأتي بالبغير وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلاً قد أوقره
 طعاماً ، حتى إذا بلغ به فم الشعب خلع خطاه من رأسه ثم ضرب على جنبه فدخل الشعب عليهم
 ثم يأتي به قد أوقره برا فيفعل به مثل ذلك ، ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله
 ابن عمرو بن مخزوم وكانت أمه عائكة بنت عبد المطلب . فقال : يا زهير أقد رضيت أن تأكل
 الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث علمت لا يباعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون
 ولا ينكح اليهم ؟ أما إنني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل مادعك
 اليه منهم ما أجابك إليه أبداً . قال : ويحك يا هشام فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد والله لو كان معي
 رجل آخر لقمتم في نقضها . قال قد وجدت رجلاً ، قال من هو ؟ قال أنا قال له زهير أبغنا ثالثاً ،
 فذهب إلى المطعم بن عدي فقال له يامطعم أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت
 شاعد على ذلك موافق لقريش فيه ، أما والله لأن أمكنتموهم من هذه لتجدينهم اليها منكم سرعاً ،
 قال ويحك فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد ، قال قد وجدت لك ثانياً . قال من ؟ قال أنا ، قال أبغنا ثالثاً
 قال قد فعلت . قال من هو ؟ قال زهير بن أبي أمية . قال أبغنا رابعاً ، فذهب إلى أبي البختري بن
 هشام فقال نحوه ما قال للمطعم بن عدي ، فقال وهل تجد أحداً يعين على هذا ؟ قال نعم ! قال من هو ؟
 قال زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي وأنا معك . قال أبغنا خامساً . فذهب إلى زمعة بن الأسود بن
 المطلب بن أسد فسكناه وذكروا له قراباتهم وحققهم ، فقال له وهل على هذا الأمر الذي تدعوني اليه
 من أحد ؟ قال نعم ثم سمى القوم . فأتعدوا حطم الحجون ليسلاً بأعلا مكة فاجتمعوا هنالك وأجمعوا
 أمرهم ولما قصدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها . وقال زهير . أنا أبدوكم فأكون أول من
 يتكلم . فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلة فطاف بالبيت سبعاً ثم
 أقبل على الناس . فقال : يا أهل مكة أنا كل الطعام وتلبس الثياب وبنو هاشم هلكت لا يبتاعون ولا
 يبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة . قال أبو جهل - وكان في ناحية
 المسجد - والله لا تشق . قال : زمعة بن الأسود أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابها حين كتبت .
 قال أبو البختري : صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به . قال المطعم بن عدي : صدقنا وكذب
 من قال غير ذلك : نبأ إلى الله منها ومما كتب فيها . قال هشام بن عمرو ونحواً من ذلك . قال أبو
 جهل : هذا أمر قد قضى بليل تشور فيه بغير هذا المكان ، وأبو طالب جالس في ناحية المسجد

وقام المعلم بن عدى إلى الصحيفة ليشتقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا باسمك اللهم ، وكان كاذب الصحيفة منصور بن عكرمة فشلت يده فيما يزعمون .

قال ابن هشام : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لأبي طالب : « يا عم إن الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسماً هو لله إلا أثبتته فيها ، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان » . فقال أربك أخبرك بهذا ؟ قال « نعم » قال فوالله ما يدخل عليك أحد ، ثم خرج إلى قريش فقال : يا معشر قريش إن ابن أخي قد أخبرني بكذا وكذا فلم تصيقتكم فإن كانت كما قال فاتموا عن قطيعتنا وانزلوا عنها ، وإن كان كاذباً دفعت اليكم ابن أخي . فقال القوم : قد رزينا فتمادوا على ذلك ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ فزادهم ذلك شراً فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا .

قال ابن اسحاق : فلما دزقت وبطل ما فيها قال أبو طالب فيما كان من أمر أولئك القوم الذين قاموا في نقض الصحيفة يمسحهم :

ألا هل أتى بحرينا ^(١) صنع ربنا	على نأيمهم والله بالناس أروء
فيخبرهم أن الصحيفة مزقت	وأن كل مالم يرضه الله مفسد
تراوحها إفاك وسحر مجمع	ولم يلف سحراً آخر الدهر يصمد
تداعى لها من ليس فيها بقرقر	فطأرها في رأسها يتردد
وكانت كفاء وقعة باثيمة	ليقطع منها ساعد ومقالد
ويظمن أهل المكتتين فيهربوا	فرائصهم من خشية الشر ترعد
ويترك حراث يقلب أمره	أيهم فيها عند ذاك وينجد
وتصمد بين الأخشيين كتيمة	لها حدج سهم وقوس ومرهد
فمن ينش من حضار مكة عزة	فعرتنا في بطن مكة أتاد
نشأنا بها والناس فيها قلائل	فلم تنفكك نزداد خيراً ونحمد
ونطعمهم حتى يترك الناس فضلهم	إذا جعلت أيدي المفيضين ترعد
جزى الله رهطاً بالحجون تجمعوا	على ملاء يهدى لحزم ويرشد
قعوداً لذى حطم الحجون كأنهم	مقاولة بل هم أعز وأجمد
أعان عليها كل حقر كأنه	إذا ما مشى في رفرف الدرع أحرد

(١) قال السهيلي : بحرينا يعنى الذين بارض الحبشة ، نسبهم إلى البحر لركوبهم إياه . وشرح الالفاظ الغريبة لهذه القصيدة وقد قابلناها على شرح غريب السيرة للأخشي .

جري على جبل الخطوب كأنه
من الأكرمين من لؤي بن غالب
طويل النجاد خارج نصف ساقه
عظيم الرماد سيد وابن سيد
ويدي لأبناء العشيرة صالحا
ألف بهذا الصلح كل مبرا
قضوا ما قضوا في ليلهم ثم أصبحوا
هم رجعوا سهل بن بيضاء راضيا
مضى شرك الاقوام في حل أمرنا
وكنّا قديما لا نقر ظلامه
فيال قصي هل لكم في نفوسكم
فاني وإياكم كما قال قائل

شباب بكفي قابس يتوقد
إذا سيم خسفا وجهه يتردد
على وجهه يسقى النمام ويسعد
يحض على مقرى الضيوف ويحشد
إذا نحن طفنا في البلاد ويمهد
عظيم اللواء أمره ثم يحمد
على موكب وسائر الناس رقد
وسر أبو بكر بها ومحمد
وكنّا قديما قبلها فتودد
وندرك ماشئنا ولا نتشدد
وهل لكم فيما يجيئ به غد
لديك البيان لو تسكمت أسود

١١ قال السهيلي : أسود اسم جبل قتل به قتيل ولم يعرف قاتله فقال أولياء المقتول لديك
البيان لو تسكمت أسود ، أى يا أسود لو تسكمت لا بفت لنا عن قتله [.

ثم ذكر ابن اسحاق شعر حسان يمدح المطعم بن عدى وهشام بن عمرو لقيامهما في نقض الصحيفة
الظالمة الفاجرة العاشمة . وقد ذكر الاموى ههنا أشعارا كثيرة اكتفينا بما أورده ابن اسحاق .
وقال الواقدي : سألت محمد بن صالح وعبد الرحمن بن عبد العزيز متى خرج بنو هاشم من الشعب ؟
قالا : في السنة العاشرة - يعنى من البعثة - قبل الهجرة بثلاث سنين .

قلت : وفي هذه السنة بعد خر وجههم توفى أبو طالب عم رسول الله ﷺ ، وزوجته خديجة بنت
خويلد رضی الله عنهما كما سيأتى بيان ذلك إن شاء الله تعالى .

فصل

وقد ذكر محمد بن اسحاق رحمه الله بعد إبطال الصحيفة قصصا كثيرة تتضمن نصب عداوة
قریش لرسول الله ﷺ ، وتنفيذ أحياء العرب والقادمين إلى مكة لحج أو عمرة أو غير ذلك منه ،
وإظهار الله المعجزات على يديه دلالة على صدقه فيما جاءهم به من البينات والهدى ، وتكذيبنا لهم فيما
يرمونه من البغى والعدوان والمكر والخداع ، ويرمونه من الجنون والسحر والكهانة والنقول ، والله

(١) ما بين المربعين زيادة من النسخة المصرية .

غالب على أمره . فذكر قصة الطفيل بن عمرو الدوسي رسالة ، وكان سيدياً مطاعاً شريفاً في دوس ، وكان قد قدم مكة فاجتمع به اشراف قريش وحندروه من رسول الله ونهوه أن يجتمع به أو يسمع كلامه ، قال فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكله ، حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً (١) فرقا من أن يبلغني شيء من قوله وأنا لا أريد أن اسممه . قال فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة ، قال فقممت منه قريباً فابى الله إلا أن يسمعي بعض قوله ، قال فسمعت كلاماً حسناً ، قال فقلت في نفسي وائسكل أمي والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح فما يعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته ، وإن كان قبيحاً تركته . قال : فكشيت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته دخلت عليه فقلت : يا محمد إن قومك قالوا لي كذا وكذا — الذي قالوا — قال فوالله ما يرحوا بي بخوفوني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يسمعي قولك فسمعت قولاً حسناً ، فاعرض علي أمرك : قال فعرض علي رسول الله ﷺ الاسلام وتلا علي القرآن فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدل منه . قال فأسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت : يا نبي الله إني امرؤ مطاع في قومي ، وإني راجع إليهم وداعيتهم إلى الاسلام فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أَدْعُوهم اليه . قال فقال : « اللهم اجعل له آية » قال فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثمانية تطلعني على الحاضر ، وقع بين عيني نور مثل المصباح . قال فقلت : اللهم في غير وجهي فاني أخشى أن يظنوا بها مثلاً وقعت في وجهي لفرأيت دينهم ، قال فتحول فوق في رأس سوطي قال فجعل الحاضرون يترأون ذلك النور في رأس سوطي كالقنديل المعلق وأنا أتهبط عليهم من الثنية حتى جئتهم فاصبحت فيهم ، فلما نزلت أناني أبي — وكان شيخاً كبيراً — فقلت : اليك عني — يا أبا فلست منك ولست مني ، قال ولم يا بني ؟ قال قلت أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ . قال : أي ديني فدينك ديني . فقلت فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم اتتني حتى أعلمك مما علمت . قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ، ثم جاء فعرضت عليه الاسلام فأسلم . قال ثم اتتني صاحبتني فقلت اليك عني فلست منك ولست مني . قالت : ولم ؟ بأبي أنت وأمي . قال قلت فرق بيني وبينك الاسلام ، وتابعت دين محمد ﷺ . قالت فدينك دينك . قال : فقلت فاذهبي إلى حي ذي الشرى فتطهري منه ، وكان ذو الشرى صنماً لدوس وكان الحي حي حموه حوله به وشل من ماء يهبط من جبل . قالت : بأبي أنت وأمي أتخشى على الصبية من ذي الشرى شيئاً ؟ قلت لا ، أنا ضامن لذلك . قال فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الاسلام فأسلمت ، ثم دعوت دوساً إلى الاسلام فابطأوا علي ، ثم جئت رسول

الله ﷺ مكة . فقلت : يا رسول الله إنه قد غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم . قال : « اللهم أهد دوسا ، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم » . قال فلم أزل بارض دوس أدعوهم إلى الاسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وهضى بدر وأحد والخندق ، ثم قدمت على رسول الله ﷺ من أسلم معي من قومي ورسول الله ﷺ بخير حتى نزلت المدينة بسبعين - أو ثمانين بيتاً - من دوس فلاحقنا رسول الله ﷺ بخير فطسهم لنا مع المسلمين . ثم لم أزل مع رسول الله ﷺ حتى فتح الله عليه مكة . فقلت : يا رسول الله ابعثني إلى ذى السفين صنم عمرو بن حممة حتى أحرقه . قال ابن اسحاق : فخرج اليه فجعل الطفيل وهو يوقد عليه النار يقول :

يا ذا السفين لست من عبادك ميلادنا أقدم من ميلادك

« إلى حشوت النار في فؤادك »

قال ثم رجع رسول الله ﷺ فكان معه بالمدينة حتى قبض رسول الله ﷺ فلما أرتدت العرب خرج الطفيل مع المسلمين فصار معهم حتى فرغوا من طليحة ومن أرض نجد كلها ، ثم سار مع المسلمين إلى البصرة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل ، فرأى رؤيا وهو متوجه إلى البصرة فقال لأصحابه إني قد رأيت رؤيا فاعبروها لي ، رأيت أن رأسي حلق وأنه خرج من فمي طائر ، وأنه لقيت امرأة فدخلتني في فرجها وأرى ابني يطلبني طلباً حثيثاً ثم رأيت حبس عني ؟ قالوا : خيراً قال : أما أنا والله فقد أولتها ، قالوا ماذا ؟ قال أما حلق رأسي فوضعه ، وأما الطائر الذي خرج منه فروحى ، وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها فالارض تحفر لي فاغيب فيها . وأما طلب ابني إياي ثم حبسه عني فإني أراه سيجهنم أن يصيبه ما أصابني . فقتل رحمه الله تعالى شهيداً بالبصرة وجرح ابنه جراحة شديدة ، ثم استبل منها ثم قتل عام اليرموك زمن عمر شهيداً رحمه الله . هكذا ذكر محمد بن اسحاق قصة الطفيل بن عمرو ومرسلة بلا اسناد . ونظيره شاهد في الحديث الصحيح . قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة . قال : لما قدم الطفيل وأصحابه على رسول الله ﷺ قال إن دوسا قد استعصت قال : « اللهم أهد دوسا واثت بهم » رواه البخاري عن أبي نعيم عن سفيان الثوري . وقال الامام احمد حدثنا يزيد أنبأنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : قدم الطفيل بن عمرو والدوسى وأصحابه فقالوا يا رسول الله إن دوسا قد عصت وأبت فادع الله عليها . قال أبو هريرة فرفع رسول الله ﷺ يديه فقلت هلك دوس . فقال : « اللهم أهد دوسا واثت بهم » اسناد جيد ولم يخرجوه . وقال الامام احمد حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن حجاج الصواف عن أبي الزبير عن جابر . أن الطفيل بن عمرو والدوسى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله هل لك في حصن حصين ومنعة ؟ قال حصن كان لدوس في الجاهلية - فإني ذلك

رسول الله ﷺ الذي ذكر الله الانصار ، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة هاجر اليه الطفيل بن عمرو وهاجر معه رجل من قومه فاجنورا المدينة فمرض فخرج فالتفت مشاقص ففعل بها براجه فشعبت يدها فما رقا الدم حتى مات . فرآه الطفيل بن عمرو في منامه في هيئة حسنة ، ورآه مغطيا يديه . فقال له : ما صنعت ربك بك فقال غفر لي بهجرتي إلى نبيي ﷺ قال فما لي أراك مغطيا يديك ؟ قال قيل لي لن يصلح منك ما أفسدت . قال فقصها الطفيل على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « اللهم وليديه فاغفر » رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبه واسحاق بن ابراهيم كلاهما عن سليمان ابن حرب به . فان قيل فما الجمع بين هذا الحديث وبين ما ثبت في الصحيحين من طريق الحسن عن جندب قال قال رسول الله ﷺ : « كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فخرج ، فالتفت مشاقص ففعل بها براجه فما رقا الدم حتى مات ، فقال الله عز وجل عبدي بادرتي بنفسه فحرمت عليه الجنة » . فالجواب من وجوه ، أحدها أنه قد يكون ذاك مشركا وهذا مؤمنا ، ويكون قد جمل هذا الصنيع سببا مستقلا في دخوله النار وإن كان شركه مستقلا إلا أنه نبيه على هذا لتعتبر أمته . الثاني قد يكون هذا علميا بالتحريم وهذا غير عالم بخدائهم عهده بالاسلام . الثالث قد يكون ذاك فعلا مستحلا وهذا لم يكن مستحلا بل مخطئا . الرابع قد يكون أراد ذاك بصنيعه المذكور أن يقتل نفسه بخلاف هذا فإنه يجوز أنه لم يقصد قتل نفسه وإنما أراد غير ذاك . الخامس قد يكون هذا قليل الحسنات فلم تقاوم كبر ذنبه المذكور فدخل النار ، وهذا قد يكون كثير الحسنات تقاومت الذنب فلم يلبس النار بل غفر له بالهجرة إلى نبيه ﷺ . ولكن بقي الشين في يده فقفا وحسنت هيئة سائر مغطى الشين منه . فلما رآه الطفيل بن عمرو مغطيا يديه قال له مالك ؟ قال قيسل لي لن يصلح منك ما أفسدت فلما قصها الطفيل على رسول الله ﷺ دعا له فقال : « اللهم وليديه فاغفر » أي فاصلح منها ما كان فاسدا . والحق أن الله استجاب لرسول الله ﷺ في صاحب الطفيل بن عمرو .

قصة أعشى بن قيس

قال ابن هشام : حدثني خلاد بن قره بن خالد السدوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم أن أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل خرج إلى رسول الله ﷺ يريد الاسلام ، فقال يمدح النبي ﷺ :

ألم تفتض عينك ليلة أرمدت	وبت كما بات السليم مسهدا
وما ذاك من عشق النساء وإنما	تناسيت قبل اليوم خلعة مهيدا
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن	إذا أصلحت كغاي عاد فأفسدا

كهولا وشباناً قدت وروة فله هذا الدهر كيف ترددا
 وما زلت أبغى المال مذناً يافع وليداً وكهلاً حين شبت وأمردا
 وابئذ العيس المراقيل تعلى مسافة ما بين النجير فصرخدا
 ألا أيها السائل أين يمت فان لها في أهل يثرب موعدا
 فان تسألني عن فيارب سائل حتى عن الأعشى به حيث أصددا
 أجبت برجليها النجاد وراجت يداها خفاها لينا غير أحردا
 وفيها إذا ما هجرت عجرفية إذا خلت حرباء الظهيرة أصددا
 وآليت لا آوى لها من كلاله ولا من حتى حتى تلاقى محمدا
 متى ما تناخى عند باب ابن هاشم تراخى وتلقى من فواضله ندى
 نبي يرى ملا ترون وذكره أغر لسرى في البلاد وأنجددا
 له صدقات ما تقب وتائل فليس عطاء اليوم مانعه غدا
 أجده لم تسمع وصاة محمد نبي الأكله حيث أوصى وأشهدا
 إذا أنت لم ترحل بزاد من النقي ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
 ندمت على أن لا تسكون كشدا فترصد الأمر الذي كان ارسدا
 فإياك والميتات لا تقربنها ولا تأخذن سهما حديدنا لتقصدا
 وذا النصب المنصوب لا تنسكنه ولا تعبد الاوثان والله فاعبددا
 ولا تقربن جارة^(١) كان سرها عليك حراما فانكعن أو تأبددا
 وذا الرحم القربى فلا تقطعن لعاقبة ولا الاسير المقيددا
 وسبح على حين العشية والضحى ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا
 ولا تسخرن من بئس ذي ضرارة ولا تحسبن المال المرء مخلصدا

قال ابن هشام : فله كان بمكة - أو قريب منها - اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله
 عن أمره فأخبره أنه جاء يريد رسول الله ﷺ . فقال له : يا أبا بصير إنه يحرم الزنا . فقال :
 الأعشى والله إن ذلك لأمر مالي فيه من أرب . فقال : يا أبا بصير إنه يحرم الخمر . فقال الأعشى :
 أما هذه فوالله إن في ندي منها العائلات ولكنني منصرف فاتروى منها عامي هذا ، ثم آتته فاسلم
 فاستصرف فمات في عامه ذلك ولم يمد إلى النبي ﷺ . هكذا أورد ابن هشام هذه القصة وهذا وهو
 كثير المؤاخذات لمحمد بن اسحاق رحمه الله ، وهذا مما يؤاخذ به ابن هشام رحمه الله ، فان الخمر

(١) في المصرية وابن هشام (سرة) وفي ح : مكان سرها (أمرها) .

إنما حرمت بالمدينة بعد وقعة بني النضير كما سيأتي بيانه فلما ظهر أن حرم الاعشى على القوم للإسلام إنما كان بعد الهجرة وفي شهره ما يدل على ذلك وهو قوله :

ألا أيها ذا السائل أين يمت فان لما في أهل يثرب موعدا

وكان الانسب والاليق بابن هشام أن يؤخر ذكر هذه القصة الى ما بعد الهجرة ولا يورثها هاهنا والله أعلم . قال السبيل : وهذه غفلة من ابن هشام ومن تابعه فان الناس مجمعون على ان الحرام ينزل تحريمها إلا في المدينة بعد أحد . وقد قال : وقيل إن القائل للاعشى هو أبو جهل بن هشام في دار عتبة بن ربيعة . وذكر أبو عبيدة أن القائل له ذلك هو عامر بن الطفيل في بلاد فيس وهو مقبل إلى رسول الله ﷺ قال وقوله . ثم آتاه فاسلم لا يخرججه عن كفره بلا خلاف والله أعلم . ثم ذكر ابن اسحاق هاهنا قصة الاراشي وكيف استمدى إلى رسول الله ﷺ من أبي جهل في ثمن الجمل الذي ابتاعه منه ، وكيف أدخل الله أبا جهل وأرضع أمه حتى أعماه ثمته في الساعة الراهنة وقد قدمنا ذلك في ابتداء الوحي وما كان من أذية المشركين عند ذلك .

قصة مضارعة ركانة

﴿ وكيف أراه الشجرة التي دعاها فأقبلت ﷺ ﴾

قال ابن اسحاق : وحدثني أبي اسحاق بن يسار قال وكان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف أشد قرشا ، فلما يومًا رسول الله ﷺ في بعض شعاب مكة فقال له رسول الله ﷺ : ياركانة ألا تتق الله وتقبل ما أدعوك اليه قال إني لو أعلم أن الذي تقول حق لا تبعثك فقال له رسول الله : « أفرأيت إن صرعتك أعلم أن ما أقول حق ؟ » قال نعم قال : « فقم حفر أصارعك » . قال فقام ركانة اليه فصارعه فلما بطش به رسول الله ﷺ أضجه لا يملك من نفسه شيئًا ثم قال عبد يامحمد فمارع فصرعه . فقال يا محمد والله إن هذا المصعب ، أفسر عني ؟ قال : « وأعجب من ذلك ان شئت أريكه إن اتقيت الله واتبعت أمرى » . قال وما هو ؟ قال : « أدعوك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني » . قال : فادعها فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ . فقال لها : ارجعي الى مكانك فرجعت الى مكانها قال فذهب ركانة الى قومه فقال يا بني عبد مناف ساحروا بصاحبكم أهل الارض فوالله ما رأيت أسمر منه قط ، ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع . هكذا روى ابن اسحاق هذه القصة مرسلتها بهذا البيان . وقد روى أبو داود والترمذي من حديث أبي الحسن العسقلاني عن أبي جعفر بن محمد بن ركانة عن أبيه . أن ركانة صارع النبي ﷺ فصرعه النبي ﷺ ، ثم قال الترمذي غريب ولا تعرف أبا الحسن ولا ابن ركانة .

قلت : وقد روى أبو بكر الشافعي بإسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن يزيد بن ركانة صارع النبي ﷺ فصرعه النبي ﷺ ثلاث مرات ، كل مرة على مائة من النعم فلما كان في الثالثة قال يا محمد ما وضع ظهري إلى الأرض أحد قبلك ، وما كان أحد أبفض إلى منك . وأنا أشهد أن لا إله الا الله وأنتك رسول الله فقام عنه رسول الله ﷺ وورد عليه غنمه .

وأما قصة دعائه الشجرة فأقبلت فسيأتى في كتاب دلائل النبوة بسند السيرة من طرق جيدة صحيحة في مرات متعددة ان شاء الله وبه الثقة . وقد تقدم عن أبي الأشدين (٢) أنه صارع النبي ﷺ فصرعه رسول الله ﷺ . ثم ذكر ابن اسحاق قصة قدوم النصارى من أهل الحبشة نحواً من عشرين راكباً إلى مكة فأسادوا عن آخرهم ، وقد تقدم ذلك بعد قصة النجاشي والله الحمد والمنة .

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله ﷺ إذا جلس في المسجد يجلس إليه المستضعفون من أصحابه خباب ، وعمار ، وأبو فكيمة ، ويسار مولى صفوان بن أمية ، وصهيب ، وأشباههم من المسلمين . هزئت بهم قريش وقال بعضهم لبعض هؤلاء أصحابه كما ترون ، هؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى ودين الحق لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه وما خصهم الله به دوننا . فانزل الله عز وجل فيهم : (ولا تطرد الذين يبايعونهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ، وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاركرين وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا قتل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة إنه من عمل منكم سوءاً يجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم) . قال وكان رسول الله ﷺ كثيراً ما يجلس عند المروة إلى

مبيعة غلام (١) نصراني يقال له جبر ، عبد لبني الحضرمي وكانوا يقولون والله ما يعلم محمداً كثيراً فما يأتي به الاجبر ، فانزل الله تعالى في ذلك من قولهم (انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) . ثم ذكر نزول سورة الكوثر في العاص بن وائل حين قال عن رسول الله ﷺ إنه ابتز أي لا عقب له فاذا مات انقطع ذكره . فقال الله تعالى : (إن شئت لك هو الابر)

أي المقطوع الذكر بعده ، ولو خلف الوفا من النسل والذرية وليس الذكر والصيت ولسان الصدق بكثرة الأولاد والانسال والعقب ، وقد تسكأنا على هذه السورة في التفسير والله الحمد . وقد روى عن أبي جعفر الباقر : أن العاص بن وائل إنما قال ذلك حين مات القاسم بن النبي ﷺ ، وكان قد بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجبية . ثم ذكر نزول قوله : (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا

(١) في الاصلين : بيعة وفي ابن هشام والسهيلي : مبيعة (وزان مفعلة) وقوله : عبد لبني الحضرمي الذي في ابن هشام عبد لابن الحضرمي . (٢) اسمه كائدة بن أسيد الجمحي . من السهيلي .

ملكاً لقضى الأمر) وذلك بسبب قول أبي بن خلف وزمة بن الاسود والمص بن وائل والنضر ابن الحارث ؛ لولا أنزل عليك ملك يحكم الناس عنك .

قال ابن اسحاق : ومرو رسول الله ﷺ فيها بلغنا بالوليد بن المغيرة وأمية بن خلف وأبي جهل ابن هشام فهمزوه واستهزؤا به ، فحافظه ذلك فأنزل الله تعالى في ذلك من أمرهم (ولقد استهزؤا برسول من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) .

قلت : وقال الله تعالى (ولقد استهزؤا برسول من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبي المرسلين) وقال تعالى (أنا كفيناك المستهزئين) . قال سفيان عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : المستهزؤن الوليد بن المغيرة ، والاسود بن عبد يغوث الزهري ، والاسود بن المطلب أبو زمعة ، والحارث بن عيطل^(١) ، والمص بن وائل السهمي . فأتاه جبريل فشكاهم اليه رسول الله ﷺ فأراد الوليد فاشار جبريل الى أنملة وقال كفيته ، ثم أراه الاسود بن المطلب فلوأ الى عنقه وقال كفيته ، ثم أراه الاسود بن عبد يغوث فلوأ الى رأسه وقال كفيته ، ثم أراه الحارث بن عيطل فلوأ الى بطنه وقال كفيته ، ومرو به المص بن وائل فلوأ الى أخمصه وقال كفيته . فاما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلا له فاصاب أنملة فقطعها ، وأما الاسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها ، وأما الاسود ابن المطلب فعصى . وكان سبب ذلك أنه نزل تحت سمرة فجعل يقول : يا بني ألا تدفعون عني قد قتلت فجعلوا يقولون ما نرى شيئاً . وجعل يقول يا بني ألا تمنعون عني قد هلكك ، هاهو ذا الطعن بالشوك في عيني . فجعلوا يقولون ما نرى شيئاً . فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه . وأما الحارث بن عيطل فآخذ الماء الاصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها . وأما المص بن وائل فبينما هو كذلك يوماً إذ دخل في رأسه شبرقة حتى امتلأت منها فمات منها . وقال غيره في هذا الحديث : فركب الى الطائف على حمار فربض به على شبرقة - يعني شوكة - فدخلت في أخمص قدمه شوكة فقتلته . رواه البيهقي بنحو من هذا السياق .

وقال ابن اسحاق : وكان عطاء المستهزئين كما حسدني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر ، وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم ؛ الاسود بن المطلب أبو زمعة دعا عليه رسول الله ﷺ فقال : « اللهم أعم بصره وأثسكه ولده » . والاسود بن عبد يغوث ، والوليد بن المغيرة ، والمص بن وائل ، والحارث بن الطلائة . وذكر أن الله تعالى أنزل فيهم (فاصدع بما تؤمر وأعرض) (١) كذا في الاصلين . وسيأتي أنه ابن الطلائة وابن الطلائل وهكذا في ابن هشام والسيهلي وقد اختلف اصحاب السير في ذلك ومنهم من حكى القولين معاً .

عن المشركين إنا كفييناك المستهزئين الذين يمسكون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون) . وذكر أن جبريل أتى رسول الله ﷺ وهم يطوفون بالبیت فقام وقام رسول الله ﷺ إلى جنبه ، فمر به الاسود ابن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فسمى ، ومر به الاسود بن عبيد يعقوب فاشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه حبنا . ومر به الوليد بن المغيرة فاشار إلى أثر جرح باسفل كعبه كان أصابه قبل ذلك بسنين من مروره برجل يرش نبلا له من خزاعة فتعلق سهم بازاره فخدشه خدشا يسيراً ، فانتفض بعد ذلك فمات . ومر به العاص بن وائل فاشار إلى الخصى رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فرأى به على شبرقة فدخلت في الخصى رجله شوكة فقتلته . ومر به الحارث بن الطلائع فاشار إلى رأسه فامتعض قيحا فقتله .

ثم ذكر ابن اسحاق : أن الوليد بن المغيرة لما حضره الموت أوصى بنيه الثلاثة وهم خالد وهشام والوليد . فقال لهم : أي بني أوصيكم بثلاث ، دمي في خزاعة فلا تصاوه ، والله إني لأعلم أنهم منه براء ولكني أخشى أن تسبوا به بعد اليوم . وربى في ثقيف فلا تدعوه حتى تأخذوه ، وعقرى عند أبي أزيهر الدوسي فلا يفوتنكم به . وكان أبو أزيهر قد زوج الوليد بنتا له ثم أمسكها عنه فلم يدخلها عليه حتى مات ، وكان قد قبض عقرها منه - وهو صدأها - فلما مات الوليد وثبت بنو مخزوم على خزاعة يلتمسون منهم عقل الوليد ، وقالوا إنما قتلهم سهم صاحبكم ، فابت عليهم خزاعة ذلك حتى تناولوا أشمارا وغلظ بينهم الأمر . ثم أعطتهم خزاعة بعض العقول واصطلحوا وتماجزوا .

قال ابن اسحاق : ثم عدا هشام بن الوليد على أبي أزيهر وهو بسوق ذي المجاز فقتله ، وكان شريفا في قومه . وكانت ابنته تحت أبي سفيان - وذلك بعد بدر - فعمد يزيد بن أبي سفيان فجمع الناس لبني مخزوم وكان أبوه غائبا ، فلما جاء أبو سفيان غاظه ما صنع ابنه يزيد فلامه على ذلك وضر به وودى أبا أزيهر وقال لابنه : أعمدت إلى أن تقتل قریش بعضها بعضا في رجل من دوس ؟ وكتب حسان بن ثابت قصيدة له يحض أبا سفيان في دم أبي أزيهر ، فقال بئس ما ظن حسان أن يقتل بعضنا بعضا وقد ذهب أشرافنا يوم بدر . ولما أسلم خالد بن الوليد وشهد الطائف مع رسول الله ﷺ سأل في ربا أبيه من أهل الطائف ؟ .

قال ابن اسحاق : فذكر لي بعض أهل العلم إن هؤلاء الآيات نزلن في ذلك (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين) وما بعدها .

قال ابن اسحاق : ولم يكن في بني أزيهر ثار نعلمه حتى حجز الاسلام بين الناس ، إلا أن ضرار ابن الخطاب بن مرداس الاسلمي خرج في نفر من قریش إلى أرض دوس فقتلوا على امرأة يقال لها أم غيلان مولاة لدوس ، وكانت تمشط النساء وتجهز العرائس ، فارادت دوس قتلهم بأبي

أزهر فقامت دونه أم غيلان ونسوة كن معها حتى منتهى . قال السهيلي : يقال إنها أدخلته بين درعها وبدنها .

قال ابن هشام : فلما كانت أيام عمر بن الخطاب أتته أم غيلان وهي ترى أن ضراراً أخوه ، فقال لها عمر : لست بأخيه إلا في الاسلام ، وقد عرفت منك عليه فاعطاها على أنها بذت سبيل . قال ابن هشام : وكان ضرار بن الخطاب لحق عمر بن الخطاب يوم أحد فجعل يضربه بمرض الرمح ويقول : أنج يا ابن الخطاب لا أقنتك فكان عمر يعرفها له بعد الاسلام رضى الله عنهما .

فصل

وذكر البيهقي هاهنا دعاء النبي ﷺ على قریش حين استعصت عليه بسبع مثل سبع يوسف وأورد ما أخرجه في الصحيحين من طريق الاعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن ابن مسعود . قال : خمس مضيئ ، الزام ^(١) والروم ، والدخان ، والبطشة ، والقمر . وفي رواية عن ابن مسعود . قال : إن قریشاً ، لما استعصت على رسول الله ﷺ وأبطئوا عن الاسلام . قال : « اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف » قال فاصابهم سنة حتى فحست كل شئ ، حتى أكلوا الجيف والميتة وحتى أن أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كهمة الدخان من الجوع . ثم دعا فكشف الله عنهم ، ثم قرأ عبد الله هذه الآية (إنا كشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون) قال فعادوا فكفروا فاخروا إلى يوم القيامة — أو قال فاخروا إلى يوم بدر — قال عبد الله : إن ذلك لو كان يوم القيامة كان لا يكشف عنهم (يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) قال : يوم بدر . وفي رواية عنه . قال : لما رأى رسول الله ﷺ من الناس ادباراً . قال : « اللهم سبع كسبع يوسف » فاحذتهم سنة حتى أكلوا الميتة والجلود والمظام . فجاءه أبو سفيان وناس من أهل مكة فقالوا : يا محمد إنك تزعم أنك بعثت رحمة وأن قومه قد هلكوا ، فادع الله لهم . فدعا رسول الله ﷺ فسقوا الغيث ، فاطبقت عليهم سبعاً فشكا الناس كثرة المطر . فقال : « اللهم حوالينا ولا علينا » فانجذب السحاب عن رأسه فسقى الناس حولهم ، قال لقد مضت آية الدخان — وهو الجوع الذي أصابهم — وذلك قوله (إنا كشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون) وآية الروم ، والبطشة الكبرى . وانشقاق القمر ، وذلك كله يوم بدر . قال البيهقي : يريد — والله أعلم — البطشة الكبرى والدخان وآية الزام كلها حصلت ببدر . قال وقد أشار البخاري إلى هذه الرواية ثم أورد من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس . قال جاء : أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ يستغيث من الجوع لأنهم لم

(١) الزام : هو يوم بدر ذكر ذلك في النهاية .

يجدوا شيئاً حتى أكلوا المهن ، فانزل الله تعالى (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) قال فدعا رسول الله ﷺ حتى فرج الله عنهم . ثم قال الحافظ البيهقي : وقد روى في قصة أبي سفيان ما دل على أن ذلك بعد الهجرة ، ولعله كان مرتين والله أعلم .

فصل

ثم أورد البيهقي قصة فارس والروم وتزول قوله تعالى (ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفعلون في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) . ثم روى من طريق سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : كان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان ، فذكر ذلك المسلمون لابي بكر فذكره أبو بكر للنبي ﷺ فقال : « أما أنهم سيظهرون » فذكر أبو بكر ذلك للمشركين فقالوا : إجعل بيننا وبينك أجلاً إن ظهروا كان لك كذا وكذا ، وإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا فذكر ذلك أبو بكر للنبي ﷺ فقال : « ألا جعلته أداة » . قال دون العشر فظهرت الروم بعد ذلك . وقد أوردنا طرق هذا الحديث في التفسير وذكرنا أن المباحث - أي المراهن - لابي بكر أمية ابن خلف وأن الرهن كان على خمس قلايص ، وأنه كان إلى مدة ، فزاد فيها الصديق عن أمر رسول الله ﷺ وفي الرهن . وأن غلبة الروم على فارس كان يوم بدر - أو كان يوم الحديبية - فأنه أعلم . ثم روى من طريق الوليد بن مسلم حدثنا أسيد الكلابي أنه سمع الملاء بن الزبير الكلابي يحدث عن أبيه . قال : رأيت غلبة فارس الروم ، ثم رأيت غلبة الروم فارس ، ثم رأيت غلبة المسلمين فارس والروم وظهورهم على الشام والعراق ، كل ذلك في خمس عشرة سنة .

فصل

﴿ في الاسراء برسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ثم عرجه ﴾

﴿ من هناك إلى السموات وما رأى هنالك من الآيات ﴾

ذكر ابن عساکر أحاديث الاسراء في أوائل البعثة ، وأما ابن اسحاق فذكرها في هذا الموطن بعد البعثة بنحو من عشر سنين ، وروى البيهقي من طريق موسى بن عقبة عن الزهري أنه قال : أسرى رسول الله ﷺ قبل خروجه إلى المدينة بسنة . قال : وكذلك ذكره ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة . ثم روى الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن أسباط بن نصر عن إسماعيل السدي . أنه قال : فرض على رسول الله ﷺ الخمس ببيت المقدس

ليلة أسرى به قبل مهاجرة ستة عشر شهراً ، فعلى قول السدي يكون الاسراء في شهر ذى القعدة ، وعلى قول الزهري وعروة يكون في ربيع الاول . وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عثمان عن سميد ابن مينا عن جابر وابن عباس . قال : ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول . وفيه بمث ، وفيه عرج به إلى السماء ، وفيه هاجر ، وفيه مات . فيه انقطاع . وقد اختاره الحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي في سيرته وقد أورد حديثاً لا يصح سنده ذكرناه في فضائل شهر رجب أن الاسراء كان ليلة السابع والعشرين من رجب والله أعلم . ومن الناس من يزعم أن الاسراء كان أول ليلة جمعة من شهر رجب وهي ليلة الرغائب التي أحدثت فيها الصلاة المشهورة ولا أصل لذلك والله أعلم . وينشد بعضهم في ذلك :

ليلة الجمعة عرج بالنبي ليلة الجمعة أول رجب

وهذا الشعر عليه ركائة وإنما ذكرناه استشهاده لمن يقول به . وقد ذكرنا الاحاديث الواردة في ذلك مستقصاة عند قوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) فلتكتب من هناك على ما هي عليه من الاسانيد والعزو ، والسخام عليها ومعها ففيها مقنع وكفاية والله الحمد والمنة .

ولنذكر ملخص كلام ابن اسحاق رحمه الله فانه قال بعد ذكر ما تقدم من الفصول : ثم أسرى رسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى - وهو بيت المقدس من ايلياء - وقد فشا الاسلام بمكة في قریش وفي القبائل كلها . قال وكان من الحديث فيما بلغني عن مسراه ﷺ عن ابن مسعود وأبي سعيد وعائشة ومعاوية وأم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنهم والحسن بن أبي الحسن وابن شهاب الزهري وقتادة وغيرهم من أهل العلم ما اجتمع في هذا الحديث كل يحدث عنه بعض ما ذكر لي من أمره وكان في مسراه ﷺ وما ذكر لي منه بلاء ، وتمحيص وأمر من أمر الله وقدرته وسلطانه فيه عبرة لأولي الالباب ، وهدي ورحمة ونبات لمن آمن وصدق وكان من أمر الله على يقين ، فاسرى به كيف شاء وكأشياء ليريه من آياته ما أراد حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التي يصنع بها ما يريد . وكان عبد الله بن مسعود فيما بلغني يقول : أتى رسول الله ﷺ بالبراق وهي الدابة التي كانت تحمل عليها الانبياء قبله ، تضع حافرهما في موضع ينتهي طرفها فحمل عليها ثم خرج به صاحبه يرى الايات فيما بين السماء والارض حتى انتهى إلى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم وموسى وعيسى في نفر من الانبياء قد جمعوا له فضلى بهم ثم أتى بثلاثة آنية من لبن وخر ، وماء . فذكر أنه شرب اثناء اللبن ، ففسال لي جبريل هديت وهديت أممك . وذكر ابن اسحاق في سياق الحسن البصري مرسل أن جبريل أيقظه ثم خرج به إلى باب المسجد الحرام فاركبه

البراق وهو دابة أبيض بين البهمل والحمار وفي شانه جناحان يحفز بهما رجله يضع حافره في منتهى طرفه ، ثم حملني عليه ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته .

قلت : وفي الحديث وهو عن قتادة فيما ذكره ابن اسحاق أن رسول الله ﷺ لما أراد ركوب البراق شمس به فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال ألا تستحي يا براق مما تصنع ، فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمد أكرم عليه منه . قال فاستحي حتى أرفض عرقا ثم قرحتي ركبتك . قال الحسن في حديثه فمضى رسول الله ﷺ ومضى معه جبريل حتى انتهى به إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء فأمرهم رسول الله ﷺ فصلى بهم ، ثم ذكر اختياره إناؤه النبي على إناؤه الخمر وقول جبريل له هديت وهديت أمتك ، وحرمت عليكم الخمر . قال ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى مكة فأصبح يخبر قريشا بذلك فذكر أنه كذبه أكثر الناس وارتدت طائفة بعد إسلامها ، وبادر الصديق إلى التصديق وقال إني لا صدقه في خبر السماء بكرة وعشية أفلا أصدق في بيت المقدس وذكر أن الصديق سأله عن صفة بيت المقدس فذكرها له رسول الله ﷺ قال فيومئذ سمى أبو بكر الصديق . قال الحسن وأُنزل الله في ذلك (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) الآية . وذكر ابن اسحاق فيما بلغه عن أم هانئ : أنها قالت : ما أسرى برسول الله ﷺ إلا من بيتي تام عندي تلك الليلة بعد ما صلى العشاء الآخرة فلما كان قبيل الفجر أهبنا فلما كان الصبح وصلينا معه . قال : « يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة في هذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم قد صليت الغداة معكم الآن كما ترين » ثم قام ليخرج فاخذت بطرف رداءه فقلت يا نبي الله لا تحدث بهذا الحديث الناس فيكذبونك ويؤذونك . قال : « والله لأحدثنهموه » فأخبرهم فكذبوه . فقال الآية ذلك أني مررت بعير بني فلان بوادي كذا وكذا ، فانفرمهم حسن الدابة فندلهم بعير فدلتهم عليه وأنا متوجه إلى الشام ، ثم أقبلت حتى إذا كنت بصحنان مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياما ولم إناؤه فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ، ثم غطيت عليه كما كان . وآية ذلك أن غيرهم تصوب الآن من ثنية التنعيم البيضاء يقدمها جبل أورق عليه غرارتان إحداها سوداء والاخرى بقاء . قال فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من الجمل الذي وصف لهم ، وسألهم عن الإناؤه وعن البعير فأخبروهم كما ذكر صلوات الله وسلامه عليه . وذكر يونس بن بكير عن اسباط عن اسماعيل السدي أن الشمس كادت أن تغرب قبل أن يقدم ذلك العير ، فدعا الله عز وجل فخبسها حتى قدموا كما وصف لهم . قال فلم تحتبس الشمس على أحد إلا عليه ذلك اليوم وعلى يوشع بن نون . رواه البيهقي .

قال ابن اسحاق : وأخبرني من لا أنهم عن أبي سعيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لما

فرغت مما كان في بيت المقدس أتى بالمعراج ولم أر شيئاً قط أحسن منه وهو الذي يد إليه ميتكم عينيّه إذا حضر ، فاصعدني فيه صاحبي حتى انتهت بي إلى باب من أبواب السماء يقال له باب الحفظة عليه يريد من الملائكة يقال له اسماعيل تحت يده اثنا عشر ألف ملك تحت يد كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك ، قال يقول رسول الله ﷺ إذا حدث بهذا الحديث (وما يعلم جنود ربك الا هو) . ثم ذكر بقية الحديث وهو مطول جداً وقد سقناه باسناداه وانقطعه بكامله في التفسير وتكاملنا عليه فانه من غرائب الاحاديث وفي اسناده ضعف : وكذا في سياق حديث أم هانئ فان الثابت في الصحيحين من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس أن الاسراء كان من المسجد من عند الحجر وفي سياقه غرابة أيضاً من وجوه قد تكاملنا عليها هناك ومنها قوله : وذلك قبل أن يوحى اليه ، والجواب أن مجيئهم أول مرة كان قبل ان يوحى اليه فكانت تلك الليلة ولم يكن فيها شيء ثم جاء الملائكة ليلة أخرى ولم يقل في ذلك ، وذلك قبل أن يوحى اليه بل جاء بعد ما أوحى اليه فكان الاسراء قطعاً بعد الايجاء إما بقليل كما زعمه طائفة ، أو بكثير نحو من عشر سنين كما زعمه آخرون وهو الاظهر ، وغسل صدره تلك الليلة قبل الاسراء غسلان - أو ثالثاً - على قول أنه مطلوب إلى الملائكة الاعلى والحضرة الالهية ثم ركب البراق رفعة له وتمظيها وتكريماً فلما جاء بيت المقدس ربطه بالحلقة التي كانت تربط بها الانبياء ثم دخل بيت المقدس فصلى في قبلته تحية المسجد ، وأنكر حقيقة رضى الله عنه دخوله إلى بيت المقدس وربطه الدابة وصلاته فيه وهذا غريب ، والنص المثبت مقدم على الثاني . ثم اختلفوا في اجتماعه بالانبياء وصلاته بهم أكان قبل عروجه إلى السماء كما دل عليه ما تقدم أو بعد نزوله منها كما دل عليه بعض السياقات وهو أنسب كما سند كره على قولين فالتة أعلم . وقيل إن صلاته بالانبياء كانت في السماء ، وهكذا تخيره من الآنية اللين والآخر والساء هل كانت بيت المقدس كما تقدم أو في السماء كما ثبت في الحديث الصحيح والمقصود أنه ﷺ لما فرغ من أمر بيت المقدس نصب له المعراج وهو السلم فصعد فيه إلى السماء ولم يكن الصعود على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس بل كان البراق مربوطاً على باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه إلى مكة . فصعد من سماء إلى سماء في المعراج حتى جاوز السابعة وكما جاء سماء تلقته منها مقر بوها ومن فيها من أكابر الملائكة والانبياء وذكر أعيان من رآه من المرسلين كآدم في سماء الدنيا ، ويحيى وعيسى في الثانية^(١) وإدريس في الرابعة ، وموسى في السادسة - على الصحيح - وإبراهيم في السابعة مستنداً ظهره إلى البيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون الفا من الملائكة يصعدون فيه صلاة وطوافاً ثم لا

(١) كذا في الاصلين ولم يذكر الثالثة ولا الخامسة . وفي ابن هشام : أنه رأى في الثالثة يوسف الصديق وفي الخامسة هارون .

يعودون اليه إلى يوم القيامة ، ثم جلوس مراتبهم كلهم حتى ظهر المستوى يسمع فيه صريف الاقلام ،
ورفعت لرسول الله ﷺ سدرة المنتهى وإذا ورقها كاذان النيلة ، ونبتها ككتلال حجر ، وغشها عند
ذلك أمور عظيمة ألوان متعددة باهرة ورقبتها الملائكة مثل الغربان على الشجرة كثرة وفراس من
ذهب وغشها من نور الرب جل جلاله ورأى هناك جبريل عليه السلام له مائة جناح ما بين كل
جناحين كما بين السماء والارض وهو الذي يقول الله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى
عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاع البصر وما طغى) أى ما زاع عينا ولا شمالا ولا
ارتفع عن المسكن الذى حد له النظر اليه . وهذا هو الثبات العظيم والادب الكريم وهذه الرؤيا
الثانية لجبريل عليه السلام على الصفة التى خلقه الله تعالى عليها كما نقله ابن مسعود وأبو هريرة
وأبو ذر وعائشة رضى الله عنهم أجمعين . والاولى هى قوله تعالى (علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى
وهو بالافق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فلوحي إلى عبده ما أوحى) وكان ذلك
بالإبطح ، تدلى جبريل على رسول الله ﷺ ساداً عظم خلقه ما بين السماء والارض حتى كان بينه
وبينه قاب قوسين أو أدنى ، هذا هو الصحيح فى التفسير كما دل عليه كلام أكابر الصحابة المتقدم
ذكرهم رضى الله عنهم . فاما قول شريك عن أنس فى حديث الاسراء ثم دنا الجبار رب العزة
فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فقد يكون من فهم الراوى فاقحمه فى الحديث والله أعلم . وإن كان
محفوظا فليس بتفسير للآية الكريمة بل هو شىء آخر غير ما دلت عليه الآية الكريمة والله أعلم .
وفرض الله سبحانه وتعالى على عبده محمد ﷺ وعلى أمته الصلوات ليلتشد خمسين صلاة فى كل يوم
وليلة ، ثم لم يزل يختلف بين موسى وبين ربه عز وجل حتى وضعها الرب جل جلاله وله الحمد والمنة
إلى خمس . وقال هى خمس وهى خمسون الحسنة بعشر أمثالها ، فحصل له التكليم من الرب عز وجل
ليلتشد ، وأتمه السنة كالمطيقين على هذا ، واختلفوا فى الرؤية فقال بعضهم رآه بفؤاده مرتين ، قاله
ابن عباس وطائفة ، وأطلق ابن عباس وغيره الرؤية وهو محمول على التقييد ، ومن أطلق الرؤية أبو
هريرة واحمد بن حنبل رضى الله عنهما ، وصرح بعضهم بالرؤية بالعينين واختاره ابن جرير وبالغم
فيه وتبعه على ذلك آخرون من المتأخرين . ومن نص على الرؤية بعيني رأسه الشيخ أبو الحسن
الاشعري فيما نقله السهيلي عنه ، واختاره الشيخ أبو زكريا النووى فى فتاويه . وقالت طائفة لم يقع
ذلك لحديث أبى ذر فى صحيح مسلم . قلت : يارسول الله هل رأيت ربك ؟ فقال : « نوراى أراه »
وفى رواية « رأيت نورا » . قالوا ولم يكن رؤية الباقى بالعين الفانية ولهذا قال الله تعالى لموسى فيما
روى فى بعض الكتب الإلهية يا موسى إنه لا يرانى حتى إلأمات ، ولا يابس إلا تدهده والخلاف
فى هذه المسئلة مشهور بين السلف والخلف والله أعلم . ثم هبط رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس

والظاهر أن الأنبياء هم جلوسه تكريماً له وتعليقاً عند رجوعه من الحضرة الإلهية العظيمة كما هي عادة الواقفين لا يجتمعون بأحد قبل النبي طلبوا إليه ، ولهذا كان كلما مر على واحد منهم يقول له جبريل - عنده ما يتقدم ذلك للسلام عليه - هذا فلان فسلم عليه ، فأمر أن قد اجتمع بهم قبل صعوده لما احتاج إلى معرفتهم مرة ثانية . ومما يدل على ذلك أنه قال فلما حانت الصلاة : أمتهم . ولم يكن وقت إذ ذلك إلا صلاة الفجر فتقدم بهم إمامهم عن أمر جبريل فيما يرويه عن ربه عز وجل ، فاستفاد بعضهم من هذا أن الإمام الأعظم يقدم في الإمامة على رب المنزل حيث كان بيت المقدس محلهم ودار إقامتهم ، ثم خرج منه فركب البراق وعاد إلى مكة فأصبح بها وهو في غاية الثبات والسكينة والوقار . وقد عاين في تلك الليلة من الآيات والامور التي لورآها - أو بعضها - غيره لأصبح منهشاً أو طائش العقل ، ولكنه عليه السلام أصبح واجماً - أي ساكناً - يخشى أن بدأ فآخبر قومه بما رأى أن يبادروا إلى تكذيبه ، فتلفظ بأخبارهم أولاً بأنه جاء بيت المقدس في تلك الليلة وذلك أن أبا جهل لعنه الله رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الحرام وهو جالس واجم . فقال له : هل من خبر ؟ فقال نعم ! فقال : وما هو ؟ فقال اني أسرى في الليلة إلى بيت المقدس . قال إلى بيت المقدس ؟ قال نعم ! قال رأيت إن دعوت قومك لك لتخبرهم أخبرهم بما أخبرني به ؟ قال نعم ! فأراد أبو جهل جمع قريش ليسمعوا منه ذلك وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم ليخبرهم ذلك ويبلغهم . فقال أبو جهل : هيا معشر قريش وقد اجتمعوا من أنديتهم فقال أخبر قومك بما أخبرني به ، فقص عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى وأنه جاء بيت المقدس هذه الليلة وصلى فيه ، فمن بين مصفق وبين مصغر تكديباً له واستبماداً لخبره وطار الخبر بمكة وجاء الناس إلى أبي بكر رضي الله عنه فآخبروه أن محمداً صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا . فقال : انكم تكذبون عليه فقالوا والله إنه ليقوله . فقال : ان كان قاله فلقد صدق . ثم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله مشركي قريش فسأله عن ذلك فآخبره فاستعابه عن صفات بيت المقدس ليسمع المشركون ويعلموا صدقه فيما أخبرهم به . وفي الصحيح : أن المشركين هم الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك . قال : فجعلت أخبرهم عن آياته فالتبس على بعض الشيء ، فجلى الله لي بيت المقدس حتى جعلت أنظر إليه دون دار عقيل وأنته لهم . فقال : أما الصفة فقد أصاب .

وذكر ابن اسحاق ما تقدم من إخباره لهم بمروره بعيرهم وما كان من شره ماثمهم ، فأقام الله عليهم الحجة واستنارت لهم الحجة ، فأمن من آمن على يقين من ربه وكفر من كفر بعد قيام الحجة عليه . كما قال الله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) أي اختباراً لهم وامتحاناً . قال ابن عباس : هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا مذهب جمهور السلف والخلف من أن الأسراء كان ببذنه وروحه صلوات الله وسلامه عليه كما دل على ذلك ظاهر السياقات من ركوبه

وصعوده في الممرج وغير ذلك . ولهذا قال فقال : (سبحانه الذي أسرى بسيد ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لئلا يريه) والتسبيح إنما يكون عند الآيات العظيمة الخارقة فدل على أنه بالروح والجسد والتعب عبارة عنهما وأيضا فلو كان مناما لما بادر كفار قريش إلى التأكيد به والاستبعاد له إذ ليس في ذلك كبير أمر ، فدل على أنه أخبرهم بأنه أسرى به يقظة لا مناما . وقوله في حديث شريك عن أنس : ثم استيقظت فإذا أنا في الحجر مسدود في غلطات شريك أو محمول على أن الانتقال من حال إلى حال يسمى يقظة كما سيأتي في حديث عائشة رضي الله عنها حين ذهب رسول الله ﷺ الطائف فكذبوه ، قال فرجعت مهموما فلم استفق إلا بقرن الثعالب ، وفي حديث أبي أسيد حين جاء بابنه إلى رسول الله ﷺ ليحسبه فوضعه على نخذ رسول الله ﷺ واشتغل رسول الله ﷺ بالحديث مع الناس فرفع أبو أسيد ابنه ، ثم استيقظ رسول الله ﷺ فلم يجد الصبي فسأل عنه فقالوا رفع فسماء المنذر . وهذا الحل أحسن من التعليل والله أعلم . وقد حكى ابن اسحاق فقال حدثني بعض آل أبي بكر عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن الله أسرى بروحه . قال وحدثني يعقوب بن عتبة : أن معاوية كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال : كانت رؤيا من الله صادقة .

قال ابن اسحاق : فلم ينكر ذلك من قولها لقول الحسن إن هذه الآية نزلت في ذلك (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) وكما قال إبراهيم عليه السلام (يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك) وفي الحديث : « تنام عيني وقلبي يقظان » .

قال ابن اسحاق : فالله أعلم أي ذلك كان . قد جاء وعين فيه ما عين من أمر الله تعالى على أي حاله كان نائما أو يقظانا كل ذلك حق وصدق .

قلت : وقد توقف ابن اسحاق في ذلك وجوز كلاً من الأمرين من حيث الجملة ، ولكن الذي لا يشك فيه ولا يتمارى أنه كان يقظانا لا محالة لما تقدم وليس مقتضى كلام عائشة رضي الله عنها أن جسده ﷺ ما فقد وإنما كان الاسراء بروحه أن يكون مناما كما فهمه ابن اسحاق ، بل قد يكون وقع الاسراء بروحه حقيقة وهو يقظان لا نائم وركب البراق وجاء بيت المقدس وصعد السموات وعين ما عين حقيقة ويقظة لا مناما . لعل هذا مراد عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، ومراد من تابعها على ذلك . لا ما فهمه ابن اسحاق من أنهم أرادوا بذلك المنام والله أعلم .

تنبيه : ونحن لا ننكر وقوع منام قبل الاسراء طبق ما وقع بعد ذلك ، فانه ﷺ كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، وقد تقدم مثل ذلك في حديث بدء الوحي أنه رأى مثل ما وقع له يقظة مناما قبله ليكون ذلك من باب الارهاص والتوضئة والتثبيت والاياناس والله أعلم .

ثم قد اختلف العلماء في أن الاسراء والمعراج هل كانا في ليلة واحدة أو كل في ليلة على حدة ؟
فمنهم من يزعم أن الاسراء في اليقظة ، والمعراج في المنام . وقد حكى المهلب بن أبي صفرة في شرحه
البخارى عن طائفة أنهم ذهبوا إلى أن الاسراء مرتين مرة بروحه مناما ، ومرة ببدنه وروحه يقظة
وقد حكاه الحافظ أبو القاسم السهيلي عن شيخه أبي بكر بن العربي الفقيه . قال السهيلي : وهذا القول
يجمع الاحاديث فان في حديث شريك عن أنس وذلك فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه ،
وقال في آخره : ثم استيقظت فاذا أنا في الحجر وهذا منام . ودل غيره على اليقظة ، ومنهم من يدعى
تعدد الاسراء في اليقظة أيضا حتى قال بعضهم : إنها أربع اسراءات ، وزعم بعضهم أن بعضها كان
بالمدينة وقد حاول الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله أن يوفق بين اختلاف ما وقع في روايات
حديث الاسراء بالجمع المتعدد فجعل ثلاث اسراءات ، مرة من مكة إلى البيت المقدس فقط على
البراق ، ومرة من مكة إلى السماء على البراق أيضا لحديث حذيفة ، ومرة من مكة إلى بيت المقدس ثم
إلى السموات .

فنقول : ان كان انما حمله على القول بهذه الثلاث اختلاف الروايات فقد اختلف لفظ الحديث
في ذلك على أكثر من هذه الثلاث صفات ومن أراد الوقوف على ذلك فلينظر فيما جمعناه مستقصيا
في كتابنا التفسير عند قوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) وان كان انما حمله أن التقسيم
انحصر في ثلاث صفات بالنسبة إلى بيت المقدس وإلى السموات فلا يلزم من الحصر العقلي والوقوع
كذلك في الخارج الا بدليل والله أعلم . والعجب أن الامام أبا عبد الله البخارى رحمه الله ذكر
الاسراء بعد ذكره موت أبي طالب فوافق ابن اسحاق في ذكره المعراج في أواخر الأمر ، وخالفه في
ذكره بعد موت أبي طالب ، وابن اسحاق أخر ذكر موت أبي طالب على الاسراء : فأن الله أعلم أى
ذلك كان . والمقصود أن البخارى فرق بين الاسراء وبين المعراج فبوب لكل واحد منهما بابا على
حده فقال : باب حديث الاسراء وقول الله سبحانه وتعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) حدثنا
يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب حدثني أبو سالم بن عبد الرحمن قال سمعت
جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لما كذبتني قريش كنت في الحجر فحلى الله لي
بيت المقدس فطقت أحدهم عن آياته وأنا أنظر إليه » . وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى من
حديث الزهري عن أبي سالم عن جابر به . ورواه مسلم والنسائى والترمذى من حديث عبد الله بن
الفضل عن أبي سالم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه . ثم قال البخارى باب حديث المعراج :
حدثنا هذبة بن خالد حدثنا همام حدثنا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن النبي
ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به . قال : « بينما أنا في الحطيم — وربما قال في الحجر — مضجعا

اذ أتاني آت « فقال وسمعه يقول : « فلتق ما بين هذه الى هذه » فقلت الجبارود وهو الى جنبي
 ما يعني به . قال من نقرة شجرة الى شجرته وسمعه يقول من قمة الى شجرته . « فاستخرج قلبي ثم أتيت
 بطست من ذهب مملوءة ايماناً فغسل قلبي ثم حشيت ثم أعيدت ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار
 أبيض « فقال الجبارود : وهو اليراق يا أبا حمزة ؟ قال : أنس نعم : 1 « يضع خطوه عند أقصى طرفه .
 فحملت عليه فانطلق بي جبرائيل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبرائيل قيل
 ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل اليه ؟ قال نعم 1 قيل مرحباً به فنعلم المجيء جاء ، ففتح فلما
 خلصت فاذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحباً بالابن
 الصالح والنبى الصالح ، ثم صعد بي الى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبرائيل قيل ومن
 معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل اليه [قال نعم] 1 قيل : مرحباً به فنعلم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت
 اذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة ، قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت عليهما فردا ثم قال : مرحباً
 بالاخ الصالح والنبى الصالح . ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح جبرائيل قيل من هذا ؟ قال
 جبرائيل قال ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل اليه ؟ قال نعم 1 قيل مرحباً به فنعلم المجيء جاء ،
 ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحباً بالاخ الصالح
 والنبى الصالح . ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبرائيل قال ومن
 معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل اليه ؟ قال نعم 1 قيل مرحباً به فنعلم المجيء جاء . فلما خلصت اذا
 ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد . ثم قال مرحباً بالاخ الصالح والنبى الصالح .
 ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبرائيل قيل ومن معك ؟ قال محمد
 قيل وقد أرسل اليه ؟ قال نعم 1 قيل مرحباً به فنعلم المجيء جاء . فلما خلصت اذا هارون قال هذا
 هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحباً بالاخ الصالح والنبى الصالح . ثم صعد بي حتى
 أتى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال جبرائيل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل
 اليه ؟ قال نعم 1 قيل مرحباً به فنعلم المجيء جاء . فلما خلصت اذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه ،
 فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحباً بالاخ الصالح والنبى الصالح . فلما تجاوزت بكى ، فقيل له ما يبكيك ؟
 قال : أبكى لأن غلاماً بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر من يدخلها من أمتى . ثم صعد بي
 الى السماء السابعة فاستفتح جبرائيل قيل من هذا ؟ قال جبرائيل قيل ومن معك ؟ قال محمد . قيل
 وقد بعث اليه ؟ قال نعم 1 قيل مرحباً به فنعلم المجيء جاء . فلما خلصت اذا ابراهيم قال هذا أبوك
 ابراهيم فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح . ثم رفعت
 الى سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار : نهران ظاهران ، ونهران باطنان . فقلت : ما هذا يا جبرائيل ؟

والمسلمون يأتون بالنبي ﷺ وهو يقتدى بجبرائيل كما جاء في الحديث عن ابن عباس وجابر : « أمني جبرائيل عند البيت مرتين » . فبين له الوقتين الأول والأخير ، فهما وما بينهما الوقت الموسع ، ولم يذكر توسعة في وقت المغرب . وقد ثبت ذلك في حديث أبي موسى وبريدة وعبد الله بن عمرو وكلهم في صحيح مسلم . ووضع بسط ذلك في كتابنا الأحكام والله الحمد . فأما ما ثبت في صحيح البخاري عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين فأقربت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر . وكذا رواه الأوزاعي عن الزهري ، ورواه الشامي عن مسروق عنها وهذا مشكل من جهة أن عائشة كانت تقيم الصلاة في السفر ، وكذا عثمان بن عفان وقد تسكلمنا على ذلك عند قوله تعالى : (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يقتلكم الذين كفروا) . قال البيهقي : وقد ذهب الحسن البصري إلى أن صلاة الحضر أول ما فرضت أربعاً كما ذكره مسلاً من صلاته عليه السلام صبيحة الأسراء الظهر أربعاً ، والعصر أربعاً والمغرب ثلاثاً يجزى في الأوليين ، وانعشاء أربعاً يجزى في الأوليين . والصبح ركعتين يجزى فيهما . قلت : فلعل عائشة أرادت أن الصلاة كانت قبل الأسراء تكون ركعتين ركعتين ثم لما فرضت الخمس فرضت حضراً على ما هي عليه ، ورخص في السفر أن يصلي ركعتين كما كان الأمر عليه قديماً وسلي هذا لا يبقى اشكال بالركنية والله أعلم .

فصل

﴿ الشقاق الثمر في زمان النبي ﷺ ﴾

وجعل الله له آية على صدق رسول الله ﷺ فيما جاء به من الهدى ودين الحق حيث كان ذلك وقت اشارته الكريمة ، قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز : (اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر : وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر) وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام . وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها وتفكر فيها . ونحن نذكر من ذلك ما تيسر إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان . وقد قمنا ذلك في كتابنا التفسير فذكرنا الطرق والألفاظ محررة ، ونحن نشير ههنا إلى أطراف من طرقها ونعزوها إلى الكتب المشهورة بحول الله وقوته . وذلك مروى عن أنس بن مالك ، وجبير بن مطعم ، وحذيفة ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين .

أما أنس فقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس بن مالك قال :

سأل أهل مكة النبي ﷺ آية ، فانشق القمر بمكة مرتين . فقال (اقتربت الساعة وانشق القمر)
ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به وهذا من مراسلات الصحابة ، والظاهر أنه تلقاه عن
الجم الفقير من الصحابة ، أو عن النبي ﷺ ، أو عن الجميع وقد روى البخاري ومسلم هذا الحديث
من طريق شيخان . زاد البخاري وسعيد بن أبي عروبة وزاد مسلم وشعبة ثلاثهم عن قتادة عن
أنس : أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فإراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما
لفظ البخاري .

وأما جبير بن مطعم فقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن كثير حدثنا سليمان بن كثير عن حصين
ابن عبد الرحمن عن محمد بن جبير بن مطعم [عن أبيه] . قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ
فصار فرقتين ، فرقة على هذا الجبل ، وفرقة على هذا الجبل . فقالوا : سحرنا محمد ، فقالوا إن كان
سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم . تفرد به أحمد . وهكذا رواه ابن جرير عن حديث
محمد بن فضيل وغيره عن حصين به . وقد رواه البيهقي من طريق إبراهيم بن طهمان وهشيم كلاهما
عن حصين بن عبد الرحمن عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده به ، فزاد رجلا
في الاسناد .

وأما حذيفة بن اليمان فروى أبو نعيم في الدلائل من طريق عن عطاء بن السائب عن أبي
عبد الرحمن السلمي . قال : خطبنا حذيفة بن اليمان بالمداين فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (اقتربت
الساعة وانشق القمر) ألا وإن الساعة قد اقتربت ، ألا وإن القمر قد انشق ، ألا وإن الدنيا قد
أذنت بفراق ، ألا وإن اليوم المضار وغدا السباق . فلما كانت الجمعة الثانية انطلقت مع أبي إلى
الجمعة فحمد الله وقال مثله وزاد : ألا وإن السابق من سبق إلى الجمعة . فلما كنا في الطريق قلت لأبي
ما يعني بقوله - غداً السباق . قال من سبق إلى الجنة .

وأما ابن عباس فقال البخاري حدثنا يحيى بن كثير حدثنا بكر عن جعفر عن عراك بن مالك
عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس . قال : إن القمر انشق في زمان النبي ﷺ .
ورواه البخاري أيضاً ومسلم من حديث بكر - وهو ابن نصر - عن جعفر قوله : (اقتربت الساعة
وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) . قال : قد مضى ذلك كان قبل الهجرة
انشق القمر حتى رأوا شقيه . وهكذا رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه وهو من مراسلاته .
وقال الحافظ أبو نعيم حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا بكر بن سهيل حدثنا عبد الغني بن سعيد حدثنا
موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس . وعن مقاتل عن الضحاك عن ابن
عباس في قوله : (اقتربت الساعة وانشق القمر) . قال ابن عباس : اجتمع المشركون إلى رسول الله

عنهم عليه السلام الوليد بن النخيلة ، وأبو جهل بن هشام ، والناس بن وائل ، والناص بن هشام ، والاسود بن عبد يغوث ، والاسود بن المطلب ، ورملة بن الاسود ، والنضر بن الحارث ، ونظراؤهم . فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قعقمان . فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « إن فعلت تؤمنوا ؟ » قالوا نعم . وكانت ليلة بمر . فسأل الله عز وجل أن يعطيه ما سألوا ، فامسى القمر قد سلب نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قعقمان ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي يا أبا سادة بن عبد الاسد والارقم بن الارقم اشهدوا . ثم قال أبو نعيم وحدثنا سليمان بن احمد حدثنا الحسن بن العباس الرازي عن الهيثم بن النعمان حدثنا اسماعيل بن زياد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس . قال : انتهى أهل مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : هل من آية نعرف بها أنك رسول الله ؟ فهبط جبرائيل فقال يا محمد قل لأهل مكة أن يحتفلوا هذه الليلة فسيروا آية إن اتفقوا بها . فآخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالة جبرائيل فخرجوا ليلة الشق أربع عشرة ، فانشق القمر نصفين نصفاً على الصفا ونصفاً على المروة فنظروا ، ثم قالوا بأبصارهم فسحوها ، ثم أعادوا النظر فنظروا ثم مسحوا أعينهم ثم نظروا . فقالوا : يا محمد ما هذا إلا سحر واهب فأنزل الله : (اقتربت الساعة وانشق القمر) . ثم روى الضحاك عن ابن عباس . قال : جاءت أخبار اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أرنا آية حتى تؤمن بها ، فسأل ربه فأراه القمر قد انشق بجزئين ، أحدهما على الصفا والآخر على المروة ، قدر ما بين العصر إلى الليل ينظرون إليه ثم غاب . فقالوا : هذا سحر مفترى . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا احمد بن عمرو الرازي حدثنا محمد بن يحيى القطامي حدثنا محمد ابن بكر حدثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس . قال : كسف القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سحر القمر قُتِلَتْ : (اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) . وهذا اسناد جيد وفيه أنه كسف تلك الليلة فلهذه حصل له انشقاق في ليلة كسوفه ولهذا تخفى أمره على كثير من أهل الارض ومع هذا قد شوه ذلك في كثير من بقاع الارض ويقال : إنه أرخ ذلك في بعض بلاد الهند ، وبني بناء تلك الليلة وأرخ بليلة انشقاق القمر .

وأما ابن عمر فقال الحافظ البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر احمد بن الحسن القاضي قالوا : حدثنا أبو العباس الاصم حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا وهب بن جرير عن شعبة عن الاعمش عن مجاهد به . قال مسلم كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود . وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

وأما عبد الله بن مسعود فقال الامام احمد حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود . قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين حتى نظروا اليه ، فقال

رسول الله ﷺ أشهدوا . وهكذا أخرجاه من حديث سفيان - وهو ابن عيينة - به . ومن حديث
الاعمش عن ابراهيم عن أبي معمر عن عبد الله بن سمرة عن ابن مسعود قال : انشق القمر ونحن مع
رسول الله ﷺ بمى ، فقال النبي ﷺ : « أشهدوا » وذهبت فرقة نحو الجبل . لفظ البخارى ثم
قال البخارى وقال أبو الضحاك عن مسروق عن عبد الله بمكة - وثابه محمد بن مسلم عن ابن أبي
نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله رضى الله عنه . وقد أسند أبو داود الطيالسى حديث أبي
الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود . قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ ، فقالت
قريش : هذا سحر ابن أبي كبشة . فقالوا : أنذروا ما يأتيكم به السفار ؟ فان محمدا لا يستطيع أن
يسحر الناس كلهم . قال فجاء السفار فقالوا ذلك . وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو
العباس حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا هشيم حدثنا مغيرة عن أبي
الضحى عن مسروق عن عبد الله . قال : انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين . فقال كفار قريش
لأهل مكة : هذا سحر سحرهم به ابن أبي كبشة ، أنظروا السفار فان كانوا رأوا ما رأيتم فقلنا صدق
وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحرهم به . قال فسئل السفار قال - وقدموا من كل وجهة -
فقالوا : رأينا وهكذا رواه أبو نعيم من حديث جابر عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن
عبد الله به . وقال الامام احمد حدثنا مؤمل حدثنا اسراييل عن سماك عن ابراهيم عن الاسود عن
عبد الله - وهو ابن مسعود - . قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى رأيت الجبل بين
فرقتي القمر . وهكذا رواه ابن جرير من حديث أسباط عن سماك به . وقال الحافظ أبو نعيم حدثنا
أبو بكر الطلحي حدثنا أبو حصين محمد بن الحسين الوادعي حدثنا يحيى الحماني حدثنا يزيد عن
عطاء عن سماك عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله . قال : كنا مع النبي ﷺ بمى وانشق القمر
حتى صار فرقتين ، فرقة خلف الجبل . فقال النبي ﷺ : « أشهدوا ، أشهدوا » وقال أبو نعيم حدثنا
سليمان بن احمد حدثنا جعفر بن محمد القلانسي حدثنا آدم بن أبي إياس ثنا الليث بن سعد حدثنا
هشام بن سعد عن عتبة عن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود . قال : انشق القمر ونحن بمكة ، فلقد
رأيت أحد شقيه على الجبل الذي بمى ونحن بمكة . وحدثنا احمد بن اسحاق حدثنا أبو بكر بن أبي
عاصم حدثنا محمد بن حاتم حدثنا معاوية بن عمرو عن زائدة عن عاصم عن زر عن عبد الله . قال :
انشق القمر بمكة فرأيت فرقتين . ثم روى من حديث علي بن سعيد بن مسروق حدثنا موسى بن
عمير عن منصور بن المعتمر عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود . قال : رأيت القمر والله
منشقا باثنتين بينهما حراء . وروى أبو نعيم من طريق السدى الصغير عن السكاكي عن أبي صالح
عن ابن عباس . قال : انشق القمر فلقطين . فلقة ذهبية ، وفلقة بقرية . قال ابن مسعود : لقد رأيت

جبل حراء بين فلقي القمر ، فذهب فلقة . فنجب أهل مكة من ذلك وقالوا هذا سحر مصنوع سيذهب . وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد . قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين : فقال النبي ﷺ لأبي بكر : « فاشهد يا أبا بكر » وقال المشركون : سحر القمر حتى انشق فهذه طرق متعددة قوية الاسانيد تفيد القطع لمن تأملها وعرف عدالة رجالها . وما يذكره بعض القصاص من أن القمر سقط إلى الأرض حتى دخل في كم النبي ﷺ وخرج من الكم الآخر فلا أصل له ، وهو كذب مفترى ليس بصحيح . والقمر حين انشق لم يزيل السماء غير أنه حين أشار إليه النبي ﷺ انشق عن اشارته فصار فرقتين ، فسارت واحدة حتى صارت من وراء حراء ، وانظروا إلى الجبل بين هذه وهذه كما أخبر بذلك ابن مسعود أنه شاهد ذلك . وما وقع في رواية أنس في مسند أحمد : فانشق القمر بمكة مرتين فيه نظر ، والظاهر أنه أراد فرقتين والله أعلم .

فصل

﴿ في وفاة أبي طالب عم رسول الله ﷺ ﴾

ثم من بعده خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله ﷺ ورضي الله عنها . وقيل بل هي توفيت قبل المشهور الاول . وهذان المشفقان ، هذا في الظاهر وهذه في الباطن ، هذاك كافر وهذه مؤمنة صديقة رضي الله عنها وأرضاها .

قال ابن اسحاق : ثم إن خديجة وأبا طالب هلكا في عام واحد ، فمتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلك خديجة ، وكانت له وزير صدق على الابتلاء ^(١) يسكن اليها ، وبهلك عمه أبي طالب وكان له عضداً وحرزاً في أمره ، ومنعة وفاصراً على قومه . وذلك قبل مهاجرة إلى المدينة بثلاث سنين فلما هلك أبو طالب ، نالت قريش من رسول الله ﷺ من الاذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فمثر على رأسه تراباً . فحدثني هشام بن عروة عن أبيه . قال : فدخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه فقامت اليه إحدى بناته تغسله وتبكي ، ورسول الله ﷺ يقول : « لا تبكي يا بنية فان الله مانع أباك » ويقول بين ذلك : « ما نالتني قريش شيئاً اكرهه حتى مات أبو طالب » .

وذكر ابن اسحاق قبل ذلك : أن أحدهم ربما طرح الاذى في برمته ﷺ إذا نصبت له . قال فكان إذا فعلوا ذلك كما حدثني عمر بن عبد الله عن عروة يخرج بذلك الشيء على العود فيقذفه على بابه ثم يقول : يا بني عبد مناف أي جوار هذا ؟ ثم يلقيه في الطريق .

(١) في ابن هشام : على الاسلام يشكو اليها . وأحسب أن عبارة الاصل النسب للمقام .

قال ابن اسحاق : ولما اشتكى أبو طالب وبلغ قريشا ثمانية قالت قريش بعضهم لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما ، وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا ، فاننا والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا . قال ابن اسحاق : وحديثي العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس قال : لما مشوا إلى أبي طالب وكأوه - وهم أشراف قومه عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأممية بن خلف ، وأبوسميان بن حرب ، في رجال من أشرافهم - . فقالوا : يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمت ، وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك فادعه نخذ لنا منه ونخذ له منا ليسكف عنا ونسكف عنه ، وليدعنا وديننا ولندعه ودينه . فبعث إليه أبو طالب فجاءه فقال : يا ابن أخي هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا اليك ليعطوك وليأخذوا منك . قال فقال رسول الله ﷺ : « يا عم كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم » . فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات . قال : « تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه » . فصفقوا بأيديهم . ثم قالوا : يا محمد أتريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن أمرك لعجب . قال ثم قال بعضهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون ، فانطلقوا واضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ، ثم تفرقوا . قال فقال أبو طالب : والله يا ابن أخي ما رأيتك سألتهم شططاً . قال فطمع رسول الله ﷺ فيه فجعل يقول له : « أي عم فانت فقلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة » فلما رأى حرص رسول الله ﷺ . قال : يا ابن أخي والله لولا مخافة السببة عليك وعلى بني أبيك من بني ، وأن تظن قريش أني إنما قلتها جزعاً من الموت لقلتها ، لا أقولها إلا لأمرك بها . قال : فلما تقارب من أبي طالب الموهب نظر العباس إليه بحرك شفعية فاصغى إليه بآذنه . قال فقال : يا ابن أخي والله لقد قل أخى السكامة التي أمرته أن يقولها . قال فقال رسول الله ﷺ : « لم أسمع » قال وأنزل الله تعالى في أولئك الرهط (رض) والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق) الآيات . وقد تكلمنا على ذلك في التفسير والله الخدم والمنة .

وقد استدلل بعض من ذهب من الشيعة وغيرهم من الغلاة إلى أن أبا طالب مات مسلماً بقول العباس هذا الحديث ، يا ابن أخي لقد قل أخى السكامة التي أمرته أن يقولها - يعني لا إله إلا الله - والجواب عن هذا من وجوه . أحدها أن في السند مبهماً لا يعرف حاله وهو قوله عن بعض أهله وهذا إبهام في الاسم والحال ، ومثله يتوقف فيه لو انفرد . وقد روى الامام احمد والنسائي وابن جرير نحوه من هذا السياق من طريق أبي أسامة عن الاعمش حدثنا عباد عن سعيد بن جبير فذكره ولم يذكر قول العباس . ورواه الثوري أيضاً عن الاعمش عن يحيى بن عمار السكوني عن سعيد بن

جبير عن ابن عباس قال: نزه بغير زيادة قول العباس. ورواه الترمذي وحسنه والنسائي وابن جرير أيضا. ولفظ الحديث من سياق البيهقي فيما رواه من طريق الثوري عن الأعمش عن يحيى بن عمار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال: مرض أبو طالب فجاءت قريش وجاء النبي ﷺ عند رأس أبي طالب، فجلس رجل فقام أبو جهل كي يمنعه ذلك. وشكوه إلى أبي طالب. فقال: يا ابن أخي ما تريد من قومك؟ فقال: «يا عم إنما أريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب، وتؤدى إليهم بها الجزية المعجم، كلمة واحدة». قال: ما هي؟ قال: «لا إله إلا الله» قال فقالوا أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا شيء عجاب! قال: ونزل فيهم (ص والقرآن ذي الذكر) الآيات إلى قوله (إلا اختلاف) ثم قد عارضه — أعنى سياق ابن اسحاق — ما هو أصح منه، وهو ما رواه البخاري قائلًا: حدثنا محمود حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبيه رضي الله عنه. أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل. فقال: «أى عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله». فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلماه حتى قال آخر ما كلمهم به: على ملة عبد المطلب. فقال النبي ﷺ: «لأستغفر لك ما لم أعلم أنه عنك» فنزلت (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) ونزلت (إنك لا تهدي من أحببت) ورواه مسلم عن اسحاق بن إبراهيم وعبد الله عن عبد الرزاق. وأخرجه أيضا من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه بنحوه وقال فيه: فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة حتى قال آخر ما قال: على ملة عبد المطلب. وأبي أن يقول لا إله إلا الله فقال النبي ﷺ: «أما لاستغفرن لك ما لم أعلم أنه عنك» فانزل الله — يعني بعد ذلك — (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي) ونزل في أبي طالب (إنك لا تهدي من أحببت) ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) وهكذا روى الإمام أحمد ومسلم والترمذي والنسائي من حديث يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة. قال: لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه رسول الله ﷺ: فقال: «يا عماد قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة» فقال: لولا أن تميرني قريش يقولون ما حملته عليه إلا فرغ الموت لأقررت بها عينك، ولا أقولها إلا لأقر بها عينك. فانزل الله عز وجل (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) وهكذا قال عبد الله بن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبي وقتادة إنها نزلت في أبي طالب حين عرض عليه رسول الله ﷺ أن يقول لا إله إلا الله فابى أن يقولها، وقال: هو على ملة الأشياخ. وكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب. ويؤكد هذا كله ما قال البخاري حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن

سفيان عن عبد الملك بن عمير حدثني عبد الله بن الحارث قال حدثنا العباس بن عبد المطلب أنه قال قلت للنبي ﷺ : ما أغنيت عن عملك فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : « [هو] في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل » ورواه مسلم في صحيحه من طرق عن عبد الملك ابن عمير به أخرجه في الصحيحين من حديث أنثى ابن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد أنه سمع النبي ﷺ ذكر عنده عنه فقال : « لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه يغلي منه دماغه » لفظ البخاري . وفي رواية « تغلي منه أم دماغه » وروى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي عثمان عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « أهون أهل النار عذاباً أبو طالب ، مشغل بنملين من نار يغلي منهما دماغه » وفي معازي يونس بن بكير « يغلي منهما دماغه حتى يسيل على قدميه » ذكره السهيلي وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا عمرو - هو ابن اسماعيل بن محالد - حدثنا أبي عن محالد عن الشعبي عن جابر . قال سئل رسول الله ﷺ : أو قيل له - هل نفعت أبا طالب ؟ قال : « أخرجه من النار إلى ضحضاح منها » تفرد به البزار . قال السهيلي : وإنما لم يقبل النبي ﷺ شهادة العباس أخيه أنه قال السكامة وقال : « لم أسمع » لأن العباس كان إذ ذاك كافراً غير مقبول الشهادة .

قلت : وعندى أن الخبر بذلك ما صح لضعف سنده كما تقدم . وما يدل على ذلك أنه سأل النبي ﷺ بعد ذلك عن أبي طالب فذكر له ما تقدم ، وبتعليل صحته لعله قال ذلك عند معارضة الملك بعد انفرغة حين لا ينفع نفساً إيمانها والله أعلم .

وقال أبو داود الضيالي حدثنا شعبة عن أبي اسحاق سمعت ناجية بن كعب يقول سمعت علياً يقول : لما توفي أبي أتيت رسول الله ﷺ فقلت إن عمك قد توفي . فقال : « اذهب فوارد » فقلت إنه مات مشركاً ، فقال : « اذهب فوارد ولا تحدثن شيئاً حتى تأتي » ففعلت فأتيتها ، فامرني أن أغتسل ورواه النسائي عن محمد بن المنثري عن غندر عن شعبة . ورواه أبو داود والنسائي من حديث سفيان عن أبي اسحاق عن ناجية عن علي : لما مات أبو طالب قلت يا رسول الله إن عمك الشيخ الضال قد مات فن يواريه ؟ قال : « اذهب فوارد أبالك ولا تحدثن شيئاً حتى تأتي » فأتيتها فامرني فاغتسلت ، ثم دعاني بدعوات ما يسرني أن لي بهن ما على الأرض من شيء . وقال الحافظ البيهقي أخبرنا أبو سعد الماليني حدثنا أبو أحمد بن عدي حدثنا محمد بن هارون بن حميد حدثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة حدثنا الفضل عن إبراهيم بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس : أن النبي ﷺ عاد من جنازة أبي طالب فقال : « وملكك رحم . وجزيت خيراً يا عم » . قال وروى عن أبي البنان الهوزني عن النبي ﷺ مرسلًا وزاد : ولم يقم على قبره . قال : وإبراهيم بن

عبد الرحمن هذا من الظواير زج : تسككوا فيه .

قلت : قد روى عنه غير واحد منهم الفضل بن موسى السيناني ومحمد بن سلام البيكندی ، ومع هذا قال ابن عدي ليس بمعروف ، وأحاديثه عن كل من روى عنه ليست بمستقيمة . وقد قدمنا ما كان يتماطاه أبو طالب من الحاماة والحاجة والمهاجرة عن رسول الله ﷺ والدفع عنه وعن أصحابه وما قاله فيه من المادح والثناء ، وما أظهر له ولاصحابه من المودة والمحبة والشفقة في أشعاره التي أسلفناها وما تضمنته من المنيب والتنقيص لمن خالفه وكذبه بتلك المباراة الفصيحة البليغة الهاشمية المطلبية التي لا تداني ولا تسامى ، ولا يمكن عريها بمقاربتها ولا معارضتها ، وهو في ذلك كله يعلم أن رسول الله ﷺ صادق بار راشد ، ولكن مع هذا لم يؤمن قلبه . وفرق بين علم القلب وتصديقه كما قررنا ذلك في شرح كتاب الايمان من صحيح البخاري ، وشاهد ذلك قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يمانون) وقال تعالى في قوم فرعون (وجعلناهم آياتا واستيقفتها أنفسهم) وقال موسى لفرعون (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وإني لأظنك يافرعون مشهورا) وقول بعض السلف في قوله تعالى (وهم ينهون عنه ويتأولون عنه) أنها نزلت في أبي طالب حيث كان ينهى الناس عن أذية رسول الله ﷺ ويتأوى هو عما جاء به الرسول من الهدى ودين الحق . فقد روى عن ابن عباس ، والقاسم بن مخيمرة ، وحبيب ابن أبي ثابت ، وعطاء بن دينار ، ومحمد بن كعب ، وغيرهم ، ففقه نظر والله أعلم . والأظهر والله أعلم الرواية الاخرى عن ابن عباس ، وهم ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به . وبهذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد . وهو اختيار ابن جرير . وتوجيهه أن هذا الكلام سيق تمام ذم المشركين حيث كانوا يصدون الناس عن اتباعه ولا يفتنونه هم أيضا به . ولهذا قال (ومنهم من يستمع اليك وجملةنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤك بمجادلوك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الاولين ، وهم ينهون عنه ويتأولون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون) وهذا التلظ وهو قوله (وهم) يدل على أن المراد بهذا جماعة وهم المذكورون في سياق الكلام وقوله (وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون) يدل على تمام الذم . وأبو طالب لم يكن بهذه المناسبة بل كان يصد الناس عن أذية رسول الله ﷺ وأصحابه بكل ما يقدر عليه من فعال وقال ، ونفس ومال . ولكن مع هذا لم يقدر الله له الايمان لما له تعالى في ذلك من الحكمة العظيمة ، والحكمة البالغة البالغة الدامغة التي يجب الايمان بها والتسليم لها ، ولولا ما نهانا الله عنه من الاستغفار للمشركين لاستغفرنا لأبي طالب وترحمنا عليه .

فصل

﴿ في موت خديجة بنت خويلد ﴾

وذكر شيء من فضائلها ومناقبتها رضي الله عنه وأرضاهما، وجميل جنات الفردوس - نقلاً بها ومشواهما .
وقد قبل ذلك لا محالة بخبر الصادق المصدوق حيث بشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب .

قال يعقوب بن سفيان حدثنا أبو صالح حدثنا الليث حدثني عن عمار بن عبد الله عن ابن شهاب . قال قال عروة بن الزبير : وقد كانت خديجة توفيت قبل أن تفرض الصلاة . ثم روى عن وجد آخر عن الزهري أنه قال : توفيت خديجة بمكة قبل خروج رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وقبل أن تفرض الصلاة . وقال محمد بن اسمعيل : ماتت خديجة وأبو طالب في عام واحد . وقال البيهقي : بلغني أن خديجة توفيت بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام . ذكره عبد الله بن منده في كتاب المعرفة ، وشيخنا أبو عبد الله الحافظ . قال البيهقي : وزعم الواقدي أن خديجة وأبا طالب ماتا قبل الهجرة بثلاث سنين عام خرجوا من الشعب ، وأن خديجة توفيت قبل أبي طالب بخمس وثلاثين ليلة .

قلت : مرادهم قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الاسراء ، وكان الانسب بنا أن نذكر وفاة أبي طالب وخديجة قبل الاسراء كما ذكره البيهقي وغير واحد ، ولكن أخرنا ذلك عن الاسراء لمقصد ستطلع عليه بعد ذلك فإن الكلام به ينتظم ويتسق الباب كما تقف على ذلك إن شاء الله . وقال البخاري : حدثنا قتيبة حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان عن عبارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة . قال : أتى جبرائيل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام - أو طعام أو شراب - فإذا هي أتتك فاقرأ عنيها السلام من ربي وعني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب . وقد رواد مسلم من حديث محمد بن فضيل به . وقال البخاري : حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن اسمعيل . قال قلت لعبد الله بن أبي أوفى : بشر النبي ﷺ خديجة ؟ قال نعم ! ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب . ورواه البخاري أيضاً ومسلم من طريق عن اسمعيل بن أبي خالد به .

قال السهيلي : وإنما بشرها ببيت في الجنة من قصب - يعني قصب الآلهة - لأنها حازت قصب السبق إلى الإيمان ، لا صخب فيه ولا نصب لأنها لم ترفع صوتها على النبي ﷺ ولم تتبعه يوماً من الدهر فلم تصخب عليه يوماً ولا آذته أبداً . وأخرجاه في الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة .

وهلكت قبل أن يتزوجني - لما كنت ألبس يدكرها ، وأمره الله أن يبشرها ببیت فی الجنة من قصب . وإن كان ليندخ الشاة فيمدي في خلائها منها ما يسمن . لفظ البخاري ، وفي لفظ عن عائشة ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله ﷺ أيها . وتزوجني بعدها بثلاث سنين ، وأمره ربه - أو جبرائيل - أن يبشرها ببیت فی الجنة من قصب . وفي لفظ له قالت : ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة - وما رأيتهما - ولكن كان يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة فيقطعها أعضاء ثم يبيعها في صدائق خديجة . فربما قلت كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول : « إنما كانت وكانت » وكان لي منها ولد » ثم قال البخاري حدثنا اسماعيل بن خليل أخبرنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاع فقال : « اللهم هالة » . فغرت فقلت ما تذكر من عجوز من عجائز قریش حمراء الشدين هلكت في الدهر أبدلك الله خيراً منها . وهكذا رواه مسلم عن سويد بن سعيد عن علي بن مسهر به . وهذا ظاهر في التقرير على أن عائشة خير من خديجة بما فضلا وإما عشرة . إذا لم ينكر عليها ولا رد عليها ذلك كما هو ظاهر سياق البخاري رحمه الله ولكن قال الامام احمد حدثنا مؤيد أبو عبد الرحمن حدثنا حماد بن سلمة عن عبد الملك - هو ابن عمير - عن موسى بن طلحة عن عائشة قالت : ذكر رسول الله ﷺ يوماً خديجة فاطنب في الثناء عليها ، فادركني ما يدرك النساء من الغيرة ، فقلت لقد أعقبك الله يا رسول الله من عجوز من عجائز قریش حمراء الشدين . قال فتغير وجه رسول الله ﷺ تغيراً لم أره تغير عند شيء قط إلا عند نزول الوحي أو عند الحيلة حتى يعلم رحمة أو عذاباً . وكذا رواه عن يميز بن أسد وعثمان بن مسلم كلاهما عن حماد بن سلمة عن عبد الملك بن عمير به . وزاد إمام أحمد قوله حمراء الشدين ، هلكت في الدهر الاول . قال قال فتغير وجهي ثم ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي أو عند الحيلة حتى ينظر رحمة أو عذاباً . تفرد به احمد . وهذا اسناد جيد . وقال الامام احمد أيضاً عن ابن اسحاق أخبرنا بحالد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة . قالت : كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أمني عليها باحسن الثناء . قالت فغرت يوماً فقلت : ما أكره ما تذكرها حمراء الشدين قد أبدلك الله خيراً منها . قال « ما أبدلني الله خيراً منها ، وقد آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبتني ، وآستنى بما لها إذ حرمني الناس ، وورقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء » تفرد به احمد أيضاً . وإسناده لا بأس به وجماله روى له مسلم متابعة وفيه كلام مشهور والله أعلم . ولعل هذا أغنى قوله : وزرقت الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء . كان قبل أن يولد ابراهيم بن النبي ﷺ من مارية ، وقبل مقدمها بالسكية وهذا معين . فان جميع أولاد النبي ﷺ كما تقدم وكما سيأتي من خديجة إلا ابراهيم فمن مارية القبطية

المصرية رضى الله عنها . وقد استدلل بهذا الحديث جماعة من أهل العلم على تفضيل خديجة على عائشة رضى الله عنها وأرضاها : وتكلم آخرون فى اسناده وتأوله آخرون على أنها كانت خيراً عشرة وهو محتمل أو ظاهر . وسببه أن عائشة تمت بشبابها وحسنها وجميل عشرينها ، وليس مرادها بقولها قد أبدلك الله خيراً منها أنها تزكى نفسها وتفضلها على خديجة ، فان هذا أمر مرجعه إلى الله عز وجل كما قال (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) وقال تعالى (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء) الآية وهذه مسألة وقع النزاع فيها بين العلماء قديماً وحديثاً . وبجانبها طرقاً يقتصر عليها أهل الشيع وغيرهم لا يعدلون بخديجة أحداً من النساء لسلام الرب عليها ، وكون ولد النبي ﷺ جميعهم - إلا إبراهيم - منها . وكونه لم يتزوج عليها حتى ماتت ! كراماً لها ، وتقدير إسلامها ، وكونها من الصديقات ولها مقام صدق فى أول البعثة . وبذلت نفسها ومالها لرسول الله ﷺ وأما أهل السنة فمنهم من ينال أيضاً ويثبت لكل واحدة منهما من الفضائل ما هو معروف ، ولكن تحملهم قوة التسنن على تفضيل عائشة لكونها ابنة الصديق ، ولكونها أعلم من خديجة فانه لم يكن فى الامم مثل عائشة فى حفظها وعلمها وفصاحتها وعقلها ، ولم يكن الرسول يجب أحداً من نسائه كحبيته إياها ونزلت براءتها من فوق سبع سموات وروى بعده عنه عليه السلام علما بها كثيراً طيباً مباركاً فيه حتى قد ذكر كثير من الناس الحديث المشهور « خذوا شطر دينكم عن الحميراء » والحق أن كلا منهما لها من الفضائل ما لو نظر الناظر فيه لبهره وحيره ، والاحسن التوقف فى ذلك إلى الله عز وجل . ومن ظهر له دليل يقطع به ، أو يغلب على ظنه فى هذا الباب فذاك الذى يجب عليه أن يقول بما عنده من العلم ومن حصل له توقف فى هذه المسألة أو فى غيرها فالطريق الاقوم والمساك الاسلام أن يقول الله أعلم . وقد روى الامام احمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « خير نساءها مريم بنت عمران ، وخير نساءها خديجة بنت خويلد » أى خير زمانهما . وروى شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه قرة بن إياس رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « كل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث ، مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد . وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » رواد ابن مردويه فى تفسيره . وهذا اسناد صحيح إلى شعبة وبعده . قالوا والقدر المشترك بين الثلاث نسوة ، آسية ومريم وخديجة أن كلا منهن كفلت نبياً مرسلأ وأحسنن الصحبة فى كفالتها وصدقته . فآسية ربت موسى وأحسنن اليه وصدقته حين بعث ، ومريم كفلت ولدها أئتم كفالة وأعظمها وصدقته حين أرسل . وخديجة رغبت فى تزويج رسول الله ﷺ بها وبذلت فى ذلك أموالها كما تقدم وصدقته حين نزل عليه الوحي من الله عز وجل . وقوله

« وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » هو ثابت في الصحيحين عن طريق شعبة أيضا عن عمرو بن مرة عن مرة الطيب الهمداني عن أبي موسى الاشعري . قال قال رسول الله ﷺ : « كل من الرجال كثير ، ولم يكل من النساء إلا آسية امرأة فرعون . ومريم بنت عمران ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » والثريد هو الخبز والناعم جميعا وهو أغزر طعام العرب كما قال بعض الشعراء :

إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد

ويحمل قوله « وفضل عائشة على النساء » أن يكون محفوظا فيعم النساء المذكورات وغيرهن ، ويحتمل أن يكون عاما فيما عداهن ويبقى الكلام فيها وفيهن موقوف يحتمل التسوية بينهما فيحتاج من رجح واحدة منهن على غيرها إلى دليل من خارج والله أعلم .

فصل

﴿ في تزويجه عليه السلام بعد خديجة رضي الله عنها بعائشة ﴾

﴿ بنت الصديق وسودة بنت زمعة رضي الله عنهما ﴾

والصحيح أن عائشة تزوجها أولا كما سيأتي . قال البخاري في باب تزويج عائشة * حدثنا علي بن أسد حدثنا وهيب عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها : « أريتك في المنام مرتين ، أرى أنك في سرقة من حرير ، ويقول هذه امرأتك . فأكشف عنها فإذا هي أنت ، فاقول إن كان هذا من عند الله يمضه » قال البخاري باب نسكح الابكار . وقال ابن أبي مليكة قال ابن عباس لعائشة : لم ينكح النبي ﷺ بكرا غيرك * حدثنا اسماعيل بن عبد الله حدثني أخى عن سليمان بن بلال عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . قالت قلت يا رسول الله : أرايت لو نزلت واديا وفيه شجرة قد أكل منها ، ووجدت شجرة لم يؤكل منها في أيها كنت ترتع بعيرك ؟ قال : « في التي لم ترتع منها » تعني أن النبي ﷺ لم يتزوج بكرا غيرها . انفرد به البخاري ثم قال حدثنا عبيد ابن اسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . قالت قال لي رسول الله ﷺ « أريتك في المنام فيجئ بك الملاك في سرقة من حرير فقال لي هذه امرأتك ، فكشفت عن وجهك الثوب فإذا أنت هي ، فقلت إن يكن هذا من عند الله يمضه » ^(١) وفي رواية « أريتك في المنام ثلاث ليل » وعند الترمذي أن جبريل جاءه بصورتها في خرقة من حرير خضراء فقال هذه زوجتك في الدنيا والآخرة . وقال البخاري تزويج الصغار من الكبار حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث ^(١) كذا بالأصل : ونص البخاري يخالف هذه الرواية .

عن يزيد عن عراك عن عروة أن رسول الله ﷺ خطب عائشة إلى أبي بكر ، فقال له أبو بكر : إنما أنا أخوك . فقال : « أنت أخي في دين الله وكتابه » ، وهي لى حلال ، هذا الحديث ظاهر سياقه كأنه مرسل وهو عند البخارى والمحققين متصل لانه من حديث عروة عن عائشة رضى الله عنها ، وهذا من افراد البخارى رحمه الله . وقال يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه . قال : تزوج رسول الله ﷺ عائشة بعد خديجة بثلاث سنين وعائشة يومئذ ابنة ست سنين ، وبني بها وهي ابنة تسع . ومات رسول الله ﷺ وعائشة ابنة ثمانية عشرة سنة . وهذا غريب . وقد روى البخارى عن عبيد ابن اسماعيل عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه . قال : توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ بثلاث سنين ، فلبث سنين - أو قريبا من ذلك - ونكح عائشة وهي بنت ست سنين ، ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين ، وهذا الذى قاله عروة مرسل فى ظاهر السياق كما قدمنا ولكنه فى حكم المتصل فى نفس الامر . وقوله تزوجها وهي ابنة ست سنين وبني بها وهي ابنة تسع مالا خلاف فيه بين الناس - وقد ثبت فى الصحيح وغيرها - وكان بناؤه بها عليه السلام فى السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة . وأما كون تزويجها كان بعد موت خديجة بنحو من ثلاث سنين ففيه نظر . فان يعقوب بن سفيان الحافظ قال حدثنا الحجاج حدثنا حماد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : تزوجنى رسول الله ﷺ متوفى خديجة قبل مخرجه من مكة وأنا ابنة سبع - أو ست - سنين ، فلما قدمنا المدينة جاءنى نسوة وأنا ألعب فى أرجوحة وأنا مجمة ، فبأتنى وصنعننى ثم أتىنى إلى رسول الله ﷺ وأنا ابنة تسع سنين . فقوله فى هذا الحديث متوفى خديجة يقتضى أنه على أثر ذلك قريبا ، اللهم إلا أن يكون قد سقط من النسخة بعد متوفى خديجة فلا ينفى ما ذكره يونس بن بكير وأبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه والله أعلم . وقال البخارى حدثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . قالت تزوجنى النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين ، فقدمنا المدينة فزلنا فى بنى الحارث بن الخزرج . فوعكت فتمزق شعرى وقد وفدت لى جهميمة فاتتنى أمى أم رومان وإبنى لى أرجوحة ومعى صواحب لى فصرخت بى فاتيتها ما أدرى ما تريد منى فأخذت بىدى حتى أوقفتنى على باب الدار وإبنى لأنهم حتى سكن بعض نفسى ثم أخذت شيئا من ماء فمست به وجهى ورأسى ، ثم أدخلتنى الدار قال فاذا نسوة من الانصار فى البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر ، فاسلمتنى اليهن فاصلحن من شأنى فلم يرعنى إلا رسول الله ﷺ ضحى ، فاسلمتنى اليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين . وقال الامام احمد فى مسند عائشة أم المؤمنين حدثنا محمد بن بشر حدثنا بشر حدثنا محمد بن عمرو أبو سلمة ويحيى . قالوا : لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت : يا رسول الله ألا تزوج ؟ قال من ؟ قالت إن شئت بكراً ، وإن

شئت ثيبا ، قال فمن البكر ؟ قالت أحب خلق الله إليك عائشة ابنة أبي بكر . قال ومن الثيب ؟ قالت
 سودة بنت زمعة . قد آمنت بك واتبعك . قال فاذهبي فاذا كرهما علي . فدخلت بيت أبي بكر
 فقالت يا أم رومان ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ؟ قالت وما ذلك ؟ قالت أرسلني رسول
 الله ﷺ أخطب عليه عائشة ، قالت انظري أبا بكر حتى يأتي ، فجاء أبو بكر فقلت يا أبا بكر ماذا
 أدخل الله عليكم من الخير والبركة ، قال وما ذلك ؟ قالت أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة
 قال وهل تصلح له إنما هي ابنة أخيه ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له قال : « ارجعي
 إليه فقل له أنا أخوك وأنت أختي في الاسلام ، وابنتك تصلح لي » فرجعت فذكرت ذلك له قال
 انتظري ، وخرج . قالت أم رومان إن مطعم بن عدي قد ذكرها على ابنته ، ووالله ما وعد أبو بكر
 وعدا قط فآخلفه ، فدخل أبو بكر على مطعم بن عدي وعنده امرأته أم الصبي . فقالت : يا ابن أبي
 قحافة لعلك مصبي صاحبنا تدخله في دينك الذي أنت عليه إن تزوج اليك ؟ فقال أبو بكر لمطعم
 ابن عدي أقول هذه ؟ يقول إنها تقول ذلك . فخرج من عنده وقد أذهب الله ما كان في نفسه من
 عدته التي وعده . فرجع فقال لخولة ادعي لي رسول الله ﷺ فدعته فزوجها إياه وعائشة يومئذ بنت
 ست سنين ، ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت ما أدخل الله عليك من الخير والبركة
 قالت وما ذلك ؟ قالت أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك إليه . قالت وددت ادخلي إلى أبي بكر
 فاذا كرى ذلك له . وكان شيخا كبيرا قد أدركه السن قد تحلف عن الحج . فدخلت عليه فحيته
 بتحية الجاهلية ، فقال من هذه ؟ قالت خولة بنت حكيم . قال فاشأنك ؟ قالت أرسلني محمد بن
 عبد الله أخطب عليه سودة . فقال كفؤ كريم ، ماذا تقول صاحبك ؟ قال تحب ذلك . قال ادعها
 إلى فسمعها قال أي بنية إن هذه تزعم إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو
 كفؤ كريم أحب من أن أزوجه بك ؟ قالت نعم . قال ادعها لي فجاء رسول الله ﷺ فزوجها إياه ، فجاء
 أخوها عبد بن زمعة من الحج يحثي على رأسه التراب . فقال بعد أن أسلم : لعمرك إني لسفيه يوم
 أحثي في رأس التراب أن تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة . قالت عائشة : فقدمنا المدينة
 فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج في السبخ . قالت فجاء رسول الله ﷺ فدخل بيتنا واجتمع إليه
 رجال من الانصار ونساء ، فجاءتني أمي وأنا لقي أرجوحة بين عذقين يرجح بي فانزلتني من الأرجوحة
 ولى جيفة ففرقتها ومسحت وجهي بشيء من ماء ، ثم أقبلت تقولني حتى وقفت بي عند الباب واني
 لانهج حتى سكن من نفسي ، ثم دخلت بي فاذا رسول الله ﷺ جالس على سريري في بيتنا وعنده
 رجال ونساء من الانصار ، فاجلسني في حجرة ثم قالت : هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهم ، وبارك
 لهم فيك . فوثب الرجال والنساء فخرجوا وبني رسول الله ﷺ في بيتنا ما نحدث على جزور ، ولا

ذبحت على شاة . حتى أرسل اليها سعد بن عبادة بجفنة كان يرسل بها الى رسول الله ﷺ اذا دار الى نسائه ، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين . وهذا السياق كأنه مرسل وهو متصل لما رواه البيهقي من طريق احمد بن عبد الجبار حدثنا عبد الله بن ادريس الازدي عن محمد بن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب . قال قالت عائشة : لما ماتت خديجة جاءت خولة بنت حكيم فقالت يا رسول الله ألا تزوج ؟ قال ومن ؟ قالت إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً . قال من البكر ومن الثيب ؟ قالت أما البكر فابنة أحب خلق الله إليك ، وأما الثيب فسودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك . قال فاذكريهما علي . وذكري تمام الحديث نحو ما تقدم . وهذا يقتضي أن عقده على عائشة كان متقدماً على تزويجها بسودة بنت زمعة ، ولكن دخوله على سودة كان بمكة ، وأما دخوله على عائشة فتأخر الى المدينة في السنة الثانية كما تقدم وكما سيأتي . وقال الامام احمد حدثنا أسود حدثنا شريك عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : لما كبرت سودة وهبت يومها لي ، فكان رسول الله ﷺ يقسم لي بيومها مع نسائه . قالت وكانت أول امرأة تزوجها بعدى . وقال الامام احمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثني شهر حدثني عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ خطب امرأة من قومه يقال لها سودة وكانت مصبية ، كان لها خمس صبية — أوست — من بعلها مات . فقال رسول الله ﷺ : « ما يمنعك مني ؟ » قالت والله يا نبي الله ما يمنعني منك أن لا تكون أحب البرية إلي ، ولسكني أكرمك أن يمنعوا هؤلاء الصبية عند رأسك بكرة وعشية . قال فهل يمنعك مني غير ذلك ؟ قالت لا والله ، قال لها رسول الله ﷺ يرحمك الله انت خير نساء ركبهن اعجاز الابل ، صالح نساء قریش احنا على ولد في صغره ، وأرعاه على بعل بذات يده . قلت وكان زوجها قبله عليه السلام السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو ، وكان ممن أسلم وهاجر إلى الحبشة كما تقدم ، ثم رجع إلى مكة فمات بها قبل الهجرة رضى الله عنه . هذه السياقات كلها دالة على أن العقد على عائشة كان متقدماً على العقد بسودة وهو قول عبد الله بن محمد بن عقيل . ورواه يونس عن الزهري واختار ابن عبد البر أن العقد على سودة قبل عائشة وحكاة عن قتادة وأبي عبيد . قال ورواه عقيل عن الزهري .

فصل

قد تقدم ذكر موت أبي طالب عم رسول الله ﷺ وأنه كان ناصراً له وقائماً في صفه ومدافعاً عنه بكل ما يقدر عليه من نفس ومال ومقال وفعال . فلما مات اجتراً سفهاء قریش على رسول الله ﷺ ونالوا منه ما لم يكونوا يصلون اليه ولا يقدرون عليه . كما قاله رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم حدثنا محمد بن اسحاق الصنعاني حدثنا يوسف بن مهلول حدثنا عبد الله بن إدريس حدثنا محمد بن

اسحاق عن حماد بن عروة بن الزبير عن عبيد الله بن جعفر . قال : لما مات أبو طالب عرض
 لرسول الله ﷺ فيه من سفهاء قريش فالتى عليه تراباً ، فرجع إلى بيته فأتت امرأة من بناته تمسح
 عن وجهه التراب وتبكي ، فجعل يقول : « أي بنية لا تبكين فان الله مانع أباك » ويقول ما بين ذلك
 « ما نالت قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب ثم شرعوا » . قد رواه زياد النكائي عن محمد
 ابن اسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه صرسلاً والله أعلم . وروى البيهقي أيضا عن الحاكم وغيره
 عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله
 ﷺ قال : « ما زالت قريش كاعين ^(١) حتى مات أبو طالب » ثم رواه عن الحاكم عن الأصم
 عن عباس الدوري عن يحيى بن معين حدثنا عقبة الجدر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة
 عن النبي ﷺ قال : « ما زالت قريش كاعة حتى توفي أبو طالب » وقد روى الحافظ أبو الفرج
 ابن الجوزي بسنده عن ثعلبة بن صهير وحكيم بن حزام أنهما . قالا : لما توفي أبو طالب وخديجة
 - وكان بينهما خمسة أيام - اجتمع على رسول الله ﷺ مصيبتان ولزم بيته وأقل الخروج ، ونالت
 منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع فيه ، فبلغ ذلك أبا لهب فجاءه فقال : يا محمد امض لما أردت وما
 كنت صاماً إذ كان أبو طالب حياً فاصبره ، لا واللوات لا يوصل إليك حتى أموت . وسب ابن
 الغيطلة رسول الله ﷺ فاقبل إليه أبو لهب فقال منه ، فولى يصيح يا مشر قريش صبا أبو عتبة .
 فاقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب فقال : ما فارقت دين عبد المطلب ، ولكني أمتع ابن أخي
 أن يضام حتى يمضي لما يريد . فقالوا لقد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم فكث رسول الله ﷺ
 كذلك أياماً يأتي ويذهب لا يعرض له أحد من قريش ، وهابوا أبا لهب إذ جاء عقبة بن أبي معيط
 وأبو جهل إلى أبي لهب فقالا له : أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك ؟ فقال له أبو لهب يا محمد
 أين مدخل عبد المطلب ؟ قال مع قومه . فخرج اليهما فقال قد سألتهم فقال مع قومه . فقالا يزعم أنه في
 النار . فقال يا محمد أيدخل عبد المطلب النار ؟ فقال رسول الله ﷺ ومن مات على ما مات عليه
 عبد المطلب دخل النار . فقال أبو لهب - لعنة الله - والله لا برحت لك إلا عدواً أبداً وأنت تزعم
 أن عبد المطلب في النار . واشتد عند ذلك أبو لهب وسائر قريش عليه .

قال ابن اسحاق : وكان النفر الذين يؤذون رسول الله ﷺ في بيته أبو لهب ، والحكم بن أبي
 العاص بن أمية ، وعقبة بن أبي معيط ، وعمد بن الحمراء ، وابن الأصداء الهذلي . وكانوا جيرانه لم
 يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص . وكان أحدهم - فيما ذكر لي - يطرح عليه رحمة الشاة
 وهو يصلي ، وكان أحدهم يطرحها في برمة إذا نصبت له ، حتى اتخذ رسول الله ﷺ حجراً يستتر
 (١) الكاعة جمع كاع وهو الجبان . كع الرجل يكع كما جبن عنه . في النهاية .

به منهم إذا صلى ، فكان إذا طرحوا شيئاً من ذلك يمسكه على عود ثم يقف به على بابيه ثم يقول :
يا بني عبد مناف أى جوار هذا ؟ ثم يلتقي في الطريق .

قلت : وعندى أن غالب ما روى مما تقدم من طرحهم سلا الجزور بين كنفه وهو يصلى كما
رواه ابن مسعود وفيه أن فاطمة جاءت فطرحته عنه وأقبلت عليهم فشتمتهم ، ثم لما انصرف رسول
الله ﷺ دعا على سبعة منهم كما تقدم . وكذلك ما أخبر به عبد الله بن عمرو بن العاص من خنقه
له عليه السلام خنقاً شديداً حتى حال دونه أبو بكر الصديق قائلاً أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله .
وكذلك عزم أبي جهل - لعنه الله - على أن يطاء على عنقه وهو يصلى فحيل بينه وبين ذلك ، وما
أشبه ذلك كان بعد وفاة أبي طالب والله أعلم . فذكرها هنا أنسب وأشبه .

فصل

﴿ في ذهابه عليه السلام إلى أهل الطائف يدعوهم إلى الله تعالى وإلى ﴾

﴿ نصرته دينه فردوا عليه ذلك ولم يقبلوا فرجع عنهم إلى مكة ﴾

قال ابن اسحاق : فلما هلك أبو طالب نالت قریش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن
نالت منه في حياة عمه أبي طالب ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة
والمنعة بهم من قومه ، ورجا أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى ، فخرج إليهم وحده . فحدثني
يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي . قال : انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف وعمد إلى
نفر من ثقيف هم سادة ثقيف وأشرفهم وعم أخوة ثلاثة ، عبد ياليل ، ومسعود ، وحبيب بنو عمرو
ابن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف . وعند أحدهم امرأة من قریش من بنى
جمح ، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وكلهم لما جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه
من قومه ، فقال أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك . وقال الآخر : أما وجد الله
أحداً أرسله غيرك ؟ وقال الثالث والله لا أكلمك أبداً لأن كنت رسولاً من الله كما تقول لانت
أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك .
فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد ينس من خير ثقيف ، وقد قال لهم - فيما ذكر لي - إن فعلتم
ما فعلتم فاكموا على وكرد رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه فيذئروهم ^(١) ذلك عليه . فلم يفعلوا
وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونهم ويضحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجؤا إلى حائط لعتبة
ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة وما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه . فعمد إلى ظل
(١) قال ابن هشام : فيذئروهم يعنى يحرس بينهم ، وأورد في ذلك شعرا .

حيلة^(١) من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما يلقي من سفهاء أهل الطائف ، وقد لقي رسول الله ﷺ فيما ذكر لي - المرأة التي من بني جمح ، فقال لها ماذا لقينا من أحمائك . فلما اطأ أن قال - فيما ذكر - « اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وهو اني على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي الى من تكأني ، الى بعيد يتجهمني أم الى عدو ملكته أمرى . إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو تحل علي سوءظنك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك » . قال فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانياً يقال له عداس [وقال له] خذ قطفاً من هذا العنب فضمه في هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يا كل منه . ففعل عداس ثم ذهب به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ثم قال له كل ، فلما وضع رسول الله ﷺ يده فيه قال : « بسم الله » ثم أكل ، ثم نظر عداس في وجهه ثم قال : والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد . فقال له رسول الله ﷺ ومن أهل أى بلاد أنت يا عداس وما دينك ؟ قال نصراني وأنا رجل من أهل نينوى . فقال رسول الله ﷺ من قرية الرجل الصالح يونس بن متى . فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله ﷺ ذلك أخى كان نبياً وأنا نبى . فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه . قال يقول أبناء ربيعة احدهما لصاحبه اما غلامك فقد افسده عليك . فلما جاء عداس قال له ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال يا سيدي ما فى الارض شئ خير من هذا لقد اخبرنى بأمر ما يعمله الانبياء . قال له : ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فان دينك خير من دينه .

وقد ذكر موسى بن عقبة نحوه من هذا السياق الا انه لم يذكر الدعاء وزاد ، وقعد له أهل الطائف صنفين على طريقه ، فلما مر جمعوا لا يرفع رجله ولا يضمهما الا رضخوها بالحجارة حتى ادموه فخلص منهم وهما يسيلان الدماء فعمد إلى ظل نخلة وهو مكروب وفي ذلك الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، فسكره مكانهما لعداوتهم الله ورسوله . ثم ذكر قصة عداس النصراني كمنحو ما تقدم . وقد روى الامام احمد عن أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي جيل العدواني عن أبيه أنه أبصر رسول الله ﷺ في مشرق قيف وهو قائم على قوس - أو عصي - حين أتاهم يبتغى عندهم النصر ، فسمعه يقول : « والسماء والطارق » حتى ختمها . قال فوعينها في الجاهلية وأنا مشرك ثم قرأتها في الاسلام (١) فى النهاية : الحيلة الاصل أو القضييب من شجر الاعناب . وزاد فى السهيلي والكرمة .

قال فدعني ثقيف فقالوا ماذا سمعت من هذا الرجل ؟ فقرأتها عليهم ، فقال من معهم من قریش
 نحن أعلم بصاحبنا ، لو كنا نعلم ما يقول حقاً لاتبعناه . وثبت في الصحيحين من طريق عبد الله بن
 وهب ^(١) أخرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة حدثته أنها
 قالت لرسول الله ﷺ هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد ؟ قال : « ما لقيت من
 قومك كان أشد منه يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجني إلى
 ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي فإذا أنا
 بسحابة قد أظلمتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك
 لك وما ردوا عليك ، وقد بعث لك ملكاً الجبال ، لتأمره بما شئت فيهم . ثم ناداني ملك الجبال فلم
 على ثم قال يا محمد قد بعثني الله إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال قد بعثني إليك ربك
 لتأمرني ما شئت إن شئت تطبق عليهم الأخشبين ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أرجو أن يخرج الله
 من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً » .

فصل

وقد ذكر محمد بن اسحاق سماع الجن لقراءة رسول الله ﷺ وذلك مرجعه من الطائف حين
 بات بنخلة وصلى بأصحابه الصبح فاستمع الجن الذين صرفوا إليه قراءته هناك . قال ابن اسحاق
 وكانوا سبعة نفر ، وأنزل الله تعالى فيهم قوله (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن) .

قلت : وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في التفسير ، وتقدم قطعة من ذلك والله أعلم . ثم دخل
 رسول الله ﷺ مكة مرجعه من الطائف في جوار المطعم بن عدي وازداد قومه عليه حنقا وغيظا
 وجراً وتكديبا وعناداً والله المستعان وعليه التكلان .

وقد ذكر الاموي في مغازيه أن رسول الله ﷺ بعث أريقط إلى الاخنس بن شريق فطلب
 منه أن يجيره بمكة . فقال : إن حليف قریش لا يجير على صميمها . ثم بعثه إلى سهيل بن عمرو ليجيره
 فقال : إن بني عامر بن لؤي لا يجير على بني كعب بن لؤي . فبعثه إلى المطعم بن عدي ليجيره فقال
 نعم اقل له فليأت . فذهب إليه رسول الله ﷺ فبات عنده تلك الليلة ، فلما أصبح خرج معه هو
 وبنوه ستة - أو سبعة - متقلبي السيوف جميعاً فدخلوا المسجد وقال رسول الله ﷺ : طف واحتموا
 بحمائل سيوفهم في الخفاف ، فاقبل أبو سفيان إلى مطعم . فقال : أجيروا أو تابع ؟ قال لا بل يجير . قال
 إذا لا تخفر . فجلس معه حتى قضى رسول الله ﷺ طوافه ، فلما انصرف انصرفوا معه . وذهب أبو
 (١) وفي السهيلي : عبد الله بن يوسف وهو خطأ . وإنما هو عبد الله بن وهب الفهمي القرشي .

سفيان إلى مجملته . قال فسكت أياماً ثم أذن له في الهجرة ، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة توفي مطعم بن عدي بعمد يسيّر قتال حسان بن ثابت والله لأرثينه قتال فيما قال (١) :

فلو كان مجد مخلد اليوم واحد من الناس نحي مجده اليوم مطما
أجرت رسول الله منهم فاصبحوا عبادك ما لبي محل وأحرما
فلو سئلت عنه معد بأسرها وقحطان أو باقي بقية جرهما
لقالوا هو الموفى بخفزة جاره وذمته يوما إذا ما تجشما
وما تطلع الشمس المنيرة فوقهم على مثله فيهم أعز وأكرما
إباء إذا يائي وألين شيمة وأنوم عن جار إذا الليل أظلمما

قلت ولهذا قال النبي ﷺ يوم أسارى بدر : « لو كان المطعم بن عدي حيا ثم سألتني في هؤلاء المتقباء لو هبتم له » .

فصل

﴿ في عرض رسول الله ﷺ نفسه الكريمة على أحياء العرب في مواسم الحج أن ﴾
﴿ يؤذونه وينصروه ويمنعونه من كذبه وخالفه فلم يجبه أحد منهم لما ذكره ﴾
﴿ الله تعالى للانصار من الكرامة العظيمة رضى الله عنهم ﴾

قال ابن اسحاق : ثم قدم رسول الله ﷺ مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به ، فكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم - إذا كانت - على قبائل العرب يدعوهم إلى الله عز وجل ، ويخبرهم أنه نبي مرسل ، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به .

قال ابن اسحاق : فحدثني من أصحابنا من لا أتتهم عن زيد بن أسلم عن ربيعة بن عباد الدؤلى - ومن حدثه أبو الزناد عنه - وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال سمعت ربيعة ابن عباد يحدثه أبى . قال : إني لغلाम شاب مع أبى بنى ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب فيقول : « يا بنى فلان إني رسول الله اليكم أمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد ، وأن تؤمنوا بى وتصدقوا بى وتمنعونى حتى أبين عن الله ما بعثنى به » . قال وخلفه رجل أحول وضئ له غدیرتان عليه حلة عدنية ، فاذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا اليه . قال ذلك الرجل : يا بنى فلان إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجن من بنى مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة

(١) لم نجد هذه الايات في السيرة وفي ديوانه المطبوع بمصر سنة ١٣٣١ اختلاف قريب .

فلا تطيعوه ولا تسموا منه . قال فقلت لابي يا أبت من هذا الرجل الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول ؟ قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب أبو لهب . وقد روى الامام احمد هذا الحديث عن ابراهيم بن أبي العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه أخبرني رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الدئل - وكان جاهليا فأسلم - قال رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » والناس مجمعون عليه ووراءه رجل وضى الوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه صافى كاذب - يتبعه حيث ذهب - فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب . ورواه البيهقي من طريق محمد بن عبد الله الأنصاري عن محمد بن عمرو عن محمد بن المنكدر عن ربيعة الدئل : رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله ، ووراءه رجل أحول تقطع وجهه وهو يقول : أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم . قلت من هذا ؟ قالوا هذا أبو لهب . وكذا رواه أبو نعيم في الدلائل من طريق ابن أبي ذئب وسعيد ابن سلمة بن أبي الحسام كلاهما عن محمد بن المنكدر به نحوه . ثم رواه البيهقي من طريق شعبة عن الأشعث بن سليم عن رجل من كنانة . قال : رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » وإذا رجس خلفه يسفي عليه التراب فإذا هو أبو جهل وهو يقول : يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم فاتما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى . كذا قال في هذا السياق أبو جهل . وقد يكون وهما ويحتمل أن يكون تارة يكون ذا . وتارة يكون ذا وأنها كانا يتناوبان على إذاه ﷺ .

قال ابن اسحاق : وحدثني ابن شهاب الزهري أنه عليه السلام أتى كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مليح ، فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فابوا عليه : قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن عبد الرحمن بن حصين أنه أتى كلبا في منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه حتى إنه ليقول : « يا بني عبد الله إن الله قد أحسن اسم أبيكم » فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم . وحدثني بعض أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ أتى بني حنيفة في منازلهم فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه فلم يك أحد من العرب أقبح ردًا عليه منهم . وحدثني الزهري أنه أتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه . فقال له رجل منهم يقال له بحيرة بن فراس (١) : والله لو أتى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ، ثم قال له رأيت إن نحن تابعتك على أمرك ثم أظهرك الله على من يخالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : « الأمر لله يضعه حيث يشاء » . قال فقال له أقتهدف نحو رنا للعرب دونك فإذا

(١) كذا في الاصل ، وفي ابن هشام والسميلي : ببخرة بن فراس العامري .

أظهرك الله كان الأمر لغيرنا إلا حاجة لنا بأمرك . فأبوا عليه . فلما صبر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم قد كان أدركه السن حتى لا يفدر أن يوافي معهم المواسم ، فسكنوا إذا رجعوا إليه حديثه بما يكون في ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في مواسمهم فقالوا : جاءنا قى من قریش ثم أحد بنى عبد المطلب يزعم أنه نبي يدعوننا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا . قال فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال : يا بنى عامر هل لها من تلاف ؟ هل لنا بها من مطلب ؟ والذي نفس فلان بيده ما تقو لها اسماعيلي قط ، وإنما لحق فأتين رأيكم كان عنكم .

وقال موسى بن عقبة عن الزهري : فكان رسول الله ﷺ في تلك السنين يمرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم ، ويكلم كل شريف قوم لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤذوه ويمنعوه ويقول « لا أكره أحداً منكم على شيء » ، من رضى منكم بالذي أذعوه إليه فذلك ، ومن كره لم أكرهه ، إنما أريد أن تحرزوني فيما يراد لي من القتل حتى أبلغ رسالة ربي ، وحتى يقضى الله لي ولبن صبيبي بما شاء . فلم يقبله أحد منهم ، وما يأت أحداً من تلك القبائل إلا قال : قوم الرجل أعلم به ، أترون أن رجلاً يصلحنا وقد أفسد قومه ولفظوه ؟ ! وكان ذلك مما ذخره الله للانصار وأكرههم به .

وقد روى الخافظ أبو نعيم من طريق عبد الله بن الأجلح ويحيى بن سعيد الاموى كلاهما عن محمد بن السائب السكبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن العباس . قال قال لي رسول الله ﷺ : « لا أرى لي عندك ولا عند أخيك منعة فهل أنت مخرجي إلى السوق غداً حتى نقر في منازل قبائل الناس » وكانت مجمع العرب . قال فقلت هذه كندة ولفها وهي أفضل من يحج البيت من اليمن وهذه منازل بكر بن وائل ، وهذه منازل بنى عامر بن صعصعة ، فاختر لنفسك ؟ قال فبدأ بكندة فاتاهم فقال من القوم ؟ قالوا من أهل اليمن . قال من أي اليمن ؟ قالوا من كندة . قال من أي كندة ؟ قالوا من بنى عمرو بن معاوية ، قال فهل لكم إلى خير ؟ قالوا وما هو ؟ قال « تشهدون أن لا إله إلا الله وتقيمون الصلاة وتؤتون بما جاء من عند الله » . قال عبد الله بن الأجلح . رحدثني أبي عن أشياخ قومه أن كندة قالت له : إن ظفرت نجعل لنا الملك من بعدك ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إن الملك لله يجعله حيث يشاء » فقالوا لا حاجة لنا فيما جئتنا به . وقال السكبي فقالوا : أجتئنا لتصدنا عن آلهتنا وننايذ العرب . الحق بقومك فلا حاجة لنا بك . فانصرف من عندهم فأتى بكر بن وائل فقال ممن القوم ؟ قالوا من بكر بن وائل . فقال من أي بكر بن وائل ؟ قالوا من بنى قيس بن ثعلبة . قال كيف العدد ؟ قالوا كثير مثل الثرى . قال فكيف المنعة ؟ قالوا لا منعة جاورنا فارس فنحن لا نمتنع منهم ولا نجبر عليهم . قال « فتجمعوا لله عليكم إن هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم ، وتستسكحوا نساءهم ، وتستعبدوا أبناءهم أن تسبحوا الله ثلاثاً وثلاثين ، وتحمده ثلاثاً وثلاثين ، وتكبروه أربعاً وثلاثين » .

وثلاثين » قالوا ومن أنت ؟ قال أنا رسول الله . ثم انطلق فلما ولى عنهم قال السكبي : وكان معه أبو
 لهب يتبعه فيقول للناس لا تقبلوا قوله ، ثم مر أبو لهب فقالوا هل تعرف هذا الرجل ؟ قال نعم هذا
 في اللدوة منا فمن أى شأنه تسألون ؟ فاجابوه بما دعاهم اليه وقالوا زعم أنه رسول الله ، قال : ألا
 لا ترفعوا برأسه قولا فانه مجنون يهذى من أم رأسه . قالوا قد رأينا ذلك حين ذكر من أمر فارس
 ما ذكر .

قال السكبي : فانخبرني عبد الرحمن الممايري عن اشياخ من قومه قالوا : انا رسول الله ﷺ
 ونحن بسوق عكاظ ، فقال ممن القوم ؟ قلنا من بني عامر بن صعصعة . قال من أى بنى عامر بن
 صعصعة ؟ قالوا بنو كعب بن ربيعة . قال كيف المنمة ؟ قلنا لا يرام ما قبلنا ، ولا يسطلي بنا رما . قال
 فقال لهم « إني رسول الله ﷺ وآتيكم لئلا تمنعوني حتى أبلغ رسالة ربي ولا اكركم أحداً منكم على شيء »
 قالوا ومن أى قریش أنت ؟ قال من بنى عبد المطلب . قالوا فأين أنت من عبد مناف ؟ قال هم
 أول من كذبني وطردني . قالوا ولكننا لا نطردك ولا نؤمن بك ، وسنمنعك حتى تبلغ رسالة ربك
 قال فنزل اليهم والقوم يتسوقون ، اذ انهم بحيرة بن فراس القشيري فقال من هذا الرجل أراد عندكم
 أنكره ؟ قالوا محمد بن عبد الله القرشي . قال فما لكم وله ؟ قالوا زعم لنا أنه رسول الله ﷺ فطلب
 اليها أن نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه . قال ماذا ردتم عليه ؟ قالوا بالترحيب والسعة ، فخرجك الى
 بلادنا ومنعك ما تمنع به أنفسنا . قال بحيرة : ما أعلم أحداً من أهل هذه السوق يرجع بشيء أشد
 من شيء ترجعون به بدءاً ثم لتنا بدوا الناس وترميكم العرب عن قوس واحدة ، قومه أعلم به لو أنسوا
 منه خيراً لكانوا أسعد الناس به ، أتعبدون الى زهيق قد طرده قومه وكذبوه فتؤوؤونه وتنصرونه ؟
 فبئس الرأي رأيتم . ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال : قم فالحق بقومك ، فوالله لولا أنك عند قومي
 لضربت عنقك . قال فقام رسول الله ﷺ الى ناقه فركبها ، فغمر الخبيث بحيرة شاكتها فقمصت
 برسول الله ﷺ فالتقه . وعند بني عامر يومئذ ضباعة ابنة عامر بن قرط ، كانت من النسوة اللاتي
 أسلمن مع رسول الله ﷺ بمكة جاءت زائرة الى بنى عبا ، فقالت يا آل عامر — ولا عامر لي — أيصنع
 هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم لا يمنعه أحد منكم ؟ فقام ثلاثة من بنى عبا الى بحيرة واثنتين اعاناه ،
 فاخذ كل رجل منهم رجلاً فجلد به الارض ، ثم جلس على صدره ثم علوا وجوههم لهما . فقال رسول
 الله ﷺ « اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء » قال فأسلم الثلاثة الذين نصرروه وقتلوا شهداء وهم :
 غطيف وغطافان ابنا سهل ، وعروة — أو عذرة — بن عبد الله بن سلامة رضى الله عنهم . وقد روى
 هذا الحديث بتمامه الحافظ سميد بن يحيى بن سعيد الاموي في منازيه عن أبيه به . وهلاك الآخرون
 وهم : بحيرة بن فراس ، وحزن بن عبد الله بن سلامة بن قشير ، ومعاوية بن عبادة أحد بني عقيل

لهم الله لنا كثيراً . وهذا أثر غريب كتبناه لشرايته والله أعلم .

وقد روى أبو نعيم له شاهداً من حديث كعب بن مالك رضى الله عنه في قصة عامر بن صعصعة وقبيص ردهم عليه . وأعرب من ذلك وأطول ما رواه أبو نعيم والمجاكم والبيهقي . والسياق لا ينفصم رحمهم الله . من حديث أبان بن عبد الله البجلي عن أبان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس حدثني علي بن أبي طالب . قال : لما أمر الله رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب ، فتقدم أبو بكر رضى الله عنه فسلم ، وكان أبو بكر مقدماً في كل خير ، وكان رجلاً نسابه فقال ممن القوم ؟ قالوا من ربيعة ، قال وأي ربيعة أنتم أمن هاهنا أم من هاهنا ؟ قالوا بل من هاهنا العظمى . قال أبو بكر فمن أي هاهنا العظمى . فقال ذهل الأكبر ، قال لهم أبو بكر : منكم عوف الذي كان يقال لآخر بوادي عوف ؟ قالوا لا قال فنكم إسطام بن قيس أبو اللواء ومنتهى الأحياء ؟ قالوا لا . قال فنكم الحوقزان بن شريك قاتل الملوك وسالها أنفسها ؟ قالوا لا . قال فنكم جساس بن مرة بن ذهل حامي الدمار ومانع الجار ؟ قالوا لا . قال فنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة ؟ قالوا لا . قال فأنتم أخوال الملوك من كندة ؟ قالوا لا . قال فأنتم أصحاب الملوك من نخم ؟ قالوا لا . قال لهم أبو بكر رضى الله عنه : فلستم بذهل الأكبر ، بل أنتم ذهل الأصغر . قال فوثب إليه منهم غلام يدعى دغفل بن حنظلة الذهلي . حين بقل وجهه . فاخذ بزمام ناقة أبي بكر وهو يقول :

إن علي سألنا أن نسله والعبي لا نعرفه أو نحمه

يا هذا إنك سألنا فأخبرناك ولم نكتفك شيئاً ، ونحن نريد أن نسالك فن أنت ؟ قال رجل من قريش . فقال الغلام : يخ بخ أهل السؤدد والرئاسة ، قادمة العرب وهاديتها فن أنت من قريش ؟ فقال له رجل من بني تميم بن مرة . فقال له الغلام : أمكنت والله أراعى من سواء الثغرة ؟ أفنكم قصي بن كلاب الذي قتل بككة المتغلبين عليها واجلي بقيتهم وجمع قومه من كل أوب حتى أوطئهم مكة ثم استولى على الدار وأنزل قريشا منازلها فسمته العرب بذلك مجماً ، وفيه يقول الشاعر :

أليس أبوكم كان يدعى مجماً به جمع الله القبائل من فمر

فقال أبو بكر لا . قال فنكم عبد مناف الذي انتهت إليه الوصايا وأبو الغطاريف السادة ؟ فقال أبو بكر لا . قال فنكم عمرو بن عبد مناف هاشم الذي عشم الثريد لقومه ولأهل مكة ، ففيه يقول الشاعر :

عمرو العلاء عشم الثريد لقومه ورجل مكة مسنون عجاف
سنوا إليه الرحلتين كليهما عند الشتاء ورحلة الاضياف

كانت قريش بيضة فتعلقت فالحج خالصة لعبد مناف
الراشدين وليس يعرف رايش والتائلين هلم للاضياف
والضاربين الكيش يبرق بيضه^(١) والمائنين البيض بالاسياف
لله درك لو نزلت بدارهم ممنوك من أزل^(٢) ومن اقراف

فقال أبو بكر لا . قال فمنكم عبد المظب شيمة الحمد ، وصاحب غير مكة ، ومطمع طير السماء
والوحوش والسباع في الفلا الذي كأن وجهه قر يتلألأ في الليلة الظلماء ؟ قال لا . قال أفن أهل
الاطاسة أنت ؟ قال لا . قال أفن أهل الحجابة أنت ؟ قال لا . قال أفن أهل الندوة أنت ؟ قال لا .
قال أفن أهل السقاية أنت ؟ قال لا قال أفن أهل الرفادة أنت ؟ قال لا . قال فن المقيضين أنت ؟
قال لا . ثم جذب أبو بكر رضى الله عنه زمام ناقته من يده ، فقال له الغلام :

صادف در السيل در يدمه هيفه حيناً وحيناً يرفعه

ثم قال : أما والله يا أخا قريش لو ثبت لخبرتك أنك من زعمات قريش ولست من اللذائب .
قال فاقبل البنا رسول الله ﷺ يتبسم . قال على : قتلته له يا أبا بكر لقد وقعت من الاعرابى على
باقعة . فقال أجعل يا أبا الحسن ، إنه ليس من طامة إلا وفوقها طامة ، والبلاء موكل بالقول . قال
ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكينة والوقار وإذا مشايخ لهم اقدار وهيئات ، فتقدم أبو بكر فسلم . قال
على وكان أبو بكر مقدما في كل خير . فقال لهم أبو بكر من القوم ؟ قالوا من بنى شيمة بن ثعلبة ،
فالتفت إلى رسول الله ﷺ فقال : باني أنت وأمي ليس بعد هؤلاء من عز في قومههم ، وفي رواية ليس
وراء هؤلاء عسار من قومههم ، وهؤلاء غرر في قومهم ، وهؤلاء غرر الناس . وكان في القوم مفروق
ابن عمرو ، وهاني بن قبيصة ، والمثنى بن حارثة ، والنعمان بن شريك . وكان أقرب القوم إلى أبي
بكر مفروق بن عمرو ، وكان مفروق من عمرو قد غلب عليهم بيانا ولسانا ، وكانت له غديرتان
تسقطان على صدره . فكان أدنى القوم مجلسا من أبي بكر فقال له أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ فقال
له إنا لنريد على الف ، ولن تغلب الف من قلة . فقال له : فكيف المنعة فيكم ؟ فقال علينا الجهد
ولكل قوم جد . فقال أبو بكر : فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟ فقال مفروق إنا أشد ما نكون
لقاء حين نعضب ، وإنا لنؤثر الجياد على الاولاد ، والسلاح على اللقاح ، والنصر من عند الله .
يديلنا مرة ويديل علينا . لعلك أخو قريش ؟ فقال أبو بكر إن كان بلغكم أنه رسول الله فها هو هذا
فقال مفروق قد بلغنا أنه يذكر ذلك ، ثم التفت إلى رسول الله ﷺ فجلس وقام أبو بكر يظله بنوبه

(١) يريد ما كان خلال صوفه الابيض سواد .

(٢) الازل : الضيق والشدة ، والجذب . والاقراف التهم .

فقال ﷺ : « أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأني رسول الله ، وأن تؤدوني وتنصروني حتى أؤدى عن الله الذي أمرني به ، فإن قريشا قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد » . قال له وإلى ما تدعوا أيضا يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله ﷺ (قل تعالوا أتتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا) إلى قوله (ذلك وصاكم به لعلكم تتقون) فقال له مفروق : وإلى ما تدعوا أيضا يا أخا قريش ؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض ، ولو كان من كلامهم لعرفناه ، فتلا رسول الله ﷺ (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) فقال له مفروق : دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك ، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانيء بن قبيصة فقال : وهذا هانيء بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا . فقال له هانيء : قد سمعت مقاتلك يا أخا قريش وصدقت قولك ، وإني أرى أن تركنا ديننا واتباعنا إليك على دينك مجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر لم نتفكر في أمرك ، ونظف في عاقبة ما تدعوا اليه زلة في الرأي ، وطيشة في العقل . فانه نظف في تعاقبة وإنما تكون الزلة مع العجلة ، وإن من ورائنا قوما نكره أن نعقد عليهم عقدا . ولكن ترجع وتظر ونظر ، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثني بن حارثة فقال : وهذا المثني شيخنا وصاحب حربنا . فقال المثني : قد سمعت مقاتلك واستحسنت قولك يا أخا قريش ، وأعجبني ما تكلمت به . والجواب هو جواب هانيء بن قبيصة وتركنا ديننا واتباعنا إليك المجلس جلسته الينا وإنا إنما نزلنا بين صريين أحدهما اليمامة ، والاخر السماوة . فقال له رسول الله ﷺ وما هذان الصريان ؟ فقال له أما أحدهما فطفوف البر وأرض العرب ، وأما الآخر فارض فارس وأنها كسرى وإنا نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا تحدث حدثا ، ولا تؤوى محدثا . ولعل هذا الأمر الذي تدعونا اليه مما تكرهه الملوك ، فاما ما كان مما يلي بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور ، وعذره مقبول ، وأما ما كان يلي بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور ، وعذره غير مقبول . فان أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلي العرب فعلنا . ^(١) فقال رسول الله ﷺ : ما أسأتم الرد إذ افصحتم بالصدق إنه لا يقوم بدين الله الا من خاطه من جميع جوانبه » . ثم قال رسول الله ﷺ : « أرأيتم ان لم تلبثوا الا يسيرا حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم ويفرشكم بناتهم أتسبحون الله وتقدسونه ؟ » فقال له النعمان ابن شريك : اللهم وإن ذلك لك يا أخا قريش ! فتلا رسول الله ﷺ (إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا) ثم نهض رسول الله ﷺ قابضا على يدي أبي بكر . قال ^(١) كذا في الاصل ، وفي السهيلي اختلاف وزيادة عن هذه العبارة لا تخرج عن معناها .

على ثم التفت النبي ﷺ فقال : « يا علي أینه ^(١) أخلاق العرب كانت في الجاهلية — ما أشرفها — بها يتحاجزون في الحياة الدنيا » . قال ثم دفعنا الى مجلس الأوس والخزرج ، فما همضنا حتى بايعوا النبي ﷺ . قال علي : وكانوا صدقاء صبراء فسر رسول الله ﷺ من معرفة أبي بكر رضي الله عنه بالناسم . قال فلم يلبث رسول الله ﷺ الا يسيراً حتى خرج الى أصحابه فقال لهم : « احمدوا الله كثيراً فقد ظفرت اليوم أبناء ربيعة بأهل فارس ، قتلوا ماوكمهم واستباحوا عسكرهم وبني نصر » . قال وكانت الوقعة بقراقر الى جنب ذي قار وفيها يقول الاعشى :

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي ورا كبتها عند اللقاء وقت
عموا ضربوا بالخنو خنوقراقر مقدمة الهامرز حتى تولت
فلاة عينا من رأى من فوارس ^(٢) كذهل بن شيبان بها حين ولت
فتاروا وثرنا والمودة بيننا وكانت علينا غمرة فتجلت

هذا حديث غريب جداً كتبه لنا فيه من دلائل النبوة ومحاسن الاخلاق ومكارم الشيم وفصاحة العرب . وقد ورد هذا من طريق أخرى وفيه أنهم لما تحاربوا هم وفارس والتقوا معهم بقراقر - مكان قريب من الفرات - جعلوا شعارهم اسم محمد ﷺ فنصروا على فارس بذلك ، وقد دخلوا بعد ذلك في الاسلام .

وقال الواقدي : أخبرنا عبد الله بن وابصة العبسي عن أبيه عن جده قال : جاءنا رسول الله ﷺ في منازلنا بني ونحن نازلون بأزاء الجرة الاولى التي تلى مسجد الخيف وهو على راحلته مردقا خلفه زيد بن حارثة ، فدعانا فوالله ما استجبنا له ولا خير لنا ، قال وقد كنا سمعنا به وبدعائه في المواسم ، فوقف علينا يدعونا فلم نستجب له ، وكان معنا ميسرة بن مسروق العبسي . فقال لنا : أحلف بالله لو قد صدقنا هذا الرجل وحملناه حتى نحل به وسط بلادنا لكان الرأي . فأحلف بالله ليظهرن أمره حتى يبلغ كل مبلغ . فقال القوم دعنا منك لا تعرضنا لما لا قبل لنا به . وطمع رسول الله ﷺ في ميسرة فكلاه فقال ميسرة : ما أحسن كلامك وأنوره ، ولكن قومي يخالفوني وإنما الرجل بقومه فإذا لم يعضدوه فالعدي ^(٣) أبعد . فانصرف رسول الله ﷺ وخرج القوم صادين إلى أهلهم .

- (١) كذا في السهيلي وفي الاصل : أبت أخلاق في الجاهلية ما أشرفها الخ .
(٢) هذا البيت والذي بعده لم نجد لها في ديوانه ولا في المراجع التي لدينا وكان في الاصل هكذا :
فيه عينا من رأى من فوارس كذهل بن شيبان حتى ولت
(٣) العدي بالكسر : الغرباء والاجانب والاعداء ، وبالضم : الاعداء خاصة . من النهاية .

فقال لهم ميسرة : مياوا نأثي فاند فان بها يهودا نسائلهم عن هذا الرجل . فقالوا إلى يهود فاخرجوا
 سفرا لهم فوضوه ثم درسوا ذكر رسول الله ﷺ النبي الأُمِّي العربي يركب الخمار ويمتري بالسكرة
 ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بالجمد ولا بالسبط ، في عينيه حمرة مشرق اللون . فان كان هو الذي
 دعاكم فاجيبوه وادخلوا في دينه فانما نمسده ولا نتبعه ، وإنا [منه] في موطن بلاء عظيم ولا يبقى
 أحد من العرب الا اتبعه والا قاتله فكونوا ممن يتبعه . فقال ميسرة : يا قوم ألا [إن] هذا الأمر
 بين ، فقال القوم نرجع الى الموسم ونلقاه فرجعوا الى بلادهم وأبى ذلك عليهم رجالهم فلم يتبعه أحد منهم
 فلما قسم رسول الله ﷺ المدينة مهاجرا وحج حجة الوداع لقاء ميسرة فعرفه . فقال : يا رسول الله
 والله ما زلت حريصا على اتباعك من يوم أنخت بنا حتى كان ما كان وأبى الله الا ما ترى من تأخر
 اسلامي ، وقد مات عامة النفر الذين كانوا معي فأين دخلهم يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ :
 « كل من مات على غير دين الاسلام فهو في النار » فقال : الحمد لله الذي أنقذني . فأسلم وحسن
 إسلامه ، وكان له عند أبي بكر مكان . وقد استقصى الامام محمد بن عمر الواقدي قصصا خبرا
 القبائل واحدة واحدة ، فذكر عرضه عليه السلام نفسه على بني عامر وغسان وبني فزارة وبني مرة
 وبني حنيفة وبني سليم وبني عبس وبني نصر بن هوازن وبني ثعلبة بن عكابة وكندة وكتب وبني
 الحارث بن كعب وبني عنزة وقيس بن الخطيم وغيرهم . وسياق أخبارها مطولة وقد ذكرنا من ذلك
 طرفا صالحا والله الحمد والمنة .

وقال الامام احمد حدثنا أسود بن عامر أنا اسرائيل عن عثمان - يعني ابن المغيرة - عن سالم
 ابن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله . قال : كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول
 « هل من رجل يحملني الى قومه فان قرىشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل ؟ » فأتاه رجل
 من همدان فقال ممن أنت ؟ قال الرجل من همدان . قال فهل عند قومك من منعة ؟ قال نعم ! ثم
 إن الرجل خشى أن يخفروه قومه فأثى رسول الله ﷺ فقال آتيتهم فأخبرهم ثم آتيتك من عام قابل !
 قال نعم ! فانطلق وجاء وفد الانصار في رجب . وقد رواد أهل السنن الأربعة من طرق عن
 اسرائيل به ، وقال الترمذي حسن صحيح .

فصل

﴿ قدوم وفد الانصار عام بعد عام حتى بايعوا رسول الله ﷺ بيعة ابد ﴾
 ﴿ بيعة ، ثم بعد ذلك تحول اليهم رسول الله ﷺ الى المدينة فقتل ﴾
 ﴿ بين أظهرهم كما سيأتي بيانه وتفصيله إن شاء الله وبه الثقة ﴾
 ﴿ حديث سويد بن صامت الانصارى ﴾

وهو سويد بن الصامت ^(١) بن عطية بن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس ، وأمه ليلي بنت عمرو النجارية أخت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم . فسويد هذا ابن خالة عبد المطلب جد رسول الله ﷺ .

قال محمد بن اسحاق بن يسار : وكان رسول الله ﷺ على ذلك من أمره كما اجتمع الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الاسلام ويمرض عليهم نفسه وما جاء به من الهدى والرحمة ولا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له ودعاه إلى الله تعالى ، وعرض عليه ما عنده . قال ابن اسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه . قالوا : قدم سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف مكة حاجاً أو معتمراً - وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم الكامل لجلده وشعره وشرفه واسمه ، وهو الذي يقول :

ألا رب من تدعوصديقا ولوترى	مقاتله بالغيب ساء لك ما يفرى
مقاتله كالشهد ما كان شاهداً	وبالغيب مأثور على ثغرة النحر
يسرك باديته وتحت أديمه	تيممة شش قبرى تحقب الظاهر
تبين لك العيمان ما هو كاتم	من الغل والبغضاء بالنظر الشرذ
فرشنى بخير طالما قد بريتنى	وخير الموالى من ريش ولا يبرى

قال فتصدى له رسول الله ﷺ حين سمع به فدعاه إلى الله والاسلام ، فقال له سويد : فلعن الذى معك مثل الذى معى . فقال له رسول الله ﷺ : وما الذى معك ؟ قال بحيلة لقمان - يعنى حكمة لقمان - فقال رسول الله ﷺ : أعرضها على ، فعرضها عليه فقال « إن هذا الكلام حسن ، والذى معى أفضل من هذا ، قرآن أنزله الله على هو هدى ونور » فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن ودعاه إلى الاسلام . فلم يبعد منه وقال : إن هذا القول حسن . ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتله الخزر ج . فان كان رجال من قومه ليقولون إنا لنراة قتلى وهو مسلم . وكان قتله قبل (١) كذا فى الاصل ، وفى السهيلي : سويد بن الصامت بن حوط .

بعث . وقد رواه البيهقي عن اسحاق بن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن ابن اسحاق بأخصر من هذا .

﴿ اسلام اياس بن معاذ ﴾

قال ابن اسحاق : وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن محمود بن لبيد . قال : لما قدم أبو الخيسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل فيهم اياس بن معاذ يلتصقون الخلف من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم فجلس اليهم فقال : « هل لكم في خبر مما جئتم له ؟ قالوا وما ذاك ؟ قال أنا رسول الله الى العباد أدعوهم الى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وأنزل عليّ الكتاب . ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال فقال : اياس بن معاذ - وكان غلاماً حدثاً - يا قوم هذا والله خير مما جئتم له فأخذ أبو الخيسر أنس بن رافع حفنة من تراب البطحاء فضرب بها وجه اياس بن معاذ وقال : دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا . قال فصمت اياس وقام رسول الله ﷺ عنهم وانصرفوا الى المدينة وكانت وقعة بعث بين الأوس والخزرج . قال ثم لم يلبث اياس بن معاذ أن هلك . قال محمود بن لبيد : فاحسبني من حضرتي من قومه أنهم لم يزالوا يسمعون بهلل الله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات ، فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلماً ، لقد كان استشعر الاسلام في ذلك اجلس حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع . قلت : كان يوم بعث - وبعث موضع بالمدينة - كانت فيه وقعة عظيمة قتل فيها خلق من أشراف الأوس والخزرج وكبرائهم ، ولم يبق من شيوخهم إلا القليل . وقد روى البخاري في صحيحه عن عبيد بن اسماعيل عن أبي أمامة عن هشام عن أبيه عن عائشة . قالت : كان يوم بعث يوماً قدمه الله لرسوله ، قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة وقد افترق ملاؤهم ^(١) ، وقتل سرانهم .

باب

﴿ بدء اسلام الانصار رضي الله عنهم ﴾

قال ابن اسحاق : فلما أراد الله إظهار دينه واعزاز نبيه . وأنجاز وعده له ، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الانصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم ، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً . فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه . قالوا : لما لعينهم رسول الله ﷺ قال لهم « من أنتم ؟ » قالوا نفر من الخزرج قال « أمن موالى يهود ؟ » قالوا نعم ! قال « أفلا تجلسون أكلهم ؟ » قالوا بلى . فجلسوا معه فدعاهم ^(١) الملأ : أشراف الناس ورؤسائهم ومقدمهم الذين يرجع الي قولهم وجمعه املاء .

إلى الله وعرض عليهم الاسلام ، وتلا عليهم القرآن . قال وكان مما صنع الله بهم في الاسلام أن
يهود كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا قد
غزوه ببلادهم فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا إن نبيا مبعوث الآن قد أخل زمانه نتيجه ، تقتلكم
معه قتل عاد وإرم . فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله . قال بعضهم لبعض :
يا قوم تعلمون والله إنه النبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه ، فاجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه
وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام وقالوا له : إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة
والشر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذي
أجبناك إليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك . ثم انصرفوا راجعين إلى
بلادهم قد آمنوا وصدقوا .

قال ابن اسحاق : وهم فيما ذكر لي ستة نفر كلهم من الخزرج ، وهم : أبو أمية أسعد بن زارة
ابن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار . قال أبو نعيم : وقد قيل إنه أول من أسلم
من الانصار من الخزرج . ومن الاوس أبو الهيثم بن التيهان . وقيل إن أول من أسلم رافع بن مالك
ومعاذ بن عفراء والله أعلم . وعوف بن الحارث بن رفاع بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن
النجار - وهو ابن عفراء - النجار يان ، ورافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن ذريق الزرق . وقطبة
ابن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد
ابن ساردة^(١) بن يزيد بن جشم بن الخزرج السلمي ثم من بني سواد ، وعقبة بن عامر بن نابت بن زيد
ابن حرام بن كعب بن سلمة السلمي أيضا ، ثم من بني حرام . وجابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان
ابن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي أيضا ، ثم من بني عبيد رضى الله
عنهم . وهكذا روى عن الشعبي والزهرى وغيرهما أنهم كانوا ليلتئذ ستة نفر من الخزرج .

وذكر موسى بن عتبة فيما رواه عن الزهرى وعروة بن الزبير أن أول اجتماعه عليه السلام بهم
كانوا ثمانية وهم : معاذ بن عفراء ، وأسعد بن زارة ، ورافع بن مالك ، وذكوان - وهو ابن عبد
قيس - وعباد بن الصامت ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وعويم بن
ساعدة . فأسلموا وواعدوه إلى قابل . فرجعوا إلى قومهم فدعواهم إلى الاسلام ، وأرسلوا إلى رسول
الله ﷺ معاذ بن عفراء ورافع بن مالك أن ابث الينا رجلا يفتقنا . فبعث اليهم مصعب بن
عمير فقتل على أسعد بن زارة وذكر تمام القصة كما سيوردها ابن اسحاق أنهم من سياق موسى بن
عقبة والله أعلم .

(١) في الاصل : ساوة بن يزيد وهو خطأ ، وفي ابن هشام ساردة بن يزيد (بالتاء) وفي السبيل : ساردة .

قال ابن اسحاق : فلما قدموا المدينة الى قلوبهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعواهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله ﷺ ، حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثني عشر رجلا وهم : أبو أمامة أسعد بن زرارمة المتقدم ذكره ، وعوف بن الحارث المتقدم ، وأخوه ، وماذ وماذ بن عفاء ، ورافع بن مالك المتقدم أيضا . وذكوان ابن عبد قيس بن خلدة بن مخالد بن عامر بن زريق الزرق . قال ابن هشام : وهو انصاري مهاجري وعبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وحليفهم أبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزعة بن أصرم البلوي ، والعباس بن عبادة ابن نضلة بن مالك بن العجلان بن يزيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج المجاني ، وعقبة بن عامر بن قاي المتقدم ، وقطبة بن عامر بن حديدة المتقدم ، فهؤلاء عشرة من الخزرج ، ومن الاوس اثنان هما : عويم بن ساعدة ، وأبو الهيثم مالك بن التيهان . قال ابن هشام التيهان يخفف ويثقل كميت وميت .

قال السهيلي : أبو الهيثم بن التيهان اسمه مالك بن مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الاعلم بن عامر بن زعون بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس . قال وقيل إنه أراشي وقيل بلوي . وهذا لم ينسبه ابن اسحاق ولا ابن هشام . قال : والهيثم فرخ العقاب ، وضرب من النبات ، والمقصود أن هؤلاء الاثني عشر رجلا شهدوا الموسم عامئذ ، وعزموا على الاجتماع برسول الله ﷺ فلقوه بالعقبة فبايعوه عندها بيعة النساء وهي العقبة الاولى . وروى أبو نعيم أن رسول الله ﷺ قرأ عليهم من قوله في سورة ابراهيم (وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا) الى آخرها . وقال ابن اسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله البرقي عن عبد الرحمن ابن عسيلة الصنابحي عن عبادة - وهو ابن الصامت - قال : كنت ممن حضر العقبة الاولى وكنا اثني عشر رجلا . فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض الحرب على أن لا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتي بهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف . فان وفيتكم فلكم الجنة ، وإن غشيتكم من ذلك شيئا فأمركم إلى الله ، إن شاء عذب وإن شاء غفر . وقد روى البخاري ومسلم هذا الحديث من طريق الليث بن سعد عن يزيد ابن أبي حبيب به نحوه .

قال ابن اسحاق : وذكر ابن شهاب الزهري عن عائدة الله أبي إدريس الخولاني أن عبادة بن الصامت حدثه . قال : بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الاولى أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتي بهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف ، فان

وفيتهم فلنكم الجنة ، وإن غشيتهم من ذلك شيئاً فأخذتهم بحمد في الدنيا فهو كفارة له ، وإن سارتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر . وهذا الحديث يخرج في الصحيحين وغيرهما من طرق عن الزهري به نحوه . وقوله على بيعة النساء — يعني وفقى على ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية — وكان هذا مما نزل على وفقى ما بايع عليه أصحابه ليلة العقبة . وليس هذا عجيب فإن القرآن نزل بموافقة عمر بن الخطاب في غير ما موطن كما بيناه في سيرته وفي التفسير ، وإن كانت هذه البيعة وقعت عن وحي غير متلف فهو أظهر والله أعلم .

قال ابن اسحاق : فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي : وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويأمرهم بالإسلام ويقتلهم في الدين . وقد روى البيهقي عن ابن اسحاق قال فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ إنما بعث مصعباً حين كتبوا إليه أن يبعثهم اليهم ، وهو الذي ذكره موسى بن عقبة كما تقدم ، إلا أنه جعل المرة الثانية هي الأولى .

قال البيهقي : وسياق ابن اسحاق أنهم وقال ابن اسحاق : فكان عبد الله بن أبي بكر يقول : لا أدري ما العقبة الأولى . ثم يقول ابن اسحاق : بل لعمرى قد كانت عقبة وعقبة . قالوا كلهم : فنزل مصعب على أسعد بن زرارة فكان يسمى بالمدينة المقرئ ، قال ابن اسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه كان يصلي بهم ، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يريه بعض رضى الله عنهم أجمعين .

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن أبي أمية بن سهل بن حنيف عن أبيه عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كنت قائد أبي حين ذهب بصره فكنيت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الأذان بها صلى على أبي أمية أسعد بن زرارة . قال فكثرت حيناً على ذلك لا يسمع لأذان الجمعة إلا صلى عليه واستغفر له . قال فقلت في نفسي والله إن هذا لي لعجيب ، ألا أسأله ؟ فقلت يا أبت مالك إذا سمعت الأذان للجمعة صليت على أبي أمية ؟ فقال أي بني كان أول من جمع بنا بالمدينة في هزم النبيت من حرة بني يثاعة في بقيع يقال له بقيع الخضات (١) قال قلت وكم أنتم يومئذ ؟ قال أربعون رجلاً . وقد روى هذا الحديث أبو داود وابن ماجه من طريق محمد بن اسحاق رحمه الله . وقد روى الدارقطني عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كتب إلى مصعب بن عمير يأمره بإقامة الجمعة ، وفي استاده غرابة والله أعلم .

(١) كذا بالأصل : وفي ابن هشام : بقيع بالنون . وأورده السهيلي بالباء والنون وذكر فيه روايات مختلفة وشرح هزم النبيت وقال : هو جبل على برية من المدينة .

قال ابن اسحاق : وحدثني حميد الله بن المغيرة بن مميقيب وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن نزم أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر ، وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة ؟ فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر على بئر يقال له بئر مرق فجلسا في الحائط واجتمع اليهما رجل من أسلم ، وسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير يومئذ سيدا قومه من بني عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه ، فلما سمعا به قال سعد لأسيد لا أبالك انطلقا إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما ، واتهما أن يأتيا دارنا فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك ، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدما . قال فآخذ أسيد بن حضير حر بته ثم أقبل اليهما ، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه وقد جاءك فاصدق الله فيه ، قال مصعب : إن يجلس أكلمه . قال فوقف عليهما متشامتا فقال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بانفسكما حاجة . وقال موسى بن عقبة . فقال له غلام : أتيتنا في دارنا بهذا الوعيد ^(١) الغريب الطريد ليتسفد ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم اليه قال ابن اسحاق : فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمرأ قبلكه ، وإن كرهته كف عنك ما تكره ؟ قال أنصفت ، قال ثم ركز حر بته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يذكرون عنهما : والله لعرفنا في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم في اشراقه وتسبله ، ثم قال : ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون إذا أردتم أن تسخاوا في هذا الدين ؟ قالوا له تغتسل فتطهر وتظهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورأى رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسلك اليكما الآن . سعد بن معاذ . ثم أخذ حر بته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جاوس في ناديم فلما نظر اليه سعد بن معاذ مقبلا . قال : أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقف على النداء قال له سعد ما فعلت ؟ قال قلت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا ، وقد نهيتهما فقالا نعم ما أحببت ، وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالته ليحرقوك ، قال فقام سعد بن معاذ مضطربا مبادرا مخوفا للذي ذكر له من بني حارثة وأخذ الحربة في يده ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئا . ثم خرج اليهما سعد فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدا إنما أراد أن يسمع منهما ، فوقف متشامتا ثم قال لاسعد بن زرارة : والله يا أبا أمامة والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني ، أنفشنا في دارنا بما نكره ؟ قال وقد قال أسعد لمصعب : جاءك والله سيد من ورائه قومه ، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان . قال فقال

(١) كذا بالأصل ولم أقف عليها . ولعلها الرعيد أي الخائف المضطرب .

له مصعب : أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمراً رغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تذكره ؟ قال سعد : أنصفت ، ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام وقرأ عليه القرآن . وذكر موسى بن عقبة أنه قرأ عليه أول الزخرف . قال فعرفنا والله في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم في اشرافه وتسبله ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ قالوا تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين . قال فقام فاعتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته فاقبل عائلاً إلى نادى قومه ودعه أسيد بن الحضير ، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا : نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيية ، قال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ، قال فوالله ما أمسى في دار بني عبد الاشهل رجل ولا امرأة إلا مساماً أو مسلمة ، ورجع سعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارمة فأقاما عنده يدعوان الناس إلى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد ، وخطمة ، ووائل ، وواقف ، وتلك أوس وهم من الاوس بن حارثة وذلك أنهم كان فيهم أبو قيس بن الاسلت واسمه صيفي . وقال الزبير بن بكار : اسمه الحارث ، وقيل عبید الله واسم أبيه الاسلت عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الاوس . وكذا نسبة السكابي أيضاً . وكان شاعراً لهم قائداً يستمعون منه ويطيعونه ، فوقف بهم عن الاسلام حتى كان بعد الخندق .

قلت : وأبو قيس بن الاسلت هذا ذكر له ابن اسحاق أشعاراً بائية حسنة تقرب من أشعار أمية بن الصلت الثقفي .

قال ابن اسحاق فيما تقدم : ولما انتشر أمر رسول الله ﷺ في العرب وبلغ البلدان ذكر بالمدينة ولم يكن حي من العرب أعلم بأمر رسول الله ﷺ حين ذكر ، وقبل أن يذكر من هذا الحي من الاوس والخزرج ، وذلك لما كان يسمعون من أجبار يهود . فلما وقع أمره بالمدينة وتحدوا بما بين قریش فيه من الاختلاف قال أبو قيس بن الاسلت أخو بني واقف قال السهيلي : هو أبو قيس صرمة بن أبي أنس واسم أبي أنس قيس بن صرمة بن مالك بن عدي بن عمرو بن غنم بن عدي ابن النجار ، قال وهو الذي أنزل فيه وفي عمر (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) الآية . قال ابن اسحاق : وكان يحب قریشاً ، وكان لهم مهرباً . كانت تحته أرنب بنت أسد بن عبد العزى ابن قضى وكان يقيم عندهم السنين بامراته . قال قصيدة يعظم فيها الحرمة وينهى قریشاً فيها عن الحرب ويدكر فضائلهم وأحلامهم ويدكرهم بلاء الله عندهم ودفعه عنهم الفيل وكيدده ويأمرهم بالسكف

عن رسول الله ﷺ :

أيا راكباً إما عرضت فيلأمن
رسول امرئ قد راعه ذات بينكم
وقد كان عندي للهوم ومرس
نبئتكم شرحين كل قبيلة
أعنيكم بالله من شر صنعكم
واظهار أخلاق ونجوى سقيمة
فذكركم بالله أول وهلة
وقل لهم والله يحكم حكمه
حتى تبعثوها تبعثوها دمية
تقطع أرحاماً وتهلك أمة
وتستبدلوا بالأتحمية بدمها
وبملك والكافور غبراً سوابها
فأياكم والحرب لا تعلقنكم
تزين للأقوام ثم يرونها
تحرق لا تشوى ضعيفا وتنتجى
ألم تعلموا ما كان في حرب داحس
وكم ذا أصابت من شريف مسود
عظيم رماد النار بمحمد أمره
وماء هريق في الضلال كأنما
يخبركم عنها امرؤ حق عالم
فبيعوا الحراب لمحارب واذكروا
ولي امرئ فاختار ديناً فلا يكن
أقيموا لنا ديناً حنيفاً فاتموا
وأنتم لهذا الناس نور وعصمة

مختلفة عنى لؤى بن غالب
على النأي محزون بذلك ناصب
ولم اقض منها حاجتى وما ربي
لها أزل من بين مذك وحاطب (١)
وشر تباعينكم ودس العقارب
كوخز الاشافي وقعها حق صائب
واحلال احرام الظباء الشواذب
ذروا الحرب تذهب عنكم في المراحب
هى الغول للأقصين أو للأقارب
وتبرى السديف من سنام وغارب
شليلا وأصداء ثياب المحارب
كأن فتيرها عيون الجنادب
وحوضا وخيم الماء مر المشارب
بعاقبة إذ بيئت أم صاحب
ذوى العزم منكم بالختوف الصوائب
فتعبروا أو كان في حرب حاطب
طويل العماد ضيفه غير خائب
وذى شيمة محض كريم المضارب
أذاعت به ريح الصبا والجنائب
بأياها والعلم علم التجارب
حسابكم والله خير محاسب
عليكم رقيب غير رب الشواقب
لنا غاية قد يمتدى بالذوائب
تؤمنون والاحلام غير عواذب

(١) قال السهيلي : نبئتكم شرحين أى فريقين مختلفين ، و [فيه] نبئتكم [بالهمز] وقال إنه لفظ مشكل . وقال فيه زحاف خرم وشرحها شرحا حسنا .

وأنتم إذا ما حصل الناس جوهر
تصونون أنساباً (١) كراماً عتيقة
يرى طالب الحاجات نحو بيوتكم
لقد علم الاقوام أن سراتكم
وأفضله رأياً وأعلاده سنة
فتوموا فصلوا ربكم وتمسحوا
فمنكم منه بلاء ومصدق
كتيبته بالسبل تمشى ورجله
فلما أنكم نفسر ذي العرش ردهم
فولوا سراعا هاريين ولم يؤب
فان تهلكوا نهلك ومواسم
لكم سررة البطحاء شم الارانب
مهذبة الانساب غير أشائب
عصائب هلكت تهتدي بمصائب
على كل حال خير أهل الجبابب (٢)
وأقوله للحق وسط المواكب
باركان هذا البيت بين الاخشاب
غداة أبي يكسوم هادي الكتائب
على القاذفات في رهوس المناقب
جنود المليك بين ساف وحاصب
إلى أهله ملجش غير عصائب
يعاش بها قول امرئ غير كاذب

وحرب داحس الذي ذكرها أبو قيس في شعره كانت في زمن الجاهلية مشهورة ، وكان سببها فيما ذكره أبو عبيد معمر بن المثنى وغيره : أن فرساً يقال له داحس كانت لتيس بن زهير بن جذيمة ابن رواحة الغطفاني ، أجراه مع فرس حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوبة الغطفاني أيضاً يقال لها الغبراء ، فجاءت داحس سابقاً فامر حذيفة من ضرب وجهه فوثب مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء ، فقام حمل بن بدر فلطم مالكاً ، ثم إن أبا جندب العباسي لقي عوف بن حذيفة فقتله ، ثم لقي رجل من بني فزارة مالكاً فقتله ، فشبث الحرب بين بني عبس وفزارة فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حمل ابن بدر وجهات آخرين ، وقالوا في ذلك أشعاراً كثيرة يطول بسطها وذكرها .

قال ابن هشام : وأرسل قيس داحساً والغبراء وأرسل حذيفة الخطار والخنفاء ، والاول أصح . قال وأما حرب حنطب بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس . كان قتل يهودياً جاراً للخزرج ، فخرج اليه زيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحرار بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن مالك بن كعب بن الخزرج ابن الحارث بن الخزرج وهو الذي يقال له ابن قسجم في نفر من بني الحارث بن الخزرج فقتلوه فوقعت الحرب بين الاوس والخزرج فافتتلوا قتالاً شديداً وكان الظفر للخزرج ، وقتل يومئذ الأسود بن الصامت الاوسي (٣) قتله المجند بن زياد حليف بني عوف بن الخزرج ، ثم كانت بينهم حروب

(١) وفي ابن هشام : تصونون أجساداً كراماً عتيقة . (٢) قال السهيلي الجبابب منازل بني ، وقيل حفر بها لدم البدن . (٣) وفي ابن هشام : سويد بن الصامت ولعله خطأ .

يطول ذكرها أيضا . والمقصود أن أبا قيس بن الاسلمت مع علمه وفهمه لم يذنب بذلك حين قدم مصعب بن عمير المدينة ودعا أهلها إلى الاسلام ، فاسلم من أهلها بشر كثير ولم يبق دار - أى محلة - من دور المدينة إلا وفيها مسلم ومسلمات غير دار بنى واقف قبيلة أبي قيس ثبطهم عن الاسلام وهو القائل أيضا :

أرب الناس أشياء ألت يلف الصعب منها بالذلول
أرب الناس إمتا أن ضللتنا فيسرنا المعروف السبيل
فلولا ربنا كنا يهوداً وما دين اليهود بنى شكول
ولولا ربنا كنا نصارى مع الرهبان فى جبل الجليل
ولكننا خلقنا إذ خلقنا خفيفا ديننا عن كل جيل
نسوق الهدى نرسف مدعنات مكشفة المناكب فى الجلول

وحاصل ما يقول أنه حائرفيا وقع من الأمر الذى قد سمعه من بعثة رسول الله ﷺ فتوقف الواقفى فى ذلك مع علمه ومعرفة . وكان الذى ثبطه عن الاسلام أولا عبدالله بن أبى بن سلول بعد ما أخبره أبو قيس أنه الذى بشر يهود قومه عن الاسلام .

قال ابن اسحاق : ولم يسلم إلى يوم الفتح هو وأخوه وخرج ، وأنكر الزبير بن بكار أن يكون أبو قيس أسلم . وكذا الواقدى . قال : كان عزم على الاسلام أول ما دعاه رسول الله ﷺ ، فلامه عبد الله بن أبى خلف لا يسلم إلى حول فأتى فى ذى القعدة . وقد ذكر غيره فيما حكاه ابن الأثير فى كتابه [اسد] الغابة ، أنه لما حضره الموت دعاه النبي ﷺ إلى الاسلام فسمع يقول : لا إله إلا الله . وقال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ عاد رجلا من الانصار ، فقال « يا خال قل لا إله إلا الله » فقال : أخال أم عم ؟ قال بل خال قال : غير لى أن أقول لا إله إلا الله ؟ فقال رسول الله ﷺ نعم ! تفرد به احمد رحمه الله وذكر عكرمة وغيره أنه لما توفى أراد ابنه أن يتزوج امرأته كبيشة بنت معن بن عاصم ، فسألت رسول الله ﷺ فى ذلك فانزل الله (ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم من النساء) الآية .

وقال ابن اسحاق وسعيد بن يحيى الاموى فى مغازيه : كان أبو قيس هذا قد ترهب فى الجاهلية وليس المسوح ، وفارق الاوثان ، واغتسل من الجنابة ، وقطع من الخائض من النساء ، وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ودخل بيته فأتى مسجدا لا يدخل عليه فيه حائض ولا جنب . وقال : أعبد إله ابراهيم حين فارق الاوثان وكرهها ، حتى قدم رسول الله ﷺ فاسلم فحسن اسلامه ، وكان شيخا كبيرا وكان قولا بالحق معظما لله فى جاهليته يقول فى ذلك أشعارا حسانا وهو الذى يقول :

يقول أبو قيس وأصبح عاديا
 فأوصيكم بالله والبر والتقى
 وإن قومكم سادوا فلا تحسدنهم
 وإن نزلت إحدى الدواهي بقومكم
 وإن ناب غرم فادح فارفقوهم
 وإن أنتم أمتعتم فمتعفوا
 وقال أبو قيس أيضا :

سبحوا الله شروق كل صباح
 عالم السر والبيان جميعا
 وله الطير تستزيد وتأوى
 وله الوحش بالفلاة تراها
 وله هودت يهود ودانت
 وله شمس النصارى وقاموا
 وله راهب الحبس تراه
 يا بنى الارحام لا تقطعوها
 واتقوا الله فى ضفاف اليتامى
 واعلموا أن لليتيم وليا
 نعم مال اليتيم لا تأكلوه
 يا بنى النخوم لا تمجزلوها
 يا بنى الايام لا تأمنوها
 واعلموا أن أمرها لنقاد
 واجمعوا أمركم على البر والته
 طلعت شمس وكل هلال
 ليس ما قال ربنا بضلال
 فى دكور من آمنت الجبال
 فى حقاف وفى ظلال الرمال
 كل دين مخافة من عضال
 كل عيد لرهم واحتفال
 رهن يؤس وكان أنعم بال
 وصاها قصيرة من طوال
 وبما يستحل غير الحلال
 علما يهتدى بغير سؤال
 إن مال اليتيم برعاه والى
 إن جزل النخوم ذو عقال
 واحذروا مكرها ومر اللبالي
 الخلق ما كان من جديد وبالى
 وى وترك الخنا وأخذ الحلال

قال ابن اسحاق : وقال أبو قيس سرمة أيضا يذكر ما أكرههم الله به من الاسلام ، وما خصهم
 به من نزول رسول الله ﷺ عندهم .

نوى فى قریش بضع عشرة حجة يذكروا لى مديقا . مواتيا
 وسيأتى ذكرها بتمامها فيما بعد إن شاء الله وبه الثقة .

في قصة بيعة العقبة الثانية

قال ابن اسحاق : ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة ، وخرج من خراج من الانصار من المسلمين مع حجاج قومه من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله ﷺ بالعقبة من أواسط أيام التشريق حين أراد الله بهم من كرامته والنصر لنبيه واعزاز الاسلام وأهله . فحدثني مصعب بن كعب بن مالك أن أخاه عبد الله بن كعب - وكان من أعلم الانصار - حدثه أن أباه كعباً حدثه - وكان ممن شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ بها - قال : خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا وممن البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا ، فلما وجهنا لسفرتنا وخرجنا من المدينة قال البراء : يا هؤلاء إني قد رأيت رأيا والله ما أدري أتوافقوني عليه أم لا ؟ قلنا وما ذلك ؟ قال قد رأيت أن لا أدع هذه البنية مني بظهور - يعني السكبة - وأن أصلي اليها قال فقلنا والله ما بلغنا أن نبينا ﷺ يصلي إلا إلى الشام وما نريد أن نخالفه . فقال : إني لمصل اليها ، قال فقلنا له لكننا لا نفعل . قال فلكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلي هو إلى السكبة حتى قدمنا مكة . قال لي يا ابن أخي اطلق بنا إلى رسول الله ﷺ حتى أسأله عما صنعت في سفرى هذا فإنه قد وقع في نفسى منه شيء . لما رأيت من خلافكم إياي فيه . قال فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ - وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك - فلقينا رجلا من أهل مكة فسألناه عن رسول الله ﷺ قال هل تعرفانه ؟ قلنا لا ، فقال هل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه ؟ قال قلنا نعم ! وقد كنا نعرف العباس كن لا يزال يقدم علينا تاجراً ، قال فاذا دخلنا المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس قال فدخلنا المسجد وإذا العباس جالس ورسول الله ﷺ جالس معه ، فسامنا ثم جلسنا إليه فقال رسول الله ﷺ للعباس : « هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ » قال نعم ، هذا البراء بن معرور سيد قومك وهذا كعب بن مالك قال فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ الشاعر ؟ قال نعم ! فقال له البراء بن معرور : يا نبي الله إني خرجت في سفرى هذا قد هداني الله تعالى للإسلام ، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهور فصليت اليها وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسى من ذلك شيء فلما ترى ؟ قال : « قد كنت على قبلة لو صبرت عليها » قال فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ فصلى معنا إلى الشام ، قال وأهد يزعمون أنه صلى إلى السكبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا نحن أعلم به منهم .

قال كعب بن مالك : ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة من أواسط أيام التشريق ، فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ فيها ومعنا عبد الله بن عمرو

ابن حرام أبو جابر سبيد من ساداتنا أخذناه وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلما ناه وقتلنا له يا أبا جابر إنك سبيد من ساداتنا وشريف من أشرفنا وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون خطيباً للنار غداً ، ثم دعونا إلى الاسلام وأخبرناه بمهاد رسول الله ﷺ إيانا المعقبة قال فاسلم وشهد معنا المعقبة وكان نقيبا .

وقد روى البخاري حدثني إبراهيم حدثنا هشام أن ابن جريج أخبرني قال عطاء قال جابر : أنا وأبي وخالي من أصحاب المعقبة ، قال عبد الله بن محمد قال ابن عيينة : أسمعني البراء بن عرور . حدثنا علي بن المديني حدثنا سفيان قال كان عمر و يقول سمعت جابر بن عبد الله يقول : شهدني خالي المعقبة .

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر بن ابن بشير عن أبي الزبير عن جابر ، قال مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم ، عكاظ ومجنة ، وفي المواسم يقول « من يؤويني ؟ من ينصرني ؟ حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة » فلا يجد أحداً يؤويه ولا ينصره ، حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر - كذا قال فيه - فيأتيه قوم وذو رحمه فيقولون احذر غلام قريب لا يقتلك ، ويمضي بين رحلتهم وهم يشيرون اليه بالاصابع حتى بعثنا الله اليه من يثرب فأوينا وصديقاه ، فيخرج الرجل منا فيمن به ويقرئه القرآن فينتقلب إلى أهله فيسلمون بالسلامة حتى لم يبق دار من دور الانصار إلا وفيها رعد من المسلمين يظهر دين الاسلام ، ثم اتهموا جميعا فقتلنا حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطوف ويتردد في جبال مكة ويخاف ؟ فرحل اليه منا سبعون رجلا حتى قدموا عليه في الموسم فواعدناه شعب المعقبة ، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافقنا فقتلنا يا رسول الله علام نبأيت ؟ قال « تبأيعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنهضة في السير . وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » وأن تقولوا في الله لا تخافوا في الله لومة لائم وعلى أن تنصروني فتنصروني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة » فقمنا اليه وأخذ بيده أسعد بن زرارة - وهو من أصغرهم - وفي رواية البيهقي - وهو أصغر السبعين - إلا أنا ، فقال رويداً يا أهل يثرب فانا لم نذهب الله أكباد الابل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وإن أخرجه اليوم مشاة العرب كافة وقتل خيركم وتعصم السيوف . فاما أنتم قوم تصبرون على ذلك تفدوه وأجركم على الله ، وأما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة ففروا . فمينا ذلك فهو أهدر لكم عند الله . قالوا أبط عنا يا أسعد فوالله لا نبيع هذه البيعة ولا نستسلم أبداً . قال فقمنا اليه فبايعناه وأخذ علينا وشروطاً يعطينا على ذلك الجنة . وقد روى الامام احمد أيضاً والبيهقي من طريق داود بن عبد الرحمن العطار - زاد البيهقي عن الطائفة - بسند إلى يحيى بن سليم كلاًهما

عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي إدريس به نحوه . وهذا اسناد جيد على شرط مسلم ولم يخرجوه . وقال البزار وروى غير واحد عن ابن خثيم ولا نعلمه يروى عن جابر إلا من هذا الوجه . وقال الامام احمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عبد الله عن أبي الزبير عن جابر . قال : كان العباس أخناً بيد رسول الله ﷺ ورسول الله يوائمتنا ، فلما فرغنا قال رسول الله ﷺ « أخذت وأعطيت » وقال البزار حدثنا محمد بن معمر حدثنا قبيصة حدثنا سفيان - هو الثوري - عن جابر - يعني الجعفي - عن داود - وهو ابن أبي هند - عن الشعبي عن جابر - يعني ابن عبد الله - قال قال رسول الله ﷺ للنقباء من الانصار : « تؤووني وتمنعوني ؟ » قالوا نعم قالوا فما لنا ؟ قال « الجنة » ثم قال : لا نعلمه يروى الا بهذا الاسناد عن جابر ، ثم قال ابن اسحاق عن معبد عن عبد الله عن أبيه كعب بن مالك . قال فمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ فتسلل تسلي القضا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومنا امرأتان من نساءنا نسيمة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار ، واسماء ابنة عمرو بن عدي بن نابت إحدى نساء بني سلمة وهي أم منيع . وقد صرح ابن اسحاق في رواية يونس بن بكير عنه بأسماهم وأنسابهم وما ورد في بعض الاحاديث أنهم كانوا سبعين ، والعرب كثيراً ما تحذف الكسر ، وقال عروة بن الزبير وموسى بن عقبة : كانوا سبعين رجلاً وامرأة واحدة ، قال منهم أربعون من ذوى أسنانهم ، وثلاثون من شبابهم قال وأصغرهم أبو مسعود وجابر بن عبد الله . قال كعب بن مالك : فلما اجتمعنا في الشعب تنتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا معه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له ، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال : يا معشر الخزرج - قال وكانت العرب إنما يسمون هذا الخي من الانصار الخزرج خزرجها وأوسها - إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عزة من قومه ، ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز اليكم والحق بكم ، فإن كنتم ترون أنفسكم وافون له بما دعوتكم اليه وما نعوه من خالفه فانتم وما تحمّلتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنفسكم مسلووه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فإنه في عزة ومنعة من قومه وبلده . قال فقلنا له قد سمعنا ما قلت فكأنكم يا رسول الله نخذ أنفسنا ولربك ما أحببت ، قال فكلمكم رسول الله ﷺ فقال القرآن ودعا إلى الله ورغب في الاسلام . قال : « أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » قال فاخذ البراء بن معمر بيده [و] قال نعم ! فوالذي بعثك بالحق لنمنعك مما تمنع منه أزدنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الخزرج ورتناها كبراً عن كابر . قال فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله ﷺ

أبو الهيثم بن التيهان فقال : يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ قال فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : « بل الدم الدم ، والهدم الهدم . أنا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » قال كعب وقد قال رسول الله ﷺ : « أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قلوبهم ما فيهم » فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس .

قال ابن اسحاق : وهم أبو أمامة أسعد بن زرارمة المتقدم ، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس | بن عمرو بن امرئ القيس |^(١) بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، ورافع بن مالك بن العجلان المتقدم ، والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي ابن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج ، وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام ابن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، وعبيدة بن الصامت المتقدم ، وسعد بن عبيدة بن دليم بن حارثة بن خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، والمندر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لؤذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب ابن الخزرج . فهؤلاء تسعة من الخزرج ومن الأوس ثلاثة وهم ، أسيد بن حضير بن سالك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الأوس . وسعد بن خزيمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النخاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس ، ورافعة بن عبيد المندر بن زهير بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس .

قال ابن هشام : وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان بدل رفاعته هذا ، وهو كذلك في رواية يونس عن ابن اسحاق . واختاره السهيلي وابن الأثير في الغابة . ثم استشهد ابن هشام على ذلك بما رواه عن أبي زيد الأنصاري فيما ذكره من شعر كعب بن مالك في ذكر النقباء الاثني عشر هذه الليلة - ليلة العقبة الثانية - حين قال :

أبلغ أبا أنه قال رأيته وحان شداء الشعب والطين واقع
أبي الله ما منك نفسك إنه بمصراد أمر الناس راء وسابع

(١) ما بين المربعين زيادة من ابن هشام . وفي الاصابة : عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الاغر بن ثعلبة الخ .

وأبلغ أبا سفيان أن قد بدلنا
فلا ترغبين في حشد أمر تريده
ودونك فاعلم أن نقض عهدنا
أباه البراء وابن عمرو كلاهما
وسعد أباه الساعدي ومنذر
وما ابن ربيع إن تناولت عهده
وأیضا فلا يعطيك ابن رواحة
وفاء به والقوقلي بن صامت
أبو هيثم أيضا وفي مثلها
وما ابن حضير إن أردت بمطعم
وسعد أخو عمرو بن عوف فانه
أولاك نجوم لا يفبك منهم
ياحمد نور من هدى الله ساطع
والب وجمع كل ما أنت جامع
أباه عليك الرهط حين تبايعوا
وأسعد يأباه عليك ورافع
لأنك إن حاولت ذلك جادع
بمساهم لا يطعن ثم طامع
وإخفاره من دونه السم ناقع
بمندوحة عما تحاول يافع
وفاء بما أعطى من العهد خانع
فهل أنت عن احقوة الغي نازع
ضروح لما حاولت ملأمر مانع
عليك بنحس في دجى الليل طالع

قال ابن هشام : فدكر فيهم أبا الحيثم بن التيهان ولم يذكر رفاعه .

قلت : وذكر سعد بن معاذ وليس من النقباء بالكيفية في هذه الليلة . وروى يعقوب بن سفيان
عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن مالك . قال : كان الانصار ليلة العقبة سبعون رجلا ،
وكان تقبأؤهم اثني عشر نقيبا ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس . وحدثني شيخ من الانصار أن
جبرائيل كان يشير الى رسول الله ﷺ إلى من يجعله نقيبا ليلة العقبة وكان أسيد بن حضير أحد
النقباء تلك الليلة . رواه البيهقي . وقال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله
ﷺ قال للنقباء : « أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم ، وأنا كفيل
على قومي » قالوا نعم . وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال
العباس بن عباد بن فضالة الانصاري أخو بني سالم بن عوف : يا مشر الخزرج هل تدرون علام
تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا نعم . قال إنكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس ، فان كنتم
ترون أنكم إذا أنهكت أموالكم ومصيبة وأشرفكم قتلا أسلمتموه فمن الآن فهو والله إن فعلتم خزي
الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه اليه على شهكة الاموال وقتل الأشراف
تخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا : فانا نأخذنه على مصيبة الاموال وقتل الأشراف فما
لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفيما ؟ قال « الجنة » قالوا أبسط يدك فبسط يده فبايعوه . قال عاصم
ابن عمر بن قتادة : وإنما قال العباس بن عباد ذلك ليشد العقد في أعناقهم وزعم عبد الله بن أبي

بكر أنه إنما قال ذلك ليؤخر البيعة تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبي بن ساول سيد
الخزرج ليكون أقوى لأمر القوم ، فأنه أعلم أي ذلك كان .

قال ابن اسحاق : فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زاررة كان أول من ضرب على
يده . وبنو عبد الاشهل يقولون : بل أبو الهيثم بن التيهان .

قال ابن اسحاق : وحدثني معبد بن كعب عن أخيه عبد الله عن أبيه كعب بن مالك قال :

فكان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور ، ثم بايع القوم . وقال ابن الأثير في
[اسد الغابة] : وبموساة يزعمون أن أول من بايعه ليأتمنك كعب بن مالك . وقد ثبت في صحيح البخاري

وهسلم من حديث الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب عن أبيه عن كعب بن مالك في

حديثه حين تخلف عن غزوة تبوك . قال : ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين توافقنا

على الاسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بشراً كثير في الناس منها . وقال البيهقي

أخبرنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا عمرو بن السماك حدثنا حنبل بن اسحاق حدثنا أبو نعيم

حدثنا زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي قال : انطلق رسول الله ﷺ مع العباس عمه إلى

السبعين من الانصار عند العقبة تحت الشجرة ، فقال : « ليتكم متكلمكم ولا يطل الخطبة فان

عليكم من المشركين عينا ، وإن يعلموا بكم يفضحوكم » فقال قائلهم - وهو أبو أمامة - سل يا محمد

لربك ما شئت ، ثم سل لنفسك بعد ذلك ما شئت . ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله وعليك إذا

فعلنا ذلك . قال : « أسألكم لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأسألكم لنفسي وأصحابي أن

تؤوؤنا وتناصرونا وتحمعنوا مما تمنعون منه أنفسكم » قالوا فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال « لكم الجنة »

قالوا فلك ذلك . ثم روى حنبل عن الامام احمد عن يحيى بن زكريا عن مجاهد عن الشعبي عن أبي

مسعود الانصاري فذكره قال : وكان أبو مسعود أصغرهم . وقال احمد عن يحيى عن اسماعيل بن أبي

خالد عن الشعبي قال : فما سمع الشيب والشبان خطبة مثلها . وقال البيهقي أخبرنا أبو طاهر محمد بن

محمد بن محمد بن محمش أخبرنا محمد بن ابراهيم بن الفضل الفحام أخبرنا محمد بن يحيى الذهلي أخبرنا

عمرو بن عثمان الرقي حدثنا زهير ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن اسماعيل بن عبيد الله بن ربيعة

عن أبيه قال : قدمت دواجن خمر ، فأتاها عبادة بن الصامت فخرقها وقال : إنا بايعنا رسول الله ﷺ

على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، وعلى العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر ، وعلى أن نقول في الله لا تأخذنا فيه لومة لائم ، وعلى أن نتصور رسول الله ﷺ إذا قدم

علينا يتررب مما تمنع به أنفسنا وأرواحنا وأبنائنا ولنا الجنة . فهذه بيعة رسول الله ﷺ التي بايعناه

عليها . وهذا اسناد جيد قوى ولم يخرجوه . وقد روى يونس عن ابن اسحاق حدثني عبادة بن

الوليد بن عباد بن الصامت عن أبيه عن جده عباد بن الصامت . قال : يا أيها رسول الله ﷺ بينة الحرب على السمع والطاعة في غيرنا ويسرنا ، ومشطنا ومكرها وأثرة علينا ، وأن لا تنازع الأمر أهله ، وأن تقول بالحق أيما كننا لا نخاف في الله لومة لائم .

قال ابن اسحاق في حديثه عن معبد بن كعب عن أخيه عبد الله بن كعب بن مالك . قال : فلما يا أيها رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بانفد صوت سمعته قط ؟ يا أهل الجبابب - والجبابب المنازل - هل لكم في مذم والصباء معه قد اجتمعوا على حربكم . قال فقال رسول الله ﷺ : « هذا أرب العقبة ، هذا ابن أرب » . قال ابن هشام : ويقال ابن أرب . « أسمع أي عدو الله ؟ أما والله لا تفرغن لك . ثم قال رسول الله ﷺ « ارفضوا إلى رحالك » قال فقال العباس بن عباد بن فضالة : يا رسول الله والذي بعثك بالحق إن شئت لنمينا على أهل منى هذا بأسيا فلما قال فقال رسول الله ﷺ : « لم تؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالك » . قال فرجعنا إلى منى فجمعنا فمنا فيها حتى أصبحنا ، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤنا في منازلنا فقالوا : يا مشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا . وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم . قال فأنبعث من هناك من مشركي قومهنا يملفون ما كان من هذا شيء وما علمنا ، قال وصدقوا لم يملوا ، قال وبعضنا ينظر إلى بعض . قال ثم قام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة الخزرجي وعاليه نملان له جديدان ، قال فقلت له كلمة - كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا - يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش ؟ قال فسمعها الحارث فغلبهما من رجله ثم رمى بهما إلى : قال والله لتنتعلهما ، قال يقول أبو جابر مه أحفظت والله الفتى فاردد إليه نعليه . قال قلت والله لا أردهما ، قال والله صالح ، لئن صدق النقال لاسلبته .

قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر أنهم أتوا عبد الله بن أبي بن سلول فقالوا مثل ما ذكر كعب من القول فقال لهم إن هذا الأمر جسيم ما كان قومي ليتفرقوا ^(١) على مثل هذا وما علمته . قال فأنصرفوا عنه . قال ونفر الناس من منى فتنطس القوم الخبر فوجدوه قد كان ، فخرجوا في طلب القوم فادركوا سعد بن عبادة بالذخر والمنذر بن عمرو وأخا بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وكلاهما كان نقيباً ، فأما المنذر فاعجز القوم ، وأما سعد بن عبادة فاختدوه فربطوا يديه إلى عنقه بنسج رحله ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويحبسونه بجمته - وكان ذا شعر كثير - . قال سعد :

(١) كذا في الأصلين . وفي ابن هشام ليتفوتوا على . وقوله فتنطس . قال السهيلي : التنطس

تدقيق النظر .

فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع على نفر من قریش فيهم رجل وضئ أبيض شمشاع حلوه من الرجال ، فقلت في نفسي إن يك عند أحد من القوم خير فمقد هذا . فلما دنا مني رفع يده فلكمني لكمة شديدة فقلت في نفسي لا والله ما عندهم بعد هذا من خير ، فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني إذ أوى لي رجل ممن معهم . قال : ويحك أما بينك وبين أحد من قریش جوار ولا عهد ؟ قال قلت بلى والله لقد كنت أجير لجبير بن مطعم تجاره وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي . وللحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس : فقال ويحك فاهتف باسم الرجلين واذكر ما بينك وبينهما ، قال ففعلت وخرج ذلك الرجل اليهما فوجدهما في المسجد عند الكعبة فقال لهما : إن رجلا من الخزرج الآن ليضرب بالابطح ليهتف بكما ، قالا ومن هو ؟ قال سعد بن عبادة . قالا : صدق والله إن كان لجبير لنا تجارنا ويمنعهم أن يظلموا بينهم ، قال فجاءا فخلصا سعداً من أيديهم ، فانطلق . وكان الذي لكم سعداً سهيل بن عمرو . قال ابن هشام : وكان الذي أوى له أبو البختري بن هشام . وروى البيهقي بسنده عن عيسى بن أبي عيسى بن جبير قال سمعت قریش قائلين يقول في الليل على أبي قبيس :

فان يسلم السعدان يصبح محمد بمكة لا يخشى خلاف المخالف

فلما أصبحوا قال أبو سفيان من السعدان ؟ أسعد بن بكر أم سعد بن هذيم ؟ فلما كانت الليلة الثانية سمعوا قائلين يقول :

أيأسعد سعد الأوس كن أنت ناصراً ويأسعد سعد الخزرجين انعطارف

أجيباً إلى داعي الهدى وتمنيا على الله في الفردوس منية عارف

فان ثواب الله للطالب الهدى جنان من الفردوس ذات رعارف

فلما أصبحوا قال أبو سفيان : هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة .

فصل

قال ابن اسحاق : فلما رجع الانصار الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الثانية إلى المدينة أظهروا الاسلام بها . وفي قومهم بقبائل من شيوخ لهم على دينهم من الشرك منهم : عمرو بن الجوح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سامة ، وكان ابنه معاذ بن عمرو ممن شهد العقبة ، وكان عمرو بن الجوح من سادات بني سامة وأشرفهم ، وكان قد اتخذ صنما من خشب في داره يقال له مناة كما كانت الاشراف يصنعون يتخذونه إلهاً يعظمونه ويظهره ، فلما أسلم فتيان بني سامة : ابنه معاذ ، ومعاذ بن جبل كانوا يدجلون بالليل على منم عمرو ذلك فيجتمعون فيطرحونه في بعض حفرة بني سامة وفيها عند الناس منسكاً على رأسه ، فاذا أصبح عمرو قال : ويلكم من عدا على إلهنا هدد

الليلة ؟ ثم يندو يلتمسه حتى إذا وجد غسله وطيبه وطره ثم قال : أما والله لو أعلم من فعل بك هذا لأجزيته . فإذا أمسى ونام عمرو وعبدوا عليه ففعلوا مثل ذلك : فيندوا فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى فيغسله ويطيبه ويطهره ، ثم يعبدون عليه إذا أمسى فيعلمون به مثل ذلك ، فلما أكتروا عليه استخرجوه من حيث ألقوه يوماً فغسله وطره وطيبه . ثم جاء بسيفه فملقه عليه ثم قال له : إني والله ما أعلم من يصنع بك ما أرى ، فإن كان فيك خير فامتنع ، وهذا السيف ملك . فلما أمسى ونام عمرو عبدوا عليه فاخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ثم ألقوه في بئر من آبار بني سامة فيها عذر من عذر الناس وغدا عمرو بن الجوح فلم يجدوه في مكانه الذي كان به ، فخرج يتبعه حتى إذا وجده في تلك البئر منكساً مقروناً بكاب ميت ، فلما رآه أبصر شأنه وكلمه من أسلم من قومه فأسلم برحمة الله وحسن إسلامه فقال حين أسلم ، وعرف من الله ما عرف ، وهو يدكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ويشكر الله الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة ويقول :

والله لو كنت إلهاً لم تكن أنت وكعب وسط بئر في قرن
أف للملك إلهي مستدين الآن فتشمتك عن سوء الفين
الحمد لله العلي ذي المن الوهاب الرزاق ديان الدين
هو الذي أنقذني من قبل أن أكون في ظلمة قبر مرتين
﴿ فصل يتضمن أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية ﴾

(وجملتهم على ما ذكره ابن اسحاق ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان)

فن الاوس أحد عشر رجلاً : أسيد بن حضير أحد النقباء ، وأبو الهيثم بن التيهان بدرى أيضاً ، وسامة بن سلامة بن وقش بدرى ، وظهير بن رافع ، وأبو بردة بن دينار بدرى ، ونهير بن الهيثم بن ثابي بن مجدعة بن حازمة ، وسعد بن خيشمة أحد النقباء بدرى وقتل بها شهيداً ، ورفاعة ابن عبد المنذر بن زهير تقيب بدرى ، وعبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك بدرى ، وقتل يوم أحد شهيداً أميراً على الرماة . ومن بن عدى بن الجعد بن عجلان بن الحارث بن ضبيعة البلوى حليف للاوس شهيد بدرى وما بعدها وقتل باليمامة شهيداً ، وعويم بن ساعدة شهيد بدرى وما بعدها . ومن الخزرج اثنان وستون رجلاً : أبو أيوب خالد بن زيد وشهد بدرى وما بعدها ومات بأرض الروم زمن معاوية شهيداً . ومعاذ بن الحارث . وأخوادة عوف ومعوذ وهم بنو عفراء بدرى ، وعمارة بن حزم شهيد بدرى وما بعدها وقتل باليمامة ، وأسعد بن زرارة أبو أمامة أحد النقباء مات قبل بدرى ، وسهل بن عتيك بدرى ، وأوس بن ثابت بن المنذر بدرى ، وأبو طلحة زيد بن سهل بدرى ، وقيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مذبول بن عمرو بن غنم بن مازن كان أميراً على

الساقية يوم بدر، وعمر بن غزيرة، وسعد بن الربيع أحد النقباء شهد بدرًا وقتل يوم أحد، وخارجة ابن زيد شهد بدرًا وقتل يوم أحد، وعبد الله بن رواحة أحد النقباء شهد بدرًا وأحد والخندق، وقتل يوم مؤتة أميرا، وبشير بن سعد بدرى، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الذى أرى النداء وهو بدرى. وخالد بن سويد بدرى أحدى خندق وقتل يوم بنى قريظة شهيداً طرحت عليه رجلي فشدخته فيقال إن رسول الله ﷺ قال: «إن له لأجر شهيدين» وأبو مسعود عقبة بن عمرو البدرى قال ابن اسحاق: وهو أحدث من شهد العقبة سناً ولم يشهد بدرًا، وزيد بن لبيد بدرى، وفروة بن عمرو بن ودقة، وخالد بن قيس بن مالك بدرى، ورافع بن مالك أحد النقباء، وذكوان بن عبد قيس بن خالة بن مخضد بن عامر بن زريق، وهو الذى يقال له مهاجرى أنصارى لأنه أقام عند رسول الله ﷺ بمكة حتى هاجر منها وهو بدرى وقتل يوم أحد، وعباد بن قيس بن عامر بن خالد ابن عامر بن زريق بدرى، وأخوه الحارث بن قيس بن عامر بدرى أيضاً، والبراء بن معمر أحد النقباء وأول من بايع فيما تزعم بنو سامة وقد مات قبل مقدم النبي ﷺ المدينة وأوصى له بثلاث ماله فردده رسول الله ﷺ على ورثته، وابنه بشر بن البراء وقد شهد بدرًا وأحدًا والخندق ومات بخصير شهيداً من أكله مع رسول الله ﷺ من تلك الشاة المسمومة رضى الله عنه، وسنان بن صيفى بن صخر بدرى، والطفيل بن النعمان بن خنساء بدرى، وقتل يوم الخندق، ومعتل بن المنذر بن شرح بدرى، وأخوه يزيد بن المنذر بدرى، ومسعود بن زيد بن سبيع، والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بدرى، ويزيد بن خدام بن سبيع، وجبار بن صخر ابن أمية ابن خنساء بن سنان بن عبيد بدرى، والطفيل بن مالك بن خنساء بدرى، وكعب بن مالك، وسليم بن عامر بن حديدة بدرى وقطبة بن عامر بن حديدة بدرى. وأخوه أبو المنذر يزيد بدرى أيضاً، وأبو اليسر كعب بن عمرو بدرى، وصيفى بن سواد بن عباد، وثلثة بن غنمة بن عدى بن نابت بدرى واستشهد بالخندق، وأخوه عمرو بن غنمة بن عدى، وخبث بن عامر بن عدى بدرى، وخالد بن عمرو بن عدى بن نابت، وعبد الله بن أنيس حليف لهم من قضاة، وعبد الله بن عمرو بن حرام أحد النقباء بدرى واستشهد يوم أحد، وابنه جابر بن عبد الله، ومعاذ بن عمرو بن الجهم بدرى، وثابت بن الجندب بدرى وقتل شهيداً بالطائف، وعمير بن الحارث بن ثعلبة بدرى، وخديج بن سلامة حليف لهم من بلى. ومعاذ بن جبل شهد بدرًا وما بعدها ومات بطاعون غواس فى خلافة عمر بن الخطاب، وعباد ابن الصامت أحد النقباء شهد بدرًا وما بعدها، والعباس بن عباد بن نضلة وقد أقام بمكة حتى هاجر منها فكان يقال له مهاجرى أنصارى أيضاً وقتل يوم أحد شهيداً، وأبو عبد الرحمن يزيد ابن ثعلبة بن خزيمة بن أسرم حليف لهم من بلى، وعمرو بن الحارث بن كندة. ورفاعة بن عمرو بن

زيد بدرى ، وعقبة بن زهوب بن كلفة خليف لهم بدرى وكان ممن خرج إلى مكة فاقام بها حتى هاجر منها فهو ممن يقال له مهاجرى أنصارى أيضا ، وسعد بن عباد بن دليم أحمد النقباء ، والمنذر بن عمرو نقيب بدرى احدى وقتل يوم يثر ممونة أميرا وهو الذى يقال له أعتق ليموت ، وأما المرأتان فام عمارة نسيمة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار المازنية النجارية . قال ابن اسحاق : وقد كانت شهدت الحرب مع رسول الله ﷺ وشهدت معها أختها وزوجها زيد بن عاصم بن كعب ، وابناها خبيب وعبد الله ، وابنها خبيب هذا هو الذى قتله مسيلة الكذاب حين جعل يقول له أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ فيقول نعم ، فيقول أتشهد أنى رسول الله ؟ فيقول لا أسمع فجعل يقطعه عضوا عضوا حتى مات فى يديه لا يزيد على ذلك ، فكانت أم عمارة ممن خرج إلى اليمامة مع المساهين حين قتل مسيلة ورجعت وبها اثني عشر جرحا من بين طعنة وضربة رضى الله عنها ، والاخرى أم منيع أسماء ابنة عمرو بن عدى بن نابی بن عمرو بن سواد ابن غنم بن كعب بن سلمة رضى الله عنها .

باب

بدء الهجرة من مكة إلى المدينة

قال الزهرى عن عروة عن عائشة . قالت قال رسول الله ﷺ - وهو يومئذ بمكة - للمسلمين : « قد أريت دار هرتكم ، أريت سبخة ذات نخل بين لابتين » فهاجر من هاجر قبل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله ﷺ ، ورجع إلى المدينة من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المساهين . رواه البخارى . وقال أبو موسى عن النبى ﷺ : « رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلى إلى أنها اليمامة أو حجر ، فاذا هى المدينة يثرب » وهذا الحديث قد أسنده البخارى فى مواضع أخر بطوله . ورواه مسلم كلاهما عن أبى كريب . زاد مسلم وعبد الله بن مراد كلاهما عن أبى أسامة عن يزيد بن عبد الله بن أبى بردة عن جده أبى بردة عن أبى موسى عبد الله بن قيس الأشعرى عن النبى ﷺ الحديث بطوله .

قال الخافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الخافظ أخبرنا أبو العباس القاسم بن القاسم السيارى بمرور حدثنا إبراهيم بن هلال حدثنا على بن الحسن بن شقيق حدثنا عيسى بن عبيد الكندى عن غيلان بن عبيد الله العامرى عن أبى زرعة بن عمرو بن جرير عن جرير أن النبى ﷺ قال : « إن الله أوحى إلى أى هؤلاء البلاد الثلاث نزلت فيها دار هرتك ، المدينة ، أو البحرين ، أو قسرين » قال أهل العلم : ثم عزم له على المدينة فأمر أصحابه بالهجرة إليها .

هذا حديث غريب جداً وقد رواه الترمذى فى المناقب من جامعه منفرداً به عن أبي عمار
الحسين بن حريث عن الفضل بن موسى عن عيسى بن عبيد عن غيلان بن عبد الله العامرى عن
أبي زرعة بن عمر بن جرير عن جرير . قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله أوحى إلى أئمة هؤلاء
الثلاثة نزلت ففى دار هجرتك ، المدينة ، أو البحرين ، أو قنسرين » ثم قال : غريب لا نعرفه إلا
من حديث الفضل تفرد به أبو عمار .

قلت : وغيلان بن عبد الله العامرى هذا ذكره ابن حبان فى الثقات إلا أنه قال : روى عن
أبي زرعة حديثاً منكراً فى الهجرة والله أعلم .

قال ابن اسحاق : لما أذن الله تعالى فى الحرب بقوله (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله
على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) الآية . فلما أذن الله
فى الحرب وتابعه هذا الحى من الانصار على الاسلام والنصرة له ، ولما اتبعه وأوى اليهم من المسلمين ،
أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة
والهجرة إليها والله حق باخوانهم من الانصار وقال : « إن الله قد جعل لكم أخواناً وداراً تأمنون
بها » فخرجوا إليها أرسالا وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه فى الخروج من مكة
والهجرة إلى المدينة ، فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين
من قريش من بنى مخزوم ، أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم
وكانت هجرته إليها قبل بيعة العقبة بسنة حين آذته قريش مرجعه من الحبشة فعزم على الرجوع إليها
ثم بلغه أن بالمدينة لهم أخواناً فعزم إليها .

قال ابن اسحاق : فحدثني أبي عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة عن جدته أم سلمة
قالت : لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيره ثم حملني عليه وجعل معي ابني سلمة بن
أبي سلمة فى حجرى ، ثم خرج يقود بي بعيره ، فلما رآته رجال بنو المغيرة قاموا إليه فقالوا هذه نفسك
غلبتنا عليها ، أرايت صاحبنا هذه علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟ قالت فتزعوا خطام البعير من
يده وأخذوني منه . قالت وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة وقالوا والله لا نترك ابننا
عندهما إذ نزعتهما من صاحبنا ، قالت فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو
عبد الأسد وحبسني بنو المغيرة عندهم وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة ، قالت ففرق بيني وبين
ابني وبين زوجي . قالت فسكنت أخرج كل غداة فاجلس فى الأبطح فما أزال أبكي حتى أمتسى
- سنة أو قريباً منها - حتى مر بي رجل من بنى عمى أحد بنى المغيرة فرأى ما بى فرحنى ، فقال لبنى
المغيرة : ألا تخرجون من هذه المسكنة ؟ فرقم بينها وبين زوجها وبين ولدها ؟ قالت فقالوا لى الحق

بزوجك إن شئت . قالت خرد بنو عبيد الاسد إلى عند ذلك ابني ، قالت فارتحلت بعيري ، ثم أخذت ابني فوضعت في حجرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة ، قالت وما معى أحد من خلق الله . حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بنى عبيد الدارققال إلى أين يا ابنة أبي أمية ؟ قلت أريد زوجى بالمدينة ، قال أو ما معك أحد ؟ قلت ما معى أحد إلا الله وبنى هذا ، فقال والله مالك من مترك . فآخذ بخطام البعير فاطلق معى يهوى بى فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أفاخ بى ثم استأخر عنى حتى إذا نزلت استأخر بعيرى فخط عنه ثم قيد فى الشجر ثم تمنى إلى شجرة فاضطجع تحتها . فإذا دنا الرواح قام إلى بعيرى فقدمه فرحل ثم استأخر عنى وقال اركبى فإذا ركبت فاستويت على بعيرى أتى فآخذ بخطامه فتدنى حتى ينزل بى ، فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة فلما نظر إلى قرية بنى عمرو ابن عوف بقباء قال : زوجك فى هذه القرية . وكان أبو سامة بها نازلا - فدخلها على بركة الله . ثم انصرف راجعا إلى مكة ، فكانت تقول : ما أعلم أهل بيت فى الاسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سامة ، وما رأيت صاحبيا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة ، أسلم عثمان بن طلحة بن أبى طلحة العبدى هذا بعد الحديبية ، وهاجر هو وخالد بن الوليد معا ، وقتل يوم أحد أبوه وأخوته ، والحارث وكلاب ومسافع ، وعنه عثمان بن أبى طلحة . ودفع اليه رسول الله ﷺ يوم الفتح وإلى ابن عمه شيبة ووالد بنى شيبة مغاتبيح الكعبة أقرها عليهم فى الاسلام كما كانت فى الجاهلية ، ونزل فى ذلك قوله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها) الآية .

قال ابن اسحاق . ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبى سامة عامر بن ربيعة حليف بنى عدى ، معه امرأته ليلى بنت أبى حنمة العدوية ثم عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة ابن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه حليف بنى أمية بن عبد شمس احتمل بأهله وبأخيه عبد أبى احمد ، اسمه عبد كاذ كره ابن اسحاق وقيل ثمامة . قال السهيلي : والاول أصح . وكان أبو احمد رجلا ضريرا البصر وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد ، وكان شاعرا وكانت عنده الفارعة بنت أبى سفيان بن حرب ، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم . فنزلت دار بنى جحش هجرة ، فمر بها عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبو جهل بن هشام وهم مصعدون إلى أعلى مكة ، فنظر إليها عتبة فحلف أبوها يابا ليس بها سواكن ، فلما رآها كذلك تنفس الصعداء وقال :

وكل دار وإن طالت سلامتها يوما ستمر كها النكباء والحبوب

قال ابن هشام : وهذا البيت لابی دواد الايادى فى قصيدة له . قال السهيلي : واسم أبى دواد

حنظلة بن شرقى وقيل حارثة . ثم قال عتبة : أصبحت دار بنى جحش خلاء من أهلها . فقال أبو جهل : وما تبكي عليه من فل بن فل ^(١) ثم قال - يعنى للعباس - هذا من عمل ابن أخيك ، هذا فرق جماعتنا ، وشئت أمرنا ، وقطع بيننا .

قال ابن اسحاق : فنزل أبو سلمة وعامر بن ربيعة وبنو جحش بقباء على مبشر بن عبد المنذر ثم قدم المهاجرون أرسالا . قال وكان بنو غنم بن دودان أهل اسلام قد أوعبوا إلى المدينة هجرة رجالهم ونسائهم وهم عبد الله بن جحش ، وأخوه أبو احمد ، وعكاشة بن محصن ، وشجاع ، وعقبة ابنا وهب ، وأربد بن حميرة ^(٢) ومنقذ بن نباتة ، وسعيد بن رقيش ، ومحرز بن نضلة ، وزيد بن رقيش ، وقيس بن جابر ، وعمرو بن محصن ، ومالك بن عمرو ، وصقوان بن عمرو ، وتقف بن عمرو وربعة بن أكنم . والزبير بن عبيدة ، وتمام بن عبيدة ، وسخبرة بن عبيدة ، ومحمد بن عبد الله بن جحش . ومن نسائهم زينب بنت جحش ، وحمنة بنت جحش ، وأم حبيب بنت جحش ، وجدامة بنت جذيل ، وأم قيس بنت محصن ، وأم حبيب بنت نمارة ، وآمنة بنت رقيش ، وسخبرة بنت تميم . قال أبو احمد بن جحش في هجرتهم إلى المدينة :

ولما رأيتني أم احمد غاديا بذمة من أخشى بغيب وأرهب
تقول فاما كنت لا بد فاعلا فيهم بنا البلدان ولنا يثرب
قتلت لها ما يثرب حنظلة ^(٣) وما يشأ الرحمن فالمرء يركب
إلى الله وجهي والرسول ومن يقيم إلى الله يوما وجهه لا يخيب
فكم قد تركنا من حرم مناصح وناصحة تبكي بدع وتندب
تري أن وترا نائيا عن بلادنا ونحن نرى أن الرغائب نطلب
دعوت بنى غنم لحقن دماهم ولاحق لما لاح للناس ملجأ
أجابوا بحمد الله لما دعاهم إلى الحق داع والنجاح فابعثوا
وكننا وأصحابا لنا فارقوا الهدى أمانوا علينا بالسلاح وأجلبوا
كفوجين إنا منهما فوفق على الحق مهدي وفوج معذب
ملغوا وتمنوا كذبة وأزله عن الحق إبليس تخابوا وخيروا
ورعنا إلى قول النبي محمد فطاب ولاة الحق منا وطيبوا

(١) قال ابن هشام : القيل الواحد . واستشهد بييت لبديع بن ربيعة :

كل بني حرة مصيرهم قل وإن أكرهت من العدد

(٢) قال ابن هشام : ويقال ابن حميرة . (٣) في ابن هشام : قتلت لها بل يثرب اليوم وجهنا .

نمتُ بأرحامِ إليهم قريبة ولا قرب بالأرحام إذ لا تقرب
فأى ابن أخت بعدنا يأمنكم وأية صهر بعد صهرى يرقب
ستمعلم يوما أينما إذ تزايلوا وزيل أمر الناس للحق أصوب

قال ابن اسحاق : ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعياش بن أبي ربيعة حتى قدما المدينة . فحدثني
نافع عن عبد الله بن عمر عن أبيه . قال : اتعدنا لما أردت الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي
ربيعة وهشام بن العاص ، التناضب من إضاعة بنى غفار فوق سرف ، وقلنا أينما لم يصبح عندها فقد
حبس فليعض صاحباه ، قال فاصبحت أنا وعياش عند التناضب وحبس هشام وقتن فافتن ، فلما
قدمنا المدينة نزلنا في بنى عمرو بن عوف بقباء ، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى
عياش - وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما - حتى قدما المدينة ورسول الله ﷺ بمكة ، فكلماه وقال
له إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك ، ولا تستظل من شمس حتى تراك ، فرق
لها فقلت له إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم ، فوالله لو قد أدى أمك القمل
لا متشطت ، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت . قال فقال : أبر قسم أمي ولى هنالك مال فأخذه
قال قلت والله إنك لتعلم أنى لمن أكنز قریش مالا ، فإك نصف مالى ولا تذهب معهما . قال فإنى
على إلا أن يخرج معهما ، فلما أبى إلا ذلك قلت أما إذ فعلت ما فعلت فخذ ناقتى هذه فانها ناقة
نجيبة ذلول فالزم ظيهرها ، فان رابك من أمر القوم ريب فانج عليها . فخرج عليها معهما حتى إذا كانوا
ببعض الطريق قال له أبو جهل : يا أخى والله لقد استغلظت بعيرى هذا أفلا تعقبنى على ناقتك هذه
قال بلى . فاناخ وأناخ ليتحول عليها ، فلما استروا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه رباطا ، ثم دخلا به
مكة وفتناه فافتن . قال عمر : فسكننا نقول لا يقبل الله ممن افتن توبة . وكانوا يقولون ذلك لانفسهم
حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنزل الله (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من
رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن
يأتىكم العذاب ثم لا تنصرون ، واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتىكم العذاب
بغنة وأنتم لا تشعرون) قال عمر : وكتبتها وبعث بها إلى هشام بن العاص . قال هشام : فلما أتتني
جملت أقرأها بنى طوى أصعد بها وأصوب ولا أفهمها حتى قلت : اللهم فهمنيها ، فالتقى الله في قلبي
أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول فى أنفسنا ، ويقال فينا ، قال فرجعت إلى بعيرى فجلست عليه
فلحقت برسول الله ﷺ بالمدينة . وذكر ابن هشام أن الذى قدم بهشام بن العاص ، وعياش
ابن أبي ربيعة إلى المدينة ، الوليد بن المغيرة سرقهما من مكة وقدم بها يحملهما على بعيره وهو ماش
معهما : فعثر فدميت أصبعه فقال :

هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

وقال البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبه أنبأنا أبو اسحاق سمع البراء . قال : أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، ثم قدم علينا عمار وبلال . وحدثني محمد بن بشر حدثنا غندر حدثنا شعبه عن أبي اسحاق سمعت البراء بن عازب . قال : أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانا يقرئان الناس ، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر ، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين نفراً من أصحاب النبي ﷺ ثم قدم النبي ﷺ . فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ حتى جعل الماء يقطن : قدم رسول الله ﷺ . فما قدم حتى قرأت سبح اسم ربك الأعلى في سور من المفصل . ورواه مسلم في صحيحه من حديث أسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء ابن عازب بنحوه وفيه التعمير بأن سعد بن أبي وقاص هاجر قبل قدوم رسول الله ﷺ المدينة ، وقد زعم موسى بن عقبة عن الزهري أنه إنما هاجر بعد رسول الله ﷺ والصواب ما تقدم .

قال ابن اسحاق : ولما قدم عمر بن الخطاب المدينة هو ومن لحق به من أهله وقومه وأخوه زيد ابن الخطاب وعمر وعبد الله ابنا سراقة بن المتمر وخنيس بن حذافة السهمي زوج ابنته حفصة وابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وواقد بن عبد الله النخعي حليف لهم وخولى بن أبي خولى ومالك بن أبي خولى حليفان لهم من بني عجل وبنو البكير ياسر وخالد وعافل وعمار وحلفائهم من بني سعد بن ليث ، فزلوا على رقعة بن عبد المنذر بن زهير بن عمرو بن عوف بقباء .

قال ابن اسحاق : ثم تسابع المهاجرون رضى الله عنهم قتل طلحة بن عبيد الله وسهيب بن سنان على خبيب بن إسماعيل بن الحارث بن الخزرج بالفتح . ويقال بل نزل طلحة على أسعد ابن زرارة .

قال ابن هشام : وذكر لي عن أبي عثمان النهدي أنه قال بلغني أن سهيباً حين أراد الهجرة قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكثير مالك عندنا وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لا يكون ذلك . فقال لهم سهيب : أرايتم إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى ، قالوا نعم ! قال فاني قد جعلت لكم مالى . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : « ربح سهيب ، ربح سهيب » . وقد قال البيهقي : حدثنا الحافظ أبو عبد الله - إمامنا - أخبرنا أبو العباس اسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال أخبرنا عبد الله بن الأحنافى حدثنا زيد بن الجريش حدثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثنا حصين بن حذيفة بن حبيب بن حبيب حدثني أبي وعمه عن سعيد بن المسيب عن سهيب . قال قال رسول الله ﷺ : « أريت دار هجر نسكم سمينة بين ظهري حرتين ، فاما أن تكون هجر أو تكون يثرب » قال وخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة وخرج معه أبو بكر ، وكانت

قد قدمت منه بالخروج فصادني فتبيان من قر يش ، فجعلت ليلتي تلك أقوم لا أقعد ، فقالوا قد شغلنا الله عنكم بطلانه ولم أكن شاكياء فناموا . فخرجت ولحقني منهم ناس بعد ما سرت يريدوا ليردوني فقلت لهم إن أعطيتكم أوقاي من ذهب وتخلوا سبيلي وتوفون لي ففعلوا فتبصرتهم إلى مكة فقلت احفروا تحت أسكفة الباب فان بها أوقاي ، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الخلتين . وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ بقباء قبل أن يتحول منها ، فلما رأي قال : « يا أبا يحيى ربح البيع » فقلت يا رسول الله ما سبقتي إليك أحد وما أخبرك إلا جبرائيل عليه السلام .

قال ابن اسحاق : ونزل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو مرثد كنان بن الحصين وابنه مرثد الغنويان حليفاه حمزة ، وأمنة وأبو كبشة موليا رسول الله ﷺ على كلثوم بن الهدم أخي بني عمرو بن عوف بقباء ، وقيل على سعد بن خيشمة ، وقيل بل نزل حمزة على أسعد بن زرارة والله أعلم . قال ونزل عبيدة بن الحارث وأخوه الطفيل وحصين وسطح بن أنانة وسويبط بن سعد ابن حريشة أخو بني عبد المدار وطليب بن عمير أخو بني عبد بن قصي وخباب مولى عتبة بن غزوان على عبد الله بن سالمه أخي بالمعجلان بقباء ^(١) ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع ، ونزل الزبير بن العوام وأبو سيرة بن أبي رهم على منذر بن محمد بن عقبة بن أبيحقة بن الجراح بالعصبة دار بني جحجي ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ ، ونزل أبو حذيفة بن عتبة وسالم مولاه على سالمه . قال ابن اسحاق وقال الاموي على خبيب بن اساف أخي بني حارثة ، ونزل عتبة بن غزوان على عباد بن بشر بن وقش في بني عبد الاشهل ، ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر أخي حسان بن ثابت في دار بني النجار . قال ابن اسحاق : ونزل العراب من المهاجرين على سعد بن خيشمة وذلك أنه كان عزبا والله أعلم أي ذلك كان .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثني احمد بن أبي بكر بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف حدثنا عبد العزيز بن محمد عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه . قال : قدمنا مكة فنزلنا بالعصبة ، عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة . فكان يؤمهم سالم مولى أبي حذيفة لأنه كان أكثرهم قرآنا .

فصل

في سبب هجرة رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة

قال الله تعالى (وقل ربني أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك ^(١)) كذا بالاصلين ، وفي ابن هشام : على عبد الله أخي بلحارث بن الخزرج في دار بلحارث بن الخزرج .

سلطانا نصيرا) أرشده الله وألمه أن يدعو بهذا الدعاء [و] أن يجعل له مما هو فيه فرجا قريبا
ومخرجا عاجلا ، فاذن له تعالى في الهجرة إلى المدينة النبوية حيث الانصار والاحباب ، فصارت له
داراً وقراراً ، وأهلها له أنصاراً .

قال احمد بن حنبل وعثمان بن أبي شيبة عن جرير عن قابوس بن أبي ظبيان ^(١) عن أبيه عن
ابن عباس : كان رسول الله ﷺ بمكة ، فأمر بالحجرة وأنزل عليه (وقل رب أدخلني مدخل صدق
وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيراً) وقال قتادة (أدخلني مدخل صدق)
المدينة (وأخرجني مخرج صدق) الهجرة من مكة (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيراً) كتاب
الله وفرائضه وحدوده .

قال ابن اسحاق : وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة
ولم يتخلف معه بمكة إلا من حبس أوقتن ، إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة رضي الله
عنهما وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فيقول له « لا تعجل لعل الله يجعل
لك صاحباً » فيطمع أبو بكر أن يكونه . فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صار له شعبة
وأصحاب من غيرهم بغير بدعهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد زنوا داراً
وأصابوا منهم منعة ، فخذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم وعرفوا أنه قد أجمع خبرهم ، فاجتمعوا له
في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها يتشاورون فيها
يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه . قال ابن اسحاق : فحدثني من لا أعلم من أصحابنا عن
عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر عن عبد الله بن عباس . وغيره ممن لا أعلم عن عبد الله بن
عباس . قال : لما اجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله
ﷺ ، غدوا في اليوم الذي اتعدوا له وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة . فاعترضهم إبليس لعنه الله
في صورة شيخ جليل عليه بثلة ^(٢) فوقف على باب الدار فلما رأوه وقفوا على بابها قالوا من الشيخ ؟
قال شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليدع ما تقولون وعسى أن لا يهديكم منه
رأياً ونصيحاً . قالوا أجل فادخل ، فدخل معهم وقد اجتمع فيها اشراف قريش عتبة وشيبة وأبو سفيان
وطعيمة بن عدى وجبير بن مطعم بن عدى والخنث بن نوفل والنضر بن الحارث وأبو
البختري بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام وأبو جول بن هشام وثيبة ومنبه ابن الحجاج

(١) كذا في المصرية وفي الخليلية : جبر عن قابوس بن أبي ظبيان .

(٢) كذا في سيرة ابن هشام ، وفي ح : عيبه (ولعلها عليه) تب له ، وفي المصرية : عليه ثوب

له وكل ذلك تصحيف . وفي القاموس (البثرة الشجرة) وفي السيرة الخليلية : طيلسان شجر .

وأمية بن خلف ومن كان منهم وغيرهم ممن لا يمد من قریش ، فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم وإنا والله ما نأمنه على النوثوب علينا من قد اتبعه من غيرنا ، فاجمعوا فيه رأيا ، قال فتشاوروا ثم قال قائل منهم — قيل إنه أبو البختري بن هشام — احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبسه زهيراً والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم ، فقال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأى والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب هذا الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فلا وشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوهم من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم : ما هذا لكم برأى . فتشاوروا ثم قال قائل منهم : نخرج به من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فاذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألفقنا كما كانت . قال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، أدبروا فيه رأيا غير هذا . فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لي فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد . قالوا وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن تأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليلا نسبيا وسيضا فينا ثم تعطى كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنتسريح منه ، فانهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعها ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومه جميعا . فرضوا منا بالمقل فمقلناه لهم ، قال يقول الشيخ النجدي : القول ما قال الرجل هذا الرأي ولا رأى غيره فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له . فأتى جبرائيل رسول الله ﷺ فقال له : لا تبت هذه الآية على فراشك الذي كنت تبيت عليه . قال فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرددونه حتى ينام فيثبون عليه ، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب : « ثم على فراشي وتسج ببردى هذا الخضرمي الأخضر ، قم فيه فانه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم » وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام .

وهذه القصة التي ذكرها ابن اسحاق قد رواها الواقدي بأسانيد عن عائشة وابن عباس وعلى وسراقة بن مالك بن جعشم وغيرهم دخل حديث بعضهم في بعض فذكر نحو ما تقدم .

قال ابن اسحاق : فحدثني يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي . قال : لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل قال — وعلم على بابي — إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد ، وتسلم ، فجعلت لكم جنانا كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوا كان فيكم ذبح

ثم بعثهم بعده موتسكم، ثم جاءت لكم نار تحرقون فيها. قال فخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال : « نعم أنا أقول ذلك أنت أحدهم » وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤسهم وهو ينال هذه الآيات (يُسْ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) إلى قوله (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) ولم يبق منهم رجل الا وقد وضع على رأسه تراباً ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب فاتاهم آت من لم يكن معهم فقال : ما تظنظرون ههنا ؟ قالوا همدا ، فقال خيبكم الله . قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلاً الا وقد وضع على رأسه تراباً ، وانطلق لحاجته ! أفما ترون ما بكم ؟ قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فنادا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطالعون فيرون عليها على الفرائش متسجها ببركة رسول الله ﷺ فيقولون : والله إن هذا لحمدنا فأثما عليه برده ، فلم يرجعوا كذلك حتى أصبحوا فقام على من الفرائش فقالوا : والله لقد كان عندنا الذي كان عندنا .

قال ابن اسحاق : فكان مما أنزل الله في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له قوله تعالى (ويأذنبكم بكم الذين كفروا ليشتبوهك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) وقوله (أم يقولون شاعر نترقب من به ريب المنون قل تریبوا فانی معکم من المنر بصیرن) قال ابن اسحاق فاذن الله للنبيه ﷺ عند ذلك بالهجرة .

باب

في هجرة رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه به وذلك أول التاريخ الاسلامي كما اتفق عليه الصحابة في الدولة العمريّة كما يثبت في سيرة عمر رضي الله عنه وغيرهم أجمعين . قال ابن خبازي حدثنا علي بن الفضل تساروح ثنا هشام ثنا شكرمة عن ابن عباس . قال : بعث النبي ﷺ لأربعين سنة ، فسكت فيها ثلاث عشرة يوحى اليه ، ثم أس بالهجرة فهاجر عشر سنين ، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة . وقد كانت هجرته عليه السلام في شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة من بعثته عليه السلام وذلك في يوم الاثنين كما رواه الامام احمد عن ابن عباس أنه قال : واد فبكم يوم الاثنين ، فخرج من مكة يوم الاثنين ، وفي يوم الاثنين . ودخل المدينة يوم الاثنين . وفي يوم الاثنين .

قال محمد بن اسحاق : وكان أبو بكر حين اسأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فقبل له : لا تعجل لمعنى الله أن يجعل لك صاحباً ، قد طلع بأن يكون رسول الله ﷺ لنا يعني نفسه . فابتاع الحاتين فحبسهما في دار . يعلمها اعدادا لذلك . قال الواقدي : اشترى اهما بثمانمائة درهم .

قال ابن اسحاق : حدثني عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت :
كان لا يخطئ رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار ، إما بكرة ، وإما عشية .
حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه رسوله ﷺ في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه
أنا رسول الله ﷺ بالهجرة في ساعة كان لا يأتي فيها ، قالت فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول
الله ﷺ في هذه الساعة إلا لأمر حدث ! قالت فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول
الله ﷺ وليس عند رسول الله ﷺ (١) أحد إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر ، فقال رسول الله
ﷺ : « أخرج عني من عندك » قال : يا رسول الله إنماها ابتئى ، وما ذاك فداك أبي وأمي ؟
قال : « إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة » قالت قتال أبو بكر : الصعبة يا رسول الله ؟ قال :
« الصعبة » قالت فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر
يومئذ يبكي . ثم قال : يا نبي الله إن هاتين راحلتين كنت أعدتهما لهذا ، فاستأجرا عبد الله بن
أرقم (٢) قال ابن هشام : ويقال عبد الله بن أريقط . رجلاً من بني الدئل بن بكر ، وكانت أمه من
بني سهم بن عمرو ، وكان مشركاً يذهب على الطريق ودفن في راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاها لميسادهما
قال ابن اسحاق : ولم يعلم — فيما بانني — بخروج رسول الله ﷺ أحد حين خرج إلا علي بن أبي
طالب وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر ، أما علي فان رسول الله ﷺ أمره أن يتخلف حتى يؤدي عن
رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس ، وكان رسول الله ﷺ وليس بمكة أحد عنده شيء
يخشى عليه إلا ونهه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته . قال ابن اسحاق : فلما أجمع رسول الله ﷺ
الخروج إلى أبي بكر بن أبي قحافة فخرجوا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته . وقد روى أبو نعيم
عن طريق إبراهيم بن سعد عن محمد بن اسحاق . قال : بلغني أن رسول الله ﷺ لما خرج من مكة
مهاجراً إلى الله يريد المدينة قال : « الحمد لله الذي خلقني ولم أك شيئاً ، اللهم أعني على هول الدنيا ،
و بوائق الدهر ، ومصائب الليالي والأيام . اللهم اصحبني في سفرى . واخلفني في أهلى ، وبارك لي فيما
رزقته ولك فذللتى . وعلى صالح خلقى فقومتى ، واليك رب فعبدتى ، وإلى الناس فلا تسكنى ، رب
المستضعفين وأنت ربى أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرقت له السموات والأرض ، وكشفت به
الغمامات . وصالح عليه أمر الأولين والآخرين ، أن تحل على غضبك ، وتنزل في سخطك ، أعوذ
بك من ذوال نعمتك ، وبجأة نقمتك ، وتحول عافيتك وجميع سخطك . لك العقبى عندي خير ما
استطعت ، لا حول ولا قوة إلا بك » .

(١) كذا بالأسانين . والذي في ابن هشام . وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي ، وهذا ما يقتضيه
سياق الكلام . (٢) كذا في المعسرية ، وفي : عبد الله بن أرقم وصحته : عبد الله بن أريقط .

قال ابن اسحاق : ثم عمدا إلى غار بشور - جبل بأسفل مكة - فدخله ، وأمر أبو بكر الصديق ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر . وأمر عامر بن فهيرة مولاة أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يرعيها عليهما إذا أمسى في الغار . فكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قریش نهاره ومهم يجمع ما يأتهمون به ، وما يقولون في شأن رسول الله ﷺ وأبي بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر . وكان عامر بن فهيرة يرعى في رعيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبا ودحبا . فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة أتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم يعني عليهما . وسألت في سياق البخاري ما يشهد لهذا . وقد حكى ابن جرير عن بعضهم أن رسول الله ﷺ سبق الصديق في الذهاب إلى غار بشور ، وأمر عليا أن يذهب على مسيره ليحلقه ، فالحق في أقناء الطريق . وهذا غريب جدا وخلاف المشهور من أنهما خرجا معا .

قال ابن اسحاق : وكانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تأتيهما من الطعام إذا أمسى بما يصلحهما ، قالت أسماء : ولما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أنا نافر من قریش فيهم أبو جهل بن هشام فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجت إليهم فقلوا أين أبوك يا ابنة أبي بكر ؟ قالت قلت لا أدري والله أين أبي . قالت فرفع أبو جهل يده - وكان فاحشا خبيثا - فلطم خدي لطمة طر - عليها قرملي ثم انصرفوا . قال ابن اسحاق : فحدثني يحيى بن سفيان بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه عن جدته أسماء قالت : لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر معه احتفل أبو بكر بماله كله منه خمسة آلاف درهم - أو ستة آلاف درهم - فانطلق بها معه ، قالت فدخل عليهما جدي أبو قحافة - وقد ذهب بصره - فقال : والله نبي لا أراه قد فجعكم بماله مع نفسه ؟ قالت قلت كلا يا أبا عبد الله قد ترك لنا خيرا كثيرا ، قالت وأخذت أحجارا فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيدك فقلت يا أبا عبد الله ضع يدك على هذا المار . فقلت فوضع يده عليه فقال : لا بأس لك قد ترك لكم هذا فقد أحسن وفي هذا بلاغ لكم ، ولا والله ما تركت لنا شيئا ولكن أردت أن اسكن الشيخ بذلك .

وقال ابن عشاء : حدثني بعض أهل العلم أن الحسن بن أبي الحسن البصري قال : انتهى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلا ، فدخل أبو بكر قبل رسول الله ﷺ فجلس النار لينظر أفعيه جميع أفعيه ، بقي رسول الله ﷺ بنفسه . وهذا فيه اقتناع من طرفه . وقد قال أبو القاسم البغوي حدثنا داود بن عمرو الضبي ثنا داود بن عمرو الجعفي عن ابن أبي مديكة : أن النبي ﷺ لما خرج من وأبو بكر إلى نود ، فجعل أبو بكر يكره أن يكون أمام النبي ﷺ مرة ، وخلفه مرة ، فسأله النبي ﷺ عن

ذلك فقال : إذا كنت خلفك خشيت أن تلقى من أمامك ، وإذا كنت أمامك خشيت أن تلقى من خلفك . حتى إذا انتهى إلى الغار من ثور قال أبو بكر : كما أنت حتى أدخل يدي فاحسه وأقصه فان كانت فيه دابة أصابني قبلك . قال نافع : فبلغني أنه كان في الغار جحر فألقم أبو بكر رجلاه ذلك الجحر خوفاً أن يخرج منه دابة أو شيء يؤذى رسول الله ﷺ ، وهذا مرسل . وقد ذكرنا له شواهد أخر في سيرة الصديق رضي الله عنه .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر أحمد بن اسحاق أنا مومني بن الحسن ثنا عباد ثنا عفان بن مسلم ثنا السري بن يحيى ثنا محمد بن سيرين . قال : ذكر رجال على عهد عمر فكأنهم فاضوا عمر على أبي بكر . فبلغ ذلك عمر فقال : والله ليلية من أبي بكر خير من آل عمر ، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر . لقد خرج رسول الله ﷺ ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه . حتى فطن رسول الله ﷺ فقال : « يا أبا بكر مالك تمشي ساعة خلفي وساعة بين يدي ؟ » فقال : يا رسول الله أذكر انطلب فأمشي خلفك ، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك . فقال : « يا أبا بكر لو كان شيء لأحببت أن يكون بك دوني ؟ » قال نعم والذي بعثك بالحق . فمسا اتهميا إلى الغار قال أبو بكر : مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك الغار ، فدخل فاستبرأ ، حتى إذا كان ذكر أنه لم يستبرئ الجحرة فقال : مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ . فدخل فاستبرأ ثم قال : انزل يا رسول الله ، فتنزل . ثم قال عمر : والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر . وقد رواد البيهقي من وجه آخر عن عمر وفيد : أن أبا بكر جعل يمشي بين يدي رسول الله ﷺ تارة ، وخلفه أخرى ، وعن يمينه وعن شماله . وفيه أنه لما حفيت رجلاً رسول الله ﷺ حمله الصديق على كاهله ، وأنه لما دخل النار سدد تلك الأجرة كاهها وبقي منها جحر واحد ، فألقمه كعبه فجعلت الأفاعي تنهشه ودموعه تسيل . فقال له رسول الله ﷺ : « لا تحزن إن الله معنا » وفي هذا السياق غرابة ونكارة . وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو . قالوا : ثنا أبو العباس الأحمم ثنا عباس الدوري ثنا أسود بن عامر شاذان ثنا إسرائيل عن الأسود بن جندب بن عبد الله . قال : كان أبو بكر مع رسول الله ﷺ في الغار ، فأصاب يده جحر فقال : إن أنت إلا أجمع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرني عثمان الجزري أن مقسماً مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس في قوله تعالى (وإذا بكر بك الذين كفروا لم يشمتوك) قال : تشاورت قريش ليلة بمكة ، فقال بعضهم إذا أصبح فأثبتوه بالوفاق ، يريدون النبي ﷺ . وقال بعضهم بل أقتلوه . وقال بعضهم بل أخرجوه . فأطاع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك ، فبات على فراش

النبي ﷺ تلك الليلة ، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالنار ، وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي ﷺ . فلما أصبحوا نارا وعليه ، فلما رأوا علياً رد الله عليهم مكرهم . فقالوا : أين صاحبك هذا ؟ فقال : لا أدري . فاقمنوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم ، فقصموا الجبل فمروا بالنار . فرأوا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا لو دخل هاهنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه . فسكت فيه ثلاث ليال . وهذا اسناد حسن وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم النار ، وذلك من حماية الله رسوله ﷺ .

[وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد القاضي في مسند أبي بكر حدثنا بشر الخفاف ثنا
 جعفر وسليمان ^(١) ثنا أبو عمران الجوني حدثنا المسلي بن زياد عن الحسن البصري . قال : الطلق
 النبي ﷺ وأبو بكر إلى النار . وجاءت قریش يطلبون النبي ﷺ . وكانوا إذا رأوا علي باب النار
 نسيح المنكبوت قالوا : لم يدخل أحد . وكان النبي ﷺ قائما يصلي وأبو بكر يرتقب ، فقال أبو بكر
 للنبي ﷺ : هؤلاء قومك يطلبونك . أما والله ما على نفسي أثم ^(٢) . ولكن خفاة أن أرى فيك
 ما أكره . فقال له النبي ﷺ : « يا أبا بكر لا تخف إن الله معنا » وهذا مرسل عن الحسن ، وهو
 حسن بحاله من الشاهد ، وفيه زيادة صلاة النبي ﷺ في النار . وقد كان عليه السلام إذا أحزنه أمر
 صلى وردي هذا الرجل . يعني أبو بكر أحمد بن علي القاضي . عن ابن عمر . والناقد عن خلف بن
 تخيم عن موسى بن عمار عن أبيه عن ابن عمر أنه قال لا بد : يا بني إذا حدث في الناس
 حدث فأت النار الذي اغتبات فيه أنا ورسول الله ﷺ . فأتك فيه فأتك سيأتك وروك فيه بكرة
 وعشا ^(٣) .

بقا۔ لظہم بعضهم هذا في شهر حيث يقول :

لنسر داود ما جي صاحب الفنا و وكان الفخار للعنكبوت

وقد ورد أن حمامين عاشتا على بابها أيضا ، وقد نظم ذلك الصيرمري في شعره حيث يقول :

فَقَمِي عَلَيْهِ الْمُنْكَبُوتَ بِالسَّجْدِ وَظَلَّ عَلَى الْبَابِ الْحِجَابَ يَدِيحُ

والحدیث بالکتاب والحقائق این دعا کر من طریق یحیی بن محمد بن صالح حدیثاً عربی بن

علي ثمال بن عمرو بن عمرو التميمي - ويلقب عوين - حدثني أبو مصعب المكي . قال : أذكر

(١) كذا في الأصل: ولعل جعفر بن سالم بن الضبي من رجال الخلافة.

(١) أَلْ مَرِيضِ وَالْأُخْرَيْنِ أَنَّ بَعْضَ وَرَقِهِ مَمْلُوءَةٌ وَبَعْضُهُ خَالِيَةٌ.

(٣) ما بين المربعين زيادة في النسخة الأصلية، ولم يرد في النسخة المصرية.

نخرجت في وجهه النبي ﷺ تسترده ، وأن الله يستعذب المشركين فاستعذب ما بينهما فسترت وجهه رسول الله ﷺ ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فأقبلتا يدان حتى وقعا بين المشركين وبين الشجرة وأقبلت فتيان قريش من كل بطن منهم رجل ، معهم عصيهم وقسيهم وهراواتهم ، حتى إذا كانوا من رسول الله ﷺ قدر مائتي ذراع قال الدليل - وهو سراقه بن مالك بن جهم المديني - هذا الحجر ثم لا أدري أين وضع رجله . فقال الفتيان : أنت لم تخطئ منذ الليلة . حتى إذا أصبح قال : انظروا في النار ، فاستبقه القوم حتى إذا كانوا من النبي ﷺ قدر خمسين ذراعا ، فإذا الحمامتان ترجعا (١) فقالوا ما ردك أن تنظر في النار ؟ قال رأيت حمامتين وحشيتين بفم النار ، فعرفت أن ليس فيه أحد . فسمعا النبي ﷺ فعرف أن الله قد درأ عنهما بهما ، فسمتا عليهما - أي برك عليهما - وأحمرها الله إلى الحرم فأفرخا كما ترى . وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه . قد رواه الحفاظ أبو نعيم من حديث مسلم بن إبراهيم وغيره عن عون بن عمرو - وهو الملقب بعوين - بإسناده مثله . وفيه أن جميع حمام مكة من نسل تلك الحمامتين ، وفي هذا الحديث أن القائف الذي اقتفى لهم الأثر سراقه بن مالك المديني . وقد روى الواقدي عن موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه أن الذي اقتفى لهم الأثر كرز بن علقمة .

قلت : ويحتمل أن يكونا جميعاً اقتفيا الأثر والله أعلم . وقد قال الله تعالى (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في النار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) يقول تعالى مؤثراً لمن تخلف عن الجهاد مع الرسول (إلا تنصروه) أنتم فان الله ناصره ومؤيده ومظهره كما نصره (إذ أخرجه الذين كفروا) من أهل مكة هارباً ليس معه غير صاحبه وصديقه أبي بكر ليس غيره ولهذا قال (ثاني اثنين إذ هما في النار) أي وقد لجأ إلى النار فأقاما فيه ثلاثة أيام ليسكن الطالب عنهما ، وذلك لأن المشركين حين فقدوها كما تقدم ذهبوا في طلبهما كل من ذهب من سائر الجبلات ، وجعلوا لمن ردها - أو أحدها - مائة من الإبل ، واقتصوا آثارها حتى اختاروا عليهم ، وكان الذي يقتص الأثر قريش سراقه بن مالك بن جهم كما تقدم ، فعصموا الجبل الذي هما فيه وجعلوا يمدون على باب النار ، فتجاذى أرجلهم لباب النار ولا يرونها ، حفظاً من الله لما قاله الإمام أحمد - حدثنا عثمان بن عمار أنا ثابت عن أنس بن مالك أن أبا بكر حدثه . قال قلت للنبي ﷺ ونحن في النار . لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه ؟ فقال : « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » وأخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث همام به . وقد ذكر

بعض أهل السير أن أبا بكر لما قال ذلك قال النبي ﷺ : « لو جأؤنا من ههنا لأذهبنا من هنا » فنظر
انصديق إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر ، وإذا بالبحر قد اتصل به ، وسفينة مشدودة إلى
جانبه . وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة ، ولكن لم يرد ذلك بأسناد قوي ولا ضيف ،
ولمنا ثبت شيئا من تلقاء أنفسنا ، ولكن ما صح أو حسن سندنا قلنا به والله أعلم .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا الفضل بن سهل ثنا خلف بن تميم ثنا موسى بن مطير
القرشي عن أبيه عن أبي هريرة أن أبا بكر قال لا يفتن : يا بني إن حدثت في الناس حديث فأت الغار
الذي رأيتني اختبأت فيه أنا ورسول الله ﷺ فكن فيه ، فإنه سيأتك فيه رزقات شهدة وعشية .
ثم قال البزار : لا أعلم برويه غير خلف بن تميم .

قلت : وموسى بن مطير هذا ضعيف ساروك . وكذا به يعني بن معين فلا يقبل حديثه . وقد
ذكر يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق أن انصديق قتل في دخوله الغار ، وسيرها بعد ذلك وما
كان من قصة سراقته كما سيأتي شعرا . فنه قوله :

قال النبي - ولم أجزع - يوقرنى ونحن في سدف من ظلة الغار

لا تخش شيئا فان الله نالنا وقد تم كل لى منه باظهار

وقد روى أبو نعيم هذه القصيدة من طريق زياد عن محمد بن اسحاق فذكرها مطولة جدا ،
وذكر معها قصيدة أخرى والله أعلم . وقد روى ابن أبي عمير عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير . قال
فكش رسول الله ﷺ بعد الحج - يعني الذي بايع فيه الانصار - بقية ذي الحجة والحرم
وصرفه ، ثم إن مشركي قريش أجمعوا أمرهم ومكرهم على أن يقتلوا رسول الله ﷺ ، أو يسودوا ، أو
يخرجوه فأطاعه الله على ذلك فأزول عليه (إذ يكره لك الذين كرهوا) الآية . فأمر عليا فنام على
فرشه ، ودعب هو وأبو بكر . فلما أصبحوا ذهبوا في طلبهما في كل وجه يظلمونهما . وهكذا ذكر
موسى بن عقبة في معازيره . وإن خرج وجه هو وأبو بكر إلى الغار كن ليلا . وقد تقدم عن الحسن
البصري فيما ذكره ابن هشام التصريح بذلك أيضا . وقال البخاري حدثنا يعني بن بكير ثنا الليث
عن عقيل . قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : لم أعقل
أبوي قط إلا معهما يدينان الدين ، ولم يزل عليهما يوم الإتيان فيه رسول الله ﷺ طريق التمر بكرة
وعشية . فلما أتت المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة ، حتى إذا بلغ برك العباد " " لقيه
ابن الدغنة وهو سيد القارة ، فدكرت ما كان من رده لأبي بكر إلى مكة فسيروا له كما قد ساء عند
هجرة الحبشة . إلى قوله فقال أبو بكر : فأتى أريد عليا جواركه وأرضي بغيره الله . قالت والنبي ﷺ
(١) برك العباد ، بفتح الباء وكسر هاء ونعم الفين وكسر هاء ، موضع باليمن وقيل وراء مكة بخمسين ليلا .

يرمئ بمكة . فقال النبي ﷺ للمسلمين : « إني أريت دار هجرتكم ذات فضل بين لابتيها : وما الحرقان . فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع بعض من كان هاجر قبل الحبشة إلى المدينة . وهاجر أبو بكر مهاجراً قبل المدينة . فقال له رسول الله ﷺ « على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لي » فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي ؟ قال نعم . فجلس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمرة - وهو الخبط - ^(١) أربعة أشهر ، وذكر بعضهم أنه علفها ستة أشهر . قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة : فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في حر الظهيرة ، فقال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله ﷺ متقنماً في ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر : فداء له أبي وأمي : والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر . قالت فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فؤذن له ، فدخل فقال النبي ﷺ « أخرج من عندك » فقال أبو بكر : إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله . قال فانه قد أذن لي في الخروج . فقال أبو بكر : الصبحية بأبي أنت وأمي ، قال النبي ﷺ : نعم . قال أبو بكر : نغذ أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين . فقال رسول الله ﷺ بالنهن . قالت عائشة فخيرناهما أحسن الجوار فضعنا لهما سفرة في جراب ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من ثيابها فربطت به على فم الجراب ، فذلك سميت ذات النطاقين . قالت ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بفار في جبل ثور ، فكثما فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب تقف لهن فيدخل من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت ، لا يسمع أمراً يكاد أن به إلا وعده حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة ^(٢) من غنم فيريحها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان في رمل - وهو ابن منحتهم ورضيعهما - حتى [ينق بها ^(٣)] عامر بن فهيرة بفلس ، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليال الثلاث . وهاجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدئل وهو من بني عبد ابن عدى غاديا خريفاً . وهاجرت الماهر بأفندية - قد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهبي وهو على دين كفار قريش فأنزاه فدفعها إليه راحلتيهما ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحتيهما صبح ثلاث ليال . وانطلقا معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل . قال ابن شهاب فأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدائني وهو ابن أخي سراقبة أن أباه أخبره أنه سمع سراقبة بن مالك ^(١) كذا بالأصليين . والذي في النهاية : السمرة بضم الهم ضرب من شجر الصلح ، وأما الخبط فهو ضرب الشجرة لتماثر ورقها ، واسم الورق الساقط خبط بفتح حين .

(٢) أي غنم فيها لبن ، وقد تقع المنحة على اللبنة مطلقاً لا قرصاً ولا عارية . من النهاية .

(٣) الذي في الأصليين : حتى موهوماً وفي النهاية نعت الراعي بالغنم ينحق إذا دعاها لتعود إليه .

ابن جعشم . يقول : جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما إن قتله أو أسره ، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس . فقال : يا سراقا إني رأيت أنفا أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه . قال سراقا : فعرفت أنهم هم فقلت له إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ، ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فثرت جاريقي أن تخرج فرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي ، وأخذت رحلي فخرجت من ظهير البيت فخطأت برجلي الأرض وخفضت عليه ، حتى أتيت فرسي فركبتها فدفعها ففرت بي حتى دنوت منهم ، فمهرت بي فرسي ففرت عنها فقامت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الإزلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا ، فخرج الذي أكره . فركبت فرسي وعصبت الإزلام فجعل فرسي يقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثّر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغت الركبتين ، ففرت عنها فأهويت ، ثم زجرتها فمضت ، فلم تسكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لآثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان ، فاستقسمت الإزلام فخرج الذي أكره ، فناديتهم بالأمان فوقفوا فركبت فرسي حتى جثمتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ . فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع . فلم يرداني ولم يسألاني إلا أن قلنا اخف عنا . فسألته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر ابن فهيرة فكتب لي رقعة من أدم . ثم مضى رسول الله ﷺ .

وقد روى محمد بن اسحاق عن الزهري عن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم عن أبيه عن عمه سراقا فذكر هذه القصة ، إلا أنه ذكر أنه استقسم بالإزلام أول ما خرج من منزله فخرج السهم الذي يكره لا يضرد ، وذكر أنه عثر به فرسه أربع مرات ، وكل ذلك يستقسم بالإزلام ويخرج الذي يكره لا يضرد . حتى ناداهم بالأمان . وسأل أن يكتب له كتابا يكون أمانة ما بينه وبين رسول الله ﷺ ، قال فكتب لي كتابا في عظم - أو رقعة أو خرقة - وذكر أنه جاء به إلى رسول الله ﷺ وهو بالجعرانة مرجعه من الطائف ، فقال له « يوم وفاء وبر ، أدته » فدنوت منه وأسلمت . قال ابن هشام : هو عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جعشم ^(١) وهذا الذي قاله جيد .

ولما رجع سراقا جعل لا يلتقي أحدا من الطلب إلا رده وقال : كفيتم هذا الوجه ، فلما ظهر أن رسول الله ﷺ قد وصل إلى المدينة . جعل سراقا يقص على الناس ما رأى وما شاهد من أمر النبي ﷺ وما كان من قضية جواده ، واشتهر هذا عنه . تخاف رؤساء قريش معرفته ، وخشوا أن يكون ذلك سببا

(١) كذا في الأصل وفي سيرة ابن هشام ، وفي الخلاصة عبد الرحمن بن مالك بن جعشم .

لا سلام كثير منهم ، وكان سرقة أمير بني مدح ورؤسهم ، فكتب أبو جهل - لعنه الله - اليهم :

بني مدح إني أخاف سفنكم سرقة مستغور لنصر محمد
عليكم به ألا يفرق جمعكم فيصبح شئ بعد عز وسودد

قال فقال سرقة بن مالك يحجب أبا جهل في قوله هذا :

أباحكم والله لو كنت شاهداً لأمر جوادى إذ تسوخ قوائمه
عجبت ولم تشكك بأن محمداً ^(١) رسول وبرهان فمن ذا يقاومه
عليك فكف القوم عنه فأنى أخال لنا يوماً ستبدو معالمه
بأمر تود النصر فيه فاتهم وإن جميع الناس طراً مسالمة

أ (٢) وذكر هذا الشعر الأمازي في معانيه بسنده عن أبي اسحاق وقد رواه أبو نعيم بسنده من طريق زياد عن ابن اسحاق ، وزاد في شعر أبي جهل أبياناً تتضمن كفرة بليغا .

وقال البخاري بسنده إلى ابن شهاب فاخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسى الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض ، وسمع المسلمون بالمدينة يخرج رسول الله ﷺ من مكة ، فكانوا يقدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة ، فالتقوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم ، فلما أروا إلى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر اليه ، فبصر رسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي أن قال بأعلا صوته : يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون فنار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة ، فعزل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف ، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحكي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ ، فقبل أبو بكر حتى ظل عليه بردائه . فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله ﷺ ثم ركب راحلته وسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة . وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين . وكان مر بدياً للتمر سهيل وسهل غلامين يقيمين في حجر اسعد بن زادة فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته : « هذا إن شاء الله المنزل » . ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فسأوهما بالمر بدي ليتخذاه مسجداً ، فقالا بل نهيه لك

(١) في المعبرية : نبي وبرهان فمن ذا يقاومه وذكر هذه الايات السهيلي وفيها اختلاف عما هنا .

(٢) ما بين المربعين سقط من النسخة الحلبية .

يا رسول الله : فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما . ثم بناه مسجداً . فطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبث في بغيانه ، وهو يقول حين ينقل اللبث :

هذا الخمال لاحمال خير هذا أبر ربنا وأطهر

ويقول :

لاهم إن الاجر أجر الآخرة فارحم الانصار والمهاجرة (١)

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي . قال ابن شهاب : ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببیت شعر تام غير هذه الأبيات . هذا لفظ البخاري وقد تفرد بروايته دون مسلم ، وله شواهد من وجوه أخر وليس فيه قصة أم معبد الخزاعية ، ولندكر هنا ما يناسب ذلك مرتباً أولاً فثانياً .

قال الامام احمد : حدثنا عمرو بن محمد أبو سعيد العنقري ثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب . قال : اشترى أبو بكر من عازب سرجاً بثلاثة عشر درهما فقال أبو بكر لعازب : مر البراء فليحمله إلى منزلي . فقال : لا حتى تحدثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله ﷺ وأنت معه ؟ فقال أبو بكر : خرجنا فادخلنا فحدثنا يومنا وليلتنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة ، فضربت بصري هل أرى ظلاً فأوى اليه ، فاذا أنا بصخرة فأهويت اليها فاذا بقية ظلمها . فدوينة لرسول الله ﷺ وفرشت له فروة وقلت استطجع يا رسول الله فاستطجع . ثم خرجت أنظر هل أرى أحداً من الطلب فاذا أنا براعى غنم ، فقلت لمن أنت يا غلام ؟ فقال لي رجل من قریش - فسماه فعرفته - فقلت هل في غنمك من ابن ؟ قال نعم ! قلت هسل أنت حالب لي ؟ قال نعم ! فأمرته فاعتقل شاة منها ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار ، ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار ، ومضى إداوة على فمها خرقة فخلب لي كسبة (٢) من اللبث فصبيت على التمدح حتى برد أسنانه . ثم أتيت رسول الله ﷺ فوافيته وقد استيقظ ، فقلت اشرب يا رسول الله فشرب حتى رذيت . ثم قلت هل آن الرحيل ؟ فارتحلنا والقوم يحلبوننا فلم يدر كنا أحد منهم إلا سراققة بن مالك بن جهمش على فرس له ، فقلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا ؟ قال « لا تحزن إن الله معنا » حتى إذا دنا منا فكان بيننا وبينه قدر رمح - أو

(١) كذا في الأصل ، وفي ابن هشام : أن المسلمين كانوا يقولون :

لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم الانصار والمهاجرة

وأن رسول الله ﷺ يقول : لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم المهاجرين والانصار .

(٢) الكسبة من اللبث القليل منه ، وكل قليل جمعه من طعام وغيره . عن النهاية .

رحمبن أو قال رحمن أو ثلاثة قلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا ؟ وبكيت ، قال لم تبكي ؟
 قلت [أما والله ما على نفسي أبكى ، ولكن أبكى عليك . فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال :
 « اللهم اكفناهم بما شئت » فساخت قوائم فرسه إلى بطنها في أرض صلد وثوب عنها وقال : يا محمد
 قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجينى مما أنا فيه ، فوالله لا عمن على من ورأى من الطلب ،
 وهذه كمناتى نخذ منها سهما فانك ستمر بابل وغنى موضع كذا وكذا نخذ منها حاجتك . فقال
 رسول الله ﷺ : « لا حاجة لى فيها » ودعا له رسول الله ﷺ فأطلق ورجع إلى أصحابه ، ومضى
 رسول الله ﷺ وأنا معه حتى قدمنا المدينة وتلقاه الناس فخرجوا في الطرق على الاناجير ^(١) واشتد
 الخدم والصبيان في الطريق يقولون : الله أكبر جاء رسول الله ﷺ ، جاء محمد ، قال وتنازع القوم
 أيهم ينزل عليه ، قال فقال رسول الله ﷺ : « أنزل الليلة على بنى النجار أخوال عبد المطلب
 لا كرمهم بذلك » . فلما أصبح غدا حيث أمر . قال البراء : أول من قدم علينا من المهاجرين
 مصعب بن عمير أخو بنى عبد الدار ، ثم قدم علينا ابن أم مكتوم الأعمى أحد بنى فهر ، ثم قدم
 علينا عمر بن الخطاب في عشرين راكبا ، قفلنا ما فعل رسول الله ؟ قال هو على أثرى ، ثم قدم
 رسول الله ﷺ وأبو بكر معه . قال البراء : ولم يقدم رسول الله ﷺ حتى قرأت سوراً من المفصل
 أخرجه في الصحيحين من حديث إسرائيل بدون قول البراء أول من قدم علينا الخ . فقد انفرد به
 مسلم فرواد من طريق إسرائيل به .

وقال ابن اسحاق : فاقام رسول الله ﷺ في النار ثلاثا ومعه أبو بكر وجعلت قریش فيه حين
 قدموه مائة ناقة لمن رده عليهم ، فلما مضت الثلاث وسكن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذى استأجراه
 بميريهما وبمير له ، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بسقرتهما ، ونسيت أن تجعل لها عصاما فلما ارتحلا
 ذهب لتلقى السفرة فاذا ليس فيها عصام ، فتحل لطاقها فتجعله عصاما ثم علقها به . فكان يقال
 لها ذات النطاقين لذلك .

قال ابن اسحاق : فلما قرب أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله ﷺ قدم له أفضلهما ثم قال :
 اركب قدانك أبى وأمى ، فقال رسول الله ﷺ : « إني لا أركب بميراً ليس لى » قال : فهى لك
 يا رسول الله بأبى أنت وأمى . قال « لا ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به » قال « أخذتها
 بذلك » قال هى لك يا رسول الله .

وروى الواقدي بإسناده أنه عليه السلام أخذ القصواء ، قال وكان أبو بكر اشتراها بثمانمائة
 درهم . وروى ابن عساكر من طريق أبي أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : وهى الجداء

(١) فى النهاية : تلقته الناس على الاجاجير والاناجير ، يعنى السطوح .

وهكذا حكى السهيلي عن ابن اسحاق أنها الجدعاء والله أعلم .

قال ابن اسحاق : فركبا وانطلقا وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة مولا خلفه ليخدهما في الطريق فحدثت عن أسماء قالت : لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفر من قریش منهم أبو جهل فذكر ضربه لها على خدها لظمة طرح منها قرطها من أذنها كما تقدم . قالت : فسكننا ثلاث ليل ما ندرى أين وجه رسول الله ﷺ حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وأن الناس ليتيمونه يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلا مكة وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتي أم معبد

هما نزلا بالبر ثم تروحا فافاح من أوسى رفيق عهد

ليهن بني كعب مكان فتاتهم ومتمدحا للذميين يمرصد

قالت أسماء : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ ، وأن وجهه إلى المدينة .

قال ابن اسحاق : وكانوا أربعة ، رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، وعبد الله بن أرقم^(١) كذا يقول ابن اسحاق ، والمشهور عبد الله بن أريقط^(٢) . وكان إذا ذلك مشركا .

قال ابن اسحاق : ولما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقم^(١) سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من غسفان ، ثم سلك بهما على أسفل أمج ، ثم استجاز بهما حتى عارض الطريق بمعد . أن أجاز قديدا . ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلكت بهما الخرار^(٣) ثم أجاز بهما ثنية المرة ، ثم سلك بهما لقت . ثم استبطن بهما مدبجة مجاج ثم سلك بهما مرجح مجاج ، ثم تبطن بهما مرجح من ذى العضرين ، ثم بطن ذى كشد ، ثم أخذ بهما على الجادجد ، ثم على الاجرد ، ثم سلك بهما ذا سلم من بطن أمعاء مدبجة قهين ، ثم على العباييد ، ثم أجاز بهما القاحلة^(٤) ثم عبط بهما العرج وقد أبطأ عليهم بعض ظهريهم ، فحمل رسول الله ﷺ رجل من أسلم يقال له أوس بن حجر على جمل يقال له ابن الرداء إلى المدينة وبعث معه غلاما يقال له مسعود بن هنيذة ، ثم خرج بهما إلى دليلهما من العرج فسلكت بها ثنية العائر عن يمين ركوبة

(١) كذا في الاصلين ، وفي ابن هشام عن ابن اسحاق في جميع المواضع : عبد الله بن أرقط ، واستدرك على ابن اسحاق بقوله : ويقال عبد الله بن أريقط . (٢) في الاصلين الخرار . وفي جمع الحرة ، والذي في ابن هشام : الخرار بانحاء المعجمة وتشديد الراء موضع بالجاز وقيل واد أو ماء بالمدينة كما في المعجم لياقوت . (٣) في أصل ابن اسحاق : الفاحجة بقاء وجيم .

— ويقال ثنية النائر فيها قال ابن هشام — حتى هبط بهما بطن ريم ، ثم قدم بهما ^(١) [قباء على بن عمرو بن عوف] لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تمتد .

وقد روى أبو نعيم من طريق الواقدي نحوه من ذكر هذه المنازل ، وخالفه في بعضها والله أعلم قال أبو نعيم : حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحاق عن السراج حدثنا محمد بن عبادة ابن موسى العجلي حدثني أخى موسى بن عبادة حدثني عبد الله بن سيار حدثني إياس بن مالك بن الاوس الاسلمى عن أبيه . قال : لما هاجر رسول الله ﷺ وأبو بكر مروا بابل لنا بالجحفة ، فقال رسول الله ﷺ « لمن هذه الابل ؟ » فقالوا رجل من أسلم ، فالتفت إلى أبي بكر فقال : « سامت إن شاء الله ، فقال ما اسمك ؟ » قال مسعود ، فالتفت إلى أبي بكر فقال : « سعدت إن شاء الله » . قال فاقاد أبي حملة على جل يقال له ابن الرداء .

قلت : وقدم تقدم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج من مكة يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين . والظاهر أن بين خروجه عليه السلام من مكة ودخوله المدينة خمسة عشر يوماً لأنه أقام بفارثور ثلاثة أيام ، ثم سلك طريق الساحل وهي أبعد من الطريق الجادة واجتاز في مروره على أم معبد بنت كعب من بني كعب بن خزاعة ، قال ابن هشام . وقال يونس عن ابن اسحاق : اسمها عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أصرم . وقال الاموي : هي عاتكة بنت تبيع حليف بني منقر بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس ^(٢) بن حرام بن خيسة بن كعب بن عمرو ، وهذه المرأة من الولد معبد ونضرة وخنيدة بنو أبي معبد . واسمها أكرم بن عبد العزى بن معبد بن ربيعة بن أصرم ابن ضبيس ، وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضها .

وهذه قصة أم معبد الخزاعية . قال يونس عن ابن اسحاق : فنزل رسول الله ﷺ بخيصة أم معبد واسمها عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أصرم فارادوا القرى فقالت والله ما عندنا طعام ولا لنا منحة ولا لنا شاة إلا حائل ، فدعا رسول الله ﷺ ببعض غنمها ففصح ضرعها بيده ودعا الله وحلب في العس حتى أرغى وقال « اشربي يا أم معبد » فقالت اشرب فانت أحق به فردده

(١) ما بين المرعين سقط من النسخة المصرية . (٢) كذا في الاصلين في المكانين وفي الاصابة خبيس مصغراً ذكر ذلك في ترجمة أخيها حبيش الاشعري والذي في السهيلي : عاتكة بنت خالد إحدى بني كعب بن خزاعة وهي أخت حبيش بن خالد ، وخالد الاشعر أبوها هو ابن خنيفة بن منقر [بالدال المهملة] بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن عرم بن حبشية بن كعب ابن عمرو .

عليها فشربت ، ثم دعا بمحائل أخرى ففعل مثل ذلك بها فشربه ، ثم دعا بمحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله ، ثم دعا بمحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامراً ، ثم تروح . وطلبت قریش رسول الله ﷺ حتى بلغوا أم معبد فسألوا عنه فقالوا أرأيت محمداً من حديثه كذا كذا ؟ فوصفوه لها . فقالت : ما أدري ما تقولون ، قدمنا قى حالب الحائل . قالت قریش : فذاك الذي نريد .

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن معمر حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا عبد الرحمن بن عقبة ابن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ثنا أبي عن أبيه عن جابر . قال : لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر مهاجرين فسخلا الغار ، إذا في الغار جحر فالتزمه أبو بكر عقبة حتى أصبح مخافة أن يخرج على رسول الله ﷺ منه شيء . فقاما في الغار ثلاث ليال ثم خرجا حتى نزلا بخيمات أم معبد فارسلت اليه أم معبد أتني أرى وجهها حسناً ، وإن الحلى أقوى على كراستكم مني ، فلما أمسوا عندها بعثت مع ابن لها صمير بشفرة وشاة . فقال رسول الله ﷺ : « أردد الشفرة وهات لنا فرقا » يعني التذح فارسلت اليه أن لا لين فيها ولا ولد . قل هات لنا فرقا فجاءت بفرق فضرب ظهرها فاجترت ودرت ثلب فلأ التذح فشرب وسقى أبا بكر ، ثم حلب فبعث فيه إلى أم معبد . ثم قال البزار لا نعلمه يروى إلا بهذا الاسناد . وعبد الرحمن بن عقبة لا نعلم أحداً حدث عنه إلا يعقوب بن محمد وإن كان مهروفاً في النسب .

وروى الحافظ البيهقي من حديث يحيى بن زكريا بن أبي زائدة حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ثنا عبد الرحمن بن الأحصهاني سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بكر الصديق . قال : خرجت مع رسول الله ﷺ من مكة فأتينا إلى حى من أحياء العرب ، فنظر رسول الله ﷺ إلى بيت منتحيا فقصده اليه ، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة فقالت : يا عبد الله إنما أنا امرأة وليس منى أحد فمليكا بعظيم الحلى إن أردتم القرى ، قال فلم يجبها وذلك عند المساء . فجاء ابن لها بامتز يسوقها فقالت يا بني اطلق بهذه العنز والشفرة إلى عذير الزجائن قل لها تقول لكما أمي اذبحا هذه بكلا وأطعمانا ، فلما جاء قال له النبي ﷺ : « اطلق بالشفرة وجئني بالتذح » قال إنما قد عزبت وليس بها لبن . قال اطلق . فجاء بتذح فمسح النبي ﷺ ضرعها ثم حلب حتى ملأ التذح ، ثم قال اطلق به إلى أمك ، فشربت حتى رويت ، ثم جاء به فقل اطلق بهذه وجئني بأخرى . ففعل بها كذلك ثم سقى أبا بكر ، ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك ، ثم شرب النبي ﷺ فبأنا ليلتنا . ثم اطلقنا . فكانت تسميه المبارك . وكثرت غنمها حتى جلبت جلبا إلى المدينة ، فمر أبو بكر فرأى ابنها فعرفه فقال يا أمه ههنا الرجل الذي كان مع المبارك . فقالت انيه فقالت : يا عبد الله من الرجل الذي كان معك ؟ قال أو ما تدعين من ؟ قالت لا ، قال هو نبي الله . قالت فادخلني عليه . قال فادخلها

فأطعمها رسول الله ﷺ وأعطاهما - زاد ابن عبدان في روايته : - قالت فدخلني عليه ، فأنطقت
معي وأعطت لرسول الله ﷺ شيئاً من أقط ومتماع الاعراب . قال فكساها وأعطاهما . قال ولا
أعلمه إلا قال وأسلمت . استناد حسن .

وقال البيهقي : هذه القصة شبيهة بقصة أم معبد ، والظاهر أنها هي والله أعلم . وقال البيهقي أخبرنا
أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي . قالوا : ثنا أبو العباس الأصم ثنا الحسن بن
مكرم حدثني أبو أحمد بشر بن محمد السكري ثنا عبد الملك بن وهب المذحجي ثنا أبو بكر الصباح
عن أبي معبد الخزاعي أن رسول الله ﷺ خرج ليلة هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر
ابن فهيرة مولى أبي بكر ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثي ، فمروا بخيمتي أم معبد الخزاعية ، وكانت
أم معبد امرأة برزة جلدة تحبني وتجلس بفناء الخيمة فتطعم وتسقي ، فسألوها هل عندها لحم أولين
يشارونه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئاً من ذلك . وقالت لو كان عندي شيء ما أعوذكم القرى ، وإذا
القوم مرءون مستنون . فنظر رسول الله ﷺ فإذا شاة في كسر خيمتها فقال « ما هذه الشاة يا أم
معبد ؟ » فقالت شاة خلفها الجهد عن النعم . قال « فهل بهما من لبن » قالت هي أجهد من ذلك .
قال تأذنين لي أن أحلبها ؟ قالت إن كان بهما حلب فاحلبها . فدعا رسول الله ﷺ بالشاة ففسحها
وذكر اسم الله ومسح ضرعها وذكر اسم الله ودعا بأناء لها يربض الرهط ^(١) فتفاجت ^(٢) واجترت
فحلب فيه ثجا حتى ملأ [وأرسله إليها] فسقاها وسقى أصحابه فشربوا عللاً بعد نمل ، حتى إذا رويوا
شرب آخرهم وقال « ساقى القوم آخرهم » ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بدء فغادره عندها ثم ارتحلوا قال
فقلنا لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعزراً عجافاً يتساوكن هزلي لا نقي بين ^(٣) مخمّن قليل فلما
رأى اللبن عجب وقال من أين هذا اللبن يا أم معبد ولا حاوية في البيت والشاة عازبة ؟ فقالت : لا
والله إنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت . فقال صفيه لي فوالله إني لأراه صاحب
قريش الذي تطلب . فقالت رأيت رجلاً ظاهر الوضاعة حسن الخلق مليح الوجه لم تبعه ثجلة ^(٤) ولم
تزر به صملة ^(٥) قسيم وسيم في عيبيه دعي ، وفي أشفاره وطف ، وفي صوته صحل . أحول أ كحل أزج
أقرن في عنقه سطع وفي خيّمته كشافة . إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاؤه البهاء ، حاو
المنطق فصل لا تزر ولا هذر كأن منطقته خرزات نظم ينحدرون ، أبهى الناس وأجمله من بعيد ،
وأحسنه من قريب . ربعة لا تنفك عين من طول ، ولا تقفحه عين من قصر غصن . بين غصنين
فهو أنضر الثلاثة منظرًا ، وأحسنهم قدراً له رفقاء يحفون به إن قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا
(١) أي يشبع الجفاعة حتى يربضوا . عن السبيلي . (٢) أي فرجت بين رجلين . (٣) النقي المخ .
(٤) ثجلة ، أي ضخمة بلن ، ويرى بالنون والهاء ، أي نحول ودقة . والصملة صغر الرأس عن النهاية .

لأمره . محفود محشود لا عابس ولا معتد^(١) فقال — يعنى بعلمها — : هذا والله صاحب قریش الذى تطلب ، ولو صادفته لالتست أن أصحبه ، ولا جهدين إن وجدت إلى ذلك سبيلا ، قال وأصبح صوت بمكة عال بين السماء والأرض يسمونه ولا يرون من يقول وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به^(٢) فافلح من أمسى رفيق محمد
فيال قصى ما زوى الله عنكم به من فعال لا تجارى وسودد
ساوا أختكم عن شاتها وإناها فانكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحابت له بصريح ضرة الشاة مزبد^(٣)
فعاذره رهنا لديها الحالب يدر لها في مصدر ثم مورد

قال وأصبح الناس — يعنى بمكة — وقد فقدوا نبيهم ، فاخذوا على خيمتى أم معبد حتى لحقوا برسول الله ﷺ قال وأجابه حسان بن ثابت :

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم^(٤) وقد سر^(٥) من يسرى اليهم ويفتدى
ترحل عن قوم فزال عقولهم وحل على قوم بنور مجدد
[هداهم به بعد الضلالة ربهم وأرشدهم من يتبع الحق يرشد^(٦)]
وهل يستوى ضلال قوم تسفوها عى وهداة يهتدون بهتد
نبي يرى مالا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وإن قال في يوم مقالة غائب فتعبد يقها في اليوم أو في شحى الغد
ليهن أبا بكر سعادة جده بصحبته من يسمد الله يسمد
وفيهم بنى كعب مسكان فتاتهم ومقعداها للمسلمين بمزبد^(٧)

قال — يعنى عبد الملك بن وهب — فبلغنى أن أبا معبد أسلم وهاجر إلى النبي ﷺ . وهكذا

- (١) فى أصل المصرية : ولا مفند وفى الحلبية مهمل من النقط والتصحيح من الخشنى فى غريب السيرة . (٢) كذا بالأصليين ، وفى ابن هشام : هما نزلا بالبر ثم تروحا . وفى السهيلي : ثم ترحلا . (٣) كذا بالمصرية والسهيلي والنهاية وفيها : الضرة أصل الضرع ، وفى س : لديه بضرع ثرة الشاة مزبد . والثرة كثرة اللبن . (٤) الذى فى السهيلي : غاب بدل زال ، وضامت عقولهم بدل زالت . (٥) فى الاصليين وفى السهيلي : وقد سر . والذى فى شرح السيرة للخشنى : وقدس وفهمه بمعنى طهر . (٦) هذا البيت زده من السهيلي ولم يرد فى الاصل . (٧) هذا البيت أورده السهيلي فى الايات التى قبلها ونسبها إلى رجل من الجن ولم يورده لحسان .

روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الملك بن وهب المذحجي قد ذكر مثله سواء وزاد في آخره قال عبد الملك : بلغني أن أم معبد هاجرت وأسلمت ولحقت برسول الله ﷺ ثم رواه أبو نعيم من طرق عن بكر بن محرز السكابي الخزاعي عن أبيه محرز بن مهيدي عن حرام بن هشام بن حبيب بن خالد عن أبيه عن جده حبيب بن خالد صاحب رسول الله ﷺ ، أن رسول الله ﷺ حين أخرج من مكة خرج منها مهاجراً هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة ودليهما عبد الله بن أريقط الليثي فمروا بجيعة أم معبد وكانت امرأة برزة جلدة تحتبى بفناء القبة ، وذكر مثل ما تقدم سواء . قال وحديثنا — فيما أظن — محمد بن أحمد بن علي بن محمد ثنا محمد بن يونس بن موسى — يعني السكديمي — ثنا عبد العزيز ابن يحيى بن عبد العزيز مولى العباس بن عبد المطلب ثنا محمد بن سليمان بن علي بن أنصاري حدثني أبي عن أبيه سليط البدرى . قال : لما خرج رسول الله ﷺ في الهجرة ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة وابن أريقط يدهم على الطريق ، مر بأم معبد الخزاعية وهي لا تعرفه فقال : لها « يا أم معبد هل عندك من لبن ؟ » قالت لا والله إن النعم لعازية . قال فما هذه الشاة ؟ قالت خلفها الجهد عن النعم ؟ ثم ذكر تمام الحديث كنحو ما تقدم .

ثم قال البيهقي : يحتمل أن هذه القصص كلها واحدة ، ثم ذكر قصة شبيهة بقصة شاة أم معبد الخزاعية فقال حدثنا أبو عبد الله الحافظ — إمامنا — حدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب أخبرنا محمد بن غالب ثنا أبو الوليد ثنا عبد الله بن إيراد بن لقيط ثنا إيراد بن لقيط عن قيس بن النعمان . قال لما انطلق النبي ﷺ وأبو بكر مستخفين ، مروا بعبد يرعى غنماً فاستسقىاه اللبن فقال ما عندى شاة تحلب ، غير أن ههنا عناقاً حملت أول الشتاء ، وقد أخذت (١) وما بقي لها من لبن فقال ادع بها فدعاهما فاعتقها النبي ﷺ ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت ، وجاء أبو بكر بهنجن تحلب فسقى أبا بكر ، ثم حلب فسقى الراعى ، ثم حلب فشرب . فقال الراعى : بالله من أنت ؟ فوالله ما رأيت مثلك قط . قال أو تراك تكتم على حتى أخبرك ؟ قال نعم ! قال فأتى محمد رسول الله . فقال أنت الذى تزعم قريش أنه صابى ؟ قال : إنهم ليقولون ذلك . قال فأتى أشهد أنك نبى ، وأشهد أن ما جئت به حق ، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبى وأنا تبعك . قال إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا فإذا بلغك أنى قد ظهرت فأتنا . ورواه أبو يعلى الموصلى عن جعفر بن حميد الكوفى عن عبد الله بن إيراد بن لقيط به . وقد ذكر أبو نعيم ههنا قصة عبد الله بن مسعود فقال : حدثنا عبد الله بن جعفر ثنا يونس بن حبيب ثنا أبو داود ثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود . قال (١) خدجت ألت ولدها قبل أوانه وإن كان تام الخلق ، وأخذت ولده ناقص الخلق وإن كان تمام الحمل .

كنت غلاما يافعا أرعى غنما لعتبة بن أبي معيط بمكة ، فأتى رسول الله ﷺ وأبو بكر - وقد فرا من المشركين - فقال : « يا غلام عندك لبن تسقيننا ؟ » فقلت إني مؤثمن ولست بإساقيكما ، فقالا هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل بعد ؟ قلت نعم ، فأتيتهما بها فاعتقلاها أبو بكر وأخذ رسول الله ﷺ الضرع فدعا فحل الضرع وجاء أبو بكر بصخرة متقكرة فحلب فيها ، ثم شرب هو وأبو بكر وسقياني ، ثم قال للضرع أقلص فقلص . فلما كان بعد أتيت رسول الله ﷺ فقلت علفي من هذا القول الطيب - يعني القرآن - فقال رسول الله ﷺ : « إنك غلام معلم » فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينزعني فيها أحد . فقوله في هذا السياق وقد فرا من المشركين ليس المراد منه وقت الهجرة ، إنما ذلك في بعض الأحوال قبل الهجرة . فإن ابن مسعود ممن أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة ورجع إلى مكة كما تقدم ، وقصته هذه صحيحة ثابتة في الصحاح وغيرها والله أعلم .

(١) وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن مصعب بن عبد الله - هو الزبيري - حدثني أبي عن فائد مولى عبادل قال خرجت مع إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعد حتى إذا كنا بالعرج أتى ابن سعد - وسعد هو الذي دل رسول الله ﷺ على طريق ركوبة (٢) - فقال إبراهيم : أخبرني ما حدثك أبوك ؟ قال ابن سعد : حدثني أبي أن رسول الله ﷺ أتاهم ومعه أبو بكر - وكانت لابي بكر عندنا بنت مستترمة - وكان رسول الله ﷺ أراد الاختصار في الطريق إلى المدينة ، فقال له سعد : هذا الفجر من ركوبة وبه إيمان من أسلم يقال لهما المهاتان . فان شئت أخذنا عليهما ، فقال النبي ﷺ : « خذ بنا عليهما » قال سعد نفرجنا حتى إذا أشرفنا إذا أحدهما يقول لصاحب : هذا الهاماني . فدعاهما رسول الله ﷺ فعرض عليهما الإسلام فأسلما ، ثم سألهما عن اسميهما فقالا نحن المهاتان . فقال : « بل أنتم المكرمات » وأمرها أن يقدم عليهما المدينة نفرجانا حتى إذا أتينا ظاهر قباء فلقاه بنو عمرو بن عوف فقال رسول الله ﷺ : « أين أبو أمامة أسعد بن زرارة ؟ » فقال سعد ابن خبيصة : إنه أحاب قبلي يا رسول الله أفلا أخبره ذلك ؟ ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا طلع

(١) ما بين المربعين أثبتناه من النسخة الحلبية ، وسقط من المصرية . وهذا الآخر مروي في زوائد المسند عن عبد الله بن أحمد من رواية القطيعي وأصح كما في جلد ٤ ص ٧٤ من النسخة المطبوعة بمصر حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا مصعب بن عبد الله هو الزبيري قال حدثني أبي عن فائد مولى عبادل . قال خرجت مع إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة فارسلني إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعد حتى إذا كنا بالعرج أتانا ابن سعد وسعد هو الذي دل رسول الله ﷺ على

(٢) في الأصل ركوبة بالنون وهو خطأ ، وركوبة نكية بين مكة والمدينة عند العرج قرب جبل ورقان .

على النخل فاذا الشرب تمامه ، فالتفت رسول الله إلى أبي بكر فقال : يا أبا بكر ههنا المنزل . رأيته أنزل إلى حياض كحياض بنى مدلج » انفرد به احمد .

فصل

﴿ في دخوله عليه السلام المدينة وأين استقر منزله بها وما يتعلق به ﴾

قد تقدم فيما رواه البخارى عن الزهري عن عروة أن النبي ﷺ دخل المدينة عند الظهر . قلت : ولعل ذلك كان بعد الزوال لما ثبت في الصحيحين من حديث اسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب عن أبي بكر في حديث الهجرة قال فقدمنا ليلا فتنازعه القوم أيهم ينزل عليه ، فقال رسول الله ﷺ : « أنزل على بنى النجار أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك » وهذا والله أعلم إما أن يكون يوم قدومه إلى قباء فيكون حال وصوله إلى قرب المدينة كان في حر الظهيرة وأقام تحت تلك النخلة ثم سار بالمسلمين فنزل قباء وذلك ليلا ، وأنه أطلق على ما بعد الزوال ليلا ، فإن العشي من الزوال ، وإما أن يكون المراد بذلك لما رحل من قباء كما سيأتي فسار فما انتهى إلى بنى النجار الاغشاء كما سيأتي بيانه والله أعلم .

وذكر البخارى عن الزهري عن عروة أنه نزل في بنى عمرو بن عوف بقباء وأقام فيهم بضعة عشرة ليلة وأسس مسجد قباء في تلك الايام ، ثم ركب ومعه الناس حتى بركت به راحلته في مكان مسجده ، وكان مراداً لعلامين يتيمين وهما سهل وسهيل ، فابتاعه منهما واتخذ مسجداً . وذلك في دار بنى النجار رضى الله عنهم .

وقال محمد بن اسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير [عن عروة بن الزبير] عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة قال حدثني رجال من قومي من أصحاب النبي ﷺ قالوا : لما بلغنا نخرج النبي ﷺ من مكة وتوكلنا قدومه فكنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرتنا فننظر النبي ﷺ فوالله ، ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال فاذا لم نجد ظلا دخلنا . وذلك في أيام حارة - حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ جلسنا كما كنا نجلس ، حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا وقدم رسول الله ﷺ حين دخلنا البيوت فكان أول من رآه رجل من اليهود فصرخ بأعلا صوته يا بنى قيلة هذا جدكم قد جاء ، فخرجنا إلى رسول الله ﷺ وهو في ظل نخلة ومعه أبو بكر في مثل سنه ، وأكثرتنا لم يكن رأى رسول الله ﷺ قبل ذلك . وركبه الناس وما يعرفونه من أبي بكر حتى زال الظل عن رسول الله ﷺ ، فقام أبو بكر فأظله بردائه ، فعرفناه عند ذلك . وقد تقدم مثل ذلك في سياق البخارى وكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه . وقال الامام احمد حدثنا هاشم ثنا سليمان عن

نابت عن أنس بن مالك . قال : إني لأسعى في الغلمان يقولون جاء محمد فاسعى ولا أرى شيئاً ، ثم يقولون جاء محمد فاسعى ولا أرى شيئاً ، قال حتى جاء رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر . فكنا في بعض خراب المدينة ، ثم بعثنا رجلاً من أهل البادية يؤذن بهما الانصار فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الانصار حتى انتهوا اليهما فقالت الانصار : انطلقا آمنين مطاعين . فاقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم فخرج أهل المدينة حتى أن العواتق لفوق البيوت يتراميته يقلن أيهم هو ، أيهم هو ؟ فما رأينا منظراً شبيهاً به . قال أنس : فلقد رأيته يوم دخل علينا ويوم قبض . فلم أربوهم شبيهاً بهما ورواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن محمد بن اسحاق الصنعاني عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بنحوه - أو مثله - وفي الصحيحين من طريق إسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء عن أبي بكر في حديث الهجرة . قال : وخرج الناس حين قدمنا المدينة في الطرق وعلى البيوت والغلمان والخدم يقولون : الله أكبر جاء رسول الله ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء رسول الله . فلما أصبح انطلق وذهب حيث أمر . وقال البيهقي أخبرنا أبو عمرو والأديب أخبرنا أبو بكر الاسماعيلي سمعت أبا خليفة يقول سمعت ابن عائشة يقول : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان يقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

قال محمد بن اسحاق : فنزل رسول الله ﷺ - فيما يذكرون يعني حين نزل - بقاء على كلثوم ابن الهدم أخي بني عمرو بن عوف ثم أحد بني عبيد ، ويقال بل نزل على سعد بن خيصة ، ويقول من يذكرو أنه نزل على كلثوم بن الهدم : إنما كان رسول الله ﷺ إذا خرج من منزل كلثوم بن الهدم جلس للناس في بيت سعد بن خيصة ، وذلك أنه كان عزباً لا أهل له ، وكان يقال لبيته بيت العزاب والله أعلم . ونزل أبو بكر رضي الله عنه على خبيب بن إساف أحد بني الحارث بن الخزرج بالسنح وقيل على خارجة بن زيد بن أبي زهير أخي بني الحارث بن الخزرج .

قال ابن اسحاق : وأقام على بن أبي طالب بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده ، ثم خلق رسول الله ﷺ فنزل معه على كلثوم بن الهدم فكان على ابن أبي طالب إنما كانت اقامته بقاء ليلة أو ليلتين . يقول كانت بقاء امرأة لا زوج لها مسامة ، فرأيت انساناً يأتيها من جوف الليل فيضرب عليها بابها فتخرج اليه فيعطئها شيئاً معه فتأخذها ، فاستربت بشأنه فقلت لها يا أمة الله من هذا الذي يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين اليه فيعطئك شيئاً لا أدري ما هو ؟ وأنت امرأة مسامة لا زوج لك ؟ قالت : هذا سهل بن حنيف .

وقد عرف أنى امرأة لا أسند لى فاذا أمسى عدا على أوائل قومه فسكروها ثم جاءنى بها فقال احتطبي بهذا فسكان على رضى الله عنه يأتى ذلك من شأن سهل بن حنيف حين هلك عندد بالهراق .

قال ابن اسحاق : فأقام رسول الله ﷺ بقباء فى بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء ويوم الخميس وأسس مسجده ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة وبنو عمرو ابن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك . وقال عبد الله بن إدريس عن محمد بن اسحاق قال : وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه عليه السلام أقام فيهم ثمانى عشر ليلة .

قلت : وقد تقسم فيما رواه البخارى من طريق الزهرى عن عروة أنه عليه السلام أقام فيهم بضع عشرة ليلة ، وحكى موسى بن عقبة عن مجمع بن يزيد بن حارثة أنه . قال : أقام رسول الله ﷺ فينا - يعنى فى بنى عمرو بن عوف بقباء - اثنتين وعشرين ليلة . وقال الواقدى : ويقال أقام فيهم أربع عشرة ليلة .

قال ابن اسحاق : فادركت رسول الله ﷺ الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلها فى المسجد الذى فى بطن الوادى - وادى رانواء - فكان أول جمعة صلاها بالمدينة . فاتاه عتبان بن مالك وعباس بن عباد بن فضالة فى رجال من بنى سالم فقالوا : يا رسول الله أقم عندنا فى العدد والمنعة والمنعة . قال : « خلوا سبيلها فانها مأمورة » لتأقته فخلوا سبيلها . فانطلقت حتى إذا وازت (١) دار بنى بياضة تلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو فى رجال من بنى بياضة فقالوا : يا رسول الله هلم الينا إلى العدد والمنعة والمنعة ؟ قال « خلوا سبيلها فانها مأمورة » فخلوا سبيلها . فانطلقت حتى إذا مرت بدار بنى ساعدة اعترضه سعد بن عباد والمنذر بن عمرو فى رجال من بنى ساعدة فقالوا : يا رسول الله هلم الينا فى العدد والمنعة . قال « خلوا سبيلها فانها مأمورة » فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا وازت دار بنى الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة فى رجال من بنى الحارث بن الخزرج فقالوا : يا رسول الله هلم الينا إلى العدد والمنعة والمنعة . قال « خلوا سبيلها فانها مأمورة » فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا مرت بدار عدي بن النجار - وهم أخواله - دنيا أم عبد المطلب ، سلمى بنت عمرو وإحدى نسائهم ، اعترضه سليط بن قيس وأبو سليط أسيرة بن خارجة (٢) فى رجال من بنى عدي بن النجار فقالوا يا رسول الله هلم إلى أخوالك إلى العدد والمنعة والمنعة ؟ قال « خلوا سبيلها فانها مأمورة » فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا أتت دار بنى مالك بن (١) فى المصرية : دارت . وفى الخلبية : وازت ، وفى ابن هشام : وازنت . وذلك فى جميع المواضع . (٢) كذا فى الاصليين ، وفى الإصابة أسير بن عمرو بن قيس أبو سليط البدرى . وفى ابن هشام أبو سليط أسيرة بن أبى خارجة .

النجم بركت على باب مسجده عليه السلام اليوم ، وكان يومئذ مر بئنا لفلامين يقيمين من بنى مالك ابن النجم ، وهما سهل وسهيل ابنا عمرو ، وكانا في حجر معاذ بن عفراء .

قلت : وقد تقدم في رواية البخاري من طريق الزهري عن عروة أنها كانتا في حجر أسعد بن زرارة والله أعلم .

وذكر موسى بن عقبة أن رسول الله ﷺ مر في طريقه بمسجد الله بن أبي بن ساول وهو في بيت ، فوقف رسول الله ﷺ فينتظر أن يدعوه إلى المنزل . وهو يومئذ سيد النخزرج في أنفسهم . فقال عبد الله أنظر الذين دعوك فانزل عليهم . قد ذكر ذلك رسول الله ﷺ لغير من الانصار فقال سعد بن عبادة يمتدح عنه : لقد من الله علينا بات يارسول الله وإنا نريد أن نعقد على رأسه التاج ونملكه علينا .

قال موسى بن عقبة : وكانت الانصار قد اجتمعوا قبل أن يركب رسول الله ﷺ من بنى عمرو بن عوف فشوا حول ناقته لا يزال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شحا على كرامة رسول الله ﷺ وتعظيمها له . وكما مر بدار من دور الانصار دعوه إلى المنزل فيقول ﷺ « دعوها فانها مأمورة فأنما أنزل حيث أنزل الله » فلما انتهت إلى دار أبي أيوب بركت به على الباب فنزل فدخل بيت أبي أيوب حتى ابقى مسجده ومساكنه .

قال ابن اسحاق : لما بركت الناقة برسول الله ﷺ لم ينزل عنها حتى وثبتت فسارت سير إمامه رسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يشعها به ، ثم التفت حلقها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه ، ثم تحلحلت ورومت ورجعت جرائها فنزل عنها رسول الله ﷺ . فأحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رجلا فوضعه في بيته ونزل عليه رسول الله ﷺ وسأل عن المريد لمن هو ، فقال له معاذ بن عفراء هو يارسول الله سهل وسهيل ابني عمرو وهما يتيمان لي وسأرضيهمما . فأتخذه مسجدا . فأمر به رسول الله ﷺ أن يبني ونزل رسول الله ﷺ في دار أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون من المهاجرين والانصار .

وستأتي قصة بناء المسجد قريبا إن شاء الله . وقال البيهقي في الدلائل وقال أبو عبد الله أخيرا أبو الحسن علي بن عمرو والحافظ ثنا أبو عبد الله محمد بن محمد النوري ثنا محمد بن سليمان بن السماعيل ابن أبي الورد ثنا إبراهيم بن صرمة ثنا يحيى بن سعيد عن اسحاق بن عبيد الله بن أبي طلحة عن أنس . قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة فلما دخلنا جاء الانصار برجالهم ونساءهم فقالوا : اليها يارسول الله . فقال « دعوا الناقة فانها مأمورة » فبركت على باب أبي أيوب فخرجت جوار من بنى النجم يضر بن بالدوف وهن يلقن :

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار

فخرج اليهم رسول الله ﷺ فقال « أتحبوني ؟ » فقالوا : أي والله يا رسول الله . فقال : « وأنا والله أحبكم ، وأنا والله أحبكم » هذا حديث غريب من هذا الوجه لم يروه أحد من أصحاب السنن ، وقد خرجه الخا كم في مستدركه كما يروى . ثم قال البيهقي أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن سليمان النحاس المقرئ ببغداد ثنا عمر بن الحسن الحلبي حدثنا أبو خيثمة المصيصي ثنا عيسى بن يونس عن عوف الأعرابي عن ثمامة عن أنس . قال : مر النبي ﷺ بحجى من بني النجار ، وإذا جوار يضرب بالدفوف يقرن :

نحن جوار عن بني النجار يا حبذا محمد من جار

فقال رسول الله ﷺ « يعلم الله أن قلبي يحبكم » ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن عيسى بن يونس به . وفي صحيح البخارى عن معمر عن عبد الوارث عن عبد العزيز عن أنس قال رأى النبي ﷺ النساء والصبيان مقبلين - حسبت أنه قال من عرس - فقام النبي ﷺ ممثلا فقال « اللهم أنتم من أحب الناس إلى » قالها ثلاث مرات . وقال الامام احمد حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثني أبي حدثني عبد العزيز بن صهيب ثنا أنس بن مالك . قال : أقبل رسول الله ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر ، وأبو بكر شيخ يعرف ورسول الله ﷺ شاب لا يعرف ، قال فيلقى الرجل أبا بكر فيقول : يا أبا بكر من هذا الرجل الذى بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل يهتدى السبيل ، فيحسب الحاسب أنما يهديه الطريق ، وإنما يعنى سبيل الخير . فالتفت أبو بكر فاذا هو بفارس قد لحقهم فقال : يا نبي الله هذا فارس قد لحق بنا ، فالتفت رسول الله ﷺ فقال « اللهم اصصره » فصصرته فرسه ثم قامت تحمحم ، ثم قال : مرني يا نبي الله بما شئت . فقال « قف مكانك ولا تتركن أحدا يلحق بنا » . قال فكان أول النهار جاها على رسول الله ﷺ ، وكان آخر النهار مسلحة له . قال فنزل رسول الله ﷺ جانب الحرة ثم بعث إلى الانصار فجاءوا فسلموا عليهما وقالوا اركبا آمنين مطاعين . فركب رسول الله ﷺ وأبو بكر وحفوا حولهما بالسلاح ، وقيل في المدينة : جاء نبي الله ﷺ فاستشرفوا نبي الله ﷺ ينظرون اليه ويقولون : جاء نبي الله . قال فاقبل يسير حتى نزل إلى جانب دار أبي أيوب ، قال فانه ليحدث أهله إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لأهله يحترف لهم ، فعمجل أن يضع الذى يحترف فيها فجاء وهى معه ، وسمع من نبي الله ﷺ ورجع إلى أهله ، وقال نبي الله : أي بيوت أهلنا أقرب ؟ فقال أبو أيوب أنا يا نبي الله ، هذه دارى وهذا بابى قال فانطلق فيهم لنا مقبلا ، فذهب فيها ثم جاء فقال يا رسول الله قد هيأت مقبلا قوما على بركة الله قتيلا ، فلما جاء نبي الله ﷺ جاء عبد الله بن سلام فقال : أشهد أنك نبي الله حقا ، وأنتك جئت

بحق ولقد علمت يهود أنى سيدهم وابن سيدهم ، وأعلمهم وابن أعلمهم ، فأدعهم فسلمهم ، فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله ﷺ « يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقاً وأنى جاءت بحق أسلموا » . فقالوا : ما نعلمه ، ثلاثاً . وكذا رواه البخار منفرداً به عن محمد بن عبد الصمد به (١) .

قال ابن اسحاق : وحديثي يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله البرزني عن أبي رهم السماعي حديثي أبو أيوب . قال : لما نزل على رسول الله ﷺ في بيتي نزل في السفلى ، وأنا وأم أيوب في العلو ، فقلت له بأبي أنت وأمي يا رسول الله إني أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي ، فأظهر أنت فكان في العلو ونزل نحن فنكون في السفلى ، فقال « يا أبا أيوب إن أرفق بنا وبين يفتنانا أن أكون في سفلى البيت » فكان رسول الله ﷺ في سفلى ، وكنا فوقه في المسكن . فلقد انكسر حب لنا فيه ماء ، فقامت أنا وأم أيوب بتعطيف لنا مائلاً لحاف غيرها فنشف بها الماء تخوفاً أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء فيؤذيه ، قال وكنا نصنع له المشاء ثم نبعث إليه فاذا رد علينا فضلة تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه فبتنقى بذلك البركة ، حتى بعثنا إليه ليلة بمشائه وقد جعلنا له فيه بصلاً — أو ثوماً — فردده رسول الله ﷺ فلم أر ليده فيه أثراً ، قال فجئته فزعاً فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك ؟ فقال « إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة » وأنا رجل أتلجى فاما أنتم فكأء » قال فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد . وكذلك رواه البيهقي من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الحسن — أو أبي الخير — مرثد بن عبد الله البرزني عن أبي رهم عن أبي أيوب فذكره . ورواه أبو بكر بن أبي شيبة عن يونس بن محمد المؤدب عن الليث . وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو عمرو والحيري ثنا عبد الله بن محمد ثنا أحمد بن سعيد الدارمي ثنا أبو النعمان ثنا ثابت بن يزيد ثنا عاصم الاحول عن عبد الله بن الحارث عن أفلح مولى أبي أيوب عن أبي أيوب أن رسول الله ﷺ نزل عليه فنزل في السفلى وأبو أيوب في العلو فأتته أبو أيوب فقال : نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ فقال لا أعالق سقيفة أنت تحتها . فتحول رسول الله ﷺ في العلو ، وأبو أيوب في السفلى فكان يصنع لرسول الله ﷺ طعاماً ، فإذا جىء به سأل عن موضع أصابعه فيتمتع موضع أصابع رسول الله ﷺ فيضع له طعاماً فيه نوم ، فلما رد إليه سأل عن موضع أصابع رسول الله ﷺ فقيل له لم يأكل ففرغ وصعد إليه فقال أحرام ؟ فقال النبي ﷺ : « لا ولكني أكرهه » قال فأتى أكره ما تذكره — أو ما كرهت — قال وكان النبي ﷺ يأتيه الملك . رواه مسلم عن أحمد بن سعيد به ، وثبت في (١) هكذا في الأصلين ، فتصغير أو الخير بطوله في البخاري في باب شجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة فاجتمعوا .

الصحيحين عن أنس بن مالك . قال : جئ رسول الله ﷺ ببدر^(١) وفي رواية بقدر فيه خضروات من بقول ، قال فسأل فأخبر بما فيها فلما رآها كره أكلها ، قال : « كل فاني أنا جئ من لا تنأجى » وقد روى الواقدي أن أسعد بن زرارة لما نزل رسول الله ﷺ في دار أبي أيوب أخذ بمخاطم ناقة رسول الله ﷺ فكانت عنده ، وروى عن زيد بن ثابت أنه قال : أول هدية أهديت إلى رسول الله ﷺ حين نزل دار أبي أيوب أنا جئت بها ، قصعة فيها خبز مبرود بلبن وسمن ، فقلت أرسلت بهذه القصعة أمي ، فقال : « بارك الله فيك » ودعا أصحابه فأكلوا ، ثم جاءت قصعة سعد بن عبادة تريد وعراق لحم ، وما كانت من ليلة إلا وعلى باب رسول الله ﷺ الثلاث والأربعة يحملون الطعام يتناوبون ، وكان مقامه في دار أبي أيوب سبعة أشهر . قال وبعث رسول الله ﷺ — وهو نازل في دار أبي أيوب — مولاه زيد بن حارثة وأبا رافع ومعهما بعيران وخمسائة درهم ليبحثا بفاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله ﷺ ، وسودة بنت زمعة زوجته ، وأسامة بن زيد ، وكانت رقية قد هاجرت مع زوجها عثمان ، وزيد بن عتبة عند زوجها بمكة أبي العاص بن الربيع ، وجاءت معهم أم أيمن امرأة زيد بن حارثة وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر بعيل أبي بكر وفيهم عائشة أم المؤمنين ولم يدخل بها رسول الله ﷺ .

وقال البيهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا خلف بن عمرو العكبري ثنا سعيد بن منصور ثنا عطاء بن خالد ثنا صديق بن موسى عن عبد الله بن الزبير أن رسول الله ﷺ قدم المدينة ، فاستناخت به راحلته بين دار جعفر بن محمد بن علي وبين دار الحسن بن زيد ، فأناه الناس فقالوا : يا رسول الله المنزل . فانبعثت به راحلته فقال : « دعوها فأنها مأمورة » ثم خرجت به حتى جاءت موضع المنبر فاستناخت ثم تحالت ، ونم عريش كانوا يعرشونه ويعمرونه ويتبردون فيه ، فنزل رسول الله ﷺ عن راحلته فيه فأوى إلى الظل فأناه أبو أيوب فقال : يا رسول الله إن منزلي أقرب المنازل إليك فأنزل رحلك إلي ؟ قال نعم . فذهب برحله إلى المنزل ، ثم أتاه رجل فقال يا رسول الله أين تحل ؟ قال « إن الرجل مع رحله حيث كان » وثبت رسول الله ﷺ في العريش اثنتي عشرة ليلة حتى بنى المسجد ، وهذه منقبة عظيمة لأبي أيوب خالد بن زيد رضي الله عنه ، حيث نزل في داره رسول الله ﷺ . وقد روينا من طريق يزيد بن أبي حبيب عن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه لما قسم أبو أيوب البصرة — وكان ابن عباس نائباً عليها من جهة علي بن أبي طالب رضي الله عنه — فخرج له ابن عباس عن داره حتى أنزله فيها كما أنزل رسول الله ﷺ في داره ، وملكه كل ما أغلق عليها بابها . ولما أراد الانصراف أعطاه ابن (١) أي يطبق ، شبه بالبدر في استدارته . عن النهاية .

عباس عشرين ألفاً ، وأربعين عبداً . وقد صارت دار أبي أيوب بعده إلى مولاه أفلح . فاشتراها منه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بالف دينار وصلاح ما وهى من بنياتها ووهبها لأهل بيت فقراء من أهل المدينة . وكذلك نزوله عليه السلام في دار بني النجار واختيار الله له ذلك منقبة عظيمة وقد كان في المدينة دور كثيرة تبلغ تسعا كل دار محلة مستقلة بمساكنها ونخلها وزروعها وأهلها ، كل قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا في محلتهم وهى كالقرى المتلاصقة ، فاختار الله لرسول الله ﷺ دار بني مالك بن النجار .

وقد ثبت في الصحيحين من حديث شعبة سمعت قتادة عن أنس بن مالك . قال قال رسول الله ﷺ : « خير دور الانصار بنو النجار ، ثم بنو عبد الاشهل ، ثم بنو الحارث بن الخزرج ، ثم بنو ساعدة ، وفي كل دور الانصار خير » فقال سعد بن عباد : ما أرى النبي ﷺ إلا قد فضل علينا قليل قد فضلكم على كثير : هذا لفظ البخارى . وكذلك رواه البخارى ومسلم من حديث أنس وأبي سلمة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة ، ومن حديث عباد بن سهل عن أبي حميد عن النبي ﷺ بمثله سواء . زاد في حديث أبي حميد ، فقال أبو أسيد لسعد بن عباد : ألم تر أن النبي ﷺ خير الانصار فجعلنا آخراً ، فأدرك سعد النبي ﷺ فقال : يا رسول الله خيرت دور الانصار فجعلنا آخراً ؟ قال : « أو ليس بحسبكم أن تكونوا من الأخيار » قد ثبت لجميع من أسلم من أهل المدينة وهم الانصار الشرف والرفعة في الدنيا والآخرة . قال الله تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) وقال تعالى (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وقال رسول الله ﷺ : « لو أن الحجرة لكنت امرأة من الانصار ، ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادى الانصار وشعبهم ، الانصار شعار والناس دثار » وقال « الانصار كرشى وعيبى » وقال « أنا سلم لمن سالمهم ، وحرب لمن حاربهم » وقال البخارى حدثنا حجاج بن منهال ثنا شعبه حدثني عدى بن ثابت قال سمعت البراء بن عازب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال قال رسول الله ﷺ : « الانصار لا يحبهم الا مؤمن ، ولا يبغضهم الا منافق . فمن أحبهم أحب الله ومن أبغضهم أبغض الله » وقد أخرجه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث شعبه به . وقال البخارى أيضا حدثنا مسلم بن ابراهيم ثنا شعبه عن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبير عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : « آية الايمان حب الانصار ، وآية النفاق بغض الانصار » ورواه البخارى أيضا عن أبي الوليد الطيالسي ومسلم من حديث خالد بن الحارث وعبد الرحمن بن مهاد عن أبي يعقوب

عن شمعة به . والآيات والاحاديث في فضائل الانصار كثيرة جداً . وما أحسن ما قال أبو قيس
 صرمة بن أبي أنس المتقدم ذكره أحد شعراء الانصار في قدوم رسول الله ﷺ اليهم ونصرهم إياه
 ومواساتهم له ولاصحابه رضي الله عنهم أجمعين .
 قال ابن اسحاق : وقال أبو قيس صرمة بن أبي أنس أيضا يذكروا ما أكرمهم الله به من الاسلام
 وما خصهم به من رسوله عليه السلام :

نوى في قریش بضع عشرة حجة	يدكر لو يلقى صديقا مواليا
ويعرض في أهل المواسم نفسه	فلم ير من يؤوى ولم ير داعيا
فلما أمانا واطمأنت به النوى ^(١)	وأصبح مسرورا بطيبة راضيا
والفي صديقا واطمأنت به النوى	وكان له عوناً من الله باديا
يقص لنا ما قال نوح لقومه	وما قال موسى إذ أجاب المناديا
فأصبح لا يخشى من الناس واحداً	قريباً ولا يخشى من الناس نائياً ^(٢)
بذلنا له الاموال من جل ^(٣) مالنا	وأنفسنا عند الوغى والتأسيا
نعادى الذى عادى من الناس كلهم	جميعاً ولو كان الخبيب المواسيا
ولعلم أن الله لا شئ غيره	وان كتاب الله أصبح هاديا ^(٤)
أقول اذا صليت في كل بيعة	حنانك لا تظهر علينا الأعاديا
أقول اذا جاوزت أرضاً مخيفة	تباركت اسم الله أنت المواليا
فطأ معرضاً ان الختوف كثيرة	وانك لا تبقى لنفسك باقيا
فوالله ما يدري الفتى كيف سعيه	اذا هو لم يجعل له الله واقيا
ولا تحفل النخل المعيمة ^(٥) ربها	اذا أصبحت رياء وأصبح ناوليا

ذكرها ابن اسحاق وغيره ، ورواها عبد الله بن الزبير الحميدى وغيره عن سفيان بن عيينة
 عن يحيى بن سعيد الانصارى عن عجز من الانصار قالت : رأيت عبد الله بن عباس يختلف الى
 صرمة بن قيس يروى هذه الايات . رواه البيهقى .

(١) والذي في ابن هشام : فلما أمانا أظهر الله دينه . (٢) كذا في المصرية ، وفي ابن هشام
 والذي في الخلبية : باغيا . (٣) كذا في المصرية بالجيم ومعناه : العظام السكار من الابل أو معظم
 كل شئ ، وفي الخلبية وابن هشام بالخاء المهملة . (٤) والذي في ابن هشام : ولعلم أن الله أفضل
 هاديا ، وأيضا في ابن هشام اختلاف بسيط عن هذه الرواية في بعض الايات .
 (٥) في الاصل (مقيمة) بالقاف والتصحيح عن الخشنى .

فصل

وقد شرفت المدينة أيضاً بهجرته عليه السلام اليها وصارت كهفاً لاولياء الله وعباده الصالحين ومعتلاً وحصناً منيعاً للمسلمين ، ودار هدى للعالمين . والاحاديث في فضلها كثيرة جداً لها موضع آخر نوردتها فيه إن شاء الله . وقد ثبت في الصحيحين من طريق حبيب بن يساف عن جعفر بن عاصم عن أبي هريرة . قال قال رسول الله ﷺ : « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها » ورواه مسلم أيضاً عن محمد بن رافع عن شعبة عن عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن ابن عمر عن النبي ﷺ نحوه . وفي الصحيحين أيضاً من حديث مالك عن يحيى ابن سعيد أنه سمع أبا الحباب سميد بن يسار سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ : « أمرت بقرية تأكل القرى ، يقولون يثرب وهي المدينة تنقي الناس كما ينقى الكبر خبث الحديد (١) » وقد انفرد الامام مالك عن بقية الأئمة الاربعة بتفضيلها على مكة . وقد قال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو الوليد وأبو بكر بن عبد الله فلا ثنا الحسن بن سفيان ثنا أبو موسى الانصاري ثنا سعيد بن سعيد حدثني أخى عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم انك أخرجتني من أحب البلاد إلى فاسكني أحب البلاد إليك » فاسكنه الله المدينة . وهذا حديث غريب جداً والمشهور عن الجمهور أن مكة أفضل من المدينة إلا المكان الذي ضم جسد رسول الله ﷺ ، وقد استدلل الجمهور على ذلك بأدلة يطول ذكرها ههنا ومحلها ذكرناها في كتاب المناسك من الاحكام إن شاء الله تعالى . وأشهر دليل لهم في ذلك ما قال الامام احمد حدثنا أبو اليمان ثنا شعيب عن الزهري أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عدى بن الخراء أخبره أنه سمع النبي ﷺ وهو واقف بالخرورة في سوق مكة يقول : « والله نك خير أرض الله وأحب أرض الله إلى ، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت » وكذا رواه احمد عن يعقوب بن ابراهيم عن أبيه عن صالح بن كيسان عن الزهري به . وهكذا رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث الليث عن عقيل عن الزهري به . وقال الترمذى : حسن صحيح . وقد رواه يونس عن الزهري به . ورواه محمد بن عمرو عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة ، وحديث الزهري عنده أصح . قال الامام احمد : حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة . قال : وقف رسول الله ﷺ على الخزورة فقال : « علمت أنك خير أرض الله وأحب الأرض إلى الله ، ولولا (١) جاء في النهاية : تنقى بالفناء فنخرجها عنها من النقي ، وتنقى باللقاف من الخراج النقي وهو الخبز أو من التنقية وهي أفراد الجيد من الردى .

أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت » وكذا رواه النسائي من حديث معمر به . قال الحافظ البيهقي وهذا وهم من معمر ، وقد رواه بعضهم عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة وهو أيضاً وهم والصحيح رواية الجماعة . وقال أحمد أيضاً حدثنا إبراهيم بن خالد ثنا رباح عن معمر عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن أبي سلمة عن بعضهم أن رسول الله ﷺ قال وهو في سوق الحزورة : « والله إنك لخير أرض الله وأحب الأرض إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت » ورواه الطبراني عن أحمد بن حنبل بن خليف بن الحارث عن الدراوردي عن ابن أخي الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عدي بن الحمراء به . فهذه طرق هذا الحديث ، وأصحها ما تقدم والله أعلم .

وقائع السنة الأولى من الهجرة

ذكر ما وقع في السنة الأولى من الهجرة النبوية من الحوادث والوقائع العظيمة

اتفق الصحابة رضي الله عنهم في سنة ست عشرة - وقيل سنة سبع عشرة ، أو ثمان عشرة - في الدولة العمرية على جعل ابتداء التاريخ الإسلامي من سنة الهجرة ، وذلك أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه رفع إليه مك - أي حجة - رجل على آخر وفيه ، إنه يحل عليه في شعبان ، فقال عمر : أي شعبان ؟ أشعبان هذه السنة التي نحن فيها أو السنة الماضية ، أو الآتية ؟ ثم جمع الصحابة فاستشارهم في وضع تاريخ يتعرفون به حاول الديون وغير ذلك ، فقال قائل : أرخوا كتاريخ الفرس فكره ذلك ، وكانت الفرس يؤرخون بملوكهم واحداً بعد واحد . وقال قائل : أرخوا بتاريخ الروم ، وكانوا يؤرخون بملك أسكندر بن قلس المقدوني فكره ذلك . وقال آخرون أرخوا بمولد رسول الله ﷺ وقال آخرون بل بمبعثه ، وقال آخرون بل بهجرته ، وقال آخرون بل بوفاة عليه السلام . فقال عمر رضي الله عنه إلى التاريخ بالهجرة لظهوره واشتهاره . واتفقوا معه على ذلك .

وقال البخاري في صحيحه : التاريخ ومتى أرخوا التاريخ ، حدثنا عبد الله بن مسلم ثنا عبد العزيز عن أبيه عن سهل بن سعد . قال : ما عدوا من مبعث النبي ﷺ ولا من وفاته ، ما عدوا إلا من مقدمه المدينة .

وقال الواقدي : حدثنا ابن أبي الزناد عن أبيه . قال : استشار عمر في التاريخ فاجمعوا على الهجرة وقال أبو داود الطيالسي عن قرة بن خالد السدوسي ^(١) عن محمد بن سيرين قال : قام رجل إلى عمر فقال أرخوا ، فقال ما أرخوا ؟ فقال شيء تفعلوا الأعاجم يكتبون في شهر كذا من سنة كذا . فقال

(١) في المصرية : عن فروة بن خالد السدوسي ، وفي الحلبية : فروة بن خالد عن السدي ، وصحناه من انساب السعدي ، والخلاصة .

عمر : حسن فارخوا ، فقالوا من أى السنين نبداً ؟ فقالوا من مبعثه ، وقالوا من وفاته ، ثم أجمعوا على الهجرة ، ثم قالوا وأى الشهور نبداً ؟ قالوا رمضان ، ثم قالوا المحرم فهو مصرف الناس من حبيهم وهو شهر حرام فاجتمعوا على المحرم .

وقال ابن جرير : حدثنا قتيبة ثنا نوح بن قيس الطائي عن عثمان بن محصن أن ابن عباس كان يقول في قوله تعالى (والفجر وليال عشر) هو المحرم فجز السنة . وروى عن عبيد بن عمير . قال : إن المحرم شهر الله وهو رأس السنة يكسى البيت ، ويؤرخ به الناس ، ويضرب فيه الورق .

وقال احمد : حدثنا روح بن عبادة ثنا زكريا بن اسحاق عن عمرو بن دينار قال : إن أول من ورخ الكعب يعلو بن أمية باليمن . وأن رسول الله ﷺ قدم المدينة في ربيع الاول وأن الناس أرخوا لاول السنة .

وروى محمد بن اسحاق عن الزهري وعن محمد بن صالح عن الشعبي أنهما قالوا : أرخ بنو اسماعيل من نار ابراهيم ، ثم أرخوا من بنيان ابراهيم واسماعيل البيت ، ثم أرخوا من موت كعب بن لؤى . ثم أرخوا من الفيل ، ثم أرخ عمر بن الخطاب من الهجرة وذلك سنة سبع عشرة - أو ثمانى عشرة - وقد ذكرنا هذا الفصل محرراً بأسانيد وطرق في السيرة العمريّة والله الحمد ، والمقصود أنهم جعلوا ابتداء التاريخ الاسلامى من سنة الهجرة ، وجعلوا أولها من المحرم فيما اشتهر عنهم وهذا هو قول جمهور الأئمة .

وحكى السهيلي وغيره عن الامام مالك أنه قال : أول السنة الاسلامية ربيع الاول لأنه الشهر الذى هاجر فيه رسول الله ﷺ .

[وقد استدلل السهيلي على ذلك في موضع آخر بقوله تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) أى من أول يوم حاول النبي ﷺ المدينة ، وهو أول يوم من التاريخ كما اتفق الصحابة على أول سنة التاريخ عام الهجرة] (١) ولا شك أن هذا الذى قاله الامام مالك رحمه الله مناسب ، ولكن العمل على خلافه ، وذلك لأن أول شهور العرب المحرم فجعلوا السنة الاولى سنة الهجرة . وجعلوا أولها المحرم كما هو المعروف لئلا يختلط النظام والله أعلم .

فنعول والله المستعان : استهل سنة الهجرة المباركة ورسول الله ﷺ مقيم بمكة . وقد بايع الانصار بيعة العقبة الثانية كما قدمنا في أوسط أيام التشريق وهى ليلة الثانى عشر من ذى الحجة قبل سنة الهجرة ، ثم رجع الانصار وأذن رسول الله ﷺ للمسلمين في الهجرة إلى المدينة فهاجر من هاجر من أصحابه إلى المدينة حتى لم يبق بمكة من يمكنه الخروج إلا رسول الله ﷺ ، وحبس أبو بكر (١) ما بين المربعين سقط من النسخة الخليفة .

نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه في الطريق كما قدمنا ثم خرجا على الوجه الذي تقدم بسطه وتأخر على بن أبي طالب بعد النبي ﷺ بأمره ليؤدى ما كان عنده عليه السلام من الودائع ثم لحقهم بقباء فقدم رسول الله ﷺ يوم الاثنين قريباً من الزوال وقد اشتد الضحاء (١).

قال الواقدي وغيره : وذلك لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول . وحكاه ابن اسحاق إلا أنه لم يرج عليه ورجح أنه لثقتي عشرة ليلة خلت منه ، وهذا هو المشهور الذي عليه الجمهور . وقد كانت مدة إقامته عليه السلام بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة في أصح الأقوال ، وهو رواية حماد بن سلمة عن أبي حمزة الضبي عن ابن عباس . قال : بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة . وهكذا روى ابن جرير عن محمد بن معمر عن روح بن عبادة عن زكريا بن اسحاق عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قال : مكث رسول الله ﷺ بمكة ثلاث عشرة سنة . وتقدم أن ابن عباس كتب أبيات صرمة بن أبي أنس بن قيس :

ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكرك لو يلقى صديقاً موالياً

وقال الواقدي عن إبراهيم بن اسماعيل عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أنه استشهد بقول صرمة :

ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكرك لو يلقى صديقاً موالياً

وهكذا رواه ابن جرير عن الحارث عن محمد بن سعد عن الواقدي خمس عشرة حجة ، وهو قول غريب جداً ، وأغرب منه ما قال ابن جرير : حدثت عن روح بن عبادة ثنا سعيد عن قتادة قال : نزل القرآن على رسول الله ﷺ ثمانين سنة بمكة ، وعشرًا بالمدينة . وكان الحسن يقول : عشرًا بمكة ، وعشرًا بالمدينة ، وهذا القول الآخر الذي ذهب إليه الحسن البصري من أنه أقام بمكة عشر سنين ذهب إليه أنس بن مالك وعائشة وسعيد بن المسيب وعمرو بن دينار فيما رواه ابن جرير عنهم ، وهو رواية عن ابن عباس رواها أحمد بن حنبل عن يحيى بن سعيد عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس . قال : أنزل على النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين ، فمكث بمكة عشرًا وقد قدمنا عن الشعبي أنه قال : قرن اسرافيل برسول الله ﷺ ثلاث سنين يلقى إليه الكلمة والشئ وفي رواية يسمع حسه ولا يرى شخصه ، ثم كان بعد ذلك جبريل . وقد حكى الواقدي عن بعض شائخه أنه أنكر قول الشعبي هذا ، وحاول ابن جرير أن يجمع بين قول من قال إنه عليه السلام أقام بمكة عشرًا ، وقول من قال ثلاث عشرة بهذا الذي ذكره الشعبي والله أعلم .

(١) الضحاء قريباً من نصف النهار ، والضحوة ارتفاع أول النهار ، والضحى ما بين ذلك .

فصل

ولما حل الركاب النبوي بالمدينة ، وكان أول نزوله بها في دار بني عمرو بن عوف وهي قباء كما تقدم فاقام بها - أكثر ما قيل - ثنتين وعشرين ليلة ، وقيل ثمانى عشرة ليلة . وقيل بضع عشرة ليلة وقال موسى بن عقبة : ثلاث ليال . والاشهر ما ذكره ابن اسحاق وغيره أنه عليه السلام أقام فيهم بقباء من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة ، وقد أسس في هذه المدة المختلف في مقدارها - على ما ذكرناه - مسجد قباء ، وقد ادعى السهيلي أن رسول الله ﷺ أسسه في أول يوم قدم إلى قباء وحل على ذلك قوله تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) ورد قول من أعربها من تأسيس أول يوم ، وهو مسجد شريف فاضل نزل فيه قوله تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه . فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) كما تكلمنا على تقرير ذلك في التفسير وذكرنا الحديث الذى فى صحيح مسلم أنه مسجد المدينة والجواب عنه . وذكرنا الحديث الذى رواه الامام احمد حدثنا حسن بن محمد ثنا أبو إدريس ثنا شرحبيل عن عويم بن ساعدة أنه حدثنا أن رسول الله ﷺ أتاهم فى مسجد قباء فقال : « إن الله قد أحسن عليكم الشاء فى الطهور فى قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذى تطهرون به ؟ » قالوا : والله يا رسول الله ما نعلم شيئا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يغسلون أديبارهم من الغائط فغسلنا كآغسلوا . وأخرجه ابن خزيمة فى صحيحه وله شواهد أخر . وروى عن خزيمة بن ثابت ومحمد بن عبد الله بن سلام وابن عباس . وقد روى أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث يونس بن الحارث عن إبراهيم بن أبي ميمونة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ . قال : نزلت هذه الآية فى أهل قباء (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) . قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية . ثم قال الترمذى غريب من هذا الوجه .

قلت : ويونس بن الحارث هذا ضعيف والله أعلم . ومن قال بأنه المسجد الذى أسس على التقوى ما رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير . ورواه على بن أبى طلحة عن ابن عباس وحكى عن الشعبي والحسن البصرى وقتادة وسعيد بن جبيرة وعطية العوفى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم . وقد كان النبي ﷺ يزوره فيما بعد ويصلى فيه ، وكان يأتي قباء كل سبت تارة راكباً وتارة ماشياً وفى الحديث : « صلاة فى مسجد قباء كعمرة » وقد ورد فى حديث أن جبرائيل عليه السلام هو الذى أشار للنبي ﷺ إلى موضع قبلة مسجد قباء ، فكان هذا المسجد أول مسجد بنى فى الاسلام بالمدينة ، بل أول مسجد جعل للعموم الناس فى هذه الملة . واستقر زنا بهذا

عن المسجد الذي بناه الصديق بمكة عند باب داره يتعبد فيه ويصلي لأن ذلك كان خاصة نفسه لم يكن للناس عامة والله أعلم . وقد تقدم اسلام سلمان في البشارات ، أن سلمان الفارسي لما سمع بقدم رسول الله ﷺ إلى المدينة ذهب اليه وأخذ معه شيئاً فوضعه بين يديه وهو بقباء قال هذا صدقة فكف رسول الله ﷺ فلم يأكله وأمر أصحابه فأكلوا منه ، ثم جاء مرة أخرى ومعه شيء فوضعه وقال هذه هدية فأكل كل منه وأمر أصحابه فأكلوا . تقدم الحديث بطوله [(١)] .

فصل

﴿ في اسلام عبد الله بن سلام رضى الله عنه ﴾

قال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر ثنا عوف عن زرارة عن عبد الله بن سلام . قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس ، فكنت فيمن انجفل ، فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب . فكان أول شيء سمعته يقول : « افشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » ورواه الترمذي وابن ماجه من طرق عن عوف الاعرابي عن زرارة ابن أبي أوفى به عنه . وقال الترمذي صحيح . ومقتضى هذا السياق يقتضى أنه سمع بالنبي ﷺ ورآه أول قدمه حين أناخ بقباء في بني عمرو بن عوف . وتقدم في رواية عبد العزيز بن صهيب عن أنس أنه اجتمع به حين أناخ عند دار أبي أيوب عند ارتحاله من قباء إلى دار بني النجار كما تقدم ، فلعله رآه أول ما رآه بقباء ، واجتمع به بعد ما صار إلى دار بني النجار والله أعلم . وفي سياق البخاري من طريق عبد العزيز عن أنس . قال : فلما جاء النبي ﷺ جاء عبد الله بن سلام فقال أشهد أنك رسول الله وأنت جئت بحق ، وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم فسلمهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت فانهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا في ما ليس في . فأرسل نبي الله ﷺ إلى اليهود فدخلوا عليه . فقال لهم : « يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقا وأنى جئتكم بحق فاسلموا » قالوا ما نعلمه . قالوا [ذلك] للنبي ﷺ قالها ثلاث مرار . قال « فأى رجل فيكم عبد الله » (٢) بن سلام ؟ قالوا ذلك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا . قال : أفرايتم إن أسلم ؟ قالوا حاش لله ما كان ليسلم . قال « يا ابن سلام اخرج عليهم » فخرج فقال : يا معشر يهود اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بالحق . فقالوا : كذبت . فأخرجهم رسول الله ﷺ . هذا لفظه . وفي رواية فلما خرج عليهم شهد شهادة

(١) ما بين المربعين لم يرد في النسخة الحلبيه . (٢) كذا في الاصلين وفي ابن هشام : الخصين

ابن سلام . وفي الاصابة كان اسمه الحصين وغيره النبي ﷺ .

الحق قالوا : شرنا وابن شرنا ، وتنقصود فقال : يا رسول الله هذا الذي كنت أخاف . وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا الأصم حدثنا محمد بن اسحاق الصنعاني ثنا عبد الله بن أبي بكر ثنا حميد عن أنس . قال : سمع عبد الله بن سلام يقدم النبي ﷺ . - وهو في أرض له - فأتى النبي ﷺ : فقال إني سألتك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : « أخبرني بهن جبريل آتفا » قال جبريل : قال « نعم ! » قال عبدو اليهود من الملائكة . ثم قرأ (من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) قال « أما أول أشراط الساعة فإنا نخرج على الناس من المشرق تسوقهم إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت ، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزلت الولد » فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله . يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وأنهم إن يعلموا بالإسلام قبل أن تسألهم عنيه يتنوفى . فجاءت اليهود . فقال : « أي رجل عبد الله فيكم ؟ » قالوا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . قال : « رأيتم إن أسلم ؟ » قالوا أعاده الله من ذلك . فخرج عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . قالوا شرنا وابن شرنا وتنقصود . قال هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله ^(١) ورواه البخاري عن عبد بن منير ^(٢) عن عبد الله بن أبي بكر . ورواه عن حماد بن عمر عن بشر بن المفضل عن حميد .

قال محمد بن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر عن يحيى بن عبد الله عن رجل من آل عبد الله ابن سلام . قال : كان من حديث عبد الله بن سلام حين أسلم - وكان حبراً عالماً - . قال : لما سمعت برسول الله وعرفت صفته واسمه وهيئته و [زمانه] الذي كنا نتوكل له ، ^(٣) فكنت بقاء مسراً بذلك سامتاً عليه حتى قدم رسول الله ﷺ ، المدينة فلما قدم نزل بقاء في بني عمرو بن عوف . فاقبل رجل حتى أخبر بقدومه ، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها ، وعنتي خالدة بنت الخارث تحتي جالسة ، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله ﷺ كبرت ، فقالت عنتي حين سمعت تكبيرى : لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زدت ، قال قلت لها أي عهد . والله هو أخو موسى بن عمران وعلى دينه . ثم بما بعث به . قال فقالت له : يا ابن أخي أهو الذي كنا نخير أنه يبعث مع نفس الساعة ؟ قال قلت لها نعم ! قالت فذاك إذا . قال فخرجت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت ثم رجعت إلى أهل

(١) الحديث أخرجه البخاري قبيل باب اتيان اليهود النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وفيه اختلاف في السياق عن هنا وقد رواه عن حماد بن عمر ^(٢) كذا في الاصلين عبد بن منير ولعله تصحيف عبد بن حميد . ^(٣) توكلت الخبر اذا انتظرت ، وفي الاصلين تتوقف وهو خطأ .

بيدتي فأمرتهم فأسلموا وكتبت أسلامي من اليهود وقلت : يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وإني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك فتغيبني عنهم ، ثم تسألهم عني فيخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بأسلامي فأنهم إن يعلموا بذلك يهتؤني وعابوني ، وذكري نحو ما تقدم . قال فأنظرت أسلامي وأسلم أهل بيدي وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث . وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني عبد الله ابن أبي بكر حدثني محمد بن عصفية بنت حيي قالت : لم يكن أحد من ولد أبي وعمر أحب إليهما مني ، لم ألتقهما في ولد هما قط اهش إليهما إلا اخذاني دونه ، فلما قدم رسول الله ﷺ قباء - قرية بني عمرو بن عوف - غدا إليه أبي وعمر أبو ياسر بن أخطب مغلسين ، فوالله ما جانا إلا مع مقيب الشمس . فجاءنا فآثرين كسلانين ساقطين بمشيمان الهويناء ، فهششت إليهما كما كنت أصنع فوالله ما نظر إلي واحد منهما ، فسمعت عمتي أبا ياسر يقول لأبي : أهو هو ؟ قال نعم والله ! قال تعرفه بنعته وصفته ؟ قال نعم والله ! قال فماذا في نفسك منه ؟ قال عدائوته والله ما بقيت . وذكري موسى بن عقبة عن الزهري أن أبا ياسر بن أخطب حين قدم رسول الله ﷺ المدينة ذهب إليه وسمع منه وحادثه ثم رجع إلى قومه فقال : يا قوم أطيعون فإن الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرون ، فاتبعوه ولا تخالفوه فانطلق أخوه حيي بن أخطب - وهو يومئذ سيد اليهود ، وهما من بني النضير - فجلس إلى رسول الله ﷺ وسمع منه ، ثم رجع إلى قومه - وكان فيهم مطاعا - فقال : أتيت من عند رجل والله لا أزال له عدوا أبدا . فقال له أخوه أبو ياسر يا ابن أم أظفني في هذا الأمر واعصني فيما شئت بعده لا تهلك ، قال لا والله لا أطيعك أبدا ، واستحوذ عليه الشيطان واتبعه قومه على رأيه .

قلت : أما أبو ياسر واسمه حيي بن أخطب ^(١) فلا أدري ما آل إليه أمره ، وأما حيي بن أخطب والد صفية بنت حيي فشرب عداوة النبي ﷺ وأصحابه ، ولم يزل ذلك دأبه لعنه الله حتى قتل صبيا بين يدي رسول الله ﷺ يوم قتل مقاتلة بن قريظة كما سيأتي إن شاء الله .

فصل

ولما ارتحل عليه السلام من قباء وهو راكب ناقته القصواء وذلك يوم الجمعة أدركه وقت الزوال وهو في دار بني سالم بن عوف ، فصلى بالمسلمين الجمعة هنالك ، في واد يقال له وادي رانواناء فكانت أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ بالمسلمين بالمدينة ، أو مطلقا لأنه والله أعلم لم يكن يتمكن هو

(١) كذا في الأصلين في كتب السيرة أنهم كانوا ثلاثة حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب والثالث هو جدي بن أخطب ولم نثر على اسم أبي ياسر في المراجع التي بأيدينا .

وأصحابه بمكة من الاجتماع حتى يقيموا بها جمعة ذات خطبة وإعلان بموعظة وما ذاك إلا لشدة مخالفة المشركين له ، وأذيتهم إياه .

﴿ ذكر خطبة رسول الله ﷺ يومئذ ﴾

قال ابن جرير : حدثني يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب عن سعيد بن عبد الرحمن الجهمي أنه بلغه عن خطبة النبي ﷺ في أول جمعة صلاها بالمدينة في بني سالم بن عمرو بن عوف رضي الله عنهم : الحمد لله أحمد واستغفروا واستغفروا ، وأؤمن به ولا أكفره ، وأعادي من يكفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة على فترة من الرسل ، وقلة من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنو من الساعة ، وقرب من الاجل . من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى وفرط وخل خلالاً بعيداً ، وأوصيكم بتقوى الله فانه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة . وأن يأمره بتقوى الله . فاحذروا ما حذركم الله من نفسه . ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك ذكرى . وإنه تقوى لمن عمل به على وجل وخافة ، وعون صدق على ما تبتغون من أمر الآخرة ، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمر السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم ، وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد . والذي صدق قوله ، وأنجز وعده ، لا خلف لذلك فانه يقول تعالى (ما يبذل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد) واتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فانه (من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً) (ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً) وإن تقوى الله توفى مقته ، وتوفى عقوبته ، وتوفى سخطه . وإن تقوى الله تبيض الوجه ، وترضى الرب ، وترفع الدرجة ، خذوا بحفظكم ولا تفرطوا في جنب الله قد علمكم الله كتابه ونهيج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين فاحسنوا كما أحسن الله إليكم . واعدوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما لكم المسلمون ليملك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا قوة إلا بالله : فاكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فانه من أصلح ما بينه وبين الله يكفه ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس ولا يملكون منه ، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » هكذا أوردها ابن جرير في السند ارسال .

وقال البيهقي : باب . أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ حين قدم المدينة .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس الاصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن

بكبير عن ابن اسحاق حدثني المفيرة بن عثمان بن محمد بن عثمان والأخنس بن شريق عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال : كانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ بالمدينة أن قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال « أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم تعلمن والله ليضعن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه - ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه - ألم يأتك رسولي فبلغك ، وآتيتك مالا وأفضلت عليك ، فما قدمت لنفسك ؟ فينظر يميننا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم ينظر قدميه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكامة طيبة فان بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعائة ضعف والسلام على رسول الله ^(١) ورحمة الله وبركاته » ثم خطب رسول الله ﷺ مرة أخرى فقال : « أن الحمد لله أحمده واستعينه ، نفوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له : ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له] ، إن أحسن الحديث كتاب الله ، قد أفصح من زينته الله في قلبه وأدخله في الإسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من أحاديث الناس ، إنه أحسن الحديث وأبلغه ، أحبوا من أحب الله ، أحبوا الله من كل قلوبكم [ولا تملوا كلام الله وذكروه ولا تقسوا عنه قلوبكم] فانه من ^(٢) يختار الله ويصطفى فقد سعاد خيرته من الأعمال وخيرته من العباد ، والصالح من الحديث ومن كل ما أوتي الناس من الحلال والحرام فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتقوه حق تقاته وصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم وتحابوا بروح الله بينكم إن الله يفضب أن ينسكت عهدك والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

وهذه الطريق أيضا مرسله إلا أنها مقوية لما قبلها وإن اختلفت الالفاظ .

فصل

﴿ في بناء معجده الشريف في مدة مقامه عليه السلام بدار أبي أيوب رضي الله عنه ﴾
وقد اختلف في مدة مقامه بها ، فقال الواقدي : سبعة أشهر ، وقال غيره أقل من شهر والله أعلم . قال البخاري حدثنا اسحاق بن منصور أخبرنا عبد الصمد قال سمعت أبي يحدث فقال حدثنا أبو الشياح يزيد بن حميد الضبي حدثنا أنس بن مالك . قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف ، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل إلى ملائكة بني النجار فجاءوا ^(١) وفي ابن هشام . والسلام عليكم وعلى رسول الله . ^(٢) كذا في المصرية ، وفي الحلبية فانه من كل مختار الله . وفي ابن هشام : فانه من كل ما يخلق الله يختار ، وما بين المربعين من ابن هشام .

منقلدى سيوفهم ، قال وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته وأبو بكر ردفه ، وملاً بنى النجار حوله حتى ألقى بفناء أبي أيوب ، قال فكان يصلى حيث أدر كنه الصلاة ، ويصلى فى مرابض الغنم ، قال ثم إنه أمر ببناء المسجد ، فأرسل إلى ملاً بنى النجار فجاءوا فقال « يا بنى النجار نأمنونى بمناطكم هذا » فقالوا لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله عز وجل ، قال فكان فيه ما أقول لكم ، كانت فيه قبور المشركين ، وكانت فيه خرب ، وكان فيه نخل ، فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبشت ، وبالنخرب فسويت ، وبالنخل فقطع . قال فصفوا النخل قبلة المسجد ، وجعلوا عضاداته حجارة ، قال فجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون ، ورسول الله ﷺ معهم يقول (١) « اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة ، فانصر الانصار والمهاجرة » وقد رواه البخارى فى مواضع أخر ومسلم من حديث أبى عبد الصمد وعبد الوارث بن سعيد . وقد تقدم فى صحيح البخارى عن الزهرى عن عروة أن المسجد الذى كان مربداً - وهو بيدر التمر - ليتيمين كانا فى حجر أسعد بن زرارة وهاسل وسهيل ، فسار معهما فيه رسول الله ﷺ فقالا : بل نهيب لك يا رسول الله فابى حتى ابتاعه منهما وبناء مسجدا . قال وجعل رسول الله ﷺ يقول وهو ينقل معهم التراب :

هذا الجمال لا جمال خبير هذا أبر ربنا وأظهر

ويقول :

لاهم إن الاجر أجر الآخرة فارحم الانصار والمهاجرة

وذكر موسى بن عقبة أن أسعد بن زرارة عوضهما منه فخلاله فى بيافسة ، قال وقيل ابتاعه منهما رسول الله ﷺ .

قلت : وذكر محمد بن اسحاق أن المربد كان لثلاثين يتيماً فى حجر معاذ بن عفراء وهاسل وسهيل ابنا عمرو فأنعم الله عليهم .

وروى البيهقى من طريق أبى بكر بن أبى الدنيا حدثنا الحسن بن حماد الضبي ثنا عبد الرحيم ابن سليمان عن اسماعيل بن مسلم عن الحسن . قال : لما بنى رسول الله ﷺ المسجد أعانه عليه أصحابه وهو معهم يتناول اللبن حتى أغبر صدره ، فقال « ابنوه عريشا كعريش موسى » فقلت للحسن : ما عريش موسى ؟ قال إذا رفع يديه بلغ العريش - أى السقف - وهذا مرسل . وروى من حديث حماد بن سلمة عن أبى سنان عن يعلى بن شداد بن أوس عن عمدة أن الانصار جمعوا مالا فأثروا به النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله ابن هذا المسجد وزينه ، إلى متى تعلى تحت هذا الجريد ؟ فقال : « ما بى رغبة عن أخى موسى ، عريش كعريش موسى » وهذا حديث غريب من هذا الوجه . وقال

(١) وفى البخارى ورسول الله ﷺ معهم يقولون الخ .

أبو داود حدثنا محمد بن حاتم حدثنا عبد الله بن موسى عن سنان عن فراس بن عطية العوفي عن ابن عمر أن مسجد النبي ﷺ كانت سواريه على عهد رسول الله ﷺ من جذوع النخل ، أعلاه مظلل بجريد النخل ، ثم إنها تحربت في خلافة أبي بكر ، فبناها بجذوع وبجريد النخل ، ثم إنها تحربت في خلافة عثمان فبناها بالأجر ، فما زالت ثابتة حتى الآن . وهذا غريب . وقد قال أبو داود أيضا حدثنا مجاهد بن موسى حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثني أبي عن أبي صالح ثنا نافع عن ابن عمر أخبره أن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنيًا باللين ، وسقفه الجريد ، وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً ، وزاد فيه عمر وبناه على بنائه في عهد النبي ﷺ باللين والجريد وأعاد عمده خشباً . وغيره عثمان رضي الله عنه وزاد فيه زيادة كثيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة (١) وجعل عمده من حجارة منقوشة ودققه بالساج (٢) وهكذا رواه البخاري عن علي بن المديني عن يعقوب بن إبراهيم به .

قلت : زاده عثمان بن عفان رضي الله عنه متأولاً قوله ﷺ « من بنى لله مسجداً ولو كفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة » وواقفه الصحابة الموجودون على ذلك ولم يغيروه بعده ، فيستدل بذلك على الراجح من قول العلماء أن حكم الزيادة حكم المزيّد فتدخل الزيادة في حكم سائر المسجد من تضييف الصلاة فيه وشد الرحال اليه ، وقد زيد في زمان الوليد بن عبد الملك بالني جامع دمشق زاده له بأمره عمر بن عبد العزيز حين كان نائبه على المدينة وأدخل الحجرة النبوية فيه كما سيأتي بيانه في وقته ، ثم زيد زيادة كثيرة فيما بعد ، وزيد من جهة القبلة حتى صارت الروضة والمنبر بعد الصفوف المقدمة كما هو المشاهد اليوم .

قال ابن اسحاق : ونزل رسول الله ﷺ على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه وعمل فيه رسول الله ﷺ ليرغب المسلمين في العمل فيه . فعمل فيه المهاجرون والانصار ودأبوا فيه . فقال قائل من المسلمين :

لئن قعدنا والنبي يعمل لذلك منّا العمل المضلل
وارتجز المسلمون وهم ينثونه يقولون :

لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم الانصار والمهاجرة

فيقول رسول الله ﷺ « لا عيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم المهاجرين والانصار » قال فدخل

(١) القصة هي الجص كما في النهاية . (٢) في المصرية : بالسلاح وفي الحلبية بالساح تصحيف والساج الواح من الشجر ، أو هو اسم لنوع من الشجر .

عمار بن ياسر وقد اُتوا بالذين قُتلوا : يا رسول الله قتلوا في يحمون على مالا يحمون . قالت أم سلمة
 فرأيت رسول الله ﷺ ينفذ وفرته بيده - وكان رجلا جمدا - وهو يقول : « ويح ابن سمية لي - وا
 بالذين يقتلونك إنما يقتلك الفئة الباغية » وهذا منقطع من هذا الوجه بل هو معضل بين محمد بن
 اسحاق وبين أم سلمة وقد وصله مسلم في صحيحه من حديث سمية عن خالد الحذاء عن سعيد والحسن
 - يعني ابني أبي الحسن البصري - عن أمهما خيرة مولاة أم سلمة عن أم سلمة قالت قال رسول الله
 ﷺ : « تقتل عمار الفئة الباغية » ورواه من حديث ابن علية عن ابن عون عن الحسن عن أم
 سلمة عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال لعمار وهو ينقل الحجارة : « ويح لك يا ابن سمية تقتلك الفئة
 الباغية » وقال عبيد الرزاق أخبرنا معمر عن الحسن يحدث عن أم سلمة قالت : لما كان
 رسول الله ﷺ وأصحابه يبنون المسجد ، جعل أصحاب النبي ﷺ يحمل كل واحد لبنة لبنه ،
 وعمار يحمل لبنتين لبنه عنه ولبنه عن النبي ﷺ فمسح ظهره . وقال « ابن سمية ، للناس أجر ولك
 أجران ، وآخر زادك شربة من لبن وتقتلك الفئة الباغية » وهذا اسناد على شرط الصحيحين .
 وقد أورد البيهقي وغيره من طريق جماعة عن خالد الحذاء عن عكرمة عن أبي سعيد الخدري . قال :
 كنا نعمل في بناء المسجد لبنة لبنه ، وعمار يحمل لبنتين لبنتين . فرآه النبي ﷺ فجعل ينفذ
 التراب عنه ويقول : « ويح عمار تقتلك الفئة الباغية يدعوك إلى الجنة ويدعونه إلى النار » قال يقول
 عمار : أعوذ بالله من الفتن . لكن روى هذا الحديث الامام البخاري عن مسدد عن عبد العزيز بن
 المختار عن خالد الحذاء ، وعن ابراهيم بن موسى عن عبد الوهاب الثقفي عن خالد الحذاء به إلا أنه لم
 يذكر قوله تقتلك الفئة الباغية .

قال البيهقي : وكأنه إنما تركها لما رواه مسلم من طريق عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال
 أخبرني من هو خير مني أن رسول الله ﷺ قال لعمار حين جعل يحفر الخندق ، جعل يمسح رأسه
 ويقول : « يؤس ابن سمية تقتله فئة باغية » وقد رواه مسلم أيضا من حديث سمية عن أبي سلمة عن
 أبي نضرة عن أبي سعيد (١) قال حدثني من هو خير مني - أبو قتادة - أن رسول الله ﷺ قال
 لعمار بن ياسر « يؤس لك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية » وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا وهيب
 عن داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ لما حفر الخندق كان الناس
 يحمون لبنة لبنه ، وعمار - نافع من وجع كان به - فجعل يعمل لبنتين لبنتين قال أبو سعيد فحدثني
 بعض أصحابي أن رسول الله ﷺ كان ينفذ التراب عن رأسه ويقول : « ويح ابن سمية تقتلك
 الفئة الباغية » . قال البيهقي : فقد فرق بين ما سمعه بنفسه وما سمعه من أصحابه . قال ويشبه أن
 (١) ما بين المرعين عن الحلية فقط .

يكون قوله الخندق وهما أو أنه قال له ذلك في بناء المسجد وفي حفر الخندق والله أعلم .
قلت : حمل اللب في حفر الخندق لا معنى له ، والظاهر أنه اشتبه على الناقل والله أعلم . وهذا الحديث من دلائل النبوة حيث أخبر صلوات الله وسلامه عليه عن عمار أنه تقتله الفئة الباغية وقد قتله أهل الشام في وقعة صفين وعمار مع علي وأهل العراق كما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه . وقد كان على أحق بالأمر من معاوية . ولا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بغاة تكفيرهم كما يحاوله جهلة الفرقة الضالة من الشيعة وغيرهم لأنهم وإن كانوا بغاة في نفس الأمر فانهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال وليس كل مجتهد مصيباً بل المصيب له أجران والمخطئ له أجر ، ومن زاد في هذا الحديث بعد تقتلك الفئة الباغية - لا أنالها الله شفاعتي يوم القيامة - فقد افترى في هذه الزيادة على رسول الله ﷺ ، فإنه لم يقلها إذ لم تنقل من طريق تقبل والله أعلم . وأما قوله يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ، فإن عماراً وأصحابه يدعون أهل الشام إلى الله لغة واجتماع الكلمة ، وأهل الشام يريدون أن يستأثروا بالأمر دون من هو أحق به ، وأن يكون الناس أو زاعاً على كل قطر امام برأسه ، وهذا يؤدي إلى افتراق الكلمة واختلاف الأمة فهو لازم منذهبهم وناشئ عن مسلكهم ، وإن كانوا لا يقصدونه والله أعلم . وسيأتي تقرير هذه المباحث إذا انتهينا إلى وقعة صفين من كتابنا هذا بحول الله وقوته وحسن تأييده وتوفيقه والمقصود ههنا إنما هو قصة بناء المسجد النبوي على بانيه أفضل الصلاة والتسليم .

وقد قال الحافظ البيهقي في الدلائل حدثنا أبو عبد الله الحافظ أملاء ثنا أبو بكر بن اسحاق أخبرنا عبيد بن شريك ثنا نعيم بن حماد ثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا حشرج بن نباتة عن سعيد ابن جهمان عن سفينة مولى رسول الله ﷺ . قال : جاء أبو بكر بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه ، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه . فقال رسول الله ﷺ : « هؤلاء ولادة الأمر بعدي » ، ثم روى من حديث يحيى بن عبد الحميد الحماني عن حشرج عن سعيد عن سفينة . قال : لما بنى رسول الله ﷺ المسجد وضع حجراً . ثم قال « ليضع أبو بكر حجراً إلى جنب حجري ، ثم ليضع عمر حجره إلى جنب حجري أبي بكر ، ثم ليضع عثمان حجره إلى جنب حجري عمر » فقال رسول الله ﷺ « هؤلاء الخلفاء من بعدي » وهذا الحديث بهذا السياق غريب جداً ، والمعروف ما رواه الامام احمد عن أبي النضر عن حشرج بن نباتة العبسي ^(١) وعن بهز وزيد بن الحباب وعبد الصمد وحماد بن سلمة كلاهما عن سعيد بن جهمان عن سفينة قال سمعت رسول الله يقول : « الخلافة ثلاثون عاماً ، ثم يكون من بعد ذلك الملك » ثم قال سفينة أمسك ؛ خلافة أبي بكر سنتين ، وخلافة عمر عشر سنين وخلافة ^(١) كذا بالأصل ، وهو حشرج بن نباتة الاشجعي أبو مكرم الواسطي الكوفي كما في الخلاصة .

عثمان اثنتا عشرة سنة وخلافة على ست سنين ، هذا لفظ احمد . ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن سميد بن جهمان ، وقال الترمذي حسن لا نعرفه إلا من حديثه ولفظه « الخلافة لعمري ثلاثون سنة ثم يكون ملكا عضوضا » وذكر بقيته .

قلت : ولم يكن في مسجد النبي ﷺ أول ما بنى منبر يخطب الناس عليه ، بل كان النبي ﷺ يخطب الناس وهو مستنداً إلى جذع عند مصلاه في الخائط القبلي فلما اتخذ له عليه السلام المنبر كما سيأتي بيانه في موضعه وعدل إليه ليخطب عليه ، فلما جاوز ذلك الجذع خار ذلك الجذع وحن حنين النوق العشار لما كان يسمع من خطب الرسول عليه السلام عنده ، فرجع إليه النبي ﷺ فأحضضه حتى سكن كما يسكن المولود الذي يسكت كما سيأتي تفصيل ذلك من طرق عن سهل بن سميد الساعدي وجابر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك وأم سلمة رضي الله عنهم ، وما أحسن ما قال الحسن البصري بعد ما روى هذا الحديث عن أنس بن مالك : يا معشر المسلمين الخشية تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه ، أو ليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشنقوا إليه ؟ !

﴿ تنبيه على فضل هذا المسجد الشريف والمحفل المنيف ﴾

قال الامام احمد : حدثنا يحيى بن أنيس بن أبي يحيى حدثني أبي قال سمعت أبا سميد الخدري قال : اختلف رجلان رجل من بني خندرة ورجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال الخدري هو مسجد رسول الله ﷺ وقال العمري هو مسجد قباء ، فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن ذلك فقال : « هو هذا المسجد » لمسجد رسول الله ﷺ وقال « في ذلك خير كثير » يعني مسجد قباء . ورواه الترمذي عن قتيبة عن حاتم بن اسماعيل عن أنيس بن أبي يحيى الأسلمي به وقال حسن صحيح . وروى الامام احمد عن اسحاق بن عيسى عن الليث بن سميد والترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة عن الليث عن عمران بن أبي أنس عن عبد الرحمن بن أبي سميد عن أبيه . قال : تبارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى ، وذكرتموه ما تقدم . وفي صحيح مسلم من حديث حميد الخراط عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عبد الرحمن بن أبي سميد كيف سمعت أباك في المسجد الذي أسس على التقوى ؟ قال أبي فسمعت رسول الله ﷺ فقال : عن المسجد الذي أسس على التقوى فأخذت كفاً من حصباء فطربت به الأرض . ثم قال : « هو مسجدكم هذا » وقال الامام احمد : حدثنا وكيع حدثنا ربيعة بن عثمان التميمي عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سميد . قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله ﷺ في المسجد في الذي أسس على التقوى . فقال أحدهما هو مسجد رسول الله ﷺ وقال الآخر هو مسجد قباء ، فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه فقال

« هو مسجدى هذا » وقال الامام احمد حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الله بن عامر الاسلمى عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ قال : « المسجد الذى أسس على التقوى مسجدى هذا » فهذه طرق متعددة لعلها تقرب من إفادة القطع بأنه مسجد الرسول ﷺ وإلى هذا ذهب عمرو ابنه عبد الله وزيد بن ثابت ، وسعيد بن المسيب ، واختاره ابن جرير . وقال آخرون لا منافاة بين نزول الآية في مسجد قباء كما تقدم بيانه ، وبين هذه الأحاديث . لأن هذا المسجد أولى بهذه الصفة : من ذلك لأن هذا أحد المساجد الثلاثة التى تشد الرحال إليها كما ثبت فى الصحيحين من حديث أبي هريرة . قال قال رسول الله ﷺ : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا والمسجد الحرام ، ومسجد بيت المقدس » وفى صحيح مسلم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » وذكرها . وثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » وفى مسند احمد بأسناد حسن زيادة حسنة وهى قوله « فإن ذلك أفضل » وفى الصحيحين من حديث يحيى القطان عن حبيب عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » ومنبرى على حوضى » والأحاديث فى فضائل هذا المسجد الشريف كثيرة جداً وسنوردها فى كتاب المناسك من كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

وقد ذهب الامام مالك وأصحابه إلى أن مسجد المدينة أفضل من المسجد الحرام لأن ذاك بناء إبراهيم ، وهذا بناء محمد ﷺ ، ومعلوم أن محمداً ﷺ أفضل من إبراهيم عليه السلام . وقد ذهب الجمهور إلى خلاف ذلك وقرروا أن المسجد الحرام أفضل لانه فى بلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، وحرمه إبراهيم الخليل عليه السلام ، ومحمد خاتم المرسلين : فاجتمع فيه من الصفات ما ليس فى غيره ، وبسط هذه المسألة موضع آخر وبالله المستعان .

فصل

وبنى رسول الله ﷺ حول مسجده الشريف حجر لشكون مساكن له ولاهله وكانت مساكن قصيرة البقاء قريبة الغناء قال الحسن بن أبي الحسن البصرى — وكان غلاماً مع أمه خيرة مولاة أم سامة — لقد كنت أنال أطول سقف فى حجر النبي ﷺ بيدي . قلت : الا أنه قد كان الحسن البصرى شكلاً ضخماً طويلاً رحمه الله .

وقال السهيلي فى الروض : كانت مساكنه عليه السلام مبنية من جريد عليه طين بعضها من

حجارة مرصومة^(١) وسقوفها كلها من جريد . وقد حكى عن الحسن البصري ما تقدم . قال وكانت حجرة من شعر مربوطة بخشب من عرعر . قال وفي تاريخ البخارى أن بابہ عليه السلام كان يقرع بالظافير ، فدل على أنه لم يكن لا بوابه حلق . قال وقد أضيفت الحجرة كلها بعد موت أزواج رسول الله ﷺ إلى المسجد . قال الواقدي وابن جرير وغيرهما : ولما رجع عبد الله بن أريقط الدثلي إلى مكة بعث معه رسول الله ﷺ وأبو بكر زيد بن حارثة وأبا رافع موليا رسول الله ﷺ لياتوا بأهلهم من مكة وبما معهم بحملين وخمسمائة درهم ليشتروا بها إبلا من قديد ، فذهبوا لخالق بني النبي ﷺ فاطمة وأم كلثوم وزوجتيه سودة وعائشة ، وأنها أم رومان وأهل النبي ﷺ وآل أبي بكر صحبة عبد الله بن أبي بكر وقد شرد بعائشة وأنها أم رومان الجبل في أثناء الطريق فخطبت أم رومان تقول : واعر وماء ، وابنتاه قالت عائشة : فسمعت قائلا يقول أرسل خطامه ، فأرسلت خطامه فوقف بأذن الله وسامنا الله عز وجل . فتمدحوا فترلوا بالسبح . ثم دخل رسول الله ﷺ بعائشة في شوال بعد ثمانية أشهر كما سيأتى ، وقدمت معهم أسماء بنت أبي بكر امرأة الزبير بن العوام وهى حامل متم بعبد الله بن الزبير كما سيأتى بيانه في موضعه من آخر هذه السنة .

فصل

﴿ فيما أصاب المهاجرين من حمى المدينة رضى الله عنهم أجمعين ﴾

﴿ وقد سلم الرسول منها بحول الله وقوته ودعا ربه فاراحها الله عن مدينته ﴾

قال البخارى : حدثنا عبد الله بن وهب بن يوسف ثنا مالك بن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال ، قالت فدخلت عليهما فقلت يا أبا به كيف تجدك ؟ ويا بلال كيف تجدك ؟ قالت وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شرك لعله

وكان بلال إذا ألقه عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة بواد وحولى أذخر وجليل^(٢)

وهل أردن يوما مياه بجنة وهل يبدون لى شاة وطعيل

قالت عائشة : فجئت رسول الله ﷺ فاخبرته فقال : اللهم حبيب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصحبها وبارك لنا في صاتها ومدها ، وانقل حماها فاجعلها بالجنة . ورواه مسلم عن أبي بكر

(١) مرصومة : أى مصفوفة بعضها فوق بعض ، والرخام من الجبل دون الخشب .

(٢) الجليل : التمام إذا عظم وجل ، وهو نبت ضعيف قصير لا يطول .

ابن أبي شيبة عن هشام مختصراً . وفي رواية البخاري له عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فذكره وزاد بعد شمر بلال ثم يقول : اللهم المن عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة وأممية بن خلف كما أخرجونا إلى أرض الوباء . فقال رسول الله ﷺ : « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد » اللهم بارك لنا في صاعها وفي مدها وصححها لنا وانقل حماتها إلى الجحفة » قالت وقدمنا المدينة وهي أو بأ أرض الله ، وكان بطحان يجري نجلاً (١) - يعني ماء آجنا - وقال زياد عن محمد بن اسحاق حدثني هشام بن عروة وعمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن عائشة قالت : لما قسم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهي أو بأ أرض الله من الحى فاصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله ذلك عن نبيه قالت فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال موليا أبي بكر في بيت واحد فاصابهم الحى فدخلت عليهم أدعواهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب وبهم مالا يعلمه إلا الله من شدة الوعلك فدنوت من أبي بكر فقلت كيف تجدك يا أبة ؟ فقال :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شرك نعله

قالت فقلت والله ما يدرى أبي ما يقول ، قالت ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت كيف تجدك يا عامر ؟ قال :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حنقه من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه كالثور يحمى جلده بروقه

قال فقلت والله ما يدرى ما يقول ، قالت وكان بلال إذا أدركته الحى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال :

ألا ليت شعري هل أبين ليلة بفتح وحولى إذخر وجليل

وهل أردن يوماً مياه بحنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

قالت عائشة : فذكرت لرسول الله ﷺ ما سمعت منهم وقلت إنهم لم يبدون وما يعقلون من شدة الحى فقال : « اللهم حبب إلينا المدينة ، كما حببت إلينا مكة أو أشد ، وبارك لنا في مدها وصاعها ، وانقل وباءها إلى مهبعة » ومهبعة هي الجحفة . وقال الامام احمد : حدثنا يونس ثنا ليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي بكر بن اسحاق بن يسار عن عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة قالت لما قدم رسول الله ﷺ المدينة اشتكى أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وبلال ، فاستأذنت عائشة رسول الله ﷺ في عيادتهم فاذن لها ، فقالت لا بى بكر كيف تجدك ؟ فقال :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شرك نعله

(١) نجلاً ، أى نزاً وهو الماء القليل . كذا في النهاية .

وسألت عامراً فقال :

إني وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حثفته من فوقه

وسألت بلالاً فقال :

يأليت شمري هل أبيتن ليلة بفتح وحول إذخر وجليل

فأتت رسول الله ﷺ - فأنبرته ، فنظر إلى السماء وقال : « اللهم حبيب الينا المدينة كما حبيت الينا مكة ، اللهم بارك لنا في صاعها وفي مدنها ، وانقل وباءها إلى مهيعة » وهي الجحفة فيما زعموا وكذا رواد النسائي عن قتيبة عن الأيث به ورواه الأمام أحمد من طريق عبد الرحمن بن الحارث عنها مثله . وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو . قالوا : ثنا أبو العباس الأصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي أوبأ أرض الله ، وواديها بطحان فجعل . قال هشام : وكان وبادؤها معروف في الجاهلية ، وكان إذا كان الوادي وبيتنا فاشرف عليها الانسان قيل له أن ينهق نهبق الحمار ، فإذا فعل ذلك لم يضرد وباء ذلك الوادي وقد قال الشاعر حين أشرف على المدينة :

لعمري لئن عبرت من خيفة الردى نهيق الحمار إني لجزوع

وروى البخاري من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه أن النبي ﷺ قال : « رأيت كأن امرأة سوداء تارة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة — وهي الجحفة فأولتها أن وباء المدينة نقل إلى مهيعة — وهي الجحفة — » هذا لفظ البخاري ولم يخرج مسلم ورواه الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه من حديث موسى بن عقبة . وقد روى حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن عائشة قالت : قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي وبيئة ، فذكر الحديث بطوله إلى قوله وانقل حماها إلى الجحفة . قال هشام : فكان المولود يولد بالجحفة فلا يبلغ الحلم حتى تقصره الحمى . ورواه البيهقي في دلائل النبوة . وقال يونس عن ابن اسحاق : قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي وبيئة . فأصاب أصحابها بها بلاء وسئم حتى أجهدهم ذلك ، وصرف الله ذوات عن نبيه ﷺ وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال : قدم رسول الله ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة — يعني مكة — عام حجة القضاء . فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وقد قذوهم حتى يذرب . فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرموا وأن يمشوا ما بين الركنتين ، ولم ينعمه أن يرموا الاشواط كلها إلا الأبقه عليهم .

قلت : وحجة القضاء كانت في سنة سبع في ذي القعدة فاما أن يكون تأخر دفنائه عليه السلام بنقل الوباء إلى قريب من ذلك ، أو أنه رفع وبقي آثار منسه قليل . أو أنهم بقوا في خمار وما كان أصحابهم من ذلك إلى تلك المدة والله أعلم . وقال زياد عن ابن اسحاق : وذكر ابن شهاب الزهري

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابهم حمى المدينة حتى جاهدوا مرضاً ، وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ حتى كانوا وما يصابون إلا وهم قصود ، قال فخرج رسول الله ﷺ وهم يصابون كذلك فقال لهم : « اعلوها أن صلاة التاعد على النصف من صلاة القائم » فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسم القاسم الفضل .

فصل

في عقده عليه السلام الألفة بين المهاجرين والانصار بالكتاب الذي أمر به فكتب بينهم *
والمواخاة التي أمرهم بها وقرروا عليها ومواعدة اليهود الذين كانوا بالمدينة *
وكان بها من أحياء اليهود بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ، وكان نزولهم بالحجاز قبل الانصار أيام بخت نصر حين دوح بلاد المقدس فيما ذكره الطبري . ثم لما كان سيل العرم وتفرقت شذر من نزل الاوس والخزرج المدينة عند اليهود فخالقوهم وصاروا يتشبهون بهم لما يرون لهم عليهم من الفضل في العلم المأثور عن الانبياء لكن من الله على هؤلاء الذين كانوا مشركين بالهدى والاسلام وخذل أولئك لحسد وبغيتهم واستكبارهم عن اتباع الحق .

وقال الامام احمد : حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة ثنا عاصم الاحول عن أنس بن مالك . قال :
حالف رسول الله ﷺ بين المهاجرين والانصار في دار أنس بن مالك . وقد رواه الامام احمد أيضا
والبخاري ومسلم وأبو داود من طرق متعددة عن عاصم بن سليمان الاحول عن أنس بن مالك . قال :
حالف رسول الله ﷺ بين قريش والانصار في داري . وقال الامام احمد : حدثنا نصر بن باب
عن حجاج - هو ابن أرطاة - قال وحدثنا سريج ثنا عباد عن حجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه
عن جده : أن النبي ﷺ كتب كتابا بين المهاجرين والانصار أن يعقلوا معاقلمهم ، وأن يفدوا
عانيهم بالمعروف والاصلاح بين المسلمين . قال احمد وحدثنا سريج ثنا عباد عن حجاج عن الحكم
عن قاسم عن ابن عباس مثله . تفرد به الامام احمد ، وفي صحيح مسلم عن جابر . كتب رسول الله
ﷺ على كل بطن عقولة . وقال محمد بن اسحاق : كتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين
والانصار وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم : بسم الله
الرحمن الرحيم « هذا كتاب من محمد النبي الامي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن
تبعهم فلهحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم
يتعاقلون بينهم وهم ينفدون عانيهم بالمعروف والقسط ، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الاولى
وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، ثم ذكر كل بطن من بطون الانصار وأهل

كل دار بنى ساعدة ، و بنى جشم ، و بنى النجار ، و بنى عمرو بن عوف ، و بنى التميمية ، إلى أن قال
وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا ^(١) بينهم أن يملطوه بالمعروف في فداء وعقل ، ولا يخالف مؤمن مؤمن
مؤمن دونه ، وإن المؤمنين المتقين على من بنى منهم أو ابتغى دسياسة ظلم أو أثم أو عدوان أو فساد
بين المؤمنين ، وإن أيديهم عليه جميعهم ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كفر ، ولا ينصر
كافر على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أديانهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس
وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والاسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وإن سلم المؤمنين
واحدة لا يسلم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم . وإن كل غزاة غزت
معنا يعقب بعضها بعضا ، وإن المؤمنين يبي ^(٢) بعضهم بعضا بما قال دماءهم في سبيل الله ، وإن
المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه
على مؤمن ، وأنه من اغتبط مؤمنا قتلا عن بيعة فانه قود به إلى أن يرضى ولي المقتول ، وإن المؤمنين
عليه كافة ولا يحل لهم الا قيام عليه ، وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم
الآخر أن ينصر محمدا ولا يؤويه ، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا
يؤخذ منه صرف ولا عدل ، وأنكم معها اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد
ﷺ وإن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود
دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأنهم فانه لا يوقع ^(٣) إلا نفسه وأهل بيته ، وإن
يهود بنى النجار و بنى الحارث و بنى ساعدة و بنى جشم و بنى الاوس و بنى ثعلبة و جفنة و بنى الشطنة
مثل ما لليهود بنى عوف ، وإن بطانة يهود كانوا أنفسهم ، وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بأذن محمد ، ولا
ينحجر ^(٤) على ثأر جرح ، وأنه من فتك فبفسه إلا من ظلم ، وإن الله على أثر هذا ، وإن على اليهود
نفتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم
النصح والتصحية والبر دون الأثم ، وإنه لم يأتهم امرؤ بخليفه . وإن النصر للظالم ، وإن يثرب حرام
حرفها ^(٥) لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وأنه لا تجار حرة إلا بأذن
أهلها ، وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله
وإلى محمد رسول الله ، وإن الله دلي من اتقى ما في هذه الصحيفة وأبره ، وأنه لا تجار قریش ولا من

(١) المفرح المنقل بالدين السكندر العميال قاله ابن هشام . (٢) يبي من الجواء أى المساواة .

(٣) لا يوقع ، أى لا يوقع ويهلك . (٤) فى النهاية : لما منحجر جرحه لليهود انفجر . أى

اجتمع والتأم . وفى ابن هشام : ينحجز بالزأى ولعلها تصحيف (٥) كذا بالمصرية ، وفى الحلبية :

خوفها . وفى ابن هشام جوفها ، وفى النهاية : الجوف موضع قريب من المدينة ، ولعله الأصح .

فصرها وان بينهم النصير على من دهم يارب وإذا دعوا إلى صلح يصلحونه ويلبسونه فانهم يصلحونه وانهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فانه لم على المؤمنين إلا من حارب في الدين على كل أئاس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم ، وانه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وانه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو آثم ، وان الله جاري لمن يروا تقي « كذا أورده ابن اسحاق بنحوه . وقد تسكلم عليه أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتاب الغريب وغيره بما يطول .

فصل

﴿ في مؤاخاة النبي ﷺ بين المهاجرين والانصار ليرتفق المهاجري بالانصاري ﴾

كما قال تعالى (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجسدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) وقال تعالى (والذين عاقت ايمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شيء شهيدا) قال البخاري : حدثنا الصلت بن محمد ثنا أبو أسامة عن إدريس عن طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (ولكل جعلنا موالى) قال : ورثة (والذين عاقت ايمانكم) كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الانصاري دون ذوى رحمه للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم ، فلما نزلت (ولكل جعلنا موالى) نسخت ثم قال (والذين عاقت ايمانكم فآتوهم نصيبهم) من النصير والرافدة والنصيحة ، وقد ذهب الميراث ويوصى له . وقال الأمام احمد قرئ على سفيان سمعت عاصما عن أنس . قال : حالف النبي ﷺ بين المهاجرين والانصار في دارنا . قال سفيان : كانه يقول آخى .

وقال محمد بن اسحاق : وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والانصار ، فقال : - فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل - « فأخو في الله أخوين أخوين » ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال « هذا أخى » فكان رسول الله ﷺ سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، ورسول رب العالمين ، الذى ليس له خطير ولا نظير من العباد ، وعلى بن أبي طالب أخوين ، وكان حمزة ابن عبد المطلب أسد الله وأسود رسوله وعم رسول الله ﷺ وزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ أخوين وإليه أوصى حمزة يوم أحد ، وجعفر بن أبي طالب ذوالجناحين ومعاذ بن جبل أخوين . قال ابن هشام : كان جعفر يومئذ غائبا بأرض الحبشة . قال ابن اسحاق : وكان أبو بكر وخارجة بن زيد الخزرجي أخوين ، وعمر بن الخطاب وعثمان بن مالك أخوين ، وأبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين ، والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش

أخوين ، ويقال بل كان الزبير وعبد الله بن مسعود أخوين ، وهشام بن عمار وأوس بن ثابت بن المنذر التجارى أخوين ، وطليحة بن عبيد الله أو كعب بن مالك أخوين ، وسعيد بن زيد وأبي كعب أخوين ، ومصعب بن عمير وأبو أيوب أخوين ، وأبو حذيفة بن عتبة وعبد بن بشر أخوين ، وعمار وحذيفة بن اليمان العيسى حليف عبد الأشهل أخوين . ويقال بل كان عمار وثابت ابن قيس بن شماس أخوين .

قلت : وهذا السند ^(١) من وجهين . قال : وأبو ذر يرير بن جنادة ^(٢) والمنذر بن عمرو الملقب ليوت أخوين ، وحاطب بن أبي بلثمة وعويم بن ساعدة أخوين ، وسلمان وأبو الدرداء أخوين وبلال وأبو رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي ثم أحد الفرع ^(٣) أخوين . قال فهؤلاء ممن سمى لنا ممن كان رسول الله ﷺ أخى بينهم من أصحابه رضى الله عنهم .

قلت : وفي بعض ما ذكره نظر ، أما مؤاخاة النبي ﷺ وعلى فان من السماء من ينسب ذلك ويمنع صحته ومستنده في ذلك أن هذه المؤاخاة إنما شرعت لأجل ارتفاق بعضهم من بعض وليتألف قلوب بعضهم على بعض ، فلا معنى لمؤاخاة النبي ﷺ لأحد منهم ، ولا مهاجرة لمهاجرة آخر كما ذكره من مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة اللهم إلا أن يكون النبي ﷺ لم يجعل مصلحة على إلى غيره فإنه كان ممن ينفق عليه رسول الله ﷺ من صغره في حياة أبيه أبي طالب كما تقدم عن مجاهد وغيره . وكذلك يكون حمزة قد التزم بمصالح مولا حمزة زيد بن حارثة فآخاه بهذا الاعتبار والله أعلم . وهكذا ذكره لمؤاخاة جعفر ومعاذ بن جبل فيه نظر كما أشار إليه عبد الملك بن هشام ، فان جعفر ابن أبي طالب إنما قدم في فتح خيبر في أول سنة سبع كما سيأتى بيانه ، فكيف يؤاخى بينه وبين معاذ بن جبل أول مقدمه عليه السلام إلى المدينة اللهم إلا أن يقال إنه أُرصد لآخوته إذا قدم حين يقدم ، وقوله وكان أبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين يخالف لما رواه الأمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد ثنا ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أخى بين أبي عبيدة بن الجراح وبين أبي طلحة . وكذا رواه مسلم مفرداً به عن حماد بن الشاعر عن عبد الصمد بن عبد الوارث به وهذا أصح مما ذكره ابن اسحاق من مؤاخاة أبي عبيدة وسعد بن معاذ والله أعلم .

وقال البخارى باب كيف أخى النبي ﷺ بين أصحابه . وقال عبد الرحمن بن عوف : أخى النبي ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع لما قدمنا المدينة . وقال أبو جحيفة : أخى النبي ﷺ بيني وبين ^(١) في الخلية : وهذا النسب وهو خطأ . ^(٢) وقال ابن هشام : يقال أبو ذر جندب بن جنادة ، وفي الإصابة . قال : جندب بن جنادة ، وقيل يرير بالنصغير . ^(٣) قال السهيلي : الفرع بالفتح عند أهل النسب هو ابن شهران بن عفرس ، وبالسكون ابن عبد الله بن ربيعة .

سلمان الفارسي وأبي الدرداء رضي الله عنهما . حدثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن حميد عن أنس قال قدم عبد الرحمن بن عوف فأتى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الانصاري ، فعرض عليه أن يخاصمه أهله وماله فقال لعبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك ، دلى على السوق . فربح شيئا من أقط ومنهم . فرآه النبي ﷺ بعد أيام وعليه ضر من صفرة ، فقال النبي ﷺ : « مهيم يا عبد الرحمن ؟ » قال : « يا رسول الله تزوجت امرأة من الانصار ، قال « فما سقت فيها ؟ » قال وزن نواة من ذهب ، قال النبي ﷺ : « أو لم ولو بشاة » تفرد به من هذا الوجه . وقد رواه أيضا في مواضع أخر ، ومسلم من طرق عن حميد به . وقال الإمام احمد حدثنا عفان ثنا حماد ثنا ثابت وحميد عن أنس أن عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة فأتى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الانصاري ، فقال له سعد : أي أخى أنا أكثر أهل المدينة مالا فانظر شطرا مالى نخذه ونحقق امرأتان فانظر أيهما أعجب اليك حتى أطلقها . فقال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك ، دلى على السوق . فدلوه فذهب فاشترى وباع فربح فجاء بشيء من أقط ومنهم . ثم لبث ما شاء الله أن يلبث فجاء وعليه ودع زعفران ^(١) فقال رسول الله ﷺ « مهيم ؟ » فقال : « يا رسول الله تزوجت امرأة ، قال : « ما أحدهما ؟ » قال وزن نواة من ذهب ، قال « أو لم ولو بشاة » . قال عبد الرحمن : فلقد رأيتنى ولو رفعت حجرا لرجوت أن أصيب ذهباً وفضة . وتعليق البخارى هذا الحديث عن عبد الرحمن بن عوف غريب فانه لا يعرف مسنداً ^(٢) إلا عن أنس اللهم إلا أن يكون أنس تلقاه عنه فأنه أعلم . وقال الإمام احمد حدثنا يزيد أخبرنا حميد عن أنس . قال قال المهاجرون يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ، ولا أحسن بذلا من كثير ، لقد كفونا المؤونة وأشركونا في المهنأ ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالاجر كله . قال : « لا ما أنتميم عليهم ودعوتهم الله لهم » هذا حديث ثلاثي الاسناد على شرط الصحيحين ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه ، وهو ثابت في الصحيح من ^(٣) وقال البخارى أخبرنا الحكم ابن نافع أخبرنا شعيب ثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة . قال قالت الانصار : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل . قال لا . قالوا أفتكفوننا المؤونة ونشرككم في الثمرة ، قالوا سمعنا وأطعنا . تفرد به . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال رسول الله ﷺ للانصار « إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا اليكم » فقالوا أموالنا بيننا قطائع فقال رسول الله ﷺ « أو غير ذلك ؟ »

(١) كذا في الاصل ولعله ودك زعفران . (٢) في هامش الحلبي ما يأتي : قوله مسنداً هذا غريب ، بل رواه البخارى موصولا في أول كتاب البيوع فراجعته فجدته عن عبد الرحمن .

(٣) هنا بياض في الاصلين . وهو في البخارى في كتاب الوكالة .

قالوا وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : « هم قوم لا يعرفون العمل ، فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر » . قالوا نعم ، وقد ذكرنا ما ورد من الأحاديث والآثار في فضائل الانصار وحسن سجاياهم عند قوله تعالى (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم) الآية .

فصل

﴿ في موت أبي أمية أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة على قومه بني النجار ، وقد شهد العقبات الثلاث وكان أول من بايع رسول الله ﷺ ليلة العقبة الثانية في قول وكان شابا وهو أول من جمع بالمدينة في جميع الخطبات في هزم النبيت كما تقدم ﴾ .

قال محمد بن اسحاق : وهلك في تلك الاشهر أبو أمية أسعد بن زرارة والمسجد يدعى أخذته الذبيحة - أو الشقة - . وقال ابن جرير في التاريخ : أخبرنا محمد بن عبد الأعلى ثنا يزيد بن زريع عن معمر عن الزهري عن أنس أن رسول الله ﷺ كوى أسعد بن زرارة في الشوكة . رجاله ثقات . قال ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة . قال قال رسول الله ﷺ : « بئس الميت أبو أمية - ليهود ومنافق العرب ، يقولون لو كان نبيا لم يمت صاحبه ، ولا أملك لنفسي ولا لغيري من الله شيئا » وهذا يقتضي أنه أول من مات بعد مقدم النبي ﷺ ، وقد زعم أبو الحسن بن الاثير في الغابة أنه مات في شوال بعد مقدم النبي ﷺ بسبعة أشهر فالحق أعلم . وذكر محمد بن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة أن بني النجار سألوا رسول الله ﷺ أن يقيم لهم نقيبا بعد أبي أمية أسعد بن زرارة فقال : « أنتم أخوالي وأنا بكم وأنا نقيبكم » وكره أن يخص بها بعضهم دون بعض . فكان من فضل بني النجار الذي يعتدون به على قومهم أن كان رسول الله ﷺ نقيبهم . قال ابن الاثير : وهذا يرد قول أبي نعيم وابن منده في قولهما أن أسعد بن زرارة كان نقيبا على بني ساعدة ، إنما كان على بني النجار ، وصدق ابن الاثير فيما قال . وقد قال أبو جعفر بن جرير في التاريخ : كان أول من توفي بعد مقدمه عليه السلام المدينة من المسلمين - فيما ذكر - صاحب منزلة كلثوم بن المذمم ، لم يلبث بعد مقدمه إلا يسيرا حتى مات ، ثم توفي بعده أسعد بن زرارة وكانت وفاته في سنة مقدمه قبل أن يفرغ بناء المسجد بالذبيحة أو الشقة .

قلت : وكلثوم بن المذمم بن امرئ التيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس الانصارى الاوسى وهو من بني عمرو بن عوف وكان

شيخنا كبيراً أسلم قبل مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل بقباء نزل في منزل هذا في الليل ، وكان يتحدث بالنهار مع أصحابه في منزل سعد بن الربيع رضي الله عنهما إلى أن ارتحل إلى دار بني النجار كما تقدم . قال ابن الأثير : وقد قيل إنه أول من مات من المسلمين بعد مقدم رسول الله ﷺ ، ثم بعده أسعد بن زرارة . ذكره الطبري .

فصل

﴿ في ميلاد عبد الله بن الزبير في شوال سنة الهجرة ﴾

فكان أول مولود ولد في الاسلام من المهاجرين كما أن النعمان بن بشير أول مولود ولد للانصار بعد الهجرة رضي الله عنهما ، وقد زعم بعضهم أن ابن الزبير ولد بعد الهجرة بعشرين شهراً قاله أبو الاسود . ورواه الواقدي عن محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حنيفة عن أبيه عن جده ، وزعموا أن النعمان ولد قبل الزبير بستة أشهر على رأس أربعة عشر شهراً من الهجرة ، والصحيح ما قدمنا . فقال البخاري حدثنا زكريا بن يحيى ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء أنها حملت بعبد الله بن الزبير قالت فخرجت وأنا متم فأتيت المدينة فنزلت بقباء فولدته بقباء ، ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم ثفل في فيه فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ، ثم حنكه بتمرة ، ثم دعا له وبرك عليه . فكان أول مولود ولد في الاسلام . تابعه خالد بن مخلد عن علي بن مسهر عن هشام عن أبيه عن أسماء أنها هاجرت إلى النبي ﷺ وهي حبلى . حدثنا قتيبة عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : أول مولود ولد في الاسلام عبد الله بن الزبير ، أتوا به النبي ﷺ فاخذ النبي ﷺ تمره فلا كها ثم أدخلها في فيه فأول ما دخل بطنه ريق النبي ﷺ فهذا حجة على الواقدي وغيره لأنه ذكر أن النبي ﷺ بمث مع عبد الله بن أريقط لما رجع إلى مكة زيد بن حارثة وأبى رافع ليأتوا بعمالة وعبال أبي بكر فقدموا بهم أثر هجرة النبي ﷺ واسماء حامل منهم أي مقرب قددنا وضعها لولدها ، فلما ولدته كبر المسلمون تكبيرة عظيمة فرحاً بمولده لأنه كان قد بلغهم عن اليهود أنهم سحروهم حتى لا يولد لهم بعد هجرتهم ولد ، فأكذب الله اليهود فيها زعموا .

فصل

﴿ وبني رسول الله ﷺ بعائشة في شوال من هذه السنة ﴾

قال الامام احمد : حدثنا وكيع ثنا سفيان عن اسماعيل بن أمية عن عبد الله بن عروة عن أبيه

عن عائشة قالت : تزوجني رسول الله ﷺ في شوال . وبنى بي في شوال ، فأبى نساء رسول الله ﷺ .
 كان أحظى عنده مني ؟ وكانت عائشة تستحب أن تدخل نساءها في شوال . ورواه مسلم والترمذي
 والنسائي وابن ماجه من طرق عن سفيان الثوري به . وقال الترمذي حسن صحيح لا نعرفه إلا من
 حديث سفيان الثوري فعلى هذا يكون دخوله بها عليه السلام بعد الهجرة بسبعة أشهر - أو ثمانية
 أشهر - وقد حكى القولين ابن جرير ، وقد تقدم في تزويجه عليه السلام بسودة كيفية تزويجه ودخوله
 بعائشة بعد ما قدموا المدينة وإن دخوله بها كان بالسنح نهراً وهذا خلاف ما يعتاده الناس اليوم ،
 وفي دخوله عليه السلام بها في شوال رداً لما يتوهمه بعض الناس من كراهية الدخول بين الميدين
 خشية المفارقة بين الزوجين وهذا ليس بشيء لما قالته عائشة رادة على من توهمه من الناس في ذلك
 الوقت : تزوجني في شوال ، وبنى بي في شوال - أي دخل بي - في شوال ، فأبى نساءه كان أحظى
 عنده مني ؟ فدل هذا على أنها فهمت منه عليه السلام أنها أحب نساءه إليه ، وهذا الفهم منها صحيح
 لما دل على ذلك من الدلائل الواضحة ، ولو لم يكن إلا الحديث الثابت في صحيح البخاري عن عمرو
 ابن العاص : قلت يا رسول الله أي الناس أحب إليك ؟ قال : « عائشة » قلت من الرجال قال « أبوها » .

فصل

قال ابن جرير : وفي هذه السنة - يعني السنة الأولى من الهجرة - زيد في صلاة الحضر - فيما قيل -
 ركعتان ، وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين ، وذلك بعد مقدم النبي ﷺ المدينة بشهر في ربيع
 الآخر لمضي ثلثي عشرة ليلة مضت ، وقال : وزعم الواقدي أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه .
 قلت : قد تقدم الحديث الذي رواه البخاري من طريق معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة
 قالت : فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين ، فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر . وروى
 من طريق الشعبي عن مسروق عنها . وقد حكى البيهقي عن الحسن البصري أن صلاة الحضر أول
 ما فرضت فرضت أربعاً والله أعلم . وقد تكلمنا على ذلك في تفسير سورة النساء عند قوله تعالى
 (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) الآية .

فصل

﴿ في الأذان ومشر وعيته عند مقدم النبي ﷺ إلى المدينة النبوية ﴾

قال ابن اسحاق : فلما اطمأن رسول الله ﷺ بالمدينة واجتمع إليه اخوانه من المهاجرين واجتمع
 أمر الانصار استحكم أمر الاسلام ، فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام ، وقامت الحمود وفرض
 الحلال والحرام وتبوأ الاسلام بين أظهرهم وكان هذا الحى من الانصار عم الذين تبوأوا الدار والايمان

وفيه قال رسول الله ﷺ حين قدمها إنما يجتمع الناس اليه للصلاة. لمين مواقيها بفبر دعوة ، فهم رسول الله ﷺ أن يجمل بوقا كبوق يهود الذي يدعون به لصلاتهم ثم كرهه ، ثم أمر بالناقوس فتمت فيضرب به للمسلمين للصلاة ، فبينما هم على ذلك رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه أنفوسا بن الخزرج النداء ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنه طاف في هذه الليلة فلان في رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا في يده ، فقلت يا عبد الله أتدبىع هذا الناقوس ؟ فقال وما تدبىع به ؟ قال قلت ندعو به إلى الصلاة ، قال ألا أدلك على خير من ذلك ؟ قلت وما هو ؟ قال تقول ، الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله ، حتى على الصلاة حتى على الصلاة ، حتى على الفلاح حتى على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله . فلما أخبر بها رسول الله ﷺ قال : « إنما أروا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال فالتها عليه فليؤذن بها فانه أئدى صوفا منك » فلما أذن بها بلال سمعه عمر بن الخطاب وهو في بيتة تخرج إلى رسول الله ﷺ وهو يحجر رداه وهو يقول يا نبي الله والذي بشتك بلحق لقد رأيت مثل الذي رأى . فقال رسول الله ﷺ فله الحمد . قال ابن اسحاق : فحدثني بهذا الحديث محمد بن ابراهيم بن الحارث عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثعلبة ابن عبد ربه عن أبيه . وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة من طرق عن محمد بن اسحاق به . وصححه الترمذي وابن خزيمة وغيرها . وعند أبي داود أنه علمه الاقامة قال ثم تقول إذا أقيمت الصلاة : الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، حتى على الصلاة ، حتى على الفلاح ، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله . وقد روى ابن ماجه هذا الحديث عن أبي عبيد محمد بن عبيد بن ميمون عن محمد بن سلمة الخرائي عن ابن اسحاق كما تقدم . ثم قال قال أبو عبيد وأخبرني أبو بكر الحكيم أن عبد الله بن زيد الانصاري قال في ذلك :

الحمد لله ذي الجلال وذو الاكرام حمداً على الأذان كبيرا

إذ أتاني به البشير من الله فأكرم به لدى بشيرا

في ليالٍ وإلى بهن ثلاث كلما جاء زادني توقيرا

قلت : وهذا الشعر غريب وهو يقتضى أنه رأى ذلك ثلاث ليال حتى أخبر به رسول الله ﷺ فأنه أجمل . ورواه الامام احمد بن حنبل عن محمد بن اسحاق قال وذكر الزهري عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن زيد به نحو رواية ابن اسحاق عن محمد بن ابراهيم التيمي ولم يذكر الشعر وقال ابن ماجه حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله الواسطي ثنا أبي عن عبد الرحمن بن اسحاق عن الزهري عن

سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ استشار الناس لما يهتمهم من الصلاة ، فذكروا البوق فكرهه من أجل اليهود ، ثم ذكروا الناقوس فكرهه من أجل النصارى . فأرى النداء تلك الليلة رجل من الانصار يقال له عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب ، فطرق الانصارى رسول الله ﷺ ليلا فامر رسول الله ﷺ بلالا فاذن به . قال الزهري وزاد بلال في نداء صلاة الغداة ، الصلاة خير من النوم مرتين ، فاقرها رسول الله ﷺ فقال عمر : يا رسول الله رأيت مثل الذى رأى ولكنه سبقنى ، وسيأتى تحرير هذا الفصل فى باب الأذان من كتاب الاحكام الكبير إن شاء الله تعالى وبه الثقة . فاما الحديث الذى أورده السهيلي بسنده من طريق الزوار حدثنا محمد بن عثمان بن مخلد ثنا أبو عن زياد بن المنذر عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب فذكر حديث الاسراء وفيه : نخرج ملك من وراء الحجاب فاذن بهذا الاذان وكلما قال كلمة صدقه الله تعالى ، ثم أخذ الملك بيد محمد ﷺ فقدمه فأمر بأهل السماء وفيهم آدم ونوح . ثم قال السهيلي واخلق بهذا الحديث أن يكون صحيحا لما يعضده ويشاكله من حديث الاسراء . فهذا الحديث ليس كما زعم السهيلي أنه صحيح بل هو منكر تفرد به زياد بن المنذر أبو الجارود الذى تنسب اليه الفرقة الجارودية وهو من المتبهمين . ثم لو كان هذا قد سمعه رسول الله ﷺ ليلة الاسراء لأوشك أن يأمر به بعد الهجرة فى الدعوة إلى الصلاة والله أعلم (١) .

قال ابن هشام : وذكر ابن جريج . قال قال لى عطاء سمعت عبيد بن عمير يقول : ائتمر النبي ﷺ وأصحابه [بالناقوس] للاجتماع للصلاة ، فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس إذ رأى عمر فى المنام لا تجملوا الناقوس بل أذنوا للصلاة . فذهب عمر إلى النبي ﷺ ليخبره بما رأى وقد جاء النبي ﷺ الوحي بذلك فما راع عمر إلا بلال يؤذن ، فقال رسول الله ﷺ حين أخبره بذلك « قد سبقك بذلك الوحي » وهذا يدل على أنه قد جاء الوحي بتقرير ما رآه عبد الله بن زيد بن عبد ربه كما صرح به بعضهم والله تعالى أعلم .

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن امرأة من بنى النجار قالت : كان يلقى من أطول بيت حول المسجد ، فكان بلال يؤذن عليه للفجر كل غداة فيأتى بسجدة فيجلس على البيت ينتظر الفجر ، فإذا رآه تطأى ثم قال : اللهم احمدك واستعينك على قریش أن يقيموا دينك ، قالت ثم يؤذن ، قالت والله ما علمته كان تركها ليلة واحدة . - يعنى هذه الكلمات - ورواه أبو داود من حديثه منفرداً به .

(١) هذا الحديث مقدم فى النسخة المصرية ومؤخر فى الخلمية .

فصل

﴿ في سرية حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ﴾

قال ابن جرير: وزعم الواقدي أن رسول الله ﷺ عقد في هذه السنة في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجرة حمزة بن عبد المطلب لواء أبيض في ثلاثين رجلا من المهاجرين ليعترض لعميرات قريش وأن حمزة لقي أبا جهل في ثلاثمائة رجل من قريش فحجز بينهم مجدي بن عمرو ولم يكن بينهم قتال ، قال وكان الذي يحمل لواء حمزة أبو مرثد الغنوي .

فصل

﴿ في سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ﴾

قال ابن جرير: وزعم الواقدي أيضا أن النبي ﷺ عقد في هذه السنة على رأس ثمانية أشهر في شوال لعبيدة بن الحارث لواء أبيض وأمره بالمسير إلى بطن رابغ ، وكان لوائه مع مسطح بن أثانة فبلغ ثنية المرة وهي بناحية الجمحة في ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصاري ، وأنهم التقواهم والمشركون على ماء يقال له أحياء وكان بينهم الرمي دون المسابقة . قال الواقدي : وكان المشركون مائتين عليهم أبو سفيان صخر بن حرب وهو المثلث عندنا ، وقيل كان عليهم مكرز بن حفص .

فصل

قال الواقدي : وفيها - يعني في السنة الأولى في ذي القعدة - عقد رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص إلى الخرار لواء أبيض بحملة المقداد بن الأسود ، فحدثني أبو بكر بن اسماعيل عن أبيه عن عامر بن سعد [عن أبيه] . قال : خرجت في عشرين رجلا على أقدامنا ، أو قال أحد وعشرين رجلا ، فكننا نكمن النهار ونسير الليل حتى صبحنا الخرار صبح خامسة ، وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أن لا أجوز الخرار ، وكانت العير قد سبقتني قبل ذلك بيوم . قال الواقدي : كانت العير ستين وكان من مع سعد كلهم من المهاجرين . قال أبو جعفر بن جرير (رح) وعند ابن اسحاق (رح) أن هذه السرايا الثلاث التي ذكرها الواقدي كلها في السنة الثانية من الهجرة من وقت التاريخ .

قلت : كلام ابن اسحاق ليس بصريح فيما قاله أبو جعفر (رح) لمن تأمله كما ستورده في أول كتاب المغازي في أول السنة الثانية من الهجرة وذلك تلوما نحن فيه إن شاء الله ، ويحتمل أن يكون مراده أنها وقعت هذه السرايا في السنة الأولى ، وستريدها بسطا وشرحا إذا انتهينا إليها إن شاء الله تعالى . والواقدي (رح) عنده زيادات حسنة ، وتاريخ محرر غالبا فانه من أئمة هذا الشأن الكبار

وهو صدوق في نفسه مكشاك كما بسطنا القول في عدالت. وجرحه في كتابنا الموسوم بالتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل والله الحمد والمنة .

فصل

ومن ولد في هذه السنة المباركة - وهي الاولى من الهجرة - عبد الله بن الزبير فكان أول مولود ولد في الاسلام بعد الهجرة كما رواه البخاري عن أمه أسماء وخالته عائشة أم المؤمنين أبنى الصديق رضي الله عنهما ، ومن الناس من يقول ولد النعمان بن بشير قبله بستة أشهر ، فعلى هذا يكون ابن الزبير أول مولود ولد بعد الهجرة من المهاجرين ومن الناس من يقول إنهما ولدا في السنة الثانية من الهجرة والظاهر الاول كما قدمنا بيانه والله الحمد والمنة ، وسنشير في آخر السنة الثانية إلى القول الثاني إن شاء الله تعالى .

قال ابن جرير : وقد قيل إن المختار بن أبي عبيد وزياد بن سمية ولدا في هذه السنة الاولى (١) فأنه أعلم . ومن توفي في هذه السنة الاولى من الصحابة ، كلثوم بن الهدم الاوسي الذي نزل رسول الله ﷺ في مسكنه بقباء إلى حين ارتحل منها إلى دار بني النجار كما تقدم ، وبعده - فيها - أبو أمامة أسعد بن زرارة نقيب بني النجار توفي ورسول الله ﷺ يبنى المسجد كما تقدم رضي الله عنهما وارضاهما .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة - يعني الاولى من الهجرة - مات أبو أحيحة بماله بالطائف ومات الوليد بن المغيرة والعماس بن وائل السهمي فيها بمكة . قلت : وهؤلاء ماتوا على شركهم لم يسموا الله عز وجل .

(١) وفي الاصلين : في هذه السنة الثانية وهو خطأ وصححتها من تاريخ ابن جرير .



﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ذكر ما وقع في السنة الثامنة من الهجرة

﴿ وقع فيها كثير من المغازي والسرايا ومن أعظمها وأجلها بدر الكبرى التي كانت في رمضان منها ، وقد فرق الله بها بين الحق والباطل ، والهدى والغى . وهذا أوان ذكر المغازي والبعوث فنقول وبالله المستعان ﴾

كتاب المغازي

قال الامام محمد بن اسحاق بن يسار في كتاب السيرة بعد ذكر أخبار اليهود ونصيبهم العداوة للإسلام وأهله وما نزل فيهم من الآيات ، فمنهم حيي بن أخطب وأخواه أبو ياسر وجدي ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وسلام بن أبي الحقيق وهو أبو رافع الاعور ، تاجر أهل الحجاز وهو الذي قتله الصحابة بارض خيبر كما سيأتي ، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق ، وعمر بن جحاش ، وكعب بن الاشرف وهو من طيء ثم أحد بني نهمان وأمه من بني النضير ، وقد قتله الصحابة قبل أبي رافع كما سيأتي ، وحليفاه الحجاج بن عمرو وكردم بن قيس لعنهم الله فهؤلاء من بني النضير ، ومن بني ثعلبة بن الفطيمون عبد الله بن سوريا ، ولم يكن بالحجاز - بعد - أعلم بالتوراة منه . قلت : وقد قيل إنه أسلم ، وابن صلوبا ونخيريقي وقد أسلما يوم أحد كما سيأتي وكان جبر قومه ، ومن بني قينقاع زيد بن النضيت ، وسعد بن حنيف ، ومحمود بن شيخان ^(١) وعزيز بن أبي عزيز ^(٢) وعبد الله بن ضيف ، وسويد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وفنحاص وأشيع ونهمان بن أضاء ، وبحري بن عمرو ، وشاش بن عدى ، وشاش بن قيس ، وزيد بن الحارث ، ونهمان بن عمير ^(٣) وسكين بن أبي سكين ، وعدى بن زيد ، ونهمان بن أبي أوفى أبو أنس ، ومحمود بن دحية ، ومالك ابن صيف ^(٤) وكعب بن راشد ، وعازر ورافع بن أبي رافع ، وخالد وازار بن أبي ازار . قال ابن هشام : ويقال آزر بن أبي آزر ، ورافع بن حارثة ، ورافع بن حريمة ، ورافع بن خارجة ، ومالك ابن عوف ، ورفاعة بن زيد بن الثابت ، وعبد الله بن سلام .

(١) كذا في الاصلين شيخان : وفي ابن هشام : محمود بن سبحان . (٢) كذا في النسخة الحلبية وابن هشام والسهيلي ، وفي المصرية : عزيز بن أبي عزيز بالراء (٣) كذا في المصرية وفي الحلبية : عمر ، وفي ابن هشام عمرو . (٤) وقال ابن هشام : يقال ابن الضيف بالمعجمة .

قلت : وقد تقدم اسلامه رضى الله عنه . قال ابن اسحاق : وكان جبرهم وأعلمهم ، وكان اسمه الحصين فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله . قال ابن اسحاق : ومن بنى قريظة الزبير بن باطا ابن وهب ، وعزال بن سموال ^(١) وكعب بن أسد وهو صاحب عقدهم الذى تقضوه عام الأحزاب وشمويل بن زيد ، وجبل بن عمرو بن سكينه ، والنخام بن زيد ، وكردم بن كعب ^(٢) ووهب بن زيد ونافع بن أبي نافع ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف ، وكردم بن زيد ، وأسامة بن جبيب ، ورافع بن زميلة ، وجبل بن أبي قشير ، ووهب بن يهودا . قال ومن بنى زريق ، لبید بن أعصم وهو الذى سحر رسول الله ﷺ ، ومن يهود بنى حارثة ، كنانة بن صوريا . ومن يهود بنى عمرو بن عوف كردم بن عمرو ، ومن يهود بنى النجار ، سلسلة بن برهام .

قال ابن اسحاق : فهؤلاء أحبار يهود وأهل الشرور والمداوة لرسول الله ﷺ . وأصحابه رضى الله عنهم ، وأصحاب المسألة الذين يكثرون الاسئلة لرسول الله ﷺ على وجه التعمت والعماد والكفر قال وأصحاب النصب لأمر الاسلام ليطفئوه إلا ما كان من عبد الله بن سلام ومخيريق ، ثم ذكر اسلام عبد الله بن سلام واسلام عمته خالدة كما قدمناه وذكر اسلام مخيريق يوم أحد كما سيأتى وأنه قال لقومه - وكان يوم السبت - يا مشريه يهود والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا إن اليوم يوم السبت ، قال لا سبت لكم . ثم أخذ سلاحه وخرج وعهد إلى من وراءه من قومه إن قتلت هذا اليوم فأموالى لمحمد يرى فيها ما أراه الله - وكان كثير الأموال - ثم لحق برسول الله ﷺ فقاتل حتى قتل رضى الله عنه ، قال فكان رسول الله ﷺ يقول فيما بلغنى « مخيريق خير يهود » .

فصل

ثم ذكر ابن اسحاق من مال إلى هؤلاء الأعداء من اليهود من المنافقين من الأوس والخزرج فمن الأوس زوى ^(٣) بن الحارث ، وجلاس بن سويد بن الصامت الأنصارى وفيه نزل (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) وذلك أنه قال حين تخلف عن غزوة تبوك لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحجر ، فنهاها ابن امرأته عمير بن سعد إلى رسول الله ﷺ فانكر الجلاس ذلك وحلف ما قال فقتل فيه ذلك . قال وقد زعموا أنه تاب وحسنت توبته حتى عرف منه الاسلام والخير قال وأخوه الحارث بن سويد ، وهو الذى قتل الجندب بن زياد البلوى وقيس

(١) فى الحلبيّة : شمويل . وفى ابن هشام مموال بالسين المهملة . (٢) وفى ابن هشام : كردم بالقاف .

(٣) وفى ابن هشام : زرى بإزاء بدل الواو .

ابن زيد أحد بنى ضبيعة يوم أحد ، خرج مع المسلمين وكان منافقا فلما التقى الناس عدا عليهما فقتلتهما ثم لحق بقريش .

قال ابن هشام : وكان المجذر قد قتل أباه سويد بن الصامت في بعض حروب الجاهلية فآخذ بئار أبيه منه يوم أحد ، كذا قال ابن هشام . وقد ذكر ابن اسحاق أن الذي قتل سويد بن الصامت إنما هو معاذ بن عفراء قتله في غير حرب قبل يوم بعث رماء بسهم فقتله . وأنكر ابن هشام أن يكون الحارث قتل قيس بن زيد ، قال لأن ابن اسحاق لم يذكره في قتلى أحد .

قال ابن اسحاق : وقد كان رسول الله ﷺ . أمر عمر بن الخطاب بقتله أن هو ظفربه ، فبعث الحارث إلى أخيه الجلاس يطالب له التوبة ليرجع إلى قومه ، فانزل الله - فيما بلغني عن ابن عباس - (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين) إلى آخر القصة . قال : ويجاد بن عثمان بن عامر ، ونبئل بن الحارث وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ : « من أحب أن ينظر إلى شيطان فلينظر إلى هذا » وكان جسيما أدلم تأثر شعر الرأس أحمر العينين أسفع الخدين ، وكان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ثم ينقله إلى المنافقين وهو الذي قال : إنما محمد أذن ، من حدثه بشيء صدقه . فانزل الله فيه (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) الآية . قال : وأبو حبيبة بن الأزعر وكان ممن بنى مسجد الضرار ، وعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير ، وهما اللذان عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ثم نكثنا ، فنزل فيهما ذلك ، ومعتب هو الذي قال يوم أحد : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا فنزل فيه الآية . وهو الذي قال يوم الأحزاب كان محمد يعدنا أنا نكل كنوز كسرى وقيصر ، واحدنا لا يؤمن أن يذهب إلى الغائط فنزل فيه (واذا يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غورا) . قال ابن اسحاق : والحارث بن حاطب . قال ابن هشام . ومعتب بن قشير وعلبة والحارث ابنا حاطب ، وهما من بنى أمية بن زيد من أهل بدر وليسوا من المنافقين فيما ذكر لي من أثق به من أهل العلم . قال وقد ذكر ابن اسحاق ثعلبة والحارث في بنى أمية بن زيد في أسماء أهل بدر .

قال ابن اسحاق : وعبيد بن حنيفة أخو سهل بن حنيف وبخرج وكان ممن بنى مسجد الضرار وعمر بن حرام ^(١) وعبد الله بن نبتل ، وجارية بن عامر بن العطف ، وابناه يزيد ^(٢) ومجمع ابنا جارية وهم ممن اتخذ مسجد الضرار ، وكان مجمع غلاما حدثا قد جمع أكثر القرآن و [كان] يصلى بهم فيه ، فلما خرب مسجد الضرار كما سيأتي بيانه بعد غزوة تبوك وكان في أيام عمر سأل أهل قباء

(١) كذا في الحلبية ، والمصرية : عمر بن حزام ، وابن هشام عمرو بن حزام .

(٢) وفي ابن هشام . زيد .

عمر أن يصلي بهم معج فقال : لا والله ، أو ليس امام المنافقين في مسجد الضرار ؟ فحلف بالله ما عشت بشيء من أمرهم فزعوا أن عمر تركه فصلى بهم . قال ووديعة بن ثابت . وكان من بني مسجد الضرار وهو الذي قال : إنما كنا نخوض ونلعب فنزل فيه ذلك . قال وخندام بن خالد وهو الذي أخرج مسجد الضرار من داره . قال ابن هشام مستدركا على ابن اسحاق في مناقب بني النبيت من الاوس وبشر ورافع ابنا زيد . قال ابن اسحاق : ومربع بن قيس - وكان أعمى - وهو الذي قال لرسول الله ﷺ حين أجاز في حائطه وهو ذاهب إلى أحد : لا أحل لك إن كنت نبياً أن تمر في حائطي وأخذ في يده حفنة من تراب ثم قال : والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك لرميته بها . فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله ﷺ : « دعوه فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر » وقد خبره سعد ابن زيد الاشجلى بالقوس فشججه . قال وأخوه أوس بن قيس وهو الذي قال : إن بيوتنا غورة . قال الله (وما هي بغورة إن يريدون إلا فراراً) قال وحاطب بن أمية بن رافع وكان شيخاً جسيماً قد عسا^(١) في جاهليته ، وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات ، فحمل إلى دار بني ظفر . فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه اجتمع اليه من بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو يموت فجعلوا يقولون : أبشر بالجنة يا ابن حاطب . قال فتمجم نفاق أبيه فجعل يقول : أجل جنة من حرمل ، غررتم والله هذا المسكين من نفسه . قال وبشير بن أبيرق أبو طعمة سارق الدرعين الذي أنزل الله فيه (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) الآيات . قال وقزمان حليف لبني ظفر الذي قتل يوم أحد سبعة نفر ، ثم لما آلت الجراحة قتل نفسه وقال : والله ما قتلت إلا حمية على قومي ثم مات لعنه الله . قال ابن اسحاق : ولم يكن في بني عبد الاشهل منافق ولا منافقة يعلم إلا أن الضحاك بن ثابت كان يقيم بالذئاق وحب يهود . فلهؤلاء كلهم من الاوس . قال ابن اسحاق : ومن الخزرج رافع بن وديعة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو بن قيس ، وقيس بن عمرو ابن سهل ، والجد بن قيس وهو الذي قال : ائذن لي ولا تفتني ، وعبد الله بن أبي بن سلول . وكان رأس المنافقين ورئيس الخزرج والايوس أيضاً ، كانوا قد أجمعوا على أن يملكوه عليهم في الجاهلية ، فلما هداهم الله للإسلام قبل ذلك شرق اللعين بريته وغاظله ذلك جداً ، وهو الذي قال : لأن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل . وقد نزلت فيه آيات كثيرة جداً ، وفيه وفي وديعة - رجل من بني عوف - ومالك بن أبي قوقل وسويد وداعس وعمر من رهطه نزل قوله تعالى (لأن أخرجوا لا يخرجون معهم) الآيات حين ألوا في الباشن إلى بني النضير .

(١) عسا أي كبر وأسن من عسا التضييب إذا يئس . وعسا بالدين ضعف بصره . عن النهاية .

فصل

ثم ذكر ابن اسحاق من أسلم من أحبار اليهود على سبيل التقية فكانوا كفارا في الباطن فاتهمهم بصنف المنافقين وهم من شرهم ، سمد بن حنيف ، وزيد بن اللصيت ، وهو الذي قال حين ضلت ناقة رسول الله ﷺ يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقةه ؟ فقال رسول الله ﷺ والله لا أعلم إلا ما علمني الله ، وقد داني الله عليها فهي في هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها « فذهب رجال من المسلمين فوجدوها كذلك . قال وثمان بن أوفى ، وعثمان بن أوفى ، ورافع بن حريمة ، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ يوم مات - فيما بلغنا - : « قد مات اليوم عظيم من عطاء المنافقين » ورافعة بن زيد بن التابوت ، وهو الذي هبت الريح الشديدة يوم موته عند مرجع رسول الله ﷺ من تبوك فقال : « إنها هبت لموت عظيم من عطاء الكفار » فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعه قد مات في ذلك اليوم وسلسلة بن برهام وكمانه بن صوريا . فهؤلاء ممن أسلم من منافقي اليهود قال فكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد ويسمعون أحاديث المسلمين ويستخرون ويستعزئون بدينهم ، فاجتمع في المسجد يوما منهم أناس فرآهم رسول الله ﷺ يتحدثون بينهم خافضى أصواتهم قد لصق بعضهم إلى بعض ، فأمر بهم رسول الله ﷺ فأخرجوا من المسجد اخراجا عنيفا ، فقام أبو أيوب إلى عمرو ابن قيس أحد بني النجار - وكان صاحب آلتهم في الجاهلية - فأخذ برجله فسحبه حتى أخرجه وهو يقول - لعنة الله - أخرجني يا أبا أيوب من مر بد بني ثعلبة ؟ ثم أقبل أبو أيوب إلى رافع بن وديعة النجاري فلبيه بردائه ، ثم نثره نثرا شديدا ^(١) ولطم وجهه فأخرجه من المسجد وهو يقول : أف لك منافقا خبيثا . وقام عماره بن حزم إلى زيد بن عمرو - وكان طويل اللحية - فأخذ بلحيته وقاده بها قودا عنيفا حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع عماره يديه جميعا فلدمه بهما لدمة ^(٢) في صدره خر منها قال يقول : خدشتني يا عماره ، فقال عماره : أبعذك الله يا منافق ، فما أعد الله لك من العذاب أشد من ذلك فلا تقربن مسجد رسول الله ﷺ وقام أبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار - وكان بدريا - إلى قيس بن عمرو بن سهل وكان شابا - وليس في المنافقين شاب سواه - فجعل يدفع في قفاه حتى أخرجه . وقام رجل من بني خندرة ^(٣) إلى رجل يقال له الحارث بن عمرو - وكان ذا حمة - فأخذ بجمته فسحبها عنيفا على ما مر به من الأرض حتى أخرجه ، فجعل يقول المنافق : قد أغلظت يا أبا الحارث . فقال : إنك أهل لذلك أي عدو الله

(١) النثر : جذب فيه قوة وجفوة عن النهاية . (٢) أي ضربه ودفعه ، والدم الضرب ببطن الكف . (٣) كذا في الاصلين ، وفي ابن هشام . من بلخندرة .

لما أنزل فيك ، فلا تقرن مسجد رسول الله ﷺ فانك نجس ، وقام رجل من بني عمرو بن شوف إلى أخيه زوى بن الحارث فأخرجه إخراجاً عنيفاً وأف (١) منه وقال : غلب عليك الشيطان وأمره ثم ذكر ابن اسحاق ما نزل فيهم من الآيات من سورة البقرة ، ومن سورة التوبة ، وتكلم على تفسير ذلك فاجاد وأفاد رحمه الله .

﴿ ذكر أول المغازي وهي غزوة الأبواء ويقال لها غزوة ودان وأول البعث ﴾

وهو بعث حمزة بن عبد المطلب أو عبيدة بن الحارث كما سيأتي في المغازي . قال البخاري كتاب المغازي . قال ابن اسحاق : أول ما غزا رسول الله ﷺ الأبواء . ثم بواط ، ثم المشيرة . ثم روى عن زيد بن أرقم أنه سئل كم غزا رسول الله ﷺ ؟ قال : تسع عشرة شهد منها سبع عشرة لوطن العسيرة - أو العشيرة - . وسيأتي الحديث بإسناده ولفظه والسكلام عليه عند غزوة العشيرة إن شاء الله وبه الثقة . وفي صحيح البخاري عن بريدة قال : غزا رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة ولمسلم عنه أنه غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة ، وفي رواية له عنه أن رسول الله ﷺ غزا تسع عشرة غزوة ، وقاتل في ثمان منهن . وقال الحسين بن واقد عن ابن بريدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ غزا سبع عشرة غزوة وقاتل في ثمان ، يوم بدر ، وأحد ، والاحزاب ، والمريسيع ، وقديد وخيبر ، ومكة ، وحنين . وبعث أربعاً وعشرين سرية . وقال يعقوب بن سفيان حدثنا محمد بن عثمان الدمشقي الثنوخى ثنا الهيثم بن حميد أخبرني الثمان عن مكحول أن رسول الله ﷺ غزا ثمانية عشر غزوة ، قاتل في ثمان غزوات ، أولهن بدر ، ثم أحد ، ثم الاحزاب ، ثم قريظة ، ثم بدر معونة ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة مكة ، ثم حنين والعتائف (٢) قوله بشر معونة بعد قريظة فيه نظر : والصحيح أنها بعد أحد كما سيأتي . قال يعقوب حدثنا سلمة بن شبيب ثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري سمعت سعيد بن المسيب يقول : غزا رسول الله ﷺ ثمان عشرة غزوة ، وسمعت مرة أخرى يقول أربعاً وعشرين . فلا أدري أكان ذلك وهما أو شيئاً سجد بعد ذلك . وقد روى الطبراني عن الديلمي (٣) عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري . قال : غزا رسول الله ﷺ أربعاً وعشرين غزوة . وقال عبد الرحمن بن حميد في مسنده حدثنا سعيد بن سلام ثنا زكريا ابن اسحاق حدثنا أبو الزبير عن جابر . قال : غزا رسول الله ﷺ إحدى وعشرين غزوة . وقد روى الحاكم من طريق هشام عن قتادة أن مغازي رسول الله ﷺ وسراياه كانت ثلاثاً وأربعين .

(١) أي ألقى طرف نوبه على أنفه وقال أف أف استقداراً . (٢) الغزوات المذكورة تسع لاثمانية فليحذر . (٣) في الاصلين المدي والديري وإنما هو اسحاق بن ابراهيم الديلمي بالبلاء .

ثم قال الحاكم : لعله أراد السرايا دون الغزوات ، فقد ذكرت في الاكامل على الترتيب بسوث رسول الله ﷺ وسراياه زيادة على المائة . قال وأخبرني الثقة من أصحابنا بمخاري أنه قرأ في كتاب أبي عبد الله محمد بن نصر ، السرايا والبعوث دون الحروب نيفا وسبعين . وهذا الذي ذكره الحاكم غريب جداً ، وحله كلام قتادة على ما قال فيه نظر . وقد روى الامام احمد عن أنس بن مالك عن أنس بن مالك عن هشام الدستوائي عن قتادة أن مغازي رسول الله ﷺ وسراياه ثلاث وأربعون ، أربع وعشرون منها ، وتسع عشرة غزوة . خرج في ثمان منها بنفسه ، بدر ، وأحد ، والاحزاب ، والمريسيع ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين . وقال موسى بن عقبة عن الزهري : هذه مغازي رسول الله ﷺ التي قاتل فيها ، يوم بدر في رمضان سنة ثنتين ، ثم قاتل يوم أحد في شوال سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق - وهو يوم الاحزاب وبنى قريظة - في شوال من سنة أربع ، ثم قاتل بني المصطلق وبنى لحيان في شعبان سنة خمس ، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست ، ثم قاتل يوم الفتح في رمضان سنة ثمان ، ثم قاتل يوم حنين وحاصر أهل الطائف في شوال سنة ثمان ، ثم حج أبو بكر سنة تسع ، ثم حج رسول الله ﷺ حجة الوداع سنة عشر ، وغزا ثلث عشرة غزوة ولم يكن فيها قتال ، وكانت أول غزاة غزاها الابداء . وقال حنبل بن هلال عن اسحاق بن العلاء عن عبد الله بن جعفر الرقي عن مطرف بن مازن البجلي عن معمر بن الزهري قال : أول آية نزلت في القتال (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظالموا) الآية بعد مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، فكان أول مشهد شهده رسول الله ﷺ يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشرة من رمضان ، إلى أن قال ثم غزا بني النضير ، ثم غزا أحداً في شوال - يعني من سنة ثلاث - ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع ، ثم قاتل بني لحيان في شعبان سنة خمس ، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست ، ثم قاتل يوم الفتح في شعبان سنة ثمان ، وكانت حنين في رمضان سنة ثمان . وغزا رسول الله ﷺ إحدى عشرة غزوة لم يقاتل فيها ، فكانت أول غزوة غزا رسول الله ﷺ الابداء : ثم العشرة ، ثم غزوة غطفان ، ثم غزوة بني سليم ، ثم غزوة الابداء ^(١) ثم غزوة بدر الأولى ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة الخديبية ، ثم غزوة الصفراء ، ثم غزوة تبوك آخر غزوة . ثم ذكر البعث ، هكذا كتبه من تاريخ الحافظ ابن عساكر وهو غريب جداً ، والصواب ما سنده كره فيما بعد إن شاء الله مرتباً . وهذا الفن مما ينبغي الاعتناء به والاعتبار بأمره والتهيؤ له كما روى محمد بن عمر الواقدي عن عبد الله بن عمر بن علي عن أبيه سمعت علي بن الحسين يقول : كنا نعلم مغازي النبي ﷺ كما نعلم السورة من القرآن . قال الواقدي : وسمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت عمي الزهري يقول : في علم المغازي علم الآخرة والدنيا وقال محمد بن اسحاق (رح) في (١) كذا بالاصلين مكرر اغزوة الابداء والذي في ابن هشام : الابداء ، بواط . العشرة الخ .

الغزاري بعد ذكره ما تقدم مما سقناه عنه من تعيين رؤس الكفر من اليهود والمناقين لعنهم الله أجمعين وجمعهم في أسفل سافلين . ثم إن رسول الله ﷺ تهيأ لحربه وقام فيها أمره الله به من جهاد عبده وقتال من أمره به ممن يليه من المشركين ، قال وقد قدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تمتد للنفق عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، ورسول الله ﷺ يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك بعد أن بعثه الله بثلاث عشرة سنة فأقام بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر وجهادين ورجباً وشعبان وشهر رمضان وشوالاً وذا القعدة وذا الحجة وولى تلك الحجة المشركون . والمحرم ، ثم خرج رسول الله ﷺ غزياً في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سمدة بن عباد . قال ابن اسحاق : حتى بلغ ودان وهي غزوة الابهاء ، قال ابن جرير : ويقال لها غزوة ودان أيضاً ، يريد قريشاً وبنى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فوادعته فيها بنو ضمرة وكان الذي وادعه منهم مخشى بن عمرو الضمري ، وكان سيدهم في زمانه ذلك . ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيدا فأقام بها بقية صفر وصدر من شهر ربيع الأول . قال ابن هشام : وهي أول غزوة غزاها عليه السلام . قال الواقدي وكان لوفاه مع عمه حمزة ، وكان أبيض . قال ابن اسحاق : وبعث رسول الله ﷺ في مقامه ذلك بالمدينة عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي في ستين - أو ثمانين - راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد ، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة فلقى بها جمعا عظيما من قريش ، فلم يكن بينهم قتال إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم ، فسكان أول سهم رمى به في سبيل الله في الاسلام . ثم انصرف القوم عن القوم والمسلمين حامية وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البراني حليف بني زهرة ، وعتبة بن غزوان بن جابر المازني حليف بني نوفل بن عبد مناف ، وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوحلا بالكفار . قال ابن اسحاق : وكان على المشركين يومئذ عكرمة بن أبي جهل . وروى ابن هشام عن أبي عمرو بن العلاء (١) عن أبي عمرو المدني أنه قال : كان عليهم مكرز بن حفص .

قلت : وقد تقدم عن حكاية الواقدي قولان ، أحدهما أنه مكرز ، والثاني أنه أبو سفيان بن حرب وأنه رجح أنه أبو سفيان فإنه أعلم . ثم ذكر ابن اسحاق القصيدة المنسوبة إلى أبي بكر الصديق في هذه السرية التي أولها :

أمن طيف سلمي بالبطاح الدماث أرقط بأمر في العشرة حادث
تري من لوى فرقة لا يصدها عن السكفر تكبير ولا بعث باعث

(١) في ابن هشام : حدثني ابن أبي عمرو بن العلاء .

رسول أناهم صادق فتسكنذبوا عليه وقالوا لست فينا بما كـ
 إذا ما دعوتهم إلى الحق أديروا وهروا هرير الحجرات اللواث
 القصيدة إلى آخرها ، وذ كر جواب عبد الله بن الزبير في مناقضتها التي أولها :
 أمن رسم دار أقفرت بالمشاعث بكيت بعين دمهيا غير لاث
 ومن عجب الايام - والدهر كاه له عجب - من سابقات وحادث
 لجيش أنا ذى عرام يقوده عبيدة يدعى في الهياج ابن حارث
 لتترك أصناما بحكمة عكما مواريث موروث كريم لوارث
 وذ كر تمام القصيدة وما منعنا من ارادها بتمامها إلا أن الامام عبد الملك بن هشام (رح) وكان
 إماما في اللغة ذكر أن أكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين . قال ابن اسحاق وقال سعد
 ابن أبي وقاص في رميته تلك فيما يذكرون :

ألا هل أتى رسول الله أنى حيت صحابى بصدور نبلى
 أذود بها أوائلهم ذبادا بكل حزونة وبكل سهل
 فما يعتد رام فى عمرو بسهم يارسول الله قبلى
 وذلك أن دينك دين صدق وذو حق أتيت به وفضل (١)
 ينجى المؤمنون به ويخزى به الكفار عند مقام مهل (٢)
 فهلا قد غويت فلا تعبى غوى الحى ويحك يا ابن جهل

قال ابن هشام : وأ أكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد . قال ابن اسحاق : فكانت راية
 عبيدة - فيما بلغنا - أول راية عقدها رسول الله ﷺ فى الاسلام لاحد من المسلمين . وقد خالفه
 الزهرى وموسى بن عقبة والواقدي فذهبوا إلى أن بعث حمزة قبل بعث عبيدة بن الحارث والله أعلم
 وسيأتى فى حديث سعد بن أبى وقاص أن أول امرأ السرايا عبد الله بن جحش الاسدى .
 قال ابن اسحاق : وبعض العلماء يزعم أن رسول الله ﷺ بعثه حين أقبل من غزوة الابداء
 قبل أن يصل إلى المدينة . وهكذا حكى موسى بن عقبة عن الزهرى .

فصل

قال ابن اسحاق : و بعث رسول الله ﷺ فى مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى
 سيف البحر من ناحية العيص فى ثلاثين راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد فلقى أبا
 (١) الذى فى ابن اسحاق : وعدل . (٢) وفى ابن هشام بدل مهل سهل ومهل : إهمال وتثبت .

جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة فحجز بينهم شمدي بن عمرو الجهمي وكان موادعا للفريقين جميعا ، فانصرف بعض القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال .

قال ابن اسحاق : و بعض الناس يقول كانت راية حمزة أول راية عقدتها رسول الله ﷺ لاحد من المسلمين ، وذلك أن بعثه وبعث عبيدة كأنما معا فشب ذلك على الناس .

قلت : وقد حكى موسى بن عقبة عن الزهري أن بعث حمزة قبل عبيدة بن الحارث ، ولص على أن بعث حمزة كان قبل غزوة الابداء : فلما قتل عليه السلام من الابداء بعث عبيدة بن الحارث في ستين من المهاجرين ، وذكر نحو ما تقدم . وقد تقدم عن الواقدي أنه قال : كانت سرية حمزة في رمضان من السنة الاولى ، وبعدها سرية عبيدة في شوال منها والله أعلم . وقد أورد ابن اسحاق عن حمزة رضي الله عنه شعراً يدل على أن رايته أول راية عقدت في الاسلام ، لكن قال ابن اسحاق : فان كان حمزة قال ذلك فهو كما قال ، لم يكن يقول إلا حقاً ، والله أعلم أي ذلك كان . فاما ما سمعنا من أهل العلم عندنا فعبيدة أول : والقصيدة هي قوله :

ألا يا قومي التحلم والجهل	وللنقض من رأى الرجل وللعقل
والأرا كيننا بالمظالم لم نطأ	لهم حرمت من سوام ولا أهل
كأننا بتلناهم ولا بتل ^(١) عندنا	لهم غير أمر بالعفاف وبالعدل
وأمر باسلام فلا يقبلونه	وينزل منهم مثل منزلة الهزل
فما برحوا حتى انتدبت لغارة	لهم حيث حلوا أبتغي راحة الفضل
بأمر رسول الله أول خافق	عليه لواء لم يكن لاح من قبل
لواء لديه النصر من ذى كرامة	إله عزيز فعلم أفضل الفعل
عشية ساروا حاشدين وكلنا	مراجله من غيظ أصحابه تغلى
فلما تراءينا أناخوا ففعلوا	مطايأ وعقلنا مدى غرض النبل
وقلنا لهم جبل إلا أنه نصيرنا	ومالسكم إلا الضلالة من جبل
فثار أبو جهل هنالك باغيا	نخاب ورد الله كيد أبي جهل
وما نحن إلا في ثلاثين راكبا	وهم مائتان بعد واحدة فضل
فيال لؤى لا تطيعوا غواتكم	وفيشوا إلى الاسلام والمنهج السهل
فاني أخاف أن يصب عليكم	عذاب فتدعوا بالندامة والشكل

(١) كذا في المصرية ، ومعنى البتل القطع ، وفي الحلبية وابن هشام : تبلناهم بالنون ومعناها رميتهم بالنبل ، ولكن الحشني ذكرها في شرحه تبلناهم وقال معناه عاديناهم ، والتبل العداوة وطلب الضرر .

قال فاجابه أبو جهل بن هشام لعنه الله فقال :
عجبت لاسباب الحفيظة والجرل وللشاعيين بالخلاف وبالضل
وللتاركين ما وجدنا جدودنا عليه ذوى الاحساب والسودد والجرل
ثم ذكر تمامها . قال ابن هشام وأكثر أهل العلم بالشعر ينسكروا هاتين القصيدتين لحمزة رضى الله
عنه ولأبي جهل لعنه الله .

﴿ غزوة بواط من ناحية رضوى ﴾

قال ابن اسحاق : ثم غزا رسول الله ﷺ في شهر ربيع الاول - يعنى من السنة الثانية - يريد
قريشا . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون . وقال الواقدي : استخلف
عليها سعد بن معاذ . وكان رسول الله ﷺ في مائتي راكب ، وكان لواؤه مع سعد بن أبي وقاص
وكان مقصده أن يعترض لعير قريش وكان فيه أمة بن خلف ومائة رجل والفان وخمسمائة بعير .
قال ابن اسحاق : حتى بلغ بواط من ناحية رضوى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا فلبث بها
بقية شهر ربيع الآخر وبعث جمادى [الاولى] .

﴿ غزوة العشيرة ﴾

﴿ ثم غزا قريشا يعنى بذلك الغزوة التي يقال لها غزوة العشيرة وبالمهملة

والعشير وبالمهملة والعشراء وبالمهملة ﴾

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الاسد . قال الواقدي : وكان لواؤه مع
حمزة بن عبد المطلب . قال وخرج عليه السلام يعترض لعيرات قريش ذاهبة إلى الشام .
قال ابن اسحاق : فسلك على نقب بني دينار ، ثم على قيفاء الخييار ، فنزل تحت شجرة يبطحاء
ابن أزهري يقال لها ذات الساق فصلى عندها فتم مسجده ، فصنع له عندها طعام فاكل منه وأكل
الناس معه ، فرسوم أنافى البرمة معلوم هناك ، واستسقى له من ماء يقال له المشرب ثم ارتحل فترك
الخلائق ^(١) يسار وسلك شعبة عبد الله ، ثم صب للشاد ^(٢) حتى هبط ملل ، فنزل بمجتمعه ومجتمع
الضبوعة ثم سلك فرش ملل حتى لقي الطريق بصخيرات اليمام ثم اعتمد به الطريق حتى نزل العشيرة
من بطن ينبع فاقام بها جمادى الاولى وليال من جمادى الآخرة ووادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من
^(١) الخلائق بالخاء المعجمة : انبأ التي لاماء فيها . وقال السهيلي : بالخاء المهملة آبار معلومة ورجح
الرواية الاولى . ^(٢) صب للشاد كذا في المصرية وابن هشام . وقال الخشني صب للساد (بالسين
المهملة) ثم قال وصوابه ليسار وصحفة في الخطبية فقال : صب المسار .

بنى ضمرة ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً . وقد قال البخاري حدثنا عبد الله ثنا وهب ثنا شعبة عن أبي اسحاق . قال : كنت إلى جنب زيد بن أرقم فقيل له كم غزا رسول الله ﷺ من غزوة ؟ قال : تسع عشرة . قلت كم غزوت أنت معه ؟ قال سبع عشرة غزوة ، قلت فإين كان أول ؟ قال المشير — أو العسير — فذكرت لقتادة فقال : العشير . وهذا الحديث ظاهر في أن أول الغزوات العشيرة : ويقال بالسين وبهما مع حذف التاء ، وبهما مع المد اللين إلا أن يكون المراد غزاة شهدها مع النبي ﷺ زيد بن أرقم العشيرة وحينئذ لا ينفي أن يكون قبلها غيرها لم يشهدا زيد بن أرقم وبهذا يحصل الجمع بين ما ذكره محمد بن اسحاق وبين هذا الحديث والله أعلم .

قال محمد بن اسحاق : ويومئذ قال رسول الله ﷺ لعلي ما قال فحدثني يزيد بن محمد بن خنيس عن محمد بن كعب القرظي حدثني أبو يزيد محمد بن خنيس عن عمار بن ياسر . قال كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة من بطن يذيع ، فلما نزلها رسول الله ﷺ أقام بها شهراً فصالح بها بني مدلس وحلفاءهم من بني ضمرة فوادتهم ، فقال لي علي بن أبي طالب : هل لك يا أبا النقطان أن تأتي هؤلاء نفر — من بني مدلس يعملون في عيين لهم — تنظر كيف يعملون ؟ فإتيانهم فنظرنا إليهم ساعة فغشينا النوم فعمدنا إلى سور من النخل في دقءاء من الأرض فقمنا فيه . فوالله ما أعبنا إلا ورسول الله ﷺ يحركنا بقدمه فجلسنا وقد تبرأنا من تلك الدقءاء فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعلي : « يا أبا تراب » لما عليه من التراب ، فاخبرناه بما كان من أمرنا فقال : « ألا أخبركم بأشقى الناس رجلين ؟ » قلنا بلى يا رسول الله فقال : « أحيمر نمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه — ووضع رسول الله ﷺ يده على رأسه — حتى قبل منها هذه — ووضع يده على حينه — » وهذا حديث غريب من هذا الوجه له شاهد من وجه آخر في تسمية علي أبا تراب كما في صحيح البخاري أن علياً خرج مغاضباً فاطمة ، فجاء المسجد فنام فيه فدخل رسول الله ﷺ فسألها عنه فقالت خرج مغاضباً فجاء إلى المسجد فابقظه وجعل يمسح التراب عنه ويقول : « قم أبا تراب قم أبا تراب » .

﴿ غزوة بدر الاولى ﴾

قال ابن اسحاق : ثم لم يقر رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من العشيرة إلا ليال ثلاث لا تبلغ العشرة حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة ، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه حتى بلغ وادياً يقال له سفوان من ناحية بدر ، وهي غزوة بدر الاولى ، وفاته كرز فلم يدركه . وقال الواقدي : وكان لوائه مع علي بن أبي طالب . قال ابن هشام والواقدي : وكان قد استخلف علي المدينة زيد بن حارثة .

قال ابن اسحاق : فرجع رسول الله ﷺ فاقام جمادى ورجبا وشعبان وقد كان بعث بين يدي ذلك سبعة في ثمانية رهط من المهاجرين ، فخرج حتى بلغ الحرار من أرض الحجاز . قال ابن هشام : ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد هذا كان بعد حمزة ثم رجع ولم يلق كيدا . هكذا ذكره ابن اسحاق مختصراً وقد تقدم ذكر الواقدي لهذه البعث الثلاثة ، أعني بعث حمزة في رمضان ، وبعث عبيدة في شوال ، وبعث سعد في ذي القعدة كلها في السنة الأولى .

وقد قال الامام احمد : حدثني عبد المتعال بن عبد الوهاب حدثني يحيى بن سعيد . وقال عبد الله بن الامام احمد وحدثني سعيد بن يحيى بن سعيد الاموي حدثنا أبي ثنا الجاهلي عن زياد ابن علاقة عن سعد بن أبي وقاص . قال لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءته جبهة فقالوا إنك قد نزلت بين أظهرنا فلوئى حتى تأتيناك وقومنا ، فلوئى لهم فاسألوهم قال فبعثنا رسول الله ﷺ في رجب ولا نكون مائة وأمرنا أن نغير على حى من بنى كنانة إلى جنب جبهة فاخبرنا عليهم وكانوا كثيراً فلجأنا إلى جبهة فنعونا وقالوا لم تقاتلون في الشهر الحرام ؟ فقال بعضهم لبعض ما ترون ؟ فقال بعضهم تأتى نبي الله فنخبره ، وقال قوم لا بل نقيم ههنا ، وقلت أنا فى أناس معى لا بل تأتى غير قریش فنقتطعها . وكان النبی إذ ذاك من أخذ شيئاً فهو له ، فانطلقنا إلى العير وانطلق أصحابنا إلى النبي ﷺ فاخبروه الخبر فقام غضبان ممر الوجه . فقال : « أذهبتم من عندي جميعاً ورجعتم متفرقين إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة ، لا بعثت عليكم رجلاً ليس بخيركم أصبركم على الجوع والعطش » فبعث علينا عبد الله بن جحش الاسدي فكان أول أمير في الاسلام . وقد رواه البيهقي في الدلائل من حديث يحيى بن أبي زائدة عن مجالد به نحوه وزاد بعد قولهم لأصحابه : لم تقاتلون في الشهر الحرام فقالوا تقاتل في الشهر الحرام من أخرجنا من البلد الحرام . ثم رواه من حديث أبي أسامة عن مجالد عن زياد بن علاقة عن قطبة بن مالك عن سعد بن أبي وقاص فذكر نحوه فادخل بين سعد وزياد قطبة بن مالك وهذا أنسب والله أعلم . وهذا الحديث يقتضى أن أول السرايا عبد الله بن جحش الاسدي وهو خلاف ما ذكره ابن اسحاق أن أول الرايات عقدت لعبيدة بن الحارث بن المطلب ، وللواقدي حديث زعم أن أول الرايات عقدت لحزرة بن عبد المطلب والله أعلم .

باب سرية عبد الله بن جحش

« التي كان سببها لغزوة بدر العظمى » (١) وذلك يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير . قال ابن اسحاق : وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش بن رثاب الاسدي في رجب

(١) كذا بالاصلين ، ولعلها : التي كانت سبباً لغزوة بدر العظمى .

مقتله من بدر الأولى و بمث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد ، وهم أبو حذيفة بن عتبة ، وعكاشة بن محصن بن حرملة بن حليف بن أسد بن خزاعة ، وعتبة بن غزوان حليف بن نوفل ، وسعد بن أبي وقاص الزهري ، وعامر بن ربيعة الوائلي حليف بنى عدى ، وواقد بن عبد الله ابن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع النخعي حليف بنى عدى أيضا ، وخالد بن البكير أحد بنى سعد بن ليث حليف بنى عدى أيضا ، وسهل بن بيضاء الفهري فهو لاء سبعة ثامنهم أبرهم عبد الله ابن جحش رضى الله عنه . وقال يونس عن ابن اسحاق : كانوا ثمانية وأمرهم التاسع فأنه أعلم .

قال ابن اسحاق : وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به ، ولا يستكره من أصحابه أحدا . فلما سار بهم يومين فتح الكتاب فإذا فيه إذا نظرت في كتابي فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قریشا وتعلم لنا من أخبارهم فلما نظر في الكتاب قال سمعا وطاعة وأخبر أصحابه بما في الكتاب . وقال : قد نهاني أن أستكره أحدا منكم فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فليطلق ، ومن كره ذلك فليرجع فاما أنا فامض لأمر رسول الله ﷺ فمضى معه أصحابه لم يتخلف منهم أحد وسلك على الخجاز حتى إذا كان بمدين فوق الفرع يقال له بحران ، أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان لهما كانا يمتقبانه فتخلفا في طلبه وهضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل نخلة ، فمرت عبر لقریش فيها عمرو بن الحضرمي ، قال ابن هشام : واسم الحضرمي عبد الله بن عباد الصدف وعثمان بن عبد الله بن المغيرة الخزومي وأخوه نوفل والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة ، فلما رأهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فاشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه . فلما رأوه أمنوا ، وقال عمار : لا بأس عليكم منهم وتشاور الصحابة فيهم وذلك في آخر يوم من رجب فقالوا والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن به منكم ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام فتردد القوم وهابوا الاقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم ، فرمى واقد ابن عبد الله النخعي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله . واستأثر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فاعجزهم ، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعبير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ . وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لأصحابه : إن لرسول الله ﷺ فيما غنمنا الخس فعرله وقسم الباقي بين أصحابه وذلك قبل أن ينزل الخس . قال ولما نزل الخس نزل كما قسمه عبد الله بن جحش كما قاله ابن اسحاق ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام « فوقف العبر والاسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا فلما قال ذلك رسول الله ﷺ أسقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا وغنمهم أخوانهم من

المسلمين فيما صنعوا ، وقالت قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الاموال وأسروا فيه الرجال ، فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان ، وقالت يهود : تفائل بذلك على رسول الله ﷺ عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله ، عمرو عمرت الحرب ، والحضرمي حضرت الحرب وواقد بن عبد الله وقدت الحرب فجعل الله ذلك عليهم لا لهم ، فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) أي إن كنتم قتلتهم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام وإخراجكم منه وأنتم أهل أكبر عند الله من قتل من قتلتهم منهم والفتنة أكبر من القتل أي قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه فذلك أكبر عند الله من القتل ، ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين ، ولهذا قال الله تعالى (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) الآية .

قال ابن اسحاق : فلما نزل القرآن بهذا الأمر وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق ، قبض رسول الله ﷺ العير والاسيرين ، وبشت قريش في فداء عثمان والحكم بن كيسان فقال رسول الله ﷺ « لا تفديكموها حتى يقدم صاحبانا » - يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان - فأنما نخشاكم عليهما . فان تقتلوهما تقتل صاحبكم . فقدم سعد وعتبة فافداهما رسول الله ﷺ فاما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن اسلامه وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بدر معونة شهيداً ، وأما عثمان بن عبد الله فلهحق بمكة فأت بها كافراً . قال ابن اسحاق : فاما نجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا في الأجر ، فقالوا يا رسول الله أنطعم أن تكون لنا غزاة نعطي فيها أجر المجاهدين ؟ فانزل الله فيهم (إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم) فوصفهم (١) الله من ذلك على أعظم الرجاء . قال ابن اسحاق : والحديث في ذلك عن الزهري ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير . وهكذا ذكره موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري وكذا روى شعيب عن الزهري عن عروة نحوه . وهذا وفيه : وكان ابن الحضرمي أول قتيل قتل بين المسلمين والمشركين . وقال عبد الملك بن هشام : هو أول قتيل قتله المسلمون ، وهذه أول غنيمة غنمها المسلمون ، وعثمان والحكم بن كيسان أول من أسره المسلمون .

(١) كذا بالاصلين ، وفي ابن هشام : فوضعهم الله من ذلك ولعله الصواب .

قلت : وقد تقدم فيما رواه الامام احمد عن سعد بن أبي وقاص أنه قال : فكان عبد الله بن جحش أول أمير في الاسلام . وقد ذكرنا في التفسير لما أورده ابن اسحاق شواهد مستندة فمن ذلك ما رواه الخافظ أبو محمد بن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن أبي بكر المصمعي حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه حدثني الحضرمي عن أبي السوار عن جندب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ بعث رهطاً وبعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح . أو عبيدة بن الحارث ، فلما ذهب بكى صبابة إلى رسول الله ﷺ فجلس ، فبعث عليهم مكانه عبد الله بن جحش وكتب له كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى يبلغ مكان كذا وكذا . وقال « لا تسكرهن أحداً على المسير معك من أصحابك » فلما قرأ الكتاب استرجع وقال سمعنا وطاعة لله ورسوله ، ففهرم الخبر وقرأ عليهم الكتاب فرجع منهم رجلان وبقي بقيتهم فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى ، فقتل المشركون للمسلمين : قتلهم في الشهر الحرام ، فانزل الله (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) الآية . وقال اسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في تفسيره عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود عن جماعة من الصحابة (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) وذلك أن رسول الله ﷺ بعث سرية وكانوا سبعة نفر عليهم عبد الله بن جحش وفيهم عمار بن ياسر وأبو حذيفة بن عتبة وسعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان وسهل بن بيضاء وعامر بن فهيرة وواقد بن عبد الله اليربوعي حليف لعمر بن الخطاب ، وكتب لابن جحش كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى ينزل بطن مال فلما نزل بطن ملل ففتح الكتاب فإذا فيه أن سر حتى تنزل بطن نخلة فقال لأصحابه : من كان يريد الموت فليمض وليوص فاني موص وماض لأمر رسول الله ﷺ فسار وتخلف عنه سعد وعتبة أضلا راحلة لهما فاقاما يطلبانها ، وسار هو وأصحابه حتى نزل بطن نخلة فإذا هو بالحكم بن كيسان والمغيرة بن عثمان وعبد الله بن المغيرة . فذكر قتله واقد لعمر بن الحضرمي ورجعوا بالغنيمة والاسيرين فسكانت أول غنيمة غنمها المسلمون . وقال المشركون إن محمداً يزعم أنه يتبع طاعة الله وهو أول من استحل الشهر الحرام وقتل صاحبنا في رجب . وقال المسلمون إنما قتلناه في جمادى . قال السدي وكان قتلهم له في أول ليلة من رجب وآخر ليلة من جمادى الآخرة . قلت : لعل جمادى كان ناقصاً فاعتقدوا بقاء الشهر ليلة الثلاثين . وقد كان الحلال روى تلك الليلة فأنه أعلم . وهكذا روى العوفي عن ابن عباس أن ذلك كان في آخر ليلة من جمادى ، وكانت أول ليلة من رجب ولم يشعروا وكذا تقدم في حديث جندب الذي رواه ابن أبي حاتم . وقد تقدم في سياق ابن اسحاق أن ذلك كان في آخر ليلة من رجب وخافوا إن لم يتداركوا هذه الغنيمة ويقبضوا هذه الفرصة دخل أولئك في الحرم فيتعادروا عليهم ذلك فاقدموا عليهم علمين بذلك وكذا قال الزهري

عن عروة رواه البيهقي قال: أسلم أي ذلك كان . قال الزهري عن عروة فبلغنا أن رسول الله ﷺ عقل ابن الحضرمي وحرم الشهر الحرام كما كان يحرمه حتى أنزل الله براءة رواه البيهقي . قال ابن اسحاق : فقال أبو بكر الصديق في غزوة عبد الله بن جحش جوابا للمشركين فيما قالوا من إحلال الشهر الحرام . قال ابن هشام هي لعبد الله بن جحش :

تعدون قتلاً في الحرام عظيمة وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد وكفر به والله راء وشاهد
وأخراجكم من مسجد الله أهله لئلا يرى الله في البيت ساجد
فاناً وإن غيرتمونا بقتله وأرجف بالاسلام باغ وحاسد
سقيناً من ابن الحضرمي رماحنا بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دما وابن عبد الله عثمان بيننا يذارعه غل من القيد عائد

فصل

﴿ في تحويل القبلة في سنة ثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر ﴾

وقال بعضهم كان ذلك في رجب من سنة ثنتين وبه قال قتادة وزيد بن أسلم وهو رواية عن محمد بن اسحاق . وقد روى احمد عن ابن عباس ما يدل على ذلك وهو ظاهر حديث البراء بن عازب كما سيأتي والله أعلم . وقيل في شعبان منها . قال ابن اسحاق بعد غزوة عبد الله بن جحش : ويقال صرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة وحكى هذا القول ابن جرير من طريق السدي فسنده عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة . قال الجمهور الاعظم : إنما صرفت في النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة . ثم حكى عن محمد بن سعد عن الواقدي أنها حوت يوم الثلاثاء النصف من شعبان ، وفي هذا التحديد نظر والله أعلم . وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في التفسير عند قوله تعالى (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) وأن الذين أوردوا الكتاب يعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما تعملون) . وما قبلها وما بعدها من اعتراض سفهاء اليهود والمنافقين والجهلة الطغام على ذلك لأنه أول نسخ وقع في الاسلام هذا وقد أحال الله قبل ذلك في سياق القرآن تقرير جواز النسخ عند قوله (ما ننسخ من آية ، أو ننسأها)^(١) نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) وقد قال البخاري حدثنا أبو نعيم

(١) كذا في الاصلين : ننسأها وهي قراءة أبي عمرو . وقراءة حفص ننسأها .

مع زهيراً عن أبي اسحاق عن البراء أن النبي ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً - أو
 سبعة عشر شهراً - وكان يعجبه أن تكون قبلته إلى البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها إلى الكعبة
 العصر وصلى معه قوم نفرج رجل ممن كان معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد
 صليت مع النبي ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت ، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول
 رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فانزل الله (وما كان الله ليضيق إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم)
 رواه مسلم من وجه آخر . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا الحسن بن عطية حدثنا
 اسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء . قال : كان رسول الله ﷺ قد صلى نحو بيت المقدس ستة
 عشر - أو سبعة عشر - شهراً ، وكان يحب أن يوجه نحو الكعبة فانزل الله (قد نرى تقلب وجهك
 في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام) . قال فوجه نحو الكعبة وقال
 السفهاء من الناس - وهم اليهود - ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها . فانزل الله (قل لله المشرق
 والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) وحاصل الأمر أن رسول الله ﷺ كان يصلي بمكة إلى
 بيت المقدس والكعبة بين يديه كما رواه الامام احمد عن ابن عباس رضى الله عنه ، فلما هاجر إلى
 المدينة لم يمكنه أن يجمع بينهما فصلى إلى بيت المقدس أول مقدمه المدينة واستدبر الكعبة ستة
 عشر شهراً - أو سبعة عشر شهراً - وهذا يقتضى أن يكون ذلك إلى رجب من السنة الثانية والله
 أعلم . وكان عليه السلام يحب أن يصرف قبلته نحو الكعبة قبله ابراهيم وكان يكثر الدعاء والتضرع
 والابتهاال إلى الله عز وجل فكان مما يرفع يديه وطرفه إلى السماء سائلاً ذلك فانزل الله عز وجل (قد
 نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام) الآية . فلما
 نزل الأمر بتحويل القبلة خطب رسول الله ﷺ المسلمين وأعلمهم بذلك كما رواه النسائي عن أبي
 سعيد بن المعلى وأن ذلك كان وقت الظهر . وقال بعض الناس نزل تحويلها بين الصلاتين قاله مجاهد
 وغيره ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيحين عن البراء أن أول صلاة صلاها عليه السلام إلى الكعبة
 بالمدينة العصر والعجب أن أهل قباء لم يبلغهم خبر ذلك إلى صلاة الصبح من اليوم الثاني كما ثبت
 في الصحيحين عن ابن عمر . قال : بينما الناس بقاء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال : إن رسول
 الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى
 الشام فاستداروا إلى الكعبة ، وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك نحو ذلك . والمقصود أنه لما نزل
 تحويل القبلة إلى الكعبة ونسخ به الله تعالى حكم الصلاة إلى بيت المقدس طعن طاعنون من السفهاء
 والجهلة والاعبياء قالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها هذا والكفرة من أهل الكتاب يعلمون
 أن ذلك من الله لما يجاؤونه من صفة محمد ﷺ في كتبهم من أن المدينة مهاجرة وأنه سيؤمر

بالاستقبال إلى السكينة كما قال (وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم) الآية
وقد أجابهم الله تعالى مع هذا كله عن سؤالهم ، ونهتهم فقال (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن
قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) أي هو الملك
المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه الذي يفعل ما يشاء في خلقه ويحكم ما يريد في شرعه وهو
الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ويضل من يشاء عن الطريق القويم وله في ذلك الحكمة
التي يجب لها الرضا والتسليم ثم قال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) أي خياراً (لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) أي وكما اخترنا لكم أفضل الجهات في صلاتكم وهديناكم
إلى قبلة أبيكم إبراهيم والد الأنبياء بعد التي كان يصلي بها موسى فمن قبله من المرسلين كذلك
جعلناكم خيار الأمم وخلاصة العالم وأشرف الطوائف وأكرم التلاد والطارف لتسكنوا يوم القيامة
شهداء على الناس لاجتماعهم عليكم وإشارتهم يومئذ بالفضيلة اليكم كما ثبت في صحيح البخاري عن
أبي سعيد مرفوعاً من استشهد نوح بهذه الأمة يوم القيامة وإذا استشهد بهم نوح مع تقدم زمانه
فمن بعمده بطريق الأولى والآخرى . ثم قال تعالى مبيناً حكمته في حلول نعمته بمن شك وارتاب بهذه
الواقعة : وحاول نعمته على من صدق وتابع هذه الكائنة . فقال : (وما جعلنا القبلة التي كنت
عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول) . قال ابن عباس : إلا لئلا يرى من يتبع الرسول ممن ينقلب على
عقبه ، وإن كانت لكيرة أي وإن كانت هذه الكائنة العظيمة الموقع كبيرة المحل شديدة الأمر
إلا على الذي هدى الله أي فهم مؤمنون بها مصدقون لها لا يشكون ولا يرتابون بل يرضون ويؤمنون
ويعملون لانهم عبيد للحاكم العظيم القادر المقدر الحليم الخبير اللطيف العليم وقوله (وما كان الله
ليضيع إيمانكم) أي بشرعته استقبال بيت المقدس والصلاة إليه (إن الله بالناس لرؤوف رحيم)
والاحاديث والآثار في هذا كثيرة جداً يطول استقصاؤها وذلك مبسوط في التفسير وسنزيد ذلك
بياناً في كتابنا الأحكام الكبير . وقد روى الامام احمد حدثنا علي بن عاصم حدثنا حصين بن
عبد الرحمن عن عمرو بن قيس عن محمد بن الاشعث عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ - يعني
في أهل الكتاب - : « إنهم لم يحسدونا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التي هدانا الله إليها
وخلوا عنها ، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا ، وعلى قولنا خلف الامام آمين » .

فصل

﴿ في فريضة شهر رمضان سنة ثنتين قبل وقعة بدر ﴾

قال ابن جرير : وفي هذه السنة فرض صيام شهر رمضان وقد قيل إنه فرض في شعبان منها ، ثم

حكى أن رسول الله ﷺ حين قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عنه فقالوا هذا يوم نجى الله فيه موسى . فقال : « نحن أحق بموسى منكم » فصامه وأمر الناس بصيامه ، وهذا الحديث ثابت في الصحيحين عن ابن عباس وقد قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما ممدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ، شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) الآية وقد تسكنا على ذلك في التفسير بما فيه كفاية من إيراد الأحاديث المتعلقة بذلك والآثار المروية في ذلك والاحكام المستفادة منه والله الحمد .

وقد قال الامام احمد حدثنا أبو النضر حدثنا المسعودي حدثنا عمرو بن مرة عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن معاذ بن جبل . قال : أحملت الصلاة ثلاثة أحوال ، وأحيل الصيام ثلاثة أحوال فذكر أحوال الصلاة . قال وأما أحوال الصيام فان رسول الله ﷺ قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ، وصام عاشوراء ثم إن الله فرض عليه الصيام وأنزل (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) إلى قوله (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكينا فاجزا ذلك عنه ، ثم إن الله أنزل الآية الأخرى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) إلى قوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فثبت صيامه على المقيم الصحيح ورخص فيه للمريض والمسافر وأثبت الاطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام فهذان حولان . قال وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا ، فإذا ناموا امتنعوا . ثم إن رجلا من الانصار يقال له صرمة كان يعمل صائما حتى أمسى فجاء إلى أهله فصلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فاصبح صائما . فراه رسول الله ﷺ قد جهد جهدا شديدا فقال : « ما لي أراك قد جهدت جهدا شديدا » فاخبره ، قال وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فانزل الله (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم) إلى قوله (ثم أتموا الصيام إلى الليل) . ورواه أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه من حديث المسعودي نحوه وفي الصحيحين من حديث الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت : كان عاشوراء يصام . فلما نزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر . والبخاري عن ابن عمر وابن مسعود مثله . ولتحريه هذا ، موضع آخر من التفسير ومن الاحكام الكبير والله المستعان .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة أمر الناس بزكاة الفطر ، وقد قيل إن رسول الله ﷺ خطب

الناس قبل الفطر بيوم - أو يومين - وأمرهم بذلك . قال وفيها صلى النبي ﷺ صلاة العيد وخرج بالناس إلى المصلى فكان أول صلاة عيده صلاتها وخرجوا بين يديه بالحربة وكانت للزبير وهبها له النجاشي فكانت تحمل بين يدي رسول الله ﷺ في الأعياد .

قلت : وفي هذه السنة فيما ذكره غير واحد من المتأخرين فرضت الزكاة ذات النصب كما سيأتي تفصيل ذلك كله بعد وقعة بدر إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (١) .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ غزوة بدر المعظم ﴾ يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ﴿ ٥ ﴾

قال الله تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) وقال الله تعالى (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون وإذ يمدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم يريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) وما بعدها إلى تمام القصة من سورة الانفال وقد تكلمنا عليها هنالك وسنورد هاهنا في كل موضع ما يناسبه .

قال ابن اسحاق رحمه الله بعد ذكره سرية عبد الله بن جحش : ثم إن رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان صخر بن حرب مقبلا من الشام في غير قريش عظيمة فيها أموال وتجارة وفيها ثلاثون رجلا - أو أربعون - منهم مخزومة بن نوفل وعمر بن العاص . قال موسى بن عقبة عن الزهري كان ذلك بعد مقتل ابن الحضرمي بشهرين ، قال وكان في الميرالف بعير تحمل أموال قريش بأسرها إلا حويطب بن عبد العزى فلماذا تخلف عن بدر .

قال ابن اسحاق : فحدثني محمد بن مسلم بن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر وبزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس كل قد حدثني بعض الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر قالوا : لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلا من الشام ندب المسلمين اليهم وقال : « هذه غير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها » فانتدب الناس تخفف بعضهم وثقل بعض وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حربا ، وكان أبو

(١) وجد هنا على هامش النسخة الحلبية بخط بعض الفضلاء بلغ مقابلة على أصل قوبل على نسخة المؤلف حسب الطائفة .

سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس^(١) من لقي من الركبان تحوفا على أموال^(٢) الناس حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشا فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو سريها إلى مكة . قال ابن اسحاق : فحدثني من لا أنهم عن عكرمة عن ابن عباس ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير . قالوا : وقد رأيت عائشة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم إلى مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعته فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعته ونحوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة فآتكم على ما أحدثك ، قال لها وما رأيت ؟ قالت رأيت راكباً أقبل على بعيره حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلا صوته ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ، فأرى الناس اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمنثليها . ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمنثليها ثم أخذ صخرة فarsلها فاقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فأنته . قال العباس : والله إن هذه لرؤيا وأنت فاكتميتها لا تذكريها لاحد ، ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة . وكان له صديقاً - فذكرها له واستكتمه إياها فذكرها الوليد لابنه عتبة ففشا الحديث حتى نحدثت به قريش ، قال العباس فعدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل ابن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عائشة ، فلما رآني أبو جهل قال يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فاقبل إلينا ، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال أبو جهل : يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبوة ؟ قال قلت وما ذلك ؟ قال تلك الرؤيا التي رأيت عائشة قال قلت وما رأيت ؟ قال يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن يتدبأ رجالكم حتى تقتبأ نسأؤكم ؟ قد زعمت عائشة في رؤياها أنه قال انفروا في ثلاث فسنتر بص بكم هذه الثلاث فان يك حقاً ما تقول فسيكون . وإن نمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب ، قال العباس فوالله ما كان مني إليه كبير شيء إلا أني جهلت ذلك وأنكرت أن تكون رأيت شيئاً ، قال ثم تفرقنا فلما أمسيت لم تبقى امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت أقررتهم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك خيرة لشيء مما سمعت ؟ قال قلت قد والله فعلت ما كان مني إليه من كبير . وإيم الله لا تعرض له فإذا عاد

(١) في الاصلين : يتجسس بالجيم ، وفي ابن هشام يتجسس بالخاء الميملة وشرجهما السهيلي فقال : يتسمع . (٢) كذا في الخليلية وفي المصرية على أمر الناس ، وفي ابن هشام عن أمر الناس .

لا كفيكمه ، قال فموت في اليوم الثالث من رؤيا عائكة وأنا حديد منقش أرى أني قد فاني منه أمر أحب أن أدركه منه . قال فسكنت المسجد فرأيت فوائه إلى لامشي نحوه أنرضه ليمود لبعض ما قال فاق به ، وكان رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر ، قال : إذ خرج نحو باب المسجد يشتد ، قال قلت في نفسي ماله لعنه الله أكل هذا فرق مني أن أشأه ؟ ! وإذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضميم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ بطن الوادي واقفا على بعيره قد جدد بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول : يا مشر قریش اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تتركوها ، الفوث الفوث . قال فشغلني عنه وشغلته عني ما جاء من الأمر ، فتجهز الناس سراعا وقلوا أياض محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي ؟ والله ليعان غير ذلك . وذكر موسى بن عقبة رؤيا عائكة كمنحو من سيات ابن اسحاق . قال فلما جاء ضميم بن عمرو على تلك الصفة خافوا من رؤيا عائكة فخرجوا على الصعب والذل .

قال ابن اسحاق : فكانوا بين رجلين إما خارج وإما باعث مكانه رجلا ، وأوعيت قریش فلم يختلف من اشرفها أحد إلا أن أبا لمب بن عبد المطلب بعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه قد أفلس بها . قال ابن اسحاق : وحدثني ابن أبي نجيح أن أمية بن خلف كان قد أجمع القمود وكان شيخا جليلا جسيما ثقيلا ، فأتاه عقبة بن أبي معيط وهو جالس في المسجد بين ظهراني قومه بمجرة يحملها فيها نار وشجر حتى وضعها بين يديه ثم قال : يا أبا علي استجمر فانما أنت من النساء . قال قبحك الله وقبح ما جئت به ، قال ثم تجهز وخرج مع الناس هكذا قال ابن اسحاق في هذه القصة . وقد رواها البخاري على نحو آخر فقال حدثني احمد بن عثمان حدثنا شريح بن مسلة ثنا ابراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي اسحاق حدثني عمرو بن ميمون أنه سمع عبد الله بن مسعود حدث عن سعد بن معاذ أنه كان صديقا لأمية بن خلف وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد بن معاذ وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة انطلق سعد بن معاذ متهما فنزل على أمية بمكة ، قال سعد لأمية أنظر لي ساعة خلوه لعل أطوف بالبيت ، فخرج به قريبا من نصف النهار فلقيهما أبو جهل ، فقال يا صفوان من هذا معك ؟ قال هذا سعد . قال له أبو جهل : ألا أراك تطوف بمكة آمنا وقد أوتيت الصباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالما ، فقال له سعد - ورفع صوته عليه - أما والله لئن منعني هذا لamenعنا ما هو أشد عليك منه طريقك على المدينة . فقال له أمية لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم فانه سيد أهل الوادي ، قال سعد دعنا عنك يا أمية فوائه لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنهم قاتلونك » قال لا أدري ؟ فنزع لذلك أمية فزعا شديدا

فلما رجع إلى أهله قال يا أم صفوان ألم ترى ما قال لي سيدنا قالت وما قال لك قال زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلي ، فقلت له بمكة . قال : لا أدري . فقال أمية والله لا أخرج من مكة فلما كان يوم بدر . استنفر أبو جهل للناس فقال أدركوا عسيركم ، فذكره أمية أن يخرج فأتاه أبو جهل فقال يا أبا صفوان إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك . فلم يزل به أبو جهل حتى قال أما إذ عبتني فوالله لأشتري أجود بعير بمكة ، ثم قال أمية يا أم صفوان جهن بني فقلت له يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك البشري قال لا وما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً . فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلاً إلا عقل بعيره فلم يزل كذلك حتى قتله الله ببدر . وقد رواه البخاري في موضع آخر عن محمد بن اسحاق عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي اسحاق به نحوه ، تفرد به البخاري . وقد رواه الإمام أحمد عن خلف بن الوليد وعن أبي سعيد كلاهما عن إسرائيل وفي رواية إسرائيل قالت له امرأته : والله إن محمداً لا يكذب .

قال ابن اسحاق : ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير ذكروا ما كانوا بينهم وبين بني بكر ابن عبد مناة بن كنانة من الحرب . فقالوا إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا وكانت الحرب التي كانت بين قريش وبين بني بكر في ابن لهفص بن الأخيف من بني عامر بن لؤي قتله رجل من بني بكر بإشارة عامر بن يزيد بن عامر بن الملوخ ، ثم أخذ بذأره أخوه مكرز بن حفص فقتل عامراً وحاض بسيفه في بطنه ثم جاء من الليل فعلقه بأستار الكعبة يخافهم بسبب ذلك الذي وقع بينهم .

قال ابن اسحاق : فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال لما اجعت قريش المسير ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكر فكاد ذلك أن يشبههم ، فتبدي لهم إبليس في صورة سراق ابن مالك بن جعشم المدلجي وكان من أشرف بني كنانة . فقال : أنا لكم جنون أن تاتبعكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه . فخرجوا سراعا . قلت : وهذا معنى قوله تعالى (ولا تأتبعوا كالأولين خرجوا من ديارهم بظراً ورتاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون شديد) وإذا من لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وبنى جباركم فلما ترامت الغمائم فكش على عقبيه وقال إني برئ منكم إني أرى أملاً لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب) ثم لعنه الله حتى ساروا وسار معهم منزلة منزلة ومعهم جنودهم وإياتهم كما قاله غير واحد منهم ، فأصابهم ما سار بهم . فلما رأى الجد والملائكة تنزل للنصر وعابن جبريل فكش على عقبيه وقال إني برئ منكم إني أرى أملاً لا ترون إني أخاف الله . وهذا كقوله تعالى (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني برئ منك إني أخاف الله رب العالمين) وقد قبل الله تعالى (ما قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) فإبليس لعنه الله لما عابن الملائكة يومئذ تنزل للنصر فر ذاهباً فكان أول من

هرب يومئذ بمسد أن كان هو المشجع لهم الجبر لم كما غرهم ووعدهم ومنهم وما يمدهم الشيطان إلا غرورا . وقال يونس عن ابن اسحاق : خرجت قريش على الصعب والذل في تسعة وخسين مقاتلا معهم مائتا فرس يهودونها ومعهم القيان يضربون بالدفوف ويغنون بهجاء المسلمين . وذكر المطمئنين لقريش يوما يوما ، وذكر الاموي أن أول من نحر لهم حين خرجوا من مكة أبو جهل نحر لهم عشرا ، ثم نحر لهم أمية بن خلف بعسفان تسعا ، ونحر لهم سهيل بن عمرو بقديد عشرا ، ومالوا من قديد إلى مياه نحو البحر فظالوا فيها وأقاموا بها يوما فنحر لهم شيبة بن ربيعة تسعا ، ثم أصبحوا بالجحفة فنحر لهم يومئذ عتبة بن ربيعة عشرا ، ثم أصبحوا بالأبواء فنحر لهم نبيه ومنبه ابنا الحجاج عشرا ، ونحر لهم العباس بن عبد المطلب عشرا ، ونحر لهم على ماء بدر أبو البختري عشرا ، ثم أكلوا من أزوادهم . قال الاموي حدثنا أبي حدثنا أبو بكر الهذلي قال كان مع المشركين ستون فرسا وستمئة درع وكان مع رسول الله ﷺ فرسان وستون درعا .

هذا ما كان من أمر هؤلاء في نفرهم من مكة ومسيرهم إلى بدر . وأما رسول الله ﷺ فقال ابن اسحاق : وخرج رسول الله ﷺ في ليال مضت من شهر رمضان في أصحابه واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس ، ورد أبو لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة ، ودفع اللواء إلى مصعب ابن عمير وكان أبيض ، وبين يدي رسول الله ﷺ رايتان سوداوان إحداها مع علي بن أبي طالب يقال لها العقاب ، والآخرى مع بعض الانصار . قال ابن هشام كانت راية الانصار مع سعد بن معاذ وقال الاموي كانت مع الحباب بن المنذر . قال ابن اسحاق : وجعل رسول الله ﷺ على الساقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النجار . وقال الاموي : وكان معهم فرسان على إحداها مصعب بن عمير وعلى الأخرى الزبير بن العوام ^(١) ومن سعد بن خيشمة ومن المقداد بن الاسود . وقد روى الامام احمد من حديث أبي اسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي قال ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد .

وروى البيهقي من طريق ابن وهب عن أبي صخر عن أبي معاوية البلخي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن عليا قال له : ما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الاسود - يعني يوم بدر - وقال الاموي حدثنا أبي حدثنا اسماعيل بن أبي خالد عن التيمي قال : كان مع رسول الله ﷺ يوم بدر فارسان ، الزبير بن العوام على الميمنة ، والمقداد بن الاسود على الميسرة .

قال ابن اسحاق : وكان معهم سبعون بعيرا يعتقبونها ، فكان رسول الله ﷺ وعلى ومرثد بن ^(١) قوله ومن سعد إلى الاسود . كذا في الأصلين ولم نقف على صحتها فيما بأيدينا من كتب السير ولعله (ويتعقبانها مرة سعد بن خيشمة ومرة المقداد بن الاسود .

أبي مرثد يعتقبون بعيراً ، وكان حمزة وزيدا ، بن حارثة وأبو كبشة وأمنة يعتقبون بعيراً . كذا قال ابن اسحاق رحمه الله تعالى . وقد قال الامام احمد حدثنا عفان عن حماد بن سلمة حدثنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبیش عن عبد الله بن مسعود . قال : كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير ، كان أبو لبابة وعلى زهيلي رسول الله ﷺ . قال فكانت عقبه رسول الله ﷺ فقالا نحن نمشي عنك . فقال : « ما أنتم بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الاجر منك » وقد رواه النسائي عن الفلاس عن ابن مهدي عن حماد بن سلمة به . قلت : ولعل هذا كان قبل أن يرد أبا لبابة من الروحاء ، ثم كان زميلاه على ومرثد بدل أبي لبابة والله أعلم . وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا سميد عن قتادة عن زرار بن أبي أوفى عن سعد بن هشام عن عائشة : أن رسول الله ﷺ أمر بالاجراس أن تقطع من أعناق الابل يوم بدر ، وهذا على شرط الصحيحين . وإما رواد النسائي عن أبي الاشعث عن خالد ابن الحارث عن سميد بن أبي عروبة عن قتادة به . قال شيخنا الحافظ المزني في الاطراف وتابعه سميد بن بشر عن قتادة . وقد رواه هشام عن قتادة عن زرار عن أبي هريرة قاله أعلم . وقال البخاري حدثنا يحيى بن بكير ثنا الليث بن عتميل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب . قال سمعت كعب بن مالك يقول : لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أني تخلفت عن غزوة بدر ولم يعاتب الله أحدا تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير إيمان تفرد به .

قال ابن اسحاق : فسلك رسول الله ﷺ طريقه من المدينة إلى مكة على نقب المدينة ثم على العميق ثم على ذي الخليفة ثم على أولات الجيش ثم مر على تربة ثم على ملل ثم على غميس الحمام ثم على صخيرات الإمامة ثم على السبالة ثم على فجج الروحاء ثم على شموكة وهي الطريق المعتادة حتى إذا كان بعرق الظبية لقي رجلا من الاعراب فسأله عن الناس فلم يجدوا عنده خبيرا ، فقال له الناس سلم على رسول الله ﷺ قال أوفيك رسول الله ﷺ قالوا نعم . فسلم عليه ثم قال : لئن كنت رسول الله فأخبرني عما في بطن ناقى هذه . قال له سلمة بن سلامة بن وقش لا تسأل رسول الله ﷺ وأقبل على فانا أخبرك عن ذلك ، نزوت عليها في بطنها منك سخلة . فقال رسول الله ﷺ له أخشيت على الرجل ، ثم أعرض عن سلمة ونزل رسول الله ﷺ سجسج وهي بشر الروحاء ثم ارتحل منها حتى إذا كان منها بالمعصر فترك طريق مكة يسار وسلك ذات اليمين على النازية يريد مدرا ، فسلك في ناحية منها حتى إذا جرع (١) وأدبا يقال له وحقان بين النازية وبين مضيق الصغراء ثم على المضيق ثم

(١) جزنة أى قطعه ولا يكون الا عرضا ، وجزع الوادى منتطعا . كذا في النهاية .

النصارى منه حتى إذا كان قريبا من الصفراء بعث يسيس بن عمرو الجبلي حليف بني ساعدة وعدي
ابن أبي الزغباء حليف بني النجار إلى بدر يتجسسان الأخبار عن أبي سفيان صخر بن حرب وغيره
وقال موسى بن عقبة بهما قبل أن يخرج من المدينة فلما رجعا فأخبرا به بخبر الصير استنصر الناس إليها
فإن كان ما ذكره موسى بن عقبة وابن اسحاق محفوظا فقد بهما مرتين والله أعلم .

قال ابن اسحاق رحمه الله : ثم ارتحل رسول الله ﷺ وقد قدمها فلما استقبل الصفراء وهي
قرية بين جبليين سأل عن جبلها ما اسمها ؟ فقالوا يقال لاحدها مسلح وللآخر مخزئ ، وسأل
عن أهلها فقيل بنو النزار . وبنو حراق ، بطنان من غفار فكرهما رسول الله ﷺ والمرور بينهما
وتفاعد بأسمائهما وأسماء أهلها فتركهما والصفراء ببسار وسلك ذات الميمن على واد يقال له ذفران فخرج
فيه ثم نزل وأتاه الخبر عن قريش وهديرهم ليعينوا غيرهم . فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش فقام
أبو بكر الصديق فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال
يا رسول الله ارض لما أراك الله ، فتحزن معك والله لا تقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب
أنت ، ياك فقاتلا إنا ههنا فاعينهم ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون في الذي
بعثناك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغنم لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له رسول الله ﷺ
خيرا ودعاه . ثم قال رسول الله ﷺ : « أشيروا علي أيها الناس » وإنما يريد الانصار ، وذلك
أنهم كانوا عديد الناس وأنهم حين يابعونه بالعقبة قالوا يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى
دينا ، فإذا وصلت إليها فانت في ذمتنا فممنع منه أبناءنا ونساءنا ، فكان رسول الله ﷺ
يتخوف أن لا تكون الانصار ترى عليهم نصره إلا من دمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم
أن يسير بهم إلى عده من بلادهم . فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ : والله
لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال « أجل » قال فقد آتينا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو
الحق وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك ، فامض يا رسول الله لما أردت
فترض معك في الذي بعثناك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخاف منا رجل
واحد وما نذكرك أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء لعل الله بربك منا
ما تقر به عينتك ، فسر على بركة الله قال فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ثم قال : « سيروا
وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم » هكذا
رواه ابن اسحاق رحمه الله . وله شواهد من وجوه كثيرة فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه حدثنا
أبو أنس بن مالك عن رافع بن خديج عن شهاب قال سمعت ابن مسعود يقول شهدت من
المقداد بن الاسود مشهدا لأن أكون صاحبه أحب إلى مما عدل به ، أتى النبي ﷺ وهو يدعو

على المشركين . فقال : لا تقول كما قال قوم موسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون
ولكن قاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك ، فرأيت النبي ﷺ أشرف وجهه بسرم
انفرد به البخاري دون مسلم فرواد في مواضع من صحيحه من حديثه . وقال النسائي من
حديثه وعنده : وجاء المقداد بن الأسود يوم بدر على فرس فله كره . وقال الإمام أحمد حدثنا عبيدة
- هو ابن حميد - عن حميد الطويل عن أنس قال : استشار النبي ﷺ عكرمة إلى بدر فاستشار عليه
أبو بكر ، ثم استشارهم فاستشار عليه عمر ، ثم استشارهم فقاتل بعض الأنصار : إياكم يريد رسول الله
يا معشر الأنصار . فقاتل بعض الأنصار : يا رسول الله إذا لا تقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب
أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن والذي بيمينك باطني لو ضربت أكبادنا إلى ربك الغار
لاتبعناك . وهذا إسناد ثلاثي صحيح على شرط الصحيح . وقال أحمد أيضا حدثنا عثمان بن أحمد
عن ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ : شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان قال فلكم أم
بكر فاعرض عنه ثم تكلم عمر فاعرض عنه فقال سمع بن عباد إيانا يريد رسول الله ﷺ والذي
نفسى بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحار لاخضناها ولو أمرتنا أن نصرب أكبادنا إلى ربك الغار
لفعلنا ، فندب رسول الله ﷺ الناس قال فاطلوا حتى نزلوا بدرا حدث علي بن رواحة قال
وفيه غلام أسود لبني الحجاج ، فاحذوه وكان أصعب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان
وأصحابه فيقول مالي علم بأبي سفيان ولكن هذا أبو جهل بن هشام وعقبة بن أبي معوية بن نوفل
فاذا قال ذلك ضربوه فإذا ضربوه . قال نعم أنا أخبركم هذا أبو سفيان فإذا تركوه فماتوا قال مالي
بأبي سفيان علم ولكن هذا أبو جهل وعقبة وشيبة وأميه ، فإذا قال هذا أيضا ضربوه . رسول الله
ﷺ قائم يصلي ، فلما رأى ذلك انصرف فقال والذي نفسي بيده إنكم لتضربونه إن لم تستمعوا
وتتركونه إذا كذبكم . قال وقال رسول الله ﷺ : هذا مصرع فلان يطع الله على الأرض ههنا
وههنا ، فما أظأ أحدكم عن موضع يد رسول الله ﷺ . ورواه مسلم عن أبي بكر عن عقبة بن نوفل .
وقد روى ابن أبي حاتم في تفسيره وابن مردويه - واللفظ له - من طريق عبد الله بن سليمان
بريد بن أبي حبيب عن أسلم عن أبي عمران أنه سمع أبا أيوب الأنصاري يقول قال رسول الله ﷺ
ونحن بالمدينة : « إني أخبرت عن غير أبي سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن نخرج قبل ما يركب العير
لعل الله يغمناها ؟ » قلنا نعم اخرج وخرجنا فلما سرنا يوما أو يومين قال لنا « ما ترون في القوم
فأنهم قد أخبروا بخرجكم ؟ » قلنا لا والله ما لنا طاقة بقتل القوم واسكننا أمدنا العير ، ثم قال « ما
ترون في قتال القوم ؟ » قلنا مثل ذلك . فقال المقداد بن عمرو [فقاتل] إذا لا تقول لك يا رسول الله
قال قوم موسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، قال فتعني معشر الأنصار لو أنا

قلنا مثل ما قال المتباد أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم فأنزل الله عز وجل على رسوله (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) وذكر تمام الحديث . وروى ابن مردويه أيضا من طريق محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي عن أبيه عن جده . قال خرج رسول الله ﷺ إلى بدر حتى إذا كان بالروحاء خطب الناس فقال : « كيف ترون ؟ » فقال أبو بكر يارسول الله بلغنا أنهم بكذا وكذا ، قال ثم خطب الناس فقال « كيف ترون ؟ » فقال عمر مثل قول أبي بكر ثم خطب الناس فقال « كيف ترون ؟ » فقال سعد بن معاذ يارسول الله إيانا تريد ؟ فوالذي أكرمك وأزل عليك الكتاب ما سلكتها قط ولا لي بها علم ، ولئن سرت حتى تأتي برك الغماد من ذي من لتسيرن معك ولا نكون كالذين قالوا لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا همك متبعون ، ولعل أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك غيره فانظر الذي أحدث الله إليك فامض فصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وعاد من شئت وسالم من شئت وخذ من أموالنا ما شئت . فنزل القرآن على قول سعد (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) الآيات . وذكره الاموي في مغازيه وزاد بعد قوله وخذ من أموالنا ما شئت وأعطينا ما شئت يوما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت : وما أمرت به من أمر فامرنا تبع لأمرك فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لتسيرن معك .

قال ابن اسحاق : ثم ارتحل رسول الله ﷺ من ذفران فسلك على ثنايا يقال لها الاصافر ثم انحط منها إلى بلد يقال له الديبة ^(١) وترك الحثان يمين وهو كثيب عظيم كالجليل العظيم ، ثم نزل قريبا من بدر فركب هو ورجل من أصحابه . قال ابن هشام هو أبو بكر . قال ابن اسحاق - كما حدثني محمد بن يحيى بن حبان - حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم . فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنما ؟ فقال له رسول الله ﷺ إذا أخبرتما أخبرناك فقال أو ذاك بذاك ؟ قال نعم قال الشيخ فانه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فان كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم يمكن كذا وكذا للمكان الذي به رسول الله ﷺ وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا فان كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم يمكن كذا وكذا . للمكان الذي به قريش ، فلما فرغ من خبره قال ممن أنما ؟ فقال له رسول الله ﷺ فمن من ماء ؟ ثم انصرف عنه . قال يقول الشيخ : ما من ماء أمن ماء العراق ؟ قال ابن هشام : يقال لهذا الشيخ سفيان الضمري .

(١) كذا في الاصلين وابن هشام . وفي معجم البلدان وفي تاريخ ابن جرير في هذا الخبر : الديبة بالباء الموحدة مشددة وهو الصحيح .

قال ابن اسحاق : ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر ليتسوروا الخبر له كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير فاصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بنى الحجاج وعريض أبو يسار غلام بنى العاص بن سميد ، فأتوا بهما فأنزلوهما ورسول الله ﷺ قائم يصلي فقاموا نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء ، فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لابي سفيان فضر بهما ، فلما أذلوهما قالوا نحن لابي سفيان فتركوهما وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدة وسلم . وقال : « إذا صدقاكم ضر بتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما صدقا والله إنهما لقريش ، أخبراني عن قريش ؟ » قالوا هم وراء هذا الكذيب الذي ترى بالعدوة القصوى ، والكذيب المعتقل . فقال لما رسول الله ﷺ كم القوم ؟ قالوا كثير . قال ما عدتهم ، قال لا أدري ، قال كم ينحرون كل يوم ؟ قالوا يوما تسعا ويوما عشرا . فقال رسول الله ﷺ : « القوم ما بين السماء إلى الأرض » ثم قال لما فن فيهم من أشرف قريش قالوا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدي بن نوفل والنضر بن الحارث وزهعة بن الأسود وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبدود . قال فاقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال : « هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها » .

قال ابن اسحاق : وكان بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدرا فأتاها إلى تل قريب من الماء ثم أخذوا شاة لهما يستقيان فيه . ومجدي بن عمرو الجهمي على الماء فسمع عدي وببس جاريتين من جواري الحاضر وهما يتلازمان على الماء والمزومة تقول لصاحبتها إنما تأتي العير غداً أو بعد غد فأعمل فسم ثم أقضيت الذي لك . قال مجدي صدقت ثم خلص بينهما . وسمع ذلك عدي وببس فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ وأخبرا بما سمعا ، وأقبل أبو سفيان حتى تقدم العير خذرا حتى ورد الماء . فقال لمجدي بن عمرو هل أحسست أحداً ؟ قال ما رأيت أحداً أنكره إلا أني قد رأيت راكبين قد أتاها إلى هذا التل ثم استقيا في شاة لهما ثم انطلقا ، فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعار بعيريهما فنته فاذا فيد النوى . فقال : هذه والله علائف يترب فرجع إلى أصحابه سريعا فضرب وجه غيره عن الطريق فدخل بها وترك بدرا يسار وانطلق حتى أسرع وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجحفة رأى جهم بن الصلت بن مخزومة بن المطلب ابن عبدمناف رؤيا . فقال : إني رأيت فيما يرى النائم واليقيظان إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ووجهه بعير له ثم قال : قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم ابن هشام وأمية بن خلف وفلان وفلان فعد رجلا ممن قتل يوم بدر من أشرف قريش ، ثم رأيت

ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في المسكر فما بقي خبء من أخبية المسكر إلا أصابه نضح من دمه فبلغت
أبا جهل لعنه الله فقال هذا أيضا في آخر من بنى المطلب سيملم غدا من المقتول إن نحن التقينا .
قال ابن اسحاق : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز غيره أرسل إلى قريش انكم إنما خرجتم
لتمنعوا عسركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجموا ، فقال أبو جهل بن هشام : والله لا نرجع
حتى نرد بدرأ . وكان بدر موسيا من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام فنقيم عليه ثلاثا فننحر
الجزور ونظم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون
يهايوننا أبدا فاضوا . وقال الاخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي - وكان حليفا لبني زهرة -
وهم بالحنفة : يا بني زهرة قد نجى الله لكم أموالكم ، وخلص لكم صاحبكم مخزومة بن نوفل ، وانما
نفرتم لتمنعوه وماله فاجعلوا بي جيبها وارجموا فانه لا حاجة لكم بان تخرجوا في غير ضيعة لاما يقول
هذا . قال فرجموا فلم يشهدا زهري واحد ، أطاعوه وكان فيهم مطاعا ولم يكن بقي بطن من قريش إلا
وقد نفر منهم ناس إلا بني عدي لم يخرج منهم رجل واحد ، فرجعت بنو زهرة مع الاخنس فلم يشهد
بدرأ من هاتين القبيلتين أحد . قال : ومضى القوم وكان بين طالب بن أبي طالب - وكان في القوم -
وبين بعض قريش محاورة . فقالوا : والله لقد عرفنا يا بني هاشم - وإن خرجتم معنا - أن هواكم مع
محمد ، فرجع طالب إلى مكة مع من رجع . وقال في ذلك :

لاهمّ إما يغزون طالب في عصبة محالف محارب
في مقنب من هذه المقائب فليكن المساوب غير الساب
وليكن المغلوب غير الغالب

قال ابن اسحاق : وهضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي خلف العقنقل و بطن
الوادي وهو ليليل ، بين بدر وبين العقنقل الكشيبي الذي خلفه قريش ، والقليب ببدر في العدوة
الدنيا من بطن ليليل إلى المدينة .

قلت : وفي هذا قال تعالى (اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم)
أي من ناحية الساحل (ولو تواعدتم لاختلقتم في الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا)
الآيات . وبعث الله السماء وكان الوادي دهسا فاصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ماء لبندهم
الارض ولم يمنهم من السير ، واصاب قريشا منها ماء لم يقدروا على أن يرتحلوا معه .

قلت وفي هذا قوله تعالى (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان
وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام) فذكر أنه طهرهم ظاهرا وباطنا ، وأنه ثبت أقدامهم وشجع
قلوبهم وأذهب عنهم تخذيل الشيطان وتخويقه للنفوس ووسوسته الخواطر ، وهذا تثبيت الباطن

والظاهر وأنزل النصر عليهم من فوقهم في قوله (اذ يوحى ربك إلى الملائكة أئى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألنى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق) أى على الرؤوس (واضربوا منهم كل بنان) أى لئلا يستمسك منهم السلاح (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ، ذلكم فذوقوه وأن لا تكافرين عذاب النار) .

قال ابن جرير : حدثنى هارون بن اسحاق ثنا مصعب بن المقدام ثنا اسرائيل ثنا أبو اسحاق عن حارثة عن علي بن أبي طالب . قال : أصابنا من الليل طش من المطر - يعنى اللبنة التى كانت فى صبيحتها وقعة بدر - فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر ، وبات رسول الله ﷺ - يعنى قائما يصلى - وحرص على القتال . وقال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة عن أبي اسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي . قال : ما كان فينا فارس يوم بدر إلا المقداد . ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلى ويبكى حتى أصبح ، وسيأتى هذا الحديث مطولا . ورواه النسائي عن بندار عن غندر عن شعبة به . وقال مجاهد : أنزل عليهم المطر فاطفأ به الغبار وتلبت به الأرض وطابت به أنفسهم وثبتت به أقدامهم .

قلت : وكانت ليلة بدر ليلة الجمعة السابعة عشر من شهر رمضان سنة ثنتين من الهجرة ، وقد بات رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلى إلى جذع شجرة هناك ، ويكثر فى سجوده أن يقول « يا حي يا قيوم » يكرر ذلك ويلفظ به عليه السلام .

قال ابن اسحاق : نخرج رسول الله ﷺ بيادهم إلى الماء حتى جاء أدنى ماء من بدر نزل به . قال ابن اسحاق : فحدثت عن رجال من بنى سلة أنهم ذكروا أن الحباب بن منذر بن الجوح . قال يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أم نزلا أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه . أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال بل هو الرأى والحرب والمكيدة . قال يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل فأمض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله ﷺ « لقد أشرت بالرأى » . قال الاموى حدثنا أبي قال وزعم السكابي عن أبي صالح عن ابن عباس . قال بينا رسول الله ﷺ يجمع الافاص^(١) وجبريل عن يمينه إذ أتاه ملك من الملائكة فقال يا محمد ان الله يقرأ عليك السلام فقال رسول الله ﷺ : « هو السلام ومنه السلام واليه السلام » فقال الملك إن الله يقول لك ان الأمر [هو] الذى أمرك به الحباب بن المنذر . فقال رسول الله ﷺ يا جبريل هل تعرف هذا ؟ فقال ما كل أهل السماء أعرف وأند لصادق وما هو بشيطان فتبعض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس

(١) الافاص : كذا فى الاصلين ولم نعلم على هذا النص فى غيرها .

فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ثم أمر بالقلب فمورت ، وبنى حوضاً على القلب الذي نزل عليه فلي ماء ثم قدفوا فيه الآية . وذكر بعضهم أن الحباب بن المنذر لما أشار بما أشار به على رسول الله ﷺ نزل ملك من السماء وجبريل عند النبي ﷺ فقال الملك يا محمد ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك انت الرأى ما أشار به الحباب ، فنظر رسول الله ﷺ الى جبريل فقال ليس كل الملائكة أعرفهم وأنه ملك وليس بشيطان . وذكر الاموى أنهم نزلوا على القلب الذي يلي المشركين نصف الليل وأنهم نزلوا فيه واستمعوا منه وملؤا الحياض حتى أصبحت ملاء وليس للمشركين ماء .

قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر انه حدث ان سعد بن معاذ . قال : يا نبي الله ألا نبني لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان اعزنا الله واظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلهقت بين ورائنا من قومنا فقد تخلف عنك اقوام ما نحن بأشد حبالك منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، ينعك الله بهم ينصاحونك ويجاهدون معك . فأتاني عليه رسول الله ﷺ خيراً ودعاه لخير ، ثم بنى لرسول الله ﷺ عريشاً كان فيه .

قال ابن اسحاق : وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فاقبلت ، فلما رآها رسول الله ﷺ تصوب من العققل وهو السكيب الذي جاؤا منه إلى الوادي . قال : « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وغرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم أحسنهم ^(١) الغداة » . وقد قال رسول الله ﷺ - وقد رأى عتبة بن ربيعة في القوم وهو على جمل له احمر « إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الاحمر » إن يطيعوه يرشدوا قال : وقد كان خفاف بن ايماء بن رخصة أو أبوه ايماء بن رخصة الغفاري ، بعث إلى قريش ابنته بجزائر أهداها لهم . وقال : « إن أحببتهم أن نمدكم بسلاح ورجال فعلنا » قال فارسلوا اليه مع ابنه أن وصلتكم رحم ، وقد قضيت الذي عليكم ، فلعمرى إن كنا إنما نقاتل الناس ما بنا ضعف عنهم ، وإن كنا إنما نقاتل الله كما يزعم محمد فما لاحد بالله من طاقة . قال فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله ﷺ فيهم حكيم بن حزام ، فقال رسول الله ﷺ دعوهم فما شرب منه رجل يومئذ إلا قتل إلا ما كان من حكيم بن حزام فانه لم يقتل ثم أسلم بعد ذلك فحسن اسلامه فكان إذا اجتهد في يمينه قال لا والذي نحياي يوم بدر .

قلت : وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً كما سيأتي بيان ذلك

(١) أحسنهم : أي أهلكهم من الحين وهو الهلاك ذكره الخشني في غريب السيرة .

في فصل نعتهم بعد الوقعة ، ونذكر أسماءهم على حروف المعجم إن شاء الله .

ففي صحيح البخاري عن البراء . قال : كنا نحدث أن أصحاب بدر ثلثمائة وبضع عشرة على عدة أصحاب طلوت الذين جاوزوا معه النهر ، وما جاوزوه معه إلا مؤمن . والبخاري أيضا عنه . قال استصغرت أنا وابن عمي يوم بدر وكان المهاجرون يوم بدر نيفا على ستين ، والانصار نيفا وأربعون ومائتان . وروى الامام احمد عن نصر بن رئاب عن حجاج عن الحكم عن مسم عن ابن عباس أنه . قال : كان أهل بدر ثلثمائة وثلاثة عشر ، وكان المهاجرون سبعة وسبعين وكان هزيمة أهل بدر لسبع عشرة مضي من شهر رمضان يوم الجمعة . وقال الله تعالى (إذ يريكم الله في منامك قليلا ولو أراكم كثيرا لفشتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم) الآية . وكان ذلك في منام تلك الليلة وقيل إنه نام في العريش وأمر الناس أن لا يقاتلوا حتى يأذن لهم ، فدنا القوم منهم فجعل الصديق يوقظه ويقول يا رسول الله دنوا منا فاستيقظ ، وقد أراه الله إياهم في منامه قليلا . ذكره الأديب وهو غريب جدا . وقال تعالى (إذ يريكم الله إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقلبك في أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا) . فعند ما تقابل الفريقان قلل الله كلا منهما في أعين الآخرين ليحترئ هؤلاء على هؤلاء وهؤلاء على هؤلاء لما له في ذلك من الحكمة البالغة ، وليس هذا معارض لقوله تعالى في سورة آل عمران (قد كان لكم آية في فتنتين التقتا ، فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء) فان المسمى في ذلك على أسح القولين أن الفرقة الكافرة ترى الفرقة المؤمنة مثلى عند الكافرة على الصحيح أيضا ، وذلك عند التحام الحرب والمساواة أوقع الله الوهن والرعب في قلوب الذين كفروا فاستدرجهم أولا بان أراهم إياهم عند المواجهة قليلا ، ثم أيد المؤمنين بنصره فجعلهم في أعين الكافرين على الضعف منهم حتى وهنوا وضعفوا وغلبوا . ولهذا قال (والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعلوة لاولي الا بصار) . قال اسرائيل بن أبي اسحاق عن أبي عبيد وعبد الله . لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى أني لأقول لرجل إلى جنبي أراهم سبعين ؟ فقال أراهم مائة .

قال ابن اسحاق : وحدثني أبي اسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الانصار قالوا : لما أطمأن القوم بعنوا عمير بن وهب الجهني فقالوا احذر لنا القوم أصحاب محمد ، قال فاستجبال بفرسه حول المعسكر ثم رجع إليهم فقال ثلثمائة رجل يزيدون قليلا ، ويقتضون ولحسن أمهلني حتى أنظر ألقوم كمين أو مدد . قال فضرب في الوادي حتى أبعد فلم ير شيئا . فرجع إليهم فقال : ما رأيتم شيئا ، ولكن قد رأيتم يا معشر قريش البلاء تعمل المنايا . فواضح يثرع لعمال الموت الناقع قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل

رجالاً منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فرؤوا رأيكم ؟ فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد إنك كبير قریش وسيدها والمطامع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال وما ذلك يا حكيم ؟ قال ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي قال قد فعلت أنت على بذلك ، إنما هو حليفني فعلى عقله وما أصيب من ماله . فأتى ابن المنظلية — يعني أبا جهل — فأتى لا أخشى أن يسجر^(١) أمر الناس غيره ، ثم قام عتبة خطيباً فقال : يا مشر قریش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر إلى وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه — أو ابن خاله — أو رجلاً من عشيرته فأرجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه فذلك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك الفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون قال حكيم : فإطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد نزل درعا فهو يهشها^(٢) فقلت له يا أبا الحكم إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا فقال : انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه ، فلا والله لا ترجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعثته ما قال ولسكنه رأى محمداً وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابنه فقد تخوفكم عليه ، ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي . فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع الناس ، وقد رأيت ثارك بعينك فقم فانشد خفرتك ومقتل أخيك ، فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ وأعرأه وأعرأه . قال فخميت الحرب وحقب أمر الناس واستوثقوا على ما هم عليه من الشر وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة . فلما بلغ عتبة قول أبي جهل انتفخ والله سحره قال : سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره أنا أم هو ، ثم اتبس عتبة بيضة ليدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسعه من عظم رأسه فلما رأى ذلك اعتجز على رأسه يبرده .

وقد روى ابن جرير من طريق مسور بن عبد الملك أنيربوعى عن أبيه عن سعيد بن المسيب قال : بينا نحن عند مروان بن الحكم إذ دخل حاجبه فقال : حكيم بن حزام يستأذن ، قال أئذن له فلما دخل قال : مرحباً يا أبا خالد أدن ، فقال عن صدر المجلس حتى جلس بينه وبين الوسادة ثم استقبل فقال : حدثنا حديث بدر . فقال : خرجنا حتى إذا كنا بالجحفة رجعت قبيلة من قبائل قریش بأسرها فلم يشهد أحد من مشركيهم بدرًا ، ثم خرجنا حتى نزلنا العدو التي قال الله تعالى ، فجئت عتبة بن ربيعة فقلت يا أبا الوليد هل لك في أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت ؟ قال أفعل ماذا ؟ قلت إنكم لا تطلبون من محمد إلا دم ابن الحضرمي وهو حليفك ، فتحمل بدينه ويرجع^(١) في ابن هشام بالشين المعجمة . (٢) في الحلبية مهملة من النقط ، وفي سيرة ابن هشام يهشها ومعنى يهشها يتفقدتها ويصلحها .

الناس . فقال أنت على بذلك وأذهب الى ابن الحنظلية . يعني أيا جهل . فقل له هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك ؟ فجئته فاذا هو في جماعة من بين يديه ومن خلفه ، وإذا ابن الحنظري واقف على رأسه وهو يقول : فسخت عقدي من عبد شمس ، وعقدي اليوم إلى بني مخزوم فقلت له يقول لك عتبة بن ربيعة هل لك أن ترجع اليوم بمن معك ؟ قال أما وجد رسولاً غيرك ؟ قلت لا ولم أكن لأكون رسولاً لغيره . قال حكيم فخرجت مبادراً إلى عتبة لئلا يفوتني من الخير شيء وعتبة متكى على إيماء بن رخصة الغفاري ، وقد أهدي إلى المشركين عشرة جزائر . فطالع أبو جهل الشر في وجهه فقال لعتبة : انتفخ محرك ؟ فقال له عتبة : مستعلم ، فسل أبو جهل سيفه فضرب به متن فرسه ، فقال إيماء بن رخصة بئس الغال هذا ، فعند ذلك قامت الحرب . وقد صف رسول الله ﷺ أصحابه وعبأهم أحسن تعبئة فروى الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف . قال : صفنا رسول الله ﷺ يوم بدر ليلاً . وروى الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة حسدني يزيد بن أبي حبيب أن أسلم أبا عمران حدثه أنه سمع أبا أيوب يقول : صفنا رسول الله ﷺ يوم بدر فبدرت منا بادرة أمام الصف ، فنظر إليهم النبي ﷺ فقال : « معي معي » تفرد به أحمد وهذا اسناد حسن .

وقال ابن اسحاق : وحدثني حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قدح يعدل به القوم . فمر بسواد بن غزيرة حليف بني عدي ابن النجار وهو مستنزل من الصف : فطمع في بطنه بالقدح وقال « استو يا سواد » فقال يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فاقدني فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه فقال استمده ، قال فاعتنقه فقبل بطنه ، فقال ما حالك على هذا يا سواد ؟ قال يا رسول الله حضر ما ترى فارتدت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلديك ، فدعا له رسول الله ﷺ بخير ﷺ وقاله . قال ابن اسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عوف بن الحارث - وهو ابن عفراء - قال يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده ؟ قال « غمسه يده في العدو حاسراً » فترع درعا كانت عليه فمذقها ، ثم أخذ سيفه فقتل حتى قتل رضى الله عنه . قال ابن اسحاق ثم عدل رسول الله ﷺ الصفوف ورجع إلى العريش فدخله ومعه أبو بكر ليس معه فيه غيره . وقال ابن اسحاق : وغيره وكان سعد بن معاذ رضى الله عنه واقفاً على باب العريش متقلداً بالسيف ومعه رجال من الانصار يحرسون رسول الله ﷺ خوفاً عليه من أن يدهمه العدو من المشركين والجنائب النجائب . هيأة رسول الله ﷺ ان احتاج اليها ركبها ورجع الى المدينة كما أشار به سعد بن معاذ . وقد روى البزار في مسنده من حديث محمد بن عقيل عن علي أنه خطبهم فقال : يا أيها الناس من أشجع الناس ؟ فقالوا أنت يا أمير المؤمنين . فقال أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه ، ولكن هو أبو بكر ، إنا جعلنا رسول الله ﷺ عريشاً فقلنا

من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوى اليه أحد من المشركين ، فوالله ما دنا منا أحد الا أبو بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوى اليه أحد الا أهوى اليه فهذا أشجع الناس . قال ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قریش فهذا يجاهده ، وهذا يتلته ويقولون أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً فوالله ما دنا منا أحد الا أبو بكر يضرب ويجاهد هذا ويتلنل هذا وهو يقول : ويلكم أقتلوا رجلاً أن يقول ربى الله ثم رفع على بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحينه ثم قال : أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم هو ؟ فسكت القوم ، فقال على : فوالله لساعة من أبى بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون ، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه . ثم قال البزار لا نعلمه يروى الا من هذا الوجه . فهذا خصوصية تصديق حيث هو مع الرسول في العريش كما كان معه في القارضى الله عنه وأرضاه . ورسول الله ﷺ يكثر الابتهال والتضرع والدعاء ويقول فيما يدعو به « اللهم إني أنتملك هذه العصاة لا تعبد بعدها فى الأرض » وجعل يهتف بربه عز وجل ويقول « اللهم أنجز لى ما وعدتنى ، اللهم نصرك » ويرفع يديه الى السماء حتى سقط الرداء عن منكبيه . وجعل أبو بكر رضى الله عنه يلتزمه من ورائه ويسوى عليه رداءه ويقول مشفقاً عليه من كثرة الابتهال : يا رسول الله بعض مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك .

[هكذا حكى السهيلي عن قاسم بن ثابت أن الصديق إنما قال بعض مناشدتك ربك من باب الاشتغال لما رأى من نصبه فى الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه فقال : بعض هذا يا رسول الله أى لم تتعب نفسك هذا التعب والله قد وعدك بالنصر ، وكان رضى الله عنه رقيق القلب شديد الاشتغال على رسول الله ﷺ . وحكى السهيلي عن شيخه أبى بكر بن العربى بانه قال : كان رسول الله ﷺ فى مقام الخوف والصديق فى مقام الرجاء وكان مقام الخوف فى هذا الوقت - يعنى أكمل - قال لأن الله أن يفعل ما يشاء يخاف أن لا يعبد فى الأرض بعدها ، فخوفه ذلك عبادة . قلت وأما قول بعض الصوفية إن هذا المقام فى مقابلة ما كان يوم الغار فهو قول مردود على قائله إذ لم يتذكر هذا القائل عور ما قال ولا لازمه ولا ما يترتب عليه والله أعلم] (١) .

هذا وقد تواجه الثنتان وتقابل الفريقان وحضر الحصان بين يدى الرحمن واستغاث بربه سيد الانبياء وضح الصحابة بصنوف الدعاء إلى رب الارض والسماء سامع الدعاء وكشف البلاء . فكان أول من قتل من المشركين الاسود بن عبد الاسد الخزومى . قال ابن اسحاق : وكان رجلاً شرساً سىء الخلق فقال : أعاهد الله لأشرب من حوضهم أو لأهد منه أو لأموتن دونه ، فلما خرج خرج اليه حمزة بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضرب به حمزة فاطن قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع

على ظهره تشخب رجلاه دما نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الموضع حتى اتفهم فيسار يريدهم أن يبريهم
واتيهم حمزة ففرض به حتى قتله في الموضع . قال الاموي : لم يسمي عنده ذلك عتبة بن ربيعة وأراد أن
يظهر شجاعته ، فبرز بين أخيه شيعة وابنه الوليد ، فلما توسلوا بين الضمير دعوا إلى البرار فخرج
اليهم فتية من الانصار ثلاثة وهم عوف وهماذ ابنا الحارث وأمهما عفرأ ، والثالث عبد الله بن رواحة
... فيما قيل ... فقالوا من أنتم ؟ قالوا رهط من الانصار . فقالوا مالنا بكم من حاجة . وفي رواية فقالوا
أ كفاء كرام ولكن أخرجوا إلينا من بني عمناء ونادي منادهم : يا محمد اخرج إلينا أ كفاءنا من
قومنا . فقال النبي ﷺ : « قم يا عبدة بن الحارث ، وقم يا حمزة ، وقم يا علي » وعند الاموي أن النفر
من الانصار لما خرجوا كره ذلك رسول الله ﷺ لأنه أول موقف واجد فيه رسول الله ﷺ أعداءه
فاحب أن يكون أولئك من عشيرته فامرهم بالرجوع وأمر أولئك الثلاثة بالخروج .

قال ابن اسحاق فلما دنوا منهم قالوا من أنتم ؟ -- وفي هذا دليل أنهم كانوا ملبسين لا يعرفون
من السلاح -- فقال : عبدة عبدة ، وقال حمزة حمزة ، وقال علي علي . قالوا نعم ! أ كفاء كرام .
فبارز عبدة وكان أسن القوم عتبة ، وبارز حمزة شيعة . وبارز علي الوليد بن عتبة . فلما حمزة فلم
يمهل شيعة أن قتله وأما علي فلم يهل الوليد أن قتله ، واختلف عبدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما
أثبت صاحبه ، وكر حمزة وعلي بسيفهما على عتبة فدفننا عليه واحتملا صاحبهما لقتلهم إلى أنهما
رضي الله عنه .

وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي جعفر عن قيس بن عباد عن أبي ذر : أنه كان يقسم
قسما أن هذه الآية (هذان خصمان اختصموا في ربهم) نزلت في حمزة وصاحبه ، وعتبة وصاحبه
يوم برزوا في بدر . هذا لفظ البخاري في تفسيرها . وقال البخاري حدثنا حجاج بن محمد حدثنا
المعتمر بن سليمان سمعت أبي ثنا أبو جعفر عن قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب أنه قال : أنا أول
من يحمي بين يدي الرحمن عز وجل في الخوض يوم القيامة . قال قيس : وفيهم نزلت (هذان
خصمان اختصموا في ربهم) قال هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبدة وشيبة بن ربيعة وعتبة
ابن ربيعة والوليد بن عتبة ، تفرد به البخاري . وقد أوسعنا الكلام على ما في المتن بما فيه كفاية
ولله الحمد والمنة .

وقال الاموي حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي اسحاق عن ابن المبارك عن اسمعيل بن أبي خالد
عن عبد الله بن يحيى . قال : برز عتبة وشيبة والوليد وبرز اليهم حمزة وعبدة وعلي . فقالوا تسكنوا
نعر فكم . فقال حمزة : أنا أسد الله وأسد رسول الله أنا حمزة بن عبد المطلب . فقال كفوا كريم . وقال
علي أنا عبد الله وأخو رسول الله ، وقال عبدة : أنا الذي في الخفاء ، فقام كل رجل إلى رجل فقاتلوه

فقتلهم الله . فقالت هند في ذلك :

أعني جودي بدمع سرب على خير خندف لم ينقلب
تداعي له رهطه غدوة بنو هاشم وبنو المطلب
يذيقونه حد أسيافهم يعاونه بعد ما قد عطب
ولهذا فنت همد أن تأكل من كبدة حمزة .

قلت : وعبيدة هذا هو ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ولما جازوا به إلى رسول الله ﷺ أضجموه إلى جانب موقف رسول الله ﷺ فأشرفه ^(١) رسول الله ﷺ قدمه فوضع خده على قدمه الشريفة وقال : يا رسول الله لو رأي أبي طالب لعلم أنني أحق بقوله :

ونسلمه حتى أنصرع دونه ونذهل عن أبنائنا والخلائل

ثم مات رضي الله عنه فقال رسول الله ﷺ « أشهد أنك شهيد » رواد الشافعي رحمه الله . وكان أول قتيل من المسلمين في المعركة مهجع مولى عمر بن الخطاب رمى بسهم فقتله . قال ابن اسحاق فكان أول من قتل ، ثم رمى بهند حارثة بن سراقة أحد بني عدي بن النجار وهو يشرب من الخوض بسهم فاصاب فخذه فمات . وثبت في الصحيحين عن أنس أن حارثة بن سراقة قتل يوم بدر وكان في النظارة أصابه سهم غرب فقتله ، فجاءت أمه فقالت يا رسول الله أخبرني عن حارثة فإن كان في الجنة صبرت وإلا فلا يرين الله ما أصنع - يعني من النياح - وكانت لم تحرم بعد . فقال لها رسول الله ﷺ « ويحك أهبلت ، إنهم جنان ثمان وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » .

قال ابن اسحاق : ثم تراحف الناس ودنا بعضهم من بعض . وقال : أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال إن اكنتم منكم القوم فانضحوا عنكم بالنبل . وفي صحيح البخاري عن أبي أسيد . قال قال لنا رسول الله ﷺ يوم بدر إذا اكنتم منكم القوم فانضحوا عنكم بالنبل . وفي صحيح البخاري واستمعتوا نبلكم . وقال البيهقي أخبرنا الحاكم أخبرنا الأصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار عن يونس ابن بكير عن أبي اسحاق حدثني عبد الله بن الزبير . قال : جعل رسول الله ﷺ شعار المهاجرين يوم بدر يا بني عبد الرحمن . وشعار الخزرج يا بني عبد الله . وشعار الاوس يا بني عبيد الله ، وسمى خيله خيل الله . قال ابن هشام : كان شعار الصحابة يوم بدر أحد أحد .

قال ابن اسحاق : ورسول الله ﷺ في العريش معه أبو بكر رضي الله عنه - يعني وهو يستغيث الله عز وجل - كما قال تعالى (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بالرف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم) .

قال الامام احمد حدثنا أبو نوح قراد ثنا عكرمة بن عمار ثنا سفيان الحنفي أبو زميل حدثني ابن عباس
حدثني عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ،
ونظر إلى المشركين فاذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبي ﷺ القبلة وعليه رداؤه وازارده ثم قال :
« اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام فلا تعبد بعد في الأرض
أبداً » فما زال يستغيث بربه ويدعوه حتى سقط رداؤه ، فأتاه أبو بكر فالتفت رداؤه ثم التزمه من
من ورائه ثم قال : يا رسول الله كفالك (١) مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فانزل الله (إذ
تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) وذكر تمام الحديث كما سيأتي
وقد رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن جرير وغيرهم من حديث عكرمة بن عمار الباقى وصححه على
ابن المديني والترمذي ، وهكذا قال غير واحد عن ابن عباس والسدي وابن جرير وغيرهم إن هذه
الآية نزلت في دعاء النبي ﷺ يوم بدر ، وقد ذكر الاموى وغيره أن المسلمين عجموا إلى الله عز وجل
في الاستغاثة بجنابه والاستسمانة به وقوله تعالى (بألف من الملائكة مردفين) أي ردفا لكم وممدداً
لفتمكم رواه العوفي عن ابن عباس ، وقاله مجاهد وابن كثير وعبد الرحمن بن زيد وغيرهم . وقال
أبو كندبة عن قابوس عن ابن عباس (مردفين) وراء كل ملك ملك . وفي رواية عنه بهذا الاسناد
(مردفين) بعضهم على أربع وكذا قال أبو ظبيان والضحاك وقتادة . وقد روى علي بن أبي
طلحة الوالي عن ابن عباس قال : وأمد الله نبيه والمؤمنين بألف من الملائكة ، وكان جبريل في
خمسمائة مجنبة ، وميكائيل في خمسمائة مجنبة ، وهذا هو المشهور . ولكن قال ابن جرير حدثني المنثري
حدثنا اسحاق ثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثني عبد العزيز بن عمران عن الربيع عن أبي الخوير
عن محمد بن جبير عن علي . قال : نزل جبريل في ألف من الملائكة على ميمنة النبي ﷺ وفيها
أبو بكر ، ونزل ميكائيل في ألف من الملائكة على ميسرة النبي ﷺ وأنا في الميسرة . ورواه
البيهقي في الدلائل من حديث محمد بن جبير عن علي فزاد : ونزل اسرافيل في ألف من الملائكة
وذكر أنه طعن يومئذ بالحربة حتى اختضبت إبطه من الدماء ، فذكر أنه نزلت ثلاثة آلاف من
الملائكة ، وهذا غريب وفي اسناده ضعف ولو صح لكان فيه تقوية لما تقدم من الأقوال وإيضا
قراءة من قرأ (بألف من الملائكة مردفين) بفتح الدال والله أعلم . وقال البيهقي أخبرنا الحاكم
أخبرنا الأصم ثنا محمد بن سنان القزاز ثنا عبيد الله بن عبد المجيد أبو علي الحنفي حدثنا عبيد الله بن
عبد الرحمن بن وهب أخبرني اسماعيل بن عوف بن عبد الله بن أبي رافع عن عبد الله بن محمد بن
عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده . قال : لما كان يوم بدر قاتلت شيئا من قتال . ثم جاءت
(١) في الحلبي : كذلك ، وفي المصرية : كذلك . والتصحيح من انسان العمون .

مسرعاً لا نظر إلى رسول الله ﷺ ما فعل ، قال فجئت فإذا هو ساجد يقول « يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم » لا يزيد عليها فرجعت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضاً ، فذهبت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضاً ، حتى فتح الله على يده . وقد رواه النسائي في اليوم واليلة عن بندار عن عبيد الله بن عبد المجيد أبي علي الحنفي . وقال الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال ما سمعت مناشداً ينشد أشد من مناشدة محمد ﷺ يوم بدر ، جمل يقول « اللهم إني أئشذك عهدك ووعدك ، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد » ثم التفت ، وكان شق وجهه القمر . وقال « كأي أنظر إلى مصارع القوم عشية » رواه النسائي من حديث الأعمش به . وقال لما التقينا يوم بدر قام رسول الله ﷺ فما رأيت مناشداً ينشد حقاً له أشد مناشدة من رسول الله ﷺ وذكره . وقد ثبت بإخباره عليه السلام بموضع مصارع رؤس المشركين يوم بدر في صحيح مسلم عن أنس بن مالك كما تقدم ، وسيأتي في صحيح مسلم أيضاً عن عمر بن الخطاب . ومقتضى حديث ابن مسعود أنه أخبر بذلك يوم الواقعة وهو مناسب ، وفي الحديثين الآخرين عن أنس وعمر ما يدل على أنه أخبر بذلك قبل ذلك بيوم ولا مانع من الجمع بين ذلك بأن يخبر به قبل بيوم وأكثر ، وإن يخبر به قبل ذلك بساعة يوم الواقعة والله أعلم . وقد روى البخاري من طرق عن خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر « اللهم أئشذك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً » فآخذ أبو بكر بيده وقال حسبك يا رسول الله أئشذت على ربك نفرج وهو يثب في الدرع وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) وهذه الآية مكية وقد جاء تصديقها يوم بدر كما رواه ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا أبو الربيع الزهراني ثنا حماد عن أيوب عن عكرمة قال لما نزلت (سيهزم الجمع ويولون الدبر) قال عمر : أي جمع يهزم وأي جمع يغلب ؟ قال عمر فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) فعرفت تأويلها يومئذ وروى البخاري من طريق ابن جريج عن يوسف بن ماهان سمع عائشة تقول نزل على محمد بمكة - وإني لجارية العب - (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) .

قال ابن إسحاق : وجمل رسول الله ﷺ ينشده ما وعد من النصر ويقول فيما يقول « اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد » وأبو بكر يقول : يا نبي الله بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك . وقد خفق النبي ﷺ [حقة] وهو في العريش . ثم انتبه فقال : « أبشر يا أبا بكر أنك نصر الله . هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا القمع » يعني الغبار . قال ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فعرضهم . وقال « والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل

صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة . قال عمير بن الحمام أخو بني سامة وفي يده تمرات
يا كاهن : يخ بخ أهما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ؟ قال ثم قذف التمرات من يده
وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رحمه الله .

وقال الامام احمد حدثنا هشام بن سليمان عن ثابت عن أنس . قال : بعث رسول الله ﷺ
بهبسا عينا ينظر ما صنعت غير أبي سفيان ، فجاء وما في البيت أحد غيري وغير النبي ﷺ قال
لا أدري ما استثنى من بعض نسائه ، قال فحدثه الحديث . قال فخرج رسول الله ﷺ فقال « إن لنا
طلبة فمن كان ظهره حاضر فليركب معنا » فحمل رجال يستأذونه في ظهورهم في علو المدينة قال « لا
إلا من كان ظهره حاضراً » وانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقتوا المشركين إلى بدر ، وجاء
المشركون فقال رسول الله ﷺ « لا يتقدم من أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه » فدنا
المشركون فقال رسول الله ﷺ « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض » قال يقول عمير بن
الحمام الانصاري يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال نعم ! قال يخ بخ ؟ فقال رسول الله
« ما يحملك على قول يخ بخ ؟ قال لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها ، قال فانك من
أهلها » قال فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه
إني أهلكها فلو يلة ، قال فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل رحمه الله . ورواه مسلم عن أبي
بكر بن أبي شيبة وجماعة عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن سليمان بن المغيرة به ، وقد ذكر ابن
جرير أن عميراً قاتل وهو يقول رضى الله عنه :

ركضاً إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد

والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضه انقباد

غير التقى والبر والرشاد

وقال الامام احمد : حدثنا حجاج حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن حارثة بن مضرب عن
علي . قال : لما قدمنا المدينة أصابنا من ثمارها فاجتمعوا بناها وأصابنا بها وعك ، وكان رسول الله ﷺ
يتحيز عن بدر فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله ﷺ إلى بدر - وبدر بشر - فسبقنا
المشركين إليها فوجدنا فيها رجلين رجلاً من قريش وهولي لعقبة بن أبي معيط فلما القرشي فانفلت ،
وأما المولى فوجدناه فجعلنا نقول له كم القوم ؟ فيقول هم والله كثير عددهم شديد بأسهم . فجعل المسلمون
إذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به إلى رسول الله ﷺ ، فقال له كم القوم ؟ قال هم والله كثير عددهم
شديد بأسهم . فبهذ النبي ﷺ أن يخبركم كم هم فإني ثم إن النبي ﷺ سأله كم ينحرون من الجوز ؟
فقال عشرًا كل يوم . فقال النبي ﷺ « القوم ألف ، كل جزور لمائة وتبعها » ثم إنه أصابنا من

الليل طش من مطر فاطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر ، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه ويقول « اللهم إنك إن هلك هذه الفئة لا تعبد » فلما طلع الفجر نادى الصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله ﷺ وحرص على القتال ثم قال « إن جمع قریش تحت هذه الضلع الحمراء من الجبل » فلما دنا القوم منا وصافقناهم إذا رجل منهم على جمل له أحر يسير في القوم ، فقال رسول الله ﷺ « يا علي ناد حمزة » وكان أقربهم من المشركين من صاحب الجمل الأحمر ، فجاء حمزة فقال : هو عتبة بن ربيعة وهو ينهى عن القتال ويقول لهم يا قوم أعصوبوها برأسي وقولوا جبن عتبة بن ربيعة ، وقد علمتم أني لست بأجنبكم . فسمع بذلك أبو جهل فقال : أنت تقول ذلك والله لو غيرك يقوله لا عضضته قد ملأت رئتك جوفك رعباً . فقال : إياي تعبريا مصفر استه ؟ سيعلم اليوم أننا الجبان فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد حمية فقالوا : من يبارز فخرج فتية من الانصار مشيبة فقال عتبة : لا نريد هؤلاء ، ولكن نبارز من بنى عمن من بنى عبد المطلب . فقال رسول الله ﷺ « قم يا حمزة ، قم يا علي ، وقم يا عبيدة بن الحارث بن المطلب » فقتل الله عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة . وجرح عبيدة فقتلنا منهم سبعين ، وأسروا سبعين وجاء رجل من الانصار بالعباس بن عبد المطلب أسيراً ، فقال العباس : يا رسول الله والله إن هذا ما أسرنى لقد أسرنى رجل أجلبح من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق ما أراه في القوم . فقال الانصاري : أنا أسرته يا رسول الله . فقال : « اسكت ، فقد أيدك الله بملك كريم » قال فأسرنا من بنى عبد المطلب العباس وعقيل وفوفل بن الحارث هذا سياق حسن وفيه شواهد لما تقدم ولما سيأتي . وقد تفرد بطوله الامام احمد . وروى أبو داود بمضه من حديث اسرائيل به ، ولما نزل رسول الله ﷺ من العريش وحرص الناس على القتال والناس على مصافهم صابرين ذاكرين الله كثيراً كما قال الله تعالى آمراً لهم (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً) الآية .

وقال الاموى حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي اسحاق قال قال الازاعي : كان يقال فلما ثبت قوم قياماً ، فمن استطاع عند ذلك أن يجلس أو يفض طرفه ويدكر الله رجوت أن يسلم من الرياء . وقال عتبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه : ألا ترونهم - يعني أصحاب النبي ﷺ - جثياً على الركب كأنهم حرس يلهظون كما تلهظ الحيات - أو قال الافاعي - . قال الاموى في مغازيه : وقد كان النبي ﷺ حين حرص المسلمين على القتال قد نفل كل امرئ ما أصاب . وقال « والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل أصابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » وذكر قصة عير بن الحمام كما تقدم ، وقد قاتل بنفسه الكريمة قتلاً شديداً ببدره ، وكذلك أبو بكر الصديق كما كانا في العريش يجاهدان بالدعاء والتضرع ، ثم نزلا فحرضا وحثا على القتال وقتلا بالابدان جمعا

بين المقامين الشريفين . قال الامام احمد : حدثنا وكيع حدثنا اسراييل عن أبي اسحاق عن حارثة ابن مضرب عن علي قال : لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوح برسول الله ﷺ وهو أقربنا من العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً . ورواه النسائي من حديث أبي اسحاق عن حارثة عن علي قال : كنا إذا حى الناس ولقي القوم اتقينا رسول الله ﷺ . وقال الامام احمد حدثنا أبو نعيم حدثنا مسعر عن أبي عون عن أبي صالح الخنفي عن علي . قال : قيل لعلي ولأبي بكر رضي الله عنهما يوم بدر : مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل ، واسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل - أو قال يشهد الصف - وهذا يشبه ما تقدم من الحديث أن أبا بكر كان في الميمنة ولما نزل الملائكة يوم بدر تنزلاً كان جبريل على أحد المجنبتين في خمسمائة من الملائكة ، فكان في الميمنة من ناحية أبي بكر الصديق ، وكان ميكائيل على المجنبة الأخرى في خمسمائة من الملائكة فوقموا في الميسرة وكان علي بن أبي طالب فيها [وفي حديث رواه أبو يعلى من طريق محمد بن جبير بن مطعم عن علي . قال كنت أسبح على القلب يوم بدر فجاءت ريح شديدة ثم أخرى ثم أخرى فنزل ميكائيل في الف من الملائكة فوق علي عمن رسول الله ﷺ وهناك أبو بكر ، واسرافيل في الف في الميسرة وأنا فيها ، وجبريل في الف قال ولقد دلفت يومئذ حتى بلغ إبطي ^(١) وقد ذكر صاحب العقد وغيره أن أنغر بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت :

وبئر بدر إذ يكف مطيهم جبريل تحت لوائنا ومحمد

وقد قال البخاري حدثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا جرير عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعه ابن رافع الزرقى عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال : جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال ما تمدون أهل بدر فيكم ؟ قال من أفضل المسلمين - أو كلمة نحوها - قال وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة . انفرد به البخاري . وقد قال الله تعالى (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني مسكم ففتبوا الذين آمنوا سألني في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق - يعني الرؤس - واضربوا منهم كل بنان) وفي صحيح مسلم من طريق عكرمة بن عمار عن أبي زميل حدثني ابن عباس . قال : بينما رجل من المسلمين يشتم في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وسوت الفارس أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه قد خر مستلقياً ، فنظر إليه فإذا هو عظيم وشق وجهه بضربة السوط وحضر ذلك أجمع فجاء الانصاري فحدث ذلك رسول الله ﷺ فقال « صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة » فقتلوا يومئذ سبعين ، وأسروا سبعين .

قال ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن حدثه عن ابن عباس عن رجل من

بنى غفار . قال : حضرت أنا وابن عم لي بدرًا ونحن على شركتنا ، وإنا في جبل ننتظر الوقعة على من تكون الدائرة ، فاقبلت سحابة فلما دنت من الجبل سمعنا منها حمضة الخليل ، وسمعنا قائلاً يقول : أقدم حيزوم فلما صاحى فأنكشف قناع قلبه فأت مكانه ، وأما أنا لكنت أن أهلك ثم انتعشت بعد ذلك . وقال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر عن بعض بني ساعدة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة - وكان شهيد بدرًا - قال - بعد أن ذهب بصره - لو كنت اليوم بيدرومى بصرى لأريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة لا أشك فيه ولا أتمارى . فلما نزلت الملائكة ورآها ابليس وأوحى الله اليه (أنى معكم فذبتوا الذى آمنوا) . وتنبههم أن الملائكة كانت تأتي الرجل في صورة الرجل يعرفه فيقول له أبشروا فانهم ليسوا بشئ والله معكم كروا عليهم .

وقال الواقدي حدثني ابن أبي حبيبة عن دؤاد بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس . قال كان الملك يتصور في صورة من يعرفون فيقول إني قد دنوت منهم وسمعهم يقولون لو سملوا علينا ما ثبتنا ليسوا بشئ إلى غير ذلك من القول فذلك قوله (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فذبتوا الذين آمنوا) الآية . ولما رأى ابليس الملائكة نكص على عقبيه وقال إني برئ منكم إني أرى مالا ترون وهو في صورة سراقه وأقبل أبو جهل يحرض أصحابه ويقول : لا يهولنكم خذلان سراقه إياكم ، فانه كان على موعد من محمد وأصحابه ثم قال والمالات والعزى لا نرجع حتى نفرق محمداً وأصحابه في الجبال فلا تقتلوهم وخذوهم أخذاء وروى البيهقي من طريق سلامة عن عقيل عن ابن شهاب عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال قال أبو اسيد - بعد ما ذهب بصره - يا ابن أخي والله لو كنت أنا وأنت بيدرومى أطلق الله بصرى لأريتكم الشعب الذى خرجت علينا منه الملائكة من غير شك ولا تمار وروى البخارى عن إبراهيم بن موسى عن عبد الوهاب عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر « هذا جبريل أخذ برأس فرسه وعليه أداة الحرب » .

وقال الواقدي حدثنا ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس وأخبرني موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه . وحدثني عابد بن يحيى عن أبي الخويرث عن عمارة بن أكيمة الليثي عن عكرمة عن حكيم بن حزام قالوا : لما حضر القتال ورسول الله ﷺ رافع يديه يسأل الله النصر وما وعده يقول « اللهم إن ظهروا على هذه المعصاة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين » وأبو بكر يقول : والله لينصرنك الله وليبيضن وجهك ، فانزل الله ألفاً من الملائكة مردفين عند اكتشاف العدو . قال رسول الله ﷺ « أبشروا يا أبا بكر هذا جبريل معتمر بهامة صفراء أخذ بعنان فرسه بين السماء والأرض ، فلما نزل إلى الأرض تغيب عنى ساعة ثم طلع وعلى ثناياه النقع يقول أناك نصر الله إذ دعوته » . وروى البيهقي عن أبي أمامة بن سهل عن أبيه . قال : يا بني لقد رأيتنا يوم

بدر وأن أحتدنا ليشير إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف .
 وقال ابن اسحاق حدثني والدي حدثني رجل من بني مازن عن أبي واقد الليثي قال إني لأتبع
 رجلا من المشركين لأضربه فوق رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فمرفت أن أغري قد قتله . وقال
 يونس بن بكير عن عيسى بن عبد الله التيمي عن الربيع بن أنس . قال : كان الناس يعرفون قتلى
 الملائكة من قتالهم بضرب فوق الأعناق وعلى البنان مثل ممة النار وقد احرق به .

وقال ابن اسحاق : حدثني من لا أتهم عن مقسم عن ابن عباس . قال : كانت سماء الملائكة
 يوم بدر عمام بيض قد ارخوها على ظهورهم الا جبريل فانه كانت عليه عمامة صفراء . وقد قال ابن
 عباس لم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الايام ، وكانوا يكونون فيها سواء من الايام عدداً
 ومعدداً لا يضربون . وقال الواقدي حدثني عبد الله بن موسى بن أبي أمية عن مصعب بن عبد الله عن
 مولى لسهيل بن عمرو سمعت سهيل بن عمرو يقول : لقد رأيت يوم بدر رجلاً بيضا على خيل بلق
 بين السماء والارض معلمين يقتلون ويأسرون . وكان أبو أسيد يحدث بعد أن ذهب بصره . قال :
 لو كنت معكم الآن ببدر ومعى بصرى ، لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة لأشك
 ولا أمتري . قال وحدثني خارجة بن ابراهيم عن أبيه . قال قال رسول الله ﷺ لجبريل : « من
 القائل يوم بدر من الملائكة أقدم حيزوم ؟ » فقال جبريل يا محمد ما كل أهل السماء أعرف .

قلت : وهذا الامر مرسل ، وهو يرد قول من زعم أن حيزوم اسم فرس جبريل كما قاله السهيلي وغيره
 والله أعلم . وقال الواقدي حدثني اسحاق بن يحيى عن حمزة بن صهيب عن أبيه قال فما أدرى كم يد
 مقطوعة وضربة جائفة لم يدم كلها قد رأيتها يوم بدر . وحدثني محمد بن يحيى عن أبي عقيل عن أبي
 بردة بن نيار قال جئت يوم بدر بثلاثة أرؤس فوضعتهم بين يدي رسول الله ﷺ فقلت أما رأسان
 فقتلتهما ، وأما الثالث فاني رأيت رجلاً طويلاً قتلته فاخذت رأسه . فقال رسول الله ﷺ « ذاك
 فلان من الملائكة » وحدثني موسى بن محمد بن ابراهيم عن أبيه . قال : كان السائب بن أبي جبير
 يحدث في زمن عمر يقول : والله ما أسرتني أحد من الناس ، فيقتل فن ؟ يقول لما انهزمت قرش
 انهزمت معها فادركني رجل اشعر طويل على فرس أبيض فاوثقتني رباطاً وجاء عبد الرحمن بن عوف
 فوجدني مربوطاً فنادى في العسكر من أسرهذا ؟ حتى انتهى بي إلى رسول الله ﷺ فقال من أسرك
 فقلت لا أعرفه وكهرت أن أخبره بالذي رأيت فقال رسول الله ﷺ « أسرك ذلك من الملائكة »
 اذهب يا ابن عوف بأسيرك . وقال الواقدي حدثني عابد بن يحيى حدثنا أبو الحويرث عن عمارة بن
 اكيمة عن حكيم بن حزام قال لقد رأيتنا يوم بدر وقد وقع بجناد من السماء قد سد الافق فاذا الوادي
 يسيل نهلاً فوقع في نفسي أن هذا شيء من السماء أيد به محمد ، فما كانت إلا الهزيمة ولقي الملائكة

[وقال اسحاق بن راهويه حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثني أبي عن محمد بن اسحاق حدثني أبي عن جبير بن مطعم . قال : رأيت قبل هزيمة القوم — والناس يقتتلون — مثل البجاد الاسود قد نزل من السماء مثل النمل الاسود ، فلم أشك أنها الملائكة فلم يكن إلا هزيمة القوم] ^(١) ولما نزلت الملائكة للنصر وراهم رسول الله ﷺ حين أغفى إغفاءة ثم استيقظ وبشر بذلك أبا بكر وقال « أبشروا أبا بكر هذا جبريل يقود فرسه على ثناباه النقع » يعني من المعركة ثم خرج رسول الله ﷺ من العريش في الدرع فجعل يحرص على القتال ويبشر الناس بالجنة ويشجعهم بنزول الملائكة والناس بعد على مصافهم لم يحملوا على عدوهم حصل لهم السكينة والطأ نينة وقد حصل النعاس الذي هو دليل على الطأ نينة والثبات والایمان ، كما قال (إذ يغشيك النعاس أمانة منه) وهذا كما حصل لهم بعد ذلك يوم أحد بنص القرآن ، ولهذا قال ابن مسعود : النعاس في المصاف من الايمان ، والنعاس في الصلاة من النفاق . وقال الله تعالى (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تفهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد وإن تغنى عنكم فتنبكم شيئاً ولو كثرت وإن الله مع المؤمنين) . قال الامام احمد : حدثنا يزيد ابن هارون ثنا محمد بن اسحاق حدثني الزهري عن عبد الله بن ثعلبة أن أبا جهل قال — حين التقى القوم — اللهم أقطعنا للرحم وآثانا بما لا نعرف فأحنه الغداة . فكان هو المستفتح وكذا ذكره ابن اسحاق في السيرة ورواه النسائي من طريق صالح بن كيسان عن الزهري ، ورواه الحاكم من حديث الزهري أيضاً ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وقال الاموي حدثنا أسباط بن محمد القرشي عن عطية عن مطرف في قوله (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) قال أبو جهل : اللهم [اعن] أعز الفئتين ، وأكرم القبيلتين ، وأكثر الفريقين . فنزلت (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم) قال أقبلت غير أهل مكة تريد الشام فبلغ ذلك أهل المدينة فخرجوا ومعهم رسول الله ﷺ يريدون العير ، فبلغ ذلك أهل مكة فاسرعوا اليها لكيلا يغلب عليها النبي ﷺ وأصحابه فسبقت العير رسول الله ﷺ وكان الله قد وعدهم إحدى الطائفتين ، وكانوا يحبون أن يلقوا العير ، وسار رسول الله ﷺ بالمسلمين يريد القوم ، وكره القوم مسيرهم لشوكة القوم . فنزل النبي ﷺ والمسلمون ، وبينهم وبين الماء رملة دعصة فاصاب المسلمون ضعف شديد وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ يوسوسهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله ، وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم كذا ! فامطار الله عليهم مطراً شديداً فشرب المسلمون وتطهروا فاذهب الله عنهم رجز الشيطان فصار الرمل لبداء ومشى الناس عليه والدواب ، فساروا إلى القوم وأيد الله نبيه والمؤمنين بالف من

الملائكة . فسكان جبريل في خمسمائة من الملائكة بحجة وميكائيل في خمسمائة من الملائكة بحجة وجاء ابليس في جند من الشياطين ومعه ذريته وهم في صورة رجال من بني مدج وانشيطان في صورة سراقه بن مالك بن جهم ، وقال الشيطان للمشركين : لا غالب لكم اليوم من الناس ، وبني جابر لكم فاما اصطف الناس قال أبو جهل : اللهم أولانا بالحق فانصرده ورفع رسول الله ﷺ يديه فقال « يا رب إن تهلك هذه العصاة فلن تعبد في الأرض أبداً » . فقتل له جبريل : خذ قبضة من التراب فأخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم فما من المشركين من أحد إلا وأصاب عينيه ومنخره وفمه تراب من تلك القبضة ، فولوا مدبرين . وأقبل جبريل إلى إبليس فلما رآه - وكانت يده في يد رجل من المشركين - انتزع إبليس يده ثم ولي مدبراً وشيعته ، فقال الرجل يا سراقه أما زعمت أنك لنا جابر ؟ قال إني أرى ما لا ترون ، إني أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى الملائكة رواه البيهقي في الدلائل .

[وقال الطبراني حدثنا مسعدة بن سعد النبطي ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ثنا عبد العزيز بن عمران ثنا هشام بن سعد عن عبد ربه بن سعيد بن قيس الانصاري عن رفاعة بن رافع . قال : لما رأى إبليس ما فعل الملائكة بالمشركين يوم بدر أشفق أن يخلص اليه ، فتشبث به الحارث بن هشام وهو يظن أنه سراقه بن مالك ، فوكز في صدر الحارث ثم خرج هاربا حتى ألقي نفسه في البحر ورفع يديه فقال : اللهم إني أسألك نظرتك إياي وخاف أن يخلص القتل اليه . وأقبل أبو جهل فقال يا معشر الناس لا يهولنكم خذلان سراقه بن مالك فانه كان على ميعاد من محمد ، ولا يهولنكم قتل شعبة وعتبة والوليد فإنهم قد عجلوا ، فوللات والعزى لا ترجع حتى نفرقهم بالجبال ، فلا الفين رجلا منكم قتل رجلا ولكن خذوهم أخذاً حتى تعرفوهم سوء صنيعهم من مفارقتهم إياكم ورجبتهم عن اللات والعزى . ثم قال أبو جهل متمثلاً :

ما تنقم الحرب الشمس مني بازل عامين حديث سني

لمثل هذا ولدني أمي [(١)

وروى الواقدي عن موسى بن يعقوب الزمعي عن أبي بكر بن أبي سليمان عن أبي حنيفة سمعت مروان بن الحكم يسأل حكيم بن حزام عن يوم بدر فجعل الشيخ يكره ذلك ، فالح عليه فقال حكيم : التقينا فاقتلنا فسمعت صوتاً وقع من السماء إلى الأرض مثل وقع الحصى في الطست . وقبض النبي ﷺ القبضة التراب فرمى بها فانهزمنا قال الواقدي وحدثنا اسحاق بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله عن عبد الله بن ثعلبة بن صمير سمعت نوفل بن معاوية الديلي يقول : انهزمنا يوم بدر

(١) ما بين المربعين لم يرد بالمصرية .

ونحن نسمع صوتا كوقع الحصى في الطاس في اقتعدنا ومن خلفنا ، وكان ذلك من أشد الرعب علينا .
وقال الاموي حدثنا أبي ثنا ابن أبي اسحاق حدثني الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صمير
أن أبا جهل حين التقى القوم قال : اللهم اقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأخذه الفداة . فسكان هو
المستفتح . فبينما هم على تلك الحال وقد شجع الله المسلمين على لقاء عدوهم وقلابهم في أعينهم حتى
طمعوا فيهم ، خفق رسول الله ﷺ خفقة في العريش ثم انتبه فقال « أبشريا أبا بكر هذا جبريل
معتمر بعامة آخذ بمنان فرسه يقوده على ثناباه النقع أتاك نصر الله وعدته » وأمر رسول الله ﷺ فآخذ
كفا من الحصى بيده ثم خرج فاستقبل القوم فقال « شأهت الوجوه » ثم نفحهم بها ثم قال لأصحابه
« احموا فلم تكن إلا الهزيمة » فقتل الله من قتل من صناديدهم ، وأسر من أسر منهم . وقال زياد
عن ابن اسحاق ثم إن رسول الله ﷺ أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشا ثم قال « شأهت
الوجوه » ثم نفحهم بها وأمر أصحابه فقال « شدوا » فكانت الهزيمة ، فقتل الله من قتل من صناديد
قريش ، وأسر من أسر من أشرافهم . وقال السدي الكبير قال رسول الله ﷺ لعلي يوم بدر
« أعطني حصباء من الأرض » فناولته حصباء عليها تراب فرمى به في وجوه القوم فلم يبق مشرك إلا
دخل في عينيه من ذلك التراب شيء ، ثم ردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم وأنزل الله في ذلك
(فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وهكذا قال عروة وعكرمة
ومجاهد ومحمد بن كعب ومحمد بن قيس وقتادة وابن زيد وغيرهم إن هذه الآية نزلت في ذلك يوم
بدر ، وقد فعل عليه السلام مثل ذلك في غزوة حنين كما سيأتي في موضعه إذا اقتبينا إليه إن شاء الله
وبه الثقة . وذكر ابن اسحاق أن رسول الله ﷺ لما حرض أصحابه على القتال ورمى المشركين
بما رماهم به من التراب وهزمهم الله تعالى صعد إلى العريش أيضا ومعه أبو بكر ، ووقف سعد بن
معاذ ومن معه من الانصار على باب العريش ومعهم السيوف خيفة أن تكرر راجعة من المشركين إلى
النبي ﷺ . قال ابن اسحاق : ولما وضع القوم أيديهم يأسرون رأى رسول الله ﷺ - فيما ذكر
لي - في وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس ، فقال له « كأني بك يا سعد تكره ما يصنع
القوم ؟ » قال أجل والله يا رسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك . فكان الأتخان في
القتل أحب إلى من استبقاء الرجال . قال ابن اسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن
بعض أهله عن عبد الله بن عباس أن النبي ﷺ قال لأصحابه يومئذ « إني قد عرفت أن رجلا من
بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا ، فن لقي منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله
ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم
رسول الله ﷺ فلا يقتله ، فانه إنما خرج مستكرها » فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أنقتل

آباءنا وأبناءنا وأخواننا ونترك العباس ، والله لئن لقيته لأجتمعه بالسيف . فبلغت رسول الله ﷺ فقال لعمر : « يا أبا حفص » قال عمر : والله إنه لأول يوم كنانى فيه رسول الله ﷺ باني حفص ، « أياضرب وجه عم رسول الله بالسيف ؟ » فقال عمر : يا رسول الله دعني فلاضرب عنقه بالسيف فوالله لقد نافق . فقال أبو حذيفة ما أنا بأمن من تلك السكامة التي قلت يومئذ ولا أزال منها ظافعا إلا أن تكفرها عني الشهادة فقتل يوم اليمامة شهيدا رضى الله عنه .

﴿ مقتل أبي البختري بن هشام ﴾

قال ابن اسحاق : وإنما نعى رسول الله ﷺ عن قتل أبي البختري لأنه كان أ كف القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة . كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ، وكان ممن قام في نقض الصحيفة فلقية الجندر بن زياد الباوي حليف الانصار فقال له : يا رسول الله ﷺ نهانا عن قتلك ومع أبي البختري زميل له خرج معه من مكة وهو جنادة بن مليحة وهو من بني ليث . قال وزميلي ؟ فقال له الجندر لا والله ما نحن بتاركى زميلك ، ما أمرنا رسول الله ﷺ إلا بك وحدك ، قال لا والله إذاً لأموتن أنا وهو جميعا لا يتحدث عني نساء قريش بمكة أنى تركت زميلي حرصا على الحياة . وقال أبو البختري وهو ينازل الجندر :

لن يترك^(١) ابن حرة زميله حتى يموت أو يرى سبيله

قال فاقتتلا فقتله الجندر بن زياد وقال في ذلك :

إما جهلت أو نسيت نسي فأنبت النسبة إني من بلى
الطاعنين برماح الزنى والطاعنين^(٢) السكبش حتى ينحى
بشر بيتهم من أبوه البختري أو بشرن بمنلها منى بنى
أنا الذى يقال أصلى من بلى أظعن بالصعدة حتى تنفى
وأعبط القرن بعصب مشرفى أرزم للموت كازام المرى
فلا يرى مجذرا يفرى فرى

ثم أتى الجندر رسول الله ﷺ فقال : والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأمر فأتيت به فأبى ألا أن يقاتلنى ، فقاتلته فقتلته .

﴿ فصل فى مقتل أمية بن خلف ﴾

قال ابن اسحاق وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه وحذنيه أيضا عبد الله

(١) وفى ابن هشام : لن يسل ابن حرة زميله . (٢) وفى ابن هشام : والضاربين .

ابن أبي بكر وغيرهما عن عبد الرحمن بن عوف . قال : كان أمية بن خلف لي صديقا بمكة ، وكان اسمي عبد عمرو فقسمت حين أسلمت عبد الرحمن ، فكان يلقاني ونحن بمكة فيقول : يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سماكه أبوك ؟ قال فاقول نعم ! قال فاني لا أعرف الرحمن فأجمل بيني وبينك شيئا أدعوك به أما أنت فلا تيجبني باسمك الاول وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف . قال وكان إذا دعاني يا عبد عمرو لم أجبه ، قال فقلت له يا أبا علي اجعل ما شئت . قال فانت عبد الله قال قلت نعم ! قال فسكنت إذا مررت به قال يا عبد الله فأجيبه فاتحدث معه ، حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه علي وهو آخذ بيده ، قال ومعى أذراع لي قد استلبتها فانا أحملها فلما رأيته قال يا عبد عمرو فلم أجبه ، فقال يا عبد الله فقلت نعم ! قال هل لك في فانا خير لك من هذه الأذراع التي معك قال قلت نعم ها الله ، قال فطرح الأذراع من يدي وأخذت بيده ويده ابنه وهو يقول : ما رأيت كاليوم قط ، أما لكم حاجة في الدين ؟ ثم خرجت أمشي بهما . قال ابن اسحاق : حدثني عبد الواحد بن أبي عون عن سعد بن ابراهيم عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف . قال قال لي أمية ابن خلف وأنا بينه وبين ابنه آخذاً بأيديهما : يا عبد الله من الرجل منكم المسلم بريشة نعامه في صدره ؟ قال قلت حمزة قال ذلك الذي قبل بنا الافاعيل . قال عبد الرحمن فوالله إني لأقودها إذ رآه بلال معي — وكان هو الذي يمتد بلالا بمكة على الاسلام — فلما رآه قال رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجيا ، قال قلت أي بلال أسيرى ، قال لا نجوت إن نجيا ، قال ثم صرخ باعلا صوته يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجيا ، فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة ^(١) فانا أذب عنه ، قال فاحلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقه ، وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثها قط ، قال قلت انج بنفسك ولا نجاء ، فوالله ما أغنى عنك شيئا . قال فهبروها بسيافهم حتى فرغوا منهما . قال فكان عبد الرحمن يقول : يرحم الله بلالا فمضى بأذراعي وبأسيرى . وهكذا رواه البخاري في صحيحه قريبا من هذا السياق فقال في الوكالة حدثنا عبد العزيز — هو ابن عبد الله — حدثنا يوسف — هو ابن الماجشون — عن صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده عبد الرحمن بن عوف قال : كاتبت أمية بن خلف كتابا بأن يحفظني في صاغيتي ^(٢) بمكة وأحفظه في صاغيته بالمدينة ، فلما ذكرت الرحمن قال لا أعرف الرحمن ، كاتبتني باسمك الذي كان في الجاهلية فكاتبته عبد عمرو فلما كان يوم بدر خرجت إلى جبل لآخره حين قام الناس فابصره بلال فخرج حتى وقف على مجلس ^(٣) من الانصار فقال : أمية بن خلف ! لا نجوت إن نجيا أمية بن خلف فخرج

(١) المسكة بالتحريك السوار : أي جعلونا في حلقة كالسوار وأحدقوا بنا عن النهاية .

(٢) الصاغية : خاصة الانسان والمائلون اليه من النهاية أيضا .

معه فريق من الانصار في آثارنا فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنة لاشغلهم فقتلوا ثم أتوا حتى تبهمونا وكان رجلا ثقيلا ، فلما أدركونا قلت له أبرك فبرك فالتفت عليه نفسي لأمته فقتلوا بالسيوف من تحتي حتى قتلوه ، وأصاب أحدهم رجلى بسيفه فكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك في ظهر قدمه . سمع يوسف صالحا وبرايم أباه . تفرد به البخاري من بينهم كلهم . وفي مسند ربيعة بن رافع أنه هو الذي قتل أمية بن خلف .

﴿ مقتل أبي جهل لعنه الله ﴾

قال ابن هشام : وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز ويقول :

ما تنقم الحرب العوان مني بازل عاهين حديث سني

لمثل هذا ولدتني أمي

قال ابن اسحاق : ولما فرغ رسول الله ﷺ من عبود أمر بابي جهل أن يلتبس في القتل ، وكان أول من لقي أبا جهل كما حدثني ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس وعبد الله بن أبي بكر أيضا قد حدثني ذلك قال : قال معاذ بن عمرو بن الجوح أخو بني سادة سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة ^(١) وهم يقولون : أبو الحكم لا يخلص اليه ، فلما سمعتها جملته من شأني فصعدت نحوه ، فلما أمكنني حملت عليه فضربت به ضربة أطنت قدمه بنصف ماقه ، فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مرضخة الذوى حين يضرب بها ، قال وضربني ابنة عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتملقت بجلدة من جنبي ، واجهضني القتال عنه فلقد قاتلت عادة يومي وإني لاسحبها خلفي فلما أدتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها . قال ابن اسحاق : ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان . ثم مر بابي جهل - وهو عقير - معوذ بن عفراء فضر به حتى أثبتته ، وتركه وبه رمق . وقاتل معوذ حتى قتل ، فمر عبد الله بن مسعود بابي جهل حين أمر رسول الله ﷺ أن يلتبس في القتل وقد قال لهم رسول الله ﷺ - فيما بلغني - أنظروا إن خفي عليكم في القتلى إلى أن تجرح في ركبته فإني أزدحم أنا وهو يوما على مأدبة لعبد الله بن جندب ونحن غلامان وكنت أشف منه بيسير ، فدفعته فوق علي ركبته فحجش في أحدهما حجشا لم يزل أثره به . قال ابن مسعود : فوجدته بآخر رمق ففرفته . فوضعت رجلى على عنقه . قال وقد كان ضبث بي ^(٢) مرة بمكة فأذاني ولكرني

(١) الحرجة الشجر الملتف ، وفي الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنه سأل أعرابيا

عن الحرجة فقال : هي شجرة من الأشجار لا يوصل إليها . عن سيرة ابن هشام .

(٢) ضبث : قبض عليه ولزمه . عن ابن هشام .

ثم قلت له : هل أخزأك الله يا عدو الله ؟ قال وبماذا أخزائي ؟ قال أعمد من رجل قتلتموه أخبرني ابن الدائرة اليوم ؟ قال قلت لله ورسوله .

قال ابن اسحاق : وزعم رجال من بني مخزوم أن ابن مسعود كان يقول قال لي : لقد ارتقيت مرتقى صعباً يارويي الغنم ، قال ثم احتزرت رأسه ثم جئت به رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله هذا رأس عدو الله . فقال « آله الذي لا إله غيره ؟ » . وكانت بين رسول الله ﷺ وقلت نعم والله الذي لا إله غيره ثم القيت رأسه بين يدي رسول الله ﷺ فحمد الله . هكذا ذكر ابن اسحاق رحمه الله . وقد ثبت في الصحيحين من طريق يوسف بن يعقوب بن الماجشون عن صالح بن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف . قال : إني لواقف يوم بدر في الصف فنظرت عن يميني وشمالى فإذا أنا بين غلامين من الانصار حديثي سناتهما ، فتمنيت أن أكون بين أطلع منهما فمزمزني أحدهما فقال : يا عم أتعرف أبا جهل ؟ فقلت نعم وما حاجتك اليه ؟ قال أخبرته أنه يسب رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت إلا عجل منا فتعجبت لذلك فمزمزني الآخر فقال لي أيضاً مثلها ، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل وهو يجول في الناس فقلت ألا تريان ؟ هذا صاحبكم الذي تسألان عنه فابتدرا بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى النبي ﷺ فأخبراه فقال « أيكما قتله » . قال كل منهما أنا قتلته . قال « هل مسحتما سيفيكما ؟ » فلا : لا . قال فنظر النبي ﷺ في السيفين فقال : « كلاهما قتله » وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح . والآخر معاذ بن عفراء . وقال البخاري حدثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده . قال قال عبد الرحمن : إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتیان حديثا السن فكأنني لم آمن بمكانهما إذ قال لي أحدهما سرّاً من صاحبه : يا عم أرني أبا جهل ، فقلت يا ابن أخي ما تصنع به ؟ قال عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه ، وقال لي الآخر سرّاً من صاحبه مثله ، قال فما سرني أني بين رجلين مكاتهما فأشرت لهما اليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء . وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي سليمان التيمي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ « من ينظر ماذا صنع أبو جهل » قال ابن مسعود : أما يا رسول الله فأنطلق فوجده قد ضرب به ابنا عفراء حتى برد . قال فأخذ بلحيته قال فقلت أنت أبو جهل ؟ فقال وهل فوق رجل قتلتموه - أو قال قتله قومه - وعند البخاري عن أبي أسامة عن اسماعيل ابن قيس عن ابن مسعود أنه أتى أبا جهل فقال : هل أخزأك الله ؟ فقال هل أعمد من رجل قتلتموه وقال الأعمش عن أبي اسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال انتهيت إلى أبي جهل وهو صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيد . ومعنى سيف ردى فجعلت أنقف رأسه بسيفي وأذ كر نفقا كان ينقف

رأسي بمكة حتى ضمنت يده (١) فأخذت سيفه فرفع رأسه فقال : عني من كانت الدائرة لنا أو علينا
أنت رويينا بمكة ؟ قال فقتلته ، ثم أتيت النبي ﷺ فقلت قتلته أبا جهل ، فقال الله الذي لا
إله إلا هو ؟ فاستحلفني ثلاث مرات ثم قام معي إليهم فدعا عليهم .

وقال الامام احمد حدثنا وكيع ثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن أبي عبيدة قال قال عبد الله
انتهيت إلى أبي جهل يوم بدر وقد ضربت رجلاه وهو يذب الناس عنه بسيف له ، فقلت الحمد لله
الذي أخزاك الله يا عدو الله . قال هل هو إلا رجل قتلته قومه فخلصت أتناوله بسيف في غير طائل فاصبت
يده فمدر (٢) سيفه فأخذته فضررته حتى قتلته قال ثم خرجت حتى أتيت النبي ﷺ كأنما أقبل من
الارض (٣) فأخبرته فقال « الله الذي لا إله إلا هو ؟ » فرددنا ثلاثا ، قال قلت الله الذي لا إله إلا
هو قال فخرج يمشي معي حتى قام عليه فقال « الحمد لله الذي قد أخزاك الله يا عدو الله هذا كان فرعون
هذه الامة » وفي رواية أخرى قال ابن مسعود فنقلني سيفه . وقال أبو اسحاق الفزاري عن الثوري
عن أبي اسحاق عن أبي عبيدة عن ابن مسعود قال أتيت رسول الله ﷺ يوم بدر فقلت قد قتلته
أبا جهل فقال « الله الذي لا إله إلا هو ؟ » فقلت الله الذي لا إله إلا هو مرتين - أو ثلاثا - قال
فقال النبي ﷺ « الله أكبر الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » ثم
قال « انطلق فأرنيه » فاطلقت فأريته فقال « هذا فرعون هذه الامة » . ورواه أبو داود والنسائي
من حديث أبي اسحاق السبيعي به . وقال الواقدي وقف رسول الله ﷺ على مصرع ابني عفراء
فقال « رحم الله ابني عفراء فهما شركاء في قتل فرعون هذه الامة ورأس أئمة الكفر » فتيل يارسول
الله ومن قتلته مهما ؟ قال « الملائكة وابن مسعود قد شرك في قتله » رواه البيهقي .

[وقال البيهقي أخبرنا الحاكم أخبرنا الاصم حدثنا احمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير
عن عنبسة بن الازهر عن أبي اسحاق قال : لما جاء رسول الله ﷺ البشير يوم بدر بقتل أبي جهل
استحلفه ثلاثة أيما بالله الذي لا إله الا هو لقد رأيته قتيلا ؟ خلف له نحر رسول الله ﷺ ساجدا
ثم روى البيهقي من طريق أبي نعيم عن سلمة بن رجاء عن الشعثاء - امرأة من بني أسد - عن عبد الله
ابن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ صلى ركعتين حين بشر بالفتح وحين جرى برأس أبي جهل . وقال
ابن ماجه حدثنا أبو بشر بكر بن خلف حدثنا سلمة بن رجاء قال حدثتني شعثاء عن عبد الله بن أبي
أوفى أن رسول الله ﷺ صلى يوم بشر برأس أبي جهل ركعتين .

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا أبي حدثنا هشام أخبرنا بخالد عن الشعبي أن رجلا قال لرسول الله
ﷺ : إني مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الارض فيضربه رجل بمطعنة معه حتى يغيب في
(١) وفي المصرية : صقت يده . (٢) ندر أي سقط . (٣) أي أحل من شدة الفرح .

الارض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مراراً . فقال رسول الله ﷺ « ذاك أبو جهل بن هشام يذهب الى يوم القيامة » . وقال الاموي في مغازيه سمعت أبي ثناء المجاهد بن سميد عن عامر قال جاء رجل الى رسول الله ﷺ : فقال إني رأيت رجلاً جالساً في بدر ورجل يضرب رأسه بعمود من حديد حتى يغيب في الارض ، فقال رسول الله ﷺ « ذاك أبو جهل وكل به ملك يفعل به كلما خرج فهو يتجملجل فيها الى يوم القيامة » وقال البخاري حدثنا عبيد بن اسماعيل ثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه قال قال الزبير : لقيت يوم بدر عبيدة بن سميد بن العاص وهو مدحج لا يرى منه الا عيناه ، وهو يكنى أبا ذات الكرش ، فقال أنا أبو ذات الكرش ، فحملت عليه بمنزة فطعنته في عينه فمات قال هشام فاخبرت أن الزبير قال : لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطيت فكان الجهد أن نزعتها ، وقد انثنى طرفاها ، قال عروة فسأله إياها رسول الله ﷺ فأعطاه إياها ، فلما قبض رسول الله ﷺ أخذها ثم طلبها أبو بكر فأعطاه إياها ، فلما قبض أبو بكر سألها إياه عمر بن الخطاب فأعطاه إياها ، فلما قبض عمر أخذها ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها ، فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل . وقال ابن هشام حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازي أن عمر بن الخطاب قال لسميد بن العاص - ومرو به - إني أراك كأن في نفسك شيئاً أراك تظن أني قتلت أباك إني لو قتلتك لم أعتذر اليك من قتله ، ولكني قتلت خالي العاص بن هشام بن المغيرة فاما أبوك فأتى مرت به وهو يبحث بحث الثور بروقه فحدث عنه وقصده ابن عمه على فقتله .

قال ابن اسحاق وقاتل عكاشة بن محصن بن حرثان الاسدي حليف بني عبد شمس يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جندلاً من حطب فقال « قاتل بهذا يا عكاشة » فلما أخذه من رسول الله ﷺ هزه فعماد سيفاً في يده طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدية ، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتله طليحة الاسدي أيام الردة ، وأنشد طليحة في ذلك قصيدة منها قوله :

عشية غادرت ابن أقرم ^(١) ناولاً وعكاشة الغنمي عند مجال

وقد أسلم بعد ذلك طليحة كما سيأتي بيانه . قال ابن اسحاق : وعكاشة هو الذي قال حين بشر رسول الله ﷺ أمته بسبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب أدع الله أن يجعلني منهم قال « اللهم اجعلهم منهم » وهذا الحديث مخرج في الصحيح والحسان وغيرها . قال ابن اسحاق : وقال رسول الله ﷺ - فيما بلغني - « منا خير فارس في العرب » قالوا ومن هو يا رسول الله ؟ قال « عكاشة بن محصن » فقال ضرار بن الازور ذاك رجل منا يا رسول الله ، قال ليس منكم ولكنه

(١) ابن أقرم : هو ثابت بن أقرم الانصاري كما في ابن هشام .

منا للحلف . وقد روى البيهقي عن الحارث بن طارق محمد بن عمر الواقدي حدثني عمر بن عثمان الخشن عن أبيه عن عمته قالت قال عكاشة بن محصن : انشعب سبني يوم بدر فأعطاني رسول الله ﷺ عروناً فإذا هو سيف أبيض طويل ، فقاتلت به حتى هزم الله المشركين ، ولم يزل عنده حتى هناك . وقال الواقدي وحدثني أسامة بن زيد عن داود بن الحصين عن رجال من بني عبد الأشهل عدة قالوا : انكسر سيف سلمة بن حريش يوم بدر فبقى أعزل لا سلاح معه فأعطاه رسول الله ﷺ قضيباً كان في يده من عراجين ابن طاب ^(١) فقال : اضرب به فإذا سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبي عبيدة .

﴿ رده عليه السلام عين قتادة ﴾

قال البيهقي في الدلائل : أخبرنا أبو سعد المالبلي أخبرنا أبو أحمد بن عدي حدثنا أبو يعلى حدثنا يحيى الحماني ثنا عبد العزيز بن سليمان بن الفسيل عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حذفته على وجنته فأرادوا أن يقطعوها فسألوا رسول الله ﷺ فقال : لا « فدعه ففهم حذفته براحة فكان لا يدرى أى عينيه أصيب وفي رواية فكانت أحسن عينيه . وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه لما أخبره بهذا الحديث عاصم بن عمر بن قتادة وأنشد مع ذلك :

أنا ابن الذي سألت على الخد عينه فردت بكف المصطفى أيما رد

فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند ذلك منشداً قول أمية بن أبي الصلت في سيف بن ذي يزن فأنشده عمر في موضعه حقاً :

تلك المكارم لأقربان من ابن شيبا بماء فمادا بعد أبوالا

﴿ فصل قصة أخرى شبيهة بها ﴾

قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا محمد بن صالح أخبرنا الفضل بن محمد الشمراني حدثنا إبراهيم بن المنذر أخبرنا عبد العزيز بن عمران حدثني رفاعة بن يحيى عن معاذ بن رفاعة بن رافع عن أبيه رافع بن مالك . قال : لما كان يوم بدر تجمع الناس على أبي بن خلف ، فأقبلت إليه فنظرت إلى قطعة من درعه قد انقطعت من تحت إبطه ، قال فطعمته بالسيف فيها طعنة . ورميت بسهم يوم بدر ، ففقتعت عيني فبصق فيها رسول الله ﷺ ودناني فما أذاني منها شيء وهذا غريب من هذا الوجه واسناده جيد ولم يخرجوه . ورواه الطبراني من حديث إبراهيم بن المنذر . قال ابن

(١) عذق ابن طاب نخل بالمدينة ، وابن طاب ضرب من الرطب . عن القاموس .

هشام ونادى أبو بكر ابنه عبد الرحمن وهو يومئذ مع المشركين لم يسلم بعد فقال : أين مالى يا خبيث فقال عبد الرحمن :

لم يبق إلا شكة ويعبوب وصارم يقتل ضلال الشيب
 يعنى لم يبق إلا عدة الحرب ، وحصان وهو اليعبوب يقتل عليه شيوخ الضلالة ، هذا يقوله فى حال كفره . وقد رويناه فى مفازى الاموى أن رسول الله ﷺ جعل يمشى هو وأبو بكر الصديق بين القتل ورسول الله ﷺ يقول « نملق هاما » فيقول الصديق :
 من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظما

﴿ ذكر طرح رؤوس الكفر فى بئر يوم بدر ﴾

قال ابن اسحاق : وحدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت : لما أمر رسول الله ﷺ بالقتل أن يطرحوا فى القليب ، طرحوا فيه إلا ما كان من أمية بن خلف فانه انتفخ فى درعه فلاها فذهبوا ليخرجوه فترايل [حله] فاقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة ، فلما ألقاهم فى القليب وقف عليهم فقال : « يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا » قالت فقال له أصحابه يا رسول الله أتكلم قوما موتى فقال « لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق » قالت عائشة : والناس يقولون : لقد سمعوا ما قلت لهم ، وإنما قال رسول الله ﷺ لقد علموا قال ابن اسحاق : وحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال سمع أصحاب النبي ﷺ رسول الله من جوف الثيل وهو يقول « يا أهل القليب ، يا عتبة بن ربيعة ، ويا شيبه بن ربيعة ، ويا أمية بن خلف ، ويا أبا جهل بن هشام - فعدد من كان منهم فى القليب - هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا » فقال المسلمون : يا رسول الله ﷺ أتنادى قوما قد جيفوا ؟ فقال « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني » وقد رواه الامام احمد عن ابن أبي عدي عن حميد عن أنس فذكر نحوه . وهذا على شرط الشيخين . قال ابن اسحاق وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال « يا أهل القليب بنس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتوني وصدقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقتلتموني ونصرني الناس ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا » .

قلت : وهذا مما كانت عائشة رضى الله عنها تناوله من الأحاديث كما قد جمع ما كانت تناوله من الأحاديث فى جزء وتعتقد أنه معارض لبعض الآيات ، وهذا المقام مما كانت تعارض فيه قوله (وما أنت بمسمع من فى القبور) وليس هو معارض له والصواب قول الجمهور من الصحابة ومن بعدهم

للإحاديث الدالة نصاً على خلاف ما ذهب إليه رضي الله عنها وأرضاها . وقال البخاري حدثنا عبيد
 ابن اسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه قال : ذكر عند عائشة أن ابن عمر رفع
 إلى النبي ﷺ أن الميت يعذب في قبره بكاء أهله فقالت : رحمه الله ، إنما قال رسول الله ﷺ
 إنه يعذب بخطيئته وذنبه ، وإن أهله ليتمكن عليه الآن . قالت وذلك مثل قوله إن رسول الله
 ﷺ قام على القليب وفيه قتلى بدر من المشركين فقال لهم ما قال . قال إنهم ليسمعون ما أقول وإنما
 قال إنهم الآن ليعلمون إنما كنت أقول لهم حق ، ثم قرأت (إنك لا تسمع الموتى وما أنت بسمع
 من في القبور) تقول حين تبوؤا مقاعدكم من النار . وقد رواه مسلم عن أبي كريب عن أبي أسامة
 به ، وقد جاء التصريح بسمع الميت بعد دفنه في غير ما حديث كما ستقرر ذلك في كتاب الجنائز من
 الأحكام الكبير إن شاء الله . ثم قال البخاري حدثني عثمان ثنا عبيدة عن هشام عن أبيه عن ابن
 عمر قال : وقف النبي ﷺ على قليب بدر فقال : « هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً » ثم قال « إنهم
 الآن يسمعون ما أقول لهم » وذكر لعائشة فقالت : إنما قال النبي ﷺ إنهم الآن ليعلمون أن
 الذي كنت أقول لهم هو الحق ، ثم قرأت (إنك لا تسمع الموتى) حتى قرأت الآية . وقد رواه مسلم
 عن أبي كريب عن أبي أسامة . وعن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع كلاهما عن هشام بن عروة .
 وقال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد سمع روح بن عباد ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال
 ذكر لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة أن رسول الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من
 صناديد قريش فقتلوا في طوى من أطواء بدر خبيث مخبث ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة
 ثلاث ليال ، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر بإحليلته فشد عليها رحلها ، ثم مشى وتبعه أصحابه وقالوا
 ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته حتى قام على شفه الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يا فلان
 ابن فلان ويا فلان بن فلان يسركم أنكم أطعمتم الله ورسوله فأنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل
 وجدتم ما وعد ربكم حقاً . فقال عمر : يا رسول الله ما تسكلم من أجساد لا أرواح فيها ؟ فقال
 النبي ﷺ « والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » . قال قتادة : أحياءهم الله حتى
 أممهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندماً . وقد أخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق
 عن سعيد بن أبي عروبة . ورواه الإمام أحمد عن يونس بن محمد المؤدب عن شيبان بن عبد الرحمن
 عن قتادة قال حدث أنس بن مالك فذكر مثله . فلم يذكر أبا طلحة وهذا إسناد صحيح ، ولكن
 الأول أصح وأظهر والله أعلم . وقال الإمام أحمد حدثنا عفان ثنا حماد عن ثابت عن أنس أن رسول
 الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثة أيام حتى جيفوا ، ثم أتاهم فقام عليهم فقال : « يا أمية بن خلف ، يا أبا
 جهل بن هشام ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فإني قد وجدت

ما وعدني ربي حقاً « قال فسمع عمر صوته فقال يا رسول الله أتناديهم بعد ثلاث وهل يسمعون ؟ يقول الله تعالى (إنك لا تسمع الموتى) فقال « والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا » . ورواه مسلم عن هديبة بن خالد عن حماد بن سامة به . وقال ابن اسحاق وقال حسان بن ثابت :

عرفت ديار زينب بالكثيب	كخط الوحي في الورق القشيب
تداولها الرياح وكل جون	من الوحي منهمر سكوب
نامسى رسمها خلقت وأمست	يبابا بعد ساكنها الحبيب
فدع عنك التذكر كل يوم	ورد حرارة القلب ^(١) الكثيب
وخبر بالذي لا عيب فيه	بصدق غير اخبار الكذوب
بما صنع المليك غداة بدر	لنا في المشركين من النصيب
غداة كانت جمعهم حراء	بدت أركانه جنح الغروب
فلاقيناهم منا بجمع	كسد القباب مردان وشيب
أمام محمد قد وازروه	على الاعداء في لفح الحروب
بايديهم صوارم مرهفات	وكل مجرب خاطي الكموب
بنو الاوس الفطارف وازرتها	بنو النجار في الدين الصليب
فتادروا أبا جهل صريحا	وعتبه قد تركنا بالجبوب ^(٢)
وشيبة قد تركنا في رجال	ذوى حسب إذا نسجوا حسيب
يناديهم رسول الله لما	قذفناهم كباكب في القليب
ألم تجدوا كلامي كان حقاً	وأمر الله يأخذ بالقلوب
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا	صدقت وكنت ذا رأى مصيب

قال ابن اسحاق : ولما أمر رسول الله ﷺ أن يلقوا في القليب أخذ عتبة بن ربيعة فسحب في القليب فنظر رسول الله ﷺ - فيما بلغني - في وجه أبي حذيفة بن عتبة فإذا هو كثيب قد تغير لونه فقال : « يا حذيفة لعلك قد دخلت من شأن أبيك شيء - أو كما قال رسول الله ﷺ - فقال : لا والله يا رسول الله ما شككت في أبي ولا في مصرعه ، ولكني كنت أعرف من أبي رأيا وحلماً وفضلاً فكنت أرجو أن يهديه ذلك الاسلام ، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجوه أحرزني ذلك فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقال له خيراً وقال البخاري حدثنا (١) في ابن هشام : المصدر الكثيب . (٢) الجبوب اسم للارض لانها تجب أي تحفر .

الحميدى حدثنا سفيان ثنا عمرو بن عطاء عن ابن عباس (الذين بدلوا نعمة الله كفراً) قال : هم والله كفار قريش . قال عمرو : هم قريش ، ومحمد نعمة الله (وأحلوا قومهم دار البوار) قال : النار يوم بدر . قال ابن اسحاق وقال حسان بن ثابت :

قوى الذين هم آووا نبيهم وصعد قود وأهل الأرض كفار
إلا خصائص أقوام هم سلف للصالحين من الانصار أنصار
مستبشرين بقسم الله قولهم لما أنام كريم الأصل مختار
أهلاً وسهلاً في أمن وفي سعة نعم النبي ونعم التسم والجار
إفانزلوه بدار لا يخاف بها من كان جارهم داراً هي الدار^(١)
وقاسمهم بها الأموال إذ قدموا مهاجرين وقسم الجاهد النار
سرتنا وساروا إلى بدر خبيثهم لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلائهم بفرور ثم أسلمهم إن الخبيث لمن والآد غرار
وقال إني لكم جار فأوردتهم شر الموارد فيد الخزي والعار
ثم التقينا فولوا عن سراتهم من منجدين ومنهم فرقة غاروا

وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن أبي بكر وعبد الرزاق . قالوا : حدثنا اسرائيل عن عكرمة عن ابن عباس . قال : لما فرغ رسول الله ﷺ من القتلى قيل له عليك العير ليس دونها شيء ، فناداه العباس وهو في الوثاق : إنه لا يصلح لك . قال لم ؟ قال لان الله وعده أحدى الطائفتين ، وقد أنجز لك ما وعده . وقد كانت جملة من قتل من سرادة الكفار يوم بدر سبعين ، هذا مع حضور ألف من الملائكة وكان قدر الله السابق فيمن بقى منهم أن يسلم منهم بشر كثير . ولو شاء الله لسلط عليهم ملكاً واحداً فاهلكهم عن آخرهم ، ولكن قتلوا من لا خير فيه بالسكينة ، وقد كان في الملائكة جبريل الذي أمره الله تعالى فاقطع مدائن قوم لوط وكن سبباً فيمن من الامم والدواب والاراضي والمزروعات ، وما لا يعلمه إلا الله ، فرفعهن حتى بلغ من عنان السماء على طرف جناحه ثم قابلهن منكسات واتبعن بالحجارة التي سومت لهم كما ذكرنا ذلك في قصة قوم لوط كما تقدم .

وقد شرع الله جهاد المؤمنين للكافرين وبين تعالى حكمه في ذلك فقال (فإذا القيم الذين كفروا فاضرب الرقاب حتى اذا اخنتموهم فشدوا الوثاق فإما مناً إمداً وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبليكم ببعض الآيات . وقال تعالى افانزلوهم

(١) البيت عن ابن هشام . وقوله في الذي يليه (الجاهد) في الاصل الجاهل . وكذا قوله (دلائهم) في الاصل والا هموا والتصحيح عن ابن هشام .

يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم ويضرب صدورهم ويشفق صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء) الآية . فكان قتل أبي جهل على يدي شاب من الانصار ، ثم بعد ذلك يوقف عليه عبد الله بن مسعود ومسك بلحيته وصبه على صدره حتى قال له لقد رقيت صرتي صعبا ياروي الغنم ، ثم بعد هذا حزر رأسه واحتمله حتى وضعه بين يدي رسول الله فشفى الله به قلوب المؤمنين ، كان هذا أبلغ من أن تأتيه صاعقة أو أن يسقط عليه سقف منزله أو يموت حتف أنفه والله أعلم .

وقد ذكر ابن اسحاق فيمن قتل يوم بدر مع المشركين ممن كان مسلما ولكنه خرج منهم تقية منهم لانه كان فيهم مضطهدا قد فتنوه عن اسلامه جماعة منهم : الحارث بن زمة بن الاسود ، وأبو قيس بن الفاكه [وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة ^(١)] وعلى بن أمية بن خلف ، والعاص بن منبه بن الحجاج . قال وفيهم نزل قوله تعالى (الذين تنوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك أوأهم جهنم وساءت مصيرا) وكان جملة الاسارى يومئذ سبعين أسيرا كما سيأتى الكلام عليهم فيما بعد إن شاء الله منهم من آل رسول الله ﷺ عمه العباس بن عبد المطلب ، وابن عمه عقيل بن أبي طالب ، وثوفل بن الحارث ابن عبد المطلب ، وقد استبدل الشافعي والبخاري وغيرهما بذلك على أنه ليس كل من ملك ذا رحم محرم يعتق عليه وعارضوا به حديث الحسن عن ابن سمره في ذلك فأنه أعلم . وكان فيهم أبو العاص ابن الربيع بن عبد شمس بن أمية زوج زينب بنت النبي ﷺ .

فصل

وقد اختلف الصحابة في الاسارى أيقتلون أو يفادون على قولين ، كما قال الامام احمد حدثنا على بن عاصم عن حميد عن أنس - وذكر رجل - عن الحسن . قال استشار رسول الله ﷺ الناس في الاسارى يوم بدر فقال « إن الله قد أمكنكم منهم » قال فقام عمر فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم ، قال فاعرض عنه النبي ﷺ ، ثم عاد النبي فقال للناس مثل ذلك ، فقام أبو بكر الصديق فقال يا رسول الله نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء . قال فذهب عن وجه رسول الله ﷺ ما كان فيه من الغم فعفا عنهم وقبل منهم الفداء . قال وأنزل الله تعالى (لولا كتاب من الله سبق لمسكم) الآية . انفرد به احمد . وقد روى الامام احمد - واللفظ له - ومسلم وأبو داود والترمذي وصححه وكذا على بن المديني وصححه من حديث عكرمة بن عمار حدثنا سمالك الخنفي أبو زميل حدثني (١) لم يرد في الاصول وزدنا من ابن هشام .

ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال : نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه يوم بدر وهم ثلاثمائة
ونيف وانظر إلى المشركين فإذا هم ألف ورواية فذكر الحديث فأقبل إلى قوله قتل منهم سبعون
رجلا ، وأسر منهم سبعون رجلا ، واستشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعليا وعمر ، قال أبو بكر
يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والآخران وإلى أي أن تأخذ منهم الذرية فيكون ما أخطأه
قوة لنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا . فقال رسول الله ﷺ « ما ترى
يا ابن الخطاب ؟ » قال قلت والله ما أرى ما أرى أبو بكر ، ولكن أرى أن تمكنني من فلان قريب
لعمري فاضرب عنقه ، وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب
عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هودة للمشركين ، وهؤلاء حساد يهدمون وألهمهم وقادتهم أبي
رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يرو ما قالت وأخذ منهم الفداء ، فذا كان من الفداء قال رسول
ﷺ فهدوت إلى النبي ﷺ وأبي بكر وعما يبيكان قلت : يا رسول الله أخبرني ، ماذا يبيكان أنت وما بيكان
فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجده بكاء بكيت لبيكانكما ، فقال رسول الله ﷺ « الذي عرض
على أصحابك من أخذهم الفداء قد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة » — لشجرة قريبة —
وأمر الله تعالى (ما كان لشيء أن يكون له أمرى حتى يلعن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله
يريد الآخرة والله عزيز حكيم فولا كتب من الله سبق لمسك فيما أخذتم) من الفداء ، ثم أبل لهم
الغنائم وذكر تمام الحديث .

وقال الامام احمد حدثنا أبو مولى حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبيدة عن
عبد الله قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ « ما تقولون في هؤلاء الأسرى ؟ » قال قتال أبو
بكر : يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأمن بهم لعل الله أن يقرب عليهم قل وقال عمر : يا رسول
الله أخرجوك وكذبوك قريهم فاضرب أعناقهم . قال وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله انظر
وإدبا كثير الخطب فادخلهم فيه ثم أضرمه عليهم نارا . قال فدخل رسول الله ﷺ ولم يرد عليهم
شيئا . فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر ، وقال ناس يأخذ بقول عمر ، وقال ناس يأخذ بقول عبد الله بن
رواحه . فخرج عليهم فقال « إن الله لينزل قلوب رجال فيسهل تسكون الذين من الذين ، وإن الله
ليشد قلوب رجال فيسهل تسكون أشد من الحجارة ، وإن ذلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال (فمن
تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم) ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال (إن تعذبهم فاعذبهم
عبدك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) وإن ملك يا عمر مثل نوح قال (رب لا تذرني
الأرض من الكافرين ديارا) وإن مثلك يا عمر كمثل موسى قال (ربنا اطعنا على أهوالهم ولشد
على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الآليم) أنتم ثلاثة فلا يفتن أحدهم إلا فداء أو خسرانة حتى

قال عبد الله : قتلت يا رسول الله إلا سهيل بن بيضاء فاني قد سمعته يذكر الاسلام قال فسكت ، قال
فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع على حجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال « إلا سهيل بن
بيضاء » قال فانزل الله (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا
والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا ككتاب من الله سبق لمسكم) إلى آخر الآيتين وهكذا رواه
الترمذي والحاكم من حديث أبي معاوية . وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه . ورواه ابن مردويه
من طريق عبد الله بن عمر وأبي هريرة بنحو ذلك . وقد روى عن أبي أيوب الانصاري بنحوه .
وقد روى ابن مردويه والحاكم في المستدرک من حديث عبيد الله بن موسى حديثنا إسرائيل عن
إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عمر قال : لما أسر الاسارى يوم بدر أسر العباس فيمن أسر
أسره رجل من الانصار قال وقتل أو عذبه الانصار أن يقتلوه . فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال « إني لم
أنم الآية من أجل عبي العباس » وقد زعمت الانصار أنهم قاتلوه « قال عمر أفأنتهم ؟ قال نعم فأتى
عمر الانصار فقال لهم : أرساوا العباس ، فقالوا لا والله لا نرساه ، فقال لهم عمر : فان كان لرسول الله
رضي ؟ قالوا فان كان له رضي نغده ، فآخذه عمر فلما صار في يده قال له عمر : يا عباس أسلم فوالله لئن
سلم أحب إلى من أن يسلم الخطاب وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله يعجبه أسلاك . قال واستشار
رسول الله ﷺ أبا بكر فقال أبو بكر عشرينك فارسلهم واستشار عمر فقال اقتلهم ، فماداهم رسول
الله ﷺ فانزل الله (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض) الآية . ثم قال
الحاكم في صحيحه هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وروى الترمذي والنسائي وابن ماجه من
حديث سفيان الثوري عن هشام بن سنان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي قال : جاء
سهييل إلى النبي ﷺ فقال خير أصحابك في الاسارى إن شأوا الفداء وإن شأوا القتل على أن يقتل
عائنا قايلا منهم منهم . قالوا الفداء أو يقتل منا . وهذا حديث غريب جداً ، ومنهم من رواه مرسل
عن عبيدة والله أعلم . وقد قال ابن اسحاق عن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس في قوله
(لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) يقول لولا أني لا أعذب من عصاني حتى
أقدم اليه لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم . وهكذا روى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أيضاً واختاره
ابن اسحاق وشيخه وقال الأعمش سبق منه أن لا يعذب أحداً شهيداً باراً . وهكذا روى عن سعد
ابن أبي وقاص وسعيد بن جبيرة وعطاء بن أبي رباح ، وقال مجاهد والثوري (لولا كتاب من الله
سبق) أي ثم بالضرورة . وقال الواقدي عن ابن عباس سبق في أم الكتاب الأول أن المغانم وفداء
الاسارى حلال لكم ، ولهذا قال بعده (فسكوا مما غنمتم حلالاً طيباً) وهكذا روى عن أبي هريرة
وابن مسعود وسعيد بن جبيرة وعطاء والحسن وقتادة والأعمش ، واختاره ابن جرير وقد ترجح هذا

القول بما ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ « أعديت حسام
يظعن أحد من الأنبياء قبلي ، نصرت بالعرب مسيرة شهر ، وصنعت لي الإخاء مسجداً وظهرت لي
وحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي » وأعديت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه ، يبعث إلى
الناس عامة » وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « لم تحل الغنائم لسود
الرؤوس غيرنا » ولهذا قال تعالى (فسكوا عما كنتم ملابطين) فاذن الله تعالى في أكل الغنائم
وفداء الأسارى وقد قال أبو داود حدثنا عبد الرحمن بن المبارك العباسي ثنا سفيان بن حبيب ثنا
شعبة عن أبي المنبس عن أبي الشعثاء عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية
يوم بدر أربعين مائة ، وهذا كمن أقل ما فودي به أحد منهم من المال ، وأكثر ما فودي به الرجز مائة
أربعة آلاف درهم . وقد وعد الله من آمن منهم بالثمن عما أخذ منه في الدين والأخوة فقال تعالى
(يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبهم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منهم
ويغفر لكم) الآية . وقال الوالبي عن ابن عباس نزلت في العباس ففادى نفسه بالاربعةين أوقية
من ذهب قال العباس ، فآتاني الله أربعين عبداً - يعني كلهم يتجر له - قال وأنا أرجو المغفرة التي
وعدها الله جل ثناؤه . وقال ابن اسحاق : حدثني العباس بن عبد الله بن معقل ^(١) عن بعض أهله
عن ابن عباس قال لما أسمى رسول الله ﷺ يوم بدر والأسارى خبرهم بالوفاء ، قالت النبي ﷺ
سائراً أول الليل ، فقال له أصحابه مالك لا تنام يا رسول الله ؟ فقال « صنعت أربعين غني العباس في
وفائه » فاطلقوه فسكت فقام رسول الله ﷺ . قال ابن اسحاق : وكان رجلاً مرسلاً ففادى نفسه
بثلاثة أوقية من ذهب . قلت : وهذه المائة كانت عن نفسه وعن ابني أخويه عقيل ونوفل وعن حليته
عتبة بن عمرو وأحد بنى الحارث بن فهر كما أمره بذلك رسول الله ﷺ حين ادعى أنه كان قنص أسير
فقال له رسول الله ﷺ « أما ظاهرك فكان علينا والله أعلم بإسلامك وسيرتك » فادعى أنه لا
مال عنده قال « فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل وقتلت لها إن أسبغت في سفرى فهذا الميراث
الفضل وعبد الله وقم ؟ » فقال والله إنى لأعلم أنك رسول الله إن هذا شيء ما علمه إلا أنا وأم الفضل
رواه ابن اسحاق عن ابن أبي نجيع عن عطاء عن ابن عباس . وثبت في صحيح البخاري عن
طريق موسى بن عقبة قال الزهري حدثني أنس بن مالك قال إن رجلاً من الأنصار أساقطوا رسول
الله ﷺ قالوا إيمان لنا فلتترك لابن اختنا العباس فداء . فقال « لا والله لا فداء من عند ربنا » قال
البخاري وقال إبراهيم بن طهمان عن عبد العزيز بن عبيد عن أنس أن النبي ﷺ أتى بمال من
البحرين فقال : « انثروه في المسجد » فكان أن أكثر مال أبي به رسول الله ﷺ ، وهذا هو العباس
(١) كذا في الأصلية وفي المصرية معقل وفي الخلاصة العباس بن عبد الله بن معقل وأما النساب

فقال : يا رسول الله أهدني إلى فاديت نفسي وفاديت عقيلي فقال « شد » فشد في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال مر بعضهم يرفعه إلى . قال « لا » قال فارفده أنت علي ، قال « لا » ففتر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال مر بعضهم يرفعه إلى قال « لا » قال فارفده أنت علي قال « لا » ففتر منه ثم احتمله على كاهله ثم انطلق . فما زال يلقبه بصرد حتى خفي علينا عجبها من حرمه ، فما قام رسول الله ﷺ وثم منها درهم . وقال البيهقي أخبرنا الحاكم أخبرنا الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن أسباط بن نصر عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي . قال : كان فداء العباس وابني أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب كل رجل أربعة دنانير ، ثم توعد تعالى الآخرين فقال (وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم) .

فصل

والمشهور أن الأسارى يوم بدر كانوا سبعين ، والقَتلى من المشركين سبعين كما ورد في غير ما حديث مما تقدم وسيأتي إن شاء الله ، وكذا في حديث البراء بن عازب في صحيح البخاري أنهم قتلوا يوم بدر سبعين ، وأسروا سبعين . وقال موسى بن عقبة : قتل يوم بدر من المسلمين من قريش ستة ومن الأنصار ثمانية ، وقتل من المشركين تسعة وأربعين ، وأسر منهم تسعة وثلاثين . هكذا رواه البيهقي عنه . قال وهكذا ذكر ابن أبي شيبة عن أبي الأسود عن عروة في عدد من استشهد من المسلمين وقتل من المشركين . ثم قال أخبرنا الحاكم أخبرنا الأصم أخبرنا أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق . قال واستشهد من المسلمين يوم بدر أحد عشر رجلا ، أربعة من قريش وسبعة من الأنصار وقتل من المشركين بضعة وعشرون رجلا . وقال في موضع آخر : وكان مع رسول الله ﷺ أربعون أسيرا ، وكانت القتلى مثل ذلك . ثم روى البيهقي من طريق أبي صالح كاتب الليث عن الثيث عن عتيق عن الزهري قال : وكان أول قتيل من المسلمين مهجع مولى عمر ، ورجل من الأنصار وقتل يومئذ من المشركين زيادة على سبعين ، وأسر منهم مثل ذلك ، قال ورواه ابن وهب عن يونس بن يزيد عن الزهري عن عروة بن الزبير قال قال البيهقي — وهو الأصح — فيما روينا في عدد من قتل من المشركين وأسر منهم ، ثم استدلل على ذلك بما ساقه هو والبخاري أيضا من طريق أبي اسحاق عن البراء بن عازب قال : أمر رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد عبد الله بن جبير ، فاصابوا من سبعين . وكان النبي ﷺ وأصحابه قد أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة ، سبعين أسيرا ، وسبعين قتيلا . قلت والصحيح أن جملة المشركين كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف وقد صرح قتادة بأنهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلا . وكأنه أخذه من هذا الذي ذكرناه والله

أعلم . وفي حديث عمر المتقدم أنهم كانوا زيادة على الألف ، والصحيح الأول لقوله عليه السلام « القوم ما بين التسعمائة إلى الألف » وأما الصحابة يومئذ فكانوا ثلاثمائة وبقية عشر رجلاً كما سيأتي التخصيص على ذلك وعلى أسمائهم إن شاء الله ، وتقدم في حديث الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن وقعة بدر كانت يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان ، وقاله أيضاً عروة بن الزبير وقتادة وإسماعيل والسهدي الكبير وأبو جعفر الباقر . وروى البيهقي من طريق قتيبة عن جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله بن مسعود في ليلة القدر قال : « تحررها لأحدى عشرة بقين فان صبيحتها يوم بدر » . قال البيهقي وروى عن زيد بن أرقم أنه سئل عن ليلة القدر فقال ليلة تسع عشرة ما شئت ، وقال يوم الفرقان يوم التقى الجمعان . قال البيهقي والمشهور عن أهل المنازي أن ذلك لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان . ثم قال البيهقي أخبرنا أبو الحسين بن بشران حدثنا أبو عمرو بن السماك حدثنا حميل بن إسحاق ثنا أبو نعيم ثنا عمرو بن عثمان سمعت موسى بن طلحة يقول سئل أبو أيوب الأنصاري عن يوم بدر فقال : إما لسبع عشرة خلعت ، أو ثلاث عشرة خلعت أو لأحدى عشرة بقيت . وإما لسبع عشرة بقيت وهذا غريب جداً .

[وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة قباث بن أشيم اللبي من طريق الواقدي وغيره بإسنادهم إليه أنه شهد يوم بدر مع المشركين فقد ذكرهم عنهم مع قلة أصحاب رسول الله ﷺ قال : وجمعت أقول في نفسي ما رأيت مثل هذا الأمر فرمته إلا النساء والله لو خرجت نساء قريش بالنساء ردت محمداً وأصحابه . فلما كان بعد الخندق قلت لو قدمت المدينة فمظرت إلى ما يقول محمد وقد وقع في نفسي الإسلام ، قال فقدمتها فسات عنه فقالوا هو ذلك في ظل المسجد في هذا من أصحابه ، فأتيته وأنا لا أعرفه من بين أصحابه فسلمت فقال يا قباث بن أشيم أنت القائل يوم بدر ما رأيت مثل هذا الأمر فرمته إلا النساء ، فقلت أشهد أنك رسول الله فان هذا الأمر ما خرج مني إلى أحد قط ولا ترمزمت به إلا شيئاً حدثت به نفسي ، فلو لا أنك نبي ما أظلمت عليه ، فلم أبايعك على الإسلام فسلمت (٢)] .

فصل

وقد اختلفت الصحابة رضي الله عنهم يوم بدر في المعان من المشركين يومئذ لمن تسلم منهم . وكانوا ثلاثة أصناف حين ولي المشركون . ففرقة أحذقت رسول الله ﷺ تحريمه خوفاً من أن يرجع أحد من المشركين إليه . وفرقة ساقط وراء المشركين يقتلون منهم ويأسرون . وفرقة جمعت المعانم (١) في الأصابع هكذا (هـ) ولعلها بالثاء أي بإسلاحها (٢) ما بين المربعين من الصلابة فقد

من متفرقات الاماكن . فادعى كل فريق من هؤلاء أنه أحق بالعلم من الآخرين لما صنع من الأمر
المهم . قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره عن سليمان بن موسى عن مكحول
عن أبي أمامة الباهلي قال سألت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال : فينا أصحاب بدر نزلت حين
اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا ، فزرعه الله من أيدينا فجاءه إلى رسول الله ﷺ فقسمه بين
المسلمين عن براء ، يقول عن سواء . وهكذا رواه احمد عن محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق به
ومعنى قوله على السواء أي ساوى فيها بين الذين جمعوها وبين الذين اتبعوا العدو وبين الذين ثبتوا
تحت الرايات لم يخصص بها فريقا منهم من ادعى التخصيص بها ، ولا ينبغي هذا تخصيصا وعسرف
الخمس في مواضعه كما قد يتوهمه بعض العلماء منهم أبو عبيدة وغيره والله أعلم . بل قد تنفل رسول الله
ﷺ سيفه ذه الفقار من منام بدر . قال ابن جرير : وكذا اصطفى جمالا لأبي جهل كان في أنفه برة
من فضة ، وهذا قبل إخراج الخمس أيضا . وقال الامام احمد حدثنا معاوية بن عمرو ثنا ابن اسحاق
عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة عن سليمان بن موسى عن أبي سلام
عن أبي أمامة عن عبادة بن الصامت قال خرجنا مع النبي ﷺ فشهدت معه بدرًا ، فالتقى الناس
فهزم الله العدو ، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزون ويقتلون ، وأكبت طائفة على المنعم يحوزونه
ويجمعونه ، وأخذت طائفة رسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة ، حتى إذا كان الليل وفاء
الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم نحن حويناها وليس لاحد فيها نصيب ، وقال
الذين خرجوا في طلب العدو استم باحق به منا نحن نقيما منها العدو وهزمناهم ، وقال الذين أخذوا
برسول الله ﷺ خفنا أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به ، فانزل الله (يسألونك عن الانفال قل
الانفال لله ورسوله فاتقوا الله وأطيعوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) فقسمها
رسول الله بين المسلمين . وكان رسول الله ﷺ إذا أغر في أرض العدو نزل الربع فإذا أقبل راجعا
نزل الثلث وكان يكره الانفال . وقد روى الترمذي وابن ماجه من حديث الثوري عن عبد الرحمن
ابن الحارث آخره وقال الترمذي هذا حديث حسن . ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في
مستدركه من حديث عبد الرحمن : وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه . وقد روى أبو
داود والنسائي وابن حبان والحاكم من طريق عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال
لما كان يوم بدر قاتل رسول الله ﷺ من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا ، فسارع في ذلك شبان
الرجال وبقي الشيوخ تحت الرايات ، فلما كانت الغنائم جزأ يطلبون الذي جعل لهم قال الشيوخ : لا
تستأروا علينا فاما كذا جزءا لكم لو انكشفتم لفتحتم علينا ، فتنازعوا فانزل الله تعالى (يسألونك

عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأطيعوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم
 مؤمنين . وقد ذكرنا في سبب نزول هذه الآية آثارا أخر يطول بسطها عنها ومعنى السلام أن
 الانفال ترجعها إلى حكم الله ورسوله يحكم فيها بما فيه المصلحة للمسلمين والمماش والمعاد ولهذا قال
 تعالى (قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأطيعوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين)
 ثم ذكر ما وقع في قصة بدر وما كان من الامر حتى انتهى إلى قوله (واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن
 لله خمسة والرسول ولذي القربى والميتامى والمساكين وابن السبيل) الآية فالظاهر أن هذه الآية
 مبينة لحكم الله في الانفال الذي جعل مردد اليه وإلى رسوله ﷺ ، فبيده تعالى وحكم فيه بما أراد
 تعالى ، وهو قول أبي زيد وقد زعم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله أن رسول الله ﷺ قسم
 غنائم بدر على السواء بين الناس ، ولم يخصصها ، ثم نزل بين الناس بعد ذلك لاسيما ما تقدم ، وهكذا
 روى الواقدي عن ابن عباس وبه قال جماعة وعكرمة والسدي وفي هذا نظر والله أعلم . فان في سياق
 الآيات قبل آية الخمس وبعدها كلها في غزوة بدر فيقتضي أن ذلك نزل جملة في وقت واحد ، غير
 متفاصل بتأخر يقتضي نسخ بعضه بعضا ، ثم في الصحيحين عن علي رضي الله عنه أنه قال في قصة
 شارب فيه اللذين اجتبأ أسنمتهم حرة إن إحداهما كانت من الخمس يوم بدر ما يرد من غنائم أبي
 عبيد ، أن غنائم بدر لم تخمس والله أعلم . بل الخمس كلها قول البيهقي وابن جرير وغيرهما وهو
 الصحيح الرجح والله أعلم .

فصل

في رجوعه عليه السلام من بدر إلى المدينة وما كان من الأمور في مسيرها إليها في بدءا منصورا
 عليه من ربه أفعل الصلاة والسلام ، وقد تقدم أن الوقعة كانت يوم الجمعة السابع عشر من رمضان
 سنة اثنين من الهجرة ، وثبت في الصحيحين أنه كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاثة أيام ، وقد
 أقام عليه السلام بعرصة بدر ثلاثة أيام كما تقدم وكان رحيله منها ليلة الاثنين ، فركب ناقة وبقيت
 على قليب بدر ففرع أولئك الذين سجدوا اليه كما تقدم ذكره ، ثم سار عليه السلام دونه الاسدي
 والغنائم الكثيرة وقد بعث بعث عليه السلام بين يديه بشيرين إلى المدينة بالفتح والنصر والظفر على من
 أشرك بالله وجحد به كفر ، أحدهما عبيد الله بن رواحة إلى أعالي المدينة ، والثاني زيد بن
 حارثة إلى السافلة . قال أسامة بن زيد فأتانا الخبر حين سويما [التراب] على رقية بنت رسول الله
 ﷺ وكان زوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه قد احتبس عندها يرضها بأمر رسول الله ﷺ ،
 وقد ضرب له رسول الله ﷺ اسمه وأجره في بدر . قال أسامة : فلما قدم أبي زيد بن حارثة جثته وهو

واقف بالمصل وقد غشيه الناس وهو يقول : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البختري المصم بن هشام ، وأممية بن خلف ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج . قال قلت يا أبا حق هذا ؟ قال إني والله يا بني . وروى البيهقي من طريق حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسامة بن زيد أن النبي ﷺ خلف عثمان وأسامة بن زيد على بنت رسول الله ﷺ ، فجاء زيد بن حارثة على المضياء ناقة رسول الله ﷺ بالبشارة ، قال أسامة : فسمعت الميعة تخرجت فإذا زيد قد جاء بالبشارة فوالله ما صدقت حتى رأينا الأسارى . وضرب رسول الله ﷺ لعثمان بسهمه . وقال الواقدي صلى رسول الله ﷺ مرجعه من بدر العصر بالأنيل فلما صلى ركعة تبسم فسئل عن تبسمه فقال : « يرى ميكائيل وعلى جناحه النع فتبسم إلى وقال إني كنت في طلب النجوم ، وأناه جبريل حين فرغ من قتال أهل بدر على فرس أنثى معقود الناصية وقد عصم ثنبيه الغبار فقال يا محمد إن ربي بعثني إليك وأمرني أن لا أفارقك حتى ترضى هل رضيت ؟ قال نعم . قال الواقدي قالوا وقدم رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة من الأنيل فجاء يوم الأسد حين اشتد الضحى ، وفارق عبد الله بن رواحة زيد بن حارثة من العقيق ، فجعل عبد الله بن رواحة ينادى على راحته يا معشر الأنصار أبشروا بسلامة رسول الله ﷺ وقتل المشركين وأسراهم ، قتل ابن ربيعة ، وابن الحجاج ، وأبو جهل ، وقتل زمعة بن الأسود ، وأممية بن خلف ، وأسرهيل بن عمرو . قال عاصم بن عدي : فقامت إليه فتحوته فقلت أحق يا ابن رواحة ؟ فقال إني والله وغداً يقدم رسول الله ﷺ بالأسرى مقرنين . ثم تتبع دور الأنصار بالمالية يبشرون داراً داراً والصبيان ينشدون معه يقولون : قتل أبو جهل الفاسق ، حتى إذا انتهى إلى دار بني أمية وقدم زيد بن حارثة على ناقة رسول الله ﷺ القصواء يبشر أهل المدينة ، فلما جاء المصلى صاح على راحته قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وابن الحجاج ، وقتل أممية بن خلف وأبو جهل وأبو البختري وزمعة بن الأسود ، وأسرهيل بن عمرو ذو الأنياب في أسرى كثير فجعل بعض الناس لا يصدقون زيداً ويقولون ما جاء زيد بن حارثة إلا فلا حتى غاض المسلمين ذلك وخافوا . وقدم زيد حين سوينا على رقية بنت رسول الله ﷺ بالبقيع ، وقال رجل من المنافقين لأسامة : قتل صاحبكم ومن معه ؟ وقال آخر لا بني لبابة : قد تفرق أصحابكم تفرقاً لا يجتمعون فيه أبداً وقد قتل عليه أصحابه قتل محمد وهذه ناقته أعرفها ، وهذا زيد لا يدري ماذا يقول من الرعب ، وجاء فلا فقال أبو لبابة : يكذب الله قولك . وقالت اليهود : ما جاء زيد إلا فلا . قال أسامة فجئت حتى خلوت بابي فقلت أحق ما تقول ؟ فقال إني والله حق ما أقول يا بني فتويت نفسي ورجعت إلى ذلك المنافق فقلت أنت المرجف برسول الله ﷺ وبالمسلمين ، لنقدمناك إلى رسول الله ﷺ إذا قدم فليضرب عنقك ، فقال إنما هو شيء سمعته

من الناس يقولونه . قال فجئ بالأسرى وعلمهم شقوان فولى رسول الله ﷺ وكان قد شهد معهم بدرًا وهم تسع وأربعون رجلاً الذين أحصوا . قال الواقدي : وهم سبعون في الأصل مجتمع عليه لا شك فيه . قال ولقى رسول الله ﷺ إلى الروحاء رؤوس الناس يهنئونه بما فتح الله عليه . فقال له أسيد بن الحضير : يا رسول الله الحمد لله الذي أنفرك وأقر عينك ، والله يا رسول الله ما كنت تخافني عن بدر وأنا أظن أنك تلقي عدواً ، ولكن ظننت أنها غير ولو ظننت أنه عدو ما تخلفت . فقال له رسول الله « صدقت » . قال ابن اسحاق : ثم أقبل رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى وفيهم عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وقد جعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار . فقال راجز من المسلمين - قال ابن هشام [يقال إنه] هو عدى بن أبي الزغباء - :

أقم لها صدورها يا بسبس ليس بندي الطلح لها مفرس
ولا بصحراء عمير محبس إن مطايا القوم لا تحبس
فحملها على الطريق أ كيس قد نصر الله وفر الأخنس

قال ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كنيب بين المضيق وبين النازية يقال له سمر إلى سرحة به فتقسم هنالك النفل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء ، ثم ارتحل حتى إذا كان باروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين فقال لهم سلمة بن سلامة بن وقش كما حدثني عاصم بن عمر ويزيد بن رومان ما الذي تهنئوننا به . والله إن لقينا إلا عجائز صلحا كالبدن المعقلة فتمحرناها ، فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : « أي ابن أخي أولئك الملاء » قال ابن هشام : يعني الأشراف والرؤساء .

هو مقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط لعنه الله ✽

قال ابن اسحاق : حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالصفراء قتل النضر بن الحارث قتله على بن أبي طالب كما أخبرني بعض أهل العلم من أهل مكة ، ثم خرج حتى إذا كان بعرق الظبية قتل عقبة ابن أبي معيط . قال ابن اسحاق : فقال عقبة حين أمر رسول الله ﷺ بقتله : فن الصبية يا محمد ؟ قال « النار » وكان الذي قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أخو بني عمرو بن عوف كما حدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر . وكذا قال موسى بن عقبة في مغازيه وزعم أن رسول الله ﷺ لم يقتل من الأسارى أسيراً غيره . قال ولما أقبل إليه عاصم بن ثابت . قال : يا مشرك قريش علام أقتل من بين من ههنا ؟ قال على عداوتك الله ورسوله . وقال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن

الشعبي قال : لما أمر النبي ﷺ بقتل عقبة قال : أقتلني يا محمد من بين قریش ؟ . قال : « نعم ! أتدرون ما صنع هذا بي ؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقي وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عيني ستندران ، وجاء مرة أخرى بسلا شاة فالتقاه على رأسي وأنا ساجد فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي » قال ابن هشام ويقال بل قتل عقبة علي بن أبي طالب فيما ذكره الزهري وغيره من أهل العلم .

قلت : كان هذان الرجلان من شر عباد الله وأكثرهم كفراً وعناداً وبغياً وحسداً وهجاء للإسلام وأهله لئلهما الله وقد فعل . قال ابن هشام : قتلت قتييلة بنت الحارث اخت النضر بن الحارث في مقتل أخيها :

يارا كبا ان الاثيل مظنة	من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتا بان تحية	ما إن تزال بها المنجائب تحفوق
منى اليك وعبرة مسفوحة	جادت بوابلها وأخرى تحنق
هل يسمعن النضر إن نادينه	أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أحمد ياخير حتى كريمة	من قومها والفحل فحل ممرق
ما كان ضرك لو مننت وربما	من الفقى وهو المغيظ الحق
أو كنت قابل فدية فليمنقن	باعز ما يغلو به ما ينفق
والنضر أقرب من أسرت قرابة	وأحقهم ان كان عتق يعتق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه	لله أرحام هنالك تشقق
صبراً يقاد الى المنية متعبا	رسف المقيد وهو عان موثق

قال ابن هشام : ويقال والله أعلم أن رسول الله ﷺ لما بلغه هذا الشعر قال « لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه » .

قال ابن اسحاق : وقد تلقى رسول الله ﷺ بهذا الموضع أبو هند مولى فروة بن عمرو والبياضى حجاجه عليه السلام ومعه زق خمر (١) مملوء حيسا — وهو النمر والسويق بالسمن — هدية لرسول الله ﷺ فقبله منه ووصى به الانصار . قال ابن اسحاق ثم مضى رسول الله ﷺ حتى قدم المدينة قبل الاسارى بيوم . قال ابن اسحاق : وحديثي نبيه بن وهب أخو بني عبد الدار أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالاسارى فرقه بين أصحابه وقال « استوصوا بهم خيراً » قال وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لا يسه وأمه في الأسارى ، قال أبو عزيز : مر بي أخى مصعب بن عمير (١) كذا في الاصلين . وفي ابن هشام : ولقى رسول الله ﷺ أخى بحميت مملوء حيسا . والحيت الزق .

ورجل من الأنصار يأمرني فقال شديدك به فان أمه ذات متاع لها نفديته منك ، قال أبو عزيز
فكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر فسكنوا إذا قدسوا غداهم وعشاءهم خصوصي
بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ إياهم بها ، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني
بها فاستحى فأردها فبردها علي ما يسها . قال ابن هشام : وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين
ببدر بعد النضر بن الحارث ، ولما قال أخوه مصعب لابن اليسر - وهو الذي أسره - ما قال قال له
أبو عزيز : يا أخي هذه وصاتك بي ؟ فقال له مصعب إنه أخي دونك فسألت أمه عن أغلى ما فدى
به قرشي فقبل لها أربعة آلاف درهم ، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها . قلت : وأبو عزيز هذا
اسمه زرارة فيما قاله ابن الأثير في غابة الصحابة ، وعنه خليفة بن خياط في أسناء الصحابة . وكان أخا
مصعب بن عمير لآبيه ، وكان لهما أخ آخر لأبويهما وهو أبو الروم بن عمير وقد غلط من جملة قتل
يوم أحد كافرًا ذاك أبو عزة كما سيأتي في موضعه والله أعلم . قال ابن اسحاق حدثني عبد الله بن أبي
بكر أن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة . قال : قدم بالأسارى حين قدم بهم
وسودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ عند آل عفراء في مناحمهم على عوف وهوذا ابني عفراء ، قال
وذلك قبل أن يضرب عليهم الحجاب ، قال تقول سودة والله إني لعندهم إذا أتينا فقبل هؤلاء
الأسارى قد أتى بهم ، قالت فرجعت إلى بيتي ورسول الله ﷺ فيه وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو
في ناحية الحجر مجموعة يده إلى عنقه بحبل قالت فلا والله ما ملكك نفسي حين رأيت أبا يزيد
كذلك أن قلت : أي أبا يزيد أعطينم بأيديكم ، ألا منكم كراما ؟ فوالله ما أنبئني إلا قول رسول الله
ﷺ من البيت « يا سودة أعل الله وعلى رسوله تحرضين » قال قلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق
ما ملكك نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يده إلى عنقه أن قلت ما قلت . ثم كان من قصة
الأسارى بالمدينة ما سيأتي بيانه وتفصيله فيما بعد من كيفية فدائهم وكيفية إن شاء الله .

﴿ ذكر فرح النجاشي بوقعة بدر رضي الله عنه ﴾

قال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الحرفي ببغداد حدثنا أحمد بن
سليم النجاد حدثنا عبد الله بن أبي الدنيا حدثني حمزة بن العباس ثنا عبد الله بن عثمان ثنا عبد الله
ابن المبارك أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد عن جابر عن عبد الرحمن - رجل من أهل صنعاء - . قال
أرسل النجاشي ذات يوم إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت عليه خلقتان
ثياب جالس على التراب . قال جعفر فاشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال ، فلما أن رأى ما في
وجوهنا قال إني أبشركم بما يسركم . إنه جاءني من نحو أرضكم عين لي فاخبرني أن الله قد أنصر نبيه

وأهلك عدوه وأسر فلان وقتل فلان وفلان ، التفتوا ينادي يقال له بدر كثير الأراك كأنني أنظر اليه كنت أرى لسيدى رجل من بني ضمرة إبله ، فقال له جعفر : ما بالك جالس على التراب ليس تحتك بساط وعليك هذه الاخلاط ؟ قال إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى إن حقاً على عباد الله أن يحدوا لله تواضعاً عند ما يحدث لهم من نعمة ، فلما أحدث الله لي نصر نبيه ﷺ أحدثت له هذا التواضع .

﴿ فصل في وصول خبر مصاب أهل بدر إلى أهاليهم بمكة ﴾

قال ابن اسحاق : وكان أول من قدم مكة بمصاب قریش الحيمان بن عبد الله الخزاعي فقالوا له ما وراءك ؟ قال قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأميرة بن خلف ، وزمعة بن الأسود ونبيه ومنبه ، وأبو البختری بن هشام . فلما جعل يمدد أشراف قریش قال صفوان ابن أمية والله إن ^(١) يعقل هذا ، فسلوه عنى فقالوا ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال هو ذاك جالساً في الحجر ، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا . قال موسى بن عقبة : ولما وصل الخبر إلى أهل مكة وتمحقوه قطعت النساء شعورهن وعقرت خيول كثيرة ورواحل . وذكر السهيلي عن كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت أنه قال لما كانت وقعة بدر سمعت أهل مكة هاتفا من الجن يقول :

أزار الخيفيون بهراً وقيمة سينتض منهاركن كسرى وقيصرا
أبادت رجالا من لؤى وأبرزت خرائد يضر بن الترائب حسرا
فياويح من أسمى عدو محمد لقد جار عن قصد الهدى وتحميرا

قال ابن اسحاق : وحديثي حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس قال قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام قد دخلنا أهل البيت فاسلم العباس واسلمت أم الفضل واسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكره اسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه . وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة - وكذلك كانوا صنعوا لم يتخلف منهم رجل إلا بعث مكانه رجلاً - فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قریش كبت الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوة وعزاً ، قال وكنت رجلاً ضعيفاً وكنت أهل الاقداح أتخبطها في حجرة زمزم : فوالله إني جالس فيها أتخبط اقداحي وعندى أم الفضل جالسة وقد سرت ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهب يجر رجله بشر ^(٢) حتى جلس على طنب الحجر فكان ظهري الى ظهري فيينا هو جالس إذ قال الناس هذا أبو

(١) كذا في الحلبية وفي المصرية وابن هشام : والله إن يعقل هذا . (٢) كذا في الحلبية وابن هشام .

سفيان - واسمه المغيرة - ابن الحارث بن عبد المطالب قد قسم ، قال قتال أبو طيب : هم إلى فديك
 لعمرى الخير ، قال فجلس إليه والناس قيام عليه فقال : يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس ؟ قال
 والله ما هو إلا أن لقينا القوم فنهضناهم اكنافنا يقتلوننا كيف شاؤوا ، ويأسروننا كيف شاؤوا . وإيم
 الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجلا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض ، والله ما تليق شيئا
 ولا يقوم لها شيء . قال أبو رافع : فرفعت طيب الحجر بيدي ثم قلت : تلك والله الملائكة . قال
 فرفع أبو طيب يده فضرب وجهي ضربة شديدة ، قال وثأورته ^(١) فاحتلمني وضرب بي الارض ثم
 بكى عليّ يضربني - وكنت رجلا ضعيفا - فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجر فاخذته
 فضربت به ضربة فبلغت في رأسه شجرة منكورة ، وقالت استضعفت إن ضاب عنه سيده ، فقام ، ولما
 ذليلا فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته . زاد يونس عن ابن اسحاق . فلقد
 تركه ابنه بعد موته ثلاثا ما دفناه حتى أتت . وكانت قریش تنق هذه العدسة كما تنق الطاعون حتى
 قال لهم رجل من قریش : ويحك ألا تستحيان أن أبأ كما قد أتت في بيته لا تدفناناه ؟ فقالا إنا نخشى
 عدوة هذه القرحة ، فقال انطلقا فانا أعينكما عليه فوالله ما غسلوه إلا قذفا بالماء عليه من بعيد ما
 يدنون منه ، ثم احتلوه إلى أعلا مكة فاسندوه إلى جدار ثم رضوا عليه بالحجارة . قال يونس عن
 ابن اسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت
 لا تمر على مكان أبي طيب هذا إلا تسترت بشويها حتى تجوز ^(٢) .

قال ابن اسحاق : وحدثني يحيى بن عباد قال ناحت قریش على قتلاهم ، ثم قالوا لا تفعلوا يبلغ
 محمداً وأصحابه فيشتموا بكم ، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنسوا بهم لا يارب ^(٣) عليكم محمد
 وأصحابه في الفداء . قلت : وكان هذا من تمام ما عذب الله به أحياءهم في ذلك الوقت وهو تركهم
 النوح على قتلاهم ، فان البكاء على الميت مما يبلى فؤاد الحزين . قال ابن اسحاق : وكان الاسود بن
 المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده ، زمعة وعقيل والحارث ، وكان يحب أن يبكي على بنيه قال فبينما
 هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل ، فقال للغلام له - وكان قد ذهب بصره - أنظر هل أحل النحب
 هل بكيت قریش على قتلاها لعل أبكي على أبي حكيمة - يعني ولده زمعة - فان جوفى قد احترق .
 قال فلما رجع إليه الغلام قال إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلته قال فذاك حين يقول الاسود :
 أنبكي أن أضل لها بعير ويعنينا من النوم السهود

(١) كذا في الحلبية وابن هشام ، وفي المصرية : وبأدرته . (٢) ما بين المربعين من الحلبية
 فقط ولم يرد في المصرية ولا في ابن هشام ، ولكن السهيلي أشار إليه وأسندته إلى ابن اسحاق .
 (٣) يارب قال في النهاية في تفسير هذا الخبر : أي يتشددون عليكم .

فلا تبكى على بكر ولكن على بدر تنصرت الجلود
على بدر سرقة بنى ههيهن وخزوم ورهط أبى الوليد
وبكى إن بكيت أبا عتيل وبكى حارثا أسد الاسود
وبكيتهم ولا تسمى جميعا وما لأبى حكيمة من نديد
ألا قد ساد بعدهم رجال ولولا يوم بدر لم يسودوا
﴿فصل في بعث قريش إلى رسول الله ﷺ فداء أسراهم﴾

قال ابن اسحاق : وكان في الاسارى أبو وداعة بن ضبيرة السهمي . فقال رسول الله ﷺ : « إن
له بمكة ابناً كيساً ناجراً ذا مال وكأنسكم به قد جاء في طلب فداء أبيه » فلما قالت قريش لا تمجلوا
فداء أسراكم لا يارب عليكم محمد وأصحابه قال المطلب بن أبي وداعة وهو الذي كان رسول الله
ﷺ عنى صدقتم لا تمجلوا ، وانسل من الليل وقدم المدينة فاخذ أباه بأربعة آلاف درهم فاطلق به .
قلت : وكان هذا أول أسير فدى ثم بعثت قريش في فداء أسراهم فقدم مكرز بن حفص بن
الاخيف في فداء سهيل بن عمرو ، وكان الذي أسره مالك بن النخشم أخو بني سالم بن عوف فقال
في ذلك :

أسرت سهيلاً فلا ابتغى أسيراً به من جميع الامم
وخندف تعلم أن الفقى فتأها سهيل إذا يظالم
ضربت بنى الشفر حتى انثنى وأكرهت نفسى على ذى العلم

قال ابن اسحاق : وكان سهيل رجلاً أعلم من شفته السفلى . قال ابن اسحاق وحدثني محمد بن
عمرو بن عطاء أخو بني عامر بن لؤى أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله ﷺ : دعنى أنزع ثنية
سهيل بن عمرو ويدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لا أمثل
به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً » .

قلت : هذا حديث مرسل بل مفضل قال ابن اسحاق : وقد بلغنى أن رسول الله ﷺ قال
لعمر في هذا : « إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تدمه » قلت : وهذا هو المقام الذى قام به سهيل بمكة
حين مات رسول الله ﷺ وارتد من ارتد من العرب ، ونجم النفاق بالمدينة وغيرها . فقام بمكة
نخطب الناس وحثهم على الدين الحنيف كما سيأتى في موضعه .

قال ابن اسحاق : فلما قارلهم فيه مكرز وانتهى إلى رضائهم قالوا هات الذى لنا قال اجعلوا رجلى
مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث اليكم بفدائه فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزاً عندهم ، وأنشد له
ابن اسحاق في ذلك شعراً أنكره ابن هشام فأنشدني . قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي

بكر قال : وكان في الاسارى عمرو بن أبي سفيان صخر بن حرب . قال ابن اسحاق وكانت أمه بنت عتبة بن أبي مهيظ . قال ابن هشام : بل كانت أمه أخت أبي مهيظ . قال ابن هشام : وكان الذي أسره علي بن أبي طالب . قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر قال فقيلا لأبي سفيان أفد عمراً ابنك ، قال أيجتمع على دمي ومالي ، قتلوا حنظلة وأفدى عمراً ؟ دعوه في أيديهم يسكوه ما بدا لهم . قال فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة إذ خرج سعد بن النعمان بن أكل أخو بني عمرو بن عوف ثم أحد بنى معاوية متمراً ومعه مارية له وكان شيخاً مسلماً في غنم له بالبيعة ففرج من هنالك متمراً ولم يظن أنه يحبس بمكة إنما جاء متمراً ، وقد كان عهد قريش أن قريشاً لا يرضون لأحد جاء حاجاً أو متمراً إلا بخير ، فمدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بانه عمرو وقال في ذلك :

أرهط ابن أكل اجيوا دعاه تماقذتم لا تساموا السيد الكهل
فان بنى عمرو لثام أذلة لئن لم يكفوا عن أسيرهم الكهل
قال فاجابه حسان بن ثابت يقول :

لو كان سعد يوم مكة مطلقاً لا كثر فيكم قبل أن يؤسر القتل
بعضب حسان أو بصفراء نبعة نحن إذا ما أنبضت نحفر النبل

قال ومشي بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله ﷺ فاخبروه خبره وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكوكا به صاحبهم فاعطاهم النبي فبعضوا به إلى أبي سفيان فغلى سبيل سعد . قال ابن اسحاق وقد كان في الاسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد المزي بن عبد شمس بن أمية ختن رسول الله ﷺ وزوج ابنته زينب . قال ابن هشام : وكان الذي أسره خراش بن الصمة أحد بني حرام . قال ابن اسحاق : وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة ، وكانت أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد ، وكانت خديجة هي التي سألت رسول الله ﷺ أن يزوجه بابنتها زينب وكان لا يخالفها وذلك قبل الوحي ، وكان عليه السلام قد زوج ابنته رقية - أو أم كلثوم من عتبة بن أبي لهب ، فلما جاء الوحي قال أبو لهب : اشغلوا محمداً بنفسه ، وأمر ابنه عتبة فطلق ابنة رسول الله ﷺ قبل الدخول ، فتزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه ومشوا إلى أبي العاص فقتلوا فارق صاحبك ونحن نزوجك بأى امرأة من قريش شئت ، قال لا والله إذا لا أفارق صاحبتي وما أحب أن لى بامرأتى امرأة من قريش : وكان رسول الله ﷺ يثنى عليه في صهره فيما بلغنى . قلت : الحديث بذلك في الثناء عليه في صهره ثابت في الصحيح كما سيأتى . قال ابن اسحاق : وكان رسول الله ﷺ لا يحل بمكة ولا يحرم مغلوباً على أمره ، وكان الاسلام قد فرق بين زينب ابنة رسول

الله ﷺ وبين أبي العاص ، وكان لا يقدر على أن يفرق بينهما . قلت : إنما حرم الله المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست من الهجرة كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى . قال ابن اسحاق حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله في فداء أبي العاص بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها قالت فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقعة شديدة وقال « إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها وتردوها عليها الذي لها فافعلوا » . قالوا نعم يا رسول الله ، فاطلقوه وردوها عليها الذي لها . قال ابن اسحاق : فكان من سمى لنا من من عليه رسول الله ﷺ من الأسارى بنسب فداء من بنى أمية أبو العاص بن الربيع ، ومن بنى مخزوم المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم أسره بعض بني الحارث بن الخزرج فترك في أيديهم حتى خلوا سبيله فلحق بقومه ^(١) . قال ابن اسحاق : وقد كان رسول الله ﷺ قد أخذ عليه أن يخلى سبيل زينب - يعني أن تهاجر إلى المدينة - فوفى أبو العاص بذلك كما سيأتي . وقد ذكر ذلك ابن اسحاق ههنا فاخرناه لانه أنسب والله أعلم . وقد تقدم ذكر افتداء العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ نفسه وعقيلاً ونوفلاً ابني أخويه بمائة أوقية من الذهب . وقال ابن هشام كان الذي أسره أبي العاص أبو أيوب خالد بن زيد . قال ابن اسحاق : وصفي بن أبي رفاعه بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ترك في أيدي أصحابه ، فآخذوا عليه ليعثن لهم بفدائه فخلوا سبيله ولم يف لهم : قال حسان بن ثابت في ذلك :

ما كان صفي ليوفى أمانة قفا ثعلب أعيا ببعض الموارد

قال ابن اسحاق : وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جهم كان محتاجاً ذا بنات قال يا رسول الله لقد عرفت مالي من مال وإني لذو حاجة وذو عيال فامن علي ، فمن عليه رسول الله ﷺ وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحداً فقال أبو عزة يمدح رسول الله ﷺ على ذلك :

من مبلغ عنى الرسول محمداً بانك حق والمليك حميد
وأنت امرؤ تدعو إلى الحق والهدى عليك من الله العظيم شهيد
وأنت امرؤ بوئت فينا مباءة لها درجات سهلة وصعود
فانك من حاربه لمحارب شقي ومن سالمته لسعيد
ولكن إذا ذكرت بداراً وأهل تأوب ما بى حسرة وقعود

قلت : ثم إن أبا عزة هذا نقض ما كان عاهد الرسول عليه ، ولعب المشركون بعقله فرجع اليهم

فلما كان يوم أحد أسر أيضا ، فسأل من النبي ﷺ أن ين عليه أيضا فقال النبي ﷺ : « لا أدعك تمسح عارضيك وتقول خدعت محمدا مرتين » ثم أمر به فضربت عنقه كما سيأتي في غزوة أحد . ويقال إن فيه قال رسول الله ﷺ : « لا يبلغ المؤمن من جسر مرتين » وهذا من الأمثال التي لم تسمع إلا منه عليه السلام .

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال : جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية في الحجر بعد مصاب أهل بدر بيسير ، وكان عمير بن وهب شيطانا من شياطين قریش ومن كان يؤذى رسول الله ﷺ وأصحابه ويلقون منه عناء وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر . قال ابن هشام : والذي أسره رفاعة بن رافع أحد بني زريق . قال ابن اسحاق : فحدثني محمد بن جعفر عن عروة فذكر أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان : والله ما أن في الميـش [بعدهم] خير ، قال له عمير صدقت ، أما والله لولا دين علي ليس عندي قضاؤه وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى لركبت إلى محمد حتى أقتله فإن لي فيهم علة ابني أسير في أيديهم . قال فاغتنمها صفوان بن أمية فقال : على دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالي أو أسيرهم ما بقوا لا يسعني شيء ويمجز عنهم . فقال له عمير : فاكتم على شأني وشأنك ، قال سأفعل . قال ثم أمر عمير بسيفه فشحنه له وسهم ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر وينذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم في عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أفاخ على باب المسجد متوشحا بالسيف . فقال : هذا الكاب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر وهو الذي حرش بيننا وحزنا للقوم يوم بدر ، ثم دخل على رسول الله ﷺ فقال يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوحشا سيفه . قال فادخله علي ، قال فاقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبسه بها وقال لمن كان معه من الأنصار : أدخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون ، ثم دخل به على رسول الله ﷺ فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر أخذ بحمالة سيفه في عنقه قال « أرسد يا عمر ، أدن يا عمير » فدنا ثم قال أنتم صباحا - وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم - فقال رسول الله ﷺ « قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير بالسلام تحية أهل الجنة » قال أما والله يا محمد إن كنت بها الحديث عهد ، قال « فما جاء بك يا عمير ؟ » قال جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فاحسنوا فيه ، قال « فما بال السيف في عنقك » قال قبضها الله من سيوف وهل أغنت شيئا ؟ قال « أصدقني ما الذي جئت له ؟ » قال ما جئت إلا لذلك ، قال « بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قریش ثم قلت لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمدا فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك على أن

تقتلني له والله حائل بينك وبين ذلك » فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كما يارسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق . ثم شهد شهادة الحق . فقال رسول الله ﷺ « فقهوا أخاكم في دينه ، وعلموه القرآن وأطلقوا أسيره » ففعلوا . ثم قال : يارسول الله إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فادعهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام لعل الله يهديهم ، وإلا أذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم فاذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة ، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول ابشروا بوقعة تأتيتكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فأكبره عن إسلامه فحلف أن لا يكلمه أبداً ولا ينفعه بشفاعة أبداً . قال ابن اسحاق . فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي من خالفه أذى شديداً فأسلم على يديه ناس كثير . قال ابن اسحاق : وعمير بن وهب - أو الحارث بن هشام - هو الذي رأى عدو الله ابليس حين نسكه على عقبيه يوم وفر هاربا وقال إني برى منكم إني أرى مالا ترون ، وكان ابليس يومئذ في صورة سراققة بن مالك بن جعشم أمير مدج .

فصل

ثم إن الامام محمد بن اسحاق رحمه الله تكلم على ما نزل من القرآن في قصة بدر وهو من أول سورة الانفال إلى آخرها فاجاد وأفاد ، وقد تصينا السكلام على ذلك في كتابنا التفسير فن أراد الاطلاع على ذلك فلينظره ثم والله الحمد والمنة .

فصل

ثم شرع ابن اسحاق في تسمية من شهد بدراً من المسلمين فسرده أسماء من شهدها من المهاجرين أولا ، ثم أسماء من شهدها من الانصار أوسها وخزرجها إلى أن قال فجميع من شهد بدراً من المسلمين من المهاجرين والانصار من شهدها ومن ضرب له بسهمه وأجره ثلثمائة رجل وأربعة عشر رجلا ، من المهاجرين ثلاثة وثمانون ، ومن الأوس أحد وستون رجلا . ومن الخزرج مائة وسبعون رجلا . وقد سردهم البخاري في صحيحه مرتبين على حروف المعجم بعد البداءة برسول الله ﷺ ثم بابي بكر وعثمان وعلى رضي الله عنهم وهذه تسمية من شهد بدراً من المسلمين مرتبين على حروف المعجم وذلك من كتاب الاحكام الكبير للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي وغيره بعد البداءة باسم رئيسهم ونفهم وسيد ولد آدم محمد رسول الله ﷺ .

﴿ أسماء أهل بدر مرتبة على حروف المعجم ﴾

حرف الالف

أبي بن كعب النجاري سيد القراء ، الأرقم بن أبي الأرقم وأبو الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله
ابن عمر بن مخزوم المخزومي ، أسعد بن يزيد بن الناكه بن يزيد بن خليفة بن عامر بن المجلان ،
أسود بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن غنم ، كذا قال موسى بن عقبة . وقال الاموي : سواد بن رزام
ابن ثعلبة بن عبيد بن عدى شك فيه ، وقال سلمة بن الفضل عن ابن اسحاق : سواد بن ذريق بن
ثعلبة ، وقال ابن عائد سواد بن زيد ، أسير بن عمرو الانصاري أبو سليط ، وقيل أسير بن عمرو بن
أمية بن لوزان بن سالم بن ثابت الخزرجي ، ولم يذكره موسى بن عقبة ، أنس بن قنادة بن ربيعة
ابن خالد بن الحارث الاوسي ، كذا سماه موسى بن عقبة ، و [سماه] الاموي في السيرة أنيس .

[قلت : وأنس بن مالك خادم النبي ﷺ لما روى عمر بن شبة التميمي حدثنا محمد بن
عبد الله الانصاري عن أبيه عن ثمامة بن أنس قال قيل لأنس بن مالك : أشهدت بدرًا ؟ قال وأين
أغيب عن بدر لا أم لك ؟ 1 وقال محمد بن سعد أخبرنا محمد بن عبد الله الانصاري ثنا أبي عن
مولى لأنس بن مالك أنه قال لأنس : شهدت بدرًا ؟ قال لا أم لك وأين أغيب عن بدر ؟ قال
محمد بن عبد الله الانصاري خرج أنس بن مالك مع رسول الله ﷺ إلى بدر وهو غلام يخدمه قال
شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي في تهذيبه : هكذا قال الانصاري ولم يذكر ذلك أحد من أصحاب
المغازي [1] . أنس بن معاذ بن أنس بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن
النجار ، أنسة الحبشي مولى رسول الله ﷺ أوس بن ثابت بن المنذر النجاري ، أوس بن خولى بن
عبد الله بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج الخزرجي . وقال موسى
ابن عقبة أوس بن عبد الله بن الحارث بن خولى ، أوس بن الصامت الخزرجي أخو عبادة بن
الصامت ، إياس بن البكير بن عبد ياليل بن ناسب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر حليف بني
عدى بن كعب .

حرف الباء

بجير بن أبي بجير حليف بني النجار : بحات بن ثعلبة بن خزعة بن أصرم بن عمرو بن عمارة
البلوي حليف الانصار ، بيس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن زيد بن عمرو بن سعيد بن ذبيان

ابن رشدان بن قيس بن جهمينة الجهني حليف في ساعدة وهو أحد العيسيين هو وعدى بن أبي الزغباء كما تقدم ، بشير بن البراء بن مسرور الخزرجي الذي مات بخيبر من الشاة المسمومة ، بشير بن سعد ابن ثعلبة الخزرجي والد النعمان بن بشير ويقال إنه أول من بايع الصديق ، بشير بن عبد المنذر أبو لبابة الاوسي رده عليه السلام من الروحاء واستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره .

حرف التاء

تميم بن يعار بن قيس بن عدى بن أمية بن جدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج ، تميم مولى خراش بن الصمة ، تميم مولى بني غنم بن السلم . وقال ابن هشام : هو مولى سعد بن خيشمة .

حرف الشاء

ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدى بن المجلان ، ثابت بن ثعلبة ويقال لثعلبة هذا الجدع بن زيد بن الحارث بن حرام بن غنم بن كعب بن سلمة ، ثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء بن عسيبة ابن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار النجاري ، ثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدى بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار النجاري ، ثابت بن عمرو بن زيد بن عدى بن سواد بن مالك بن غنم بن عدى بن النجار النجاري ، ثابت بن هزال الخزرجي ، ثعلبة بن حاطب بن عمرو ابن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الاوس ، ثعلبة بن عمرو بن عبيد بن مالك النجاري (١) ثعلبة بن عمرو بن محسن الخزرجي ، ثعلبة بن عنمة بن عدى بن ثابئ السلمي ، ثقف بن عمرو بن بني حجر آل بني سليم وهو من حلفاء بني كثير بن غنم بن دودان بن أسد .

حرف الجيم

جابر بن خالد بن [مسعود بن] عبد الاشهل بن حارثة بن دينار بن النجار النجاري ، جابر بن عبد الله بن رقاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي أحد الذين شهدوا العقبة .

[قلت : فاما جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمي أيضا فذكره البخاري فيهم في مسند عن سعيد بن منصور عن أبي معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر وقال كنت أمتح لاصحابي الماء يوم بدر . وهذا الاسناد على شرط مسلم لكن قال محمد بن سعد ذكرت لمحمد بن عمر - يعني الواقدي - هذا الحديث فقال هذا وهم من أهل العراق وأنكر أن يكون جابر شهد بدرًا .

(١) كذا في الاصل ونحسبه مكرراً كما في الاصابة ونظم أسماء أهل بدر .

وقال الامام احمد بن حنبل حدثنا روح بن عبادة ثنا زكريا بن اسحاق ثنا أبو الزبير أنه سمع جابر ابن عبد الله يقول : غزوت مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة ولم أشهد بديراً ولا أحداً مني أبي فلما قتل أبي يوم أحد لم أتخلف عن رسول الله ﷺ عن غزاة . ورواه مسلم عن أبي خيثمة عن روح ^(١) . جبار بن صخر السلمي ، جبر بن عتيك الانصاري ، جبير بن إياس الخزرجي .

حرف الحاء

الحارث بن أنس بن رافع الخزرجي ، الحارث بن أوس بن معاذ بن أخى سعد بن معاذ الأوسى ، الحارث بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الأوس رده عليه السلام من الطريق وضرب له بسهمه وأجره ، الحارث بن خزيمة بن عدى بن أبي غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج حليف لبني زعور ابن عبد الاشهل ، الحارث بن الصمة الخزرجي رده عليه السلام لأنه كسر من الطريق وضرب له بسهمه وأجره ، الحارث بن عوفجة الأوسى ، الحارث ابن قيس بن خلدة أبو خالد الخزرجي ، الحارث بن النعمان بن أمية الانصاري . حارثة بن سراقبة التجارى أصابه سهم غرب وهو فى النظارة فرفع إلى الفردوس ، حارثة بن النعمان بن رافع الانصاري حاطب بن أبى بلتمعة اللخمي حليف بنى أسد بن عبد المزى بن قصي . حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية الاشجعي من بنى دهمان هكذا ذكره ابن هشام عن غير ابن اسحاق . وقال الواقدي حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود كذا ذكره ابن عائد فى منازيه . وقال ابن أبى حاتم حاطب بن عمرو ابن عبد شمس سمعته من أبى وقال هو رجل مجهول ، الحباب بن المتذر الخزرجي ويقال كان لواء الخزرج معه يومئذ ، حبيب بن أسود مولى بنى حرام من بنى سلمة وقال موسى بن عقبة حبيب بن سعد بدل أسود ، وقال ابن أبى حاتم حبيب بن أسلم مولى آل جشم بن الخزرج أنصاري بدرى حرث بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الانصاري أخو عبد الله بن زيد الذى أرى النداء ، الحصين ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، حمزة بن عبد المطلب بن هاشم عم رسول الله ﷺ .

حرف الخاء

خالد بن البكير أخو إياس المتقدم ، خالد بن زيد أبو أيوب التجارى ، خالد بن قيس بن مالك ابن المعجلان الانصاري ، خارجة بن الحميز حليف بنى خنساء من الخزرج وقيل اسمه حارثة بن الحميز وسماه ابن عائد خارجة فأنشأه . خارجة بن زيد الخزرجي صهر الصديق ، خباب بن الارت حليف بنى زهرة وهو من المهاجرين الاولين وأصله من بنى تميم ويقال من خزاعة ، خباب مولى

(١) ما بين المربعين عن النسخة المصرية فقط .

عتبة بن غزوان من المهاجرين الاولين ، خراش بن الصمة السلمي ، خبيب بن اساف بن عتبة الخزرجي ، خريم بن فانك ذكره البخاري فيهم ، خليفة بن عدى الخزرجي ، خليل بن قيس بن النعمان بن سنان بن عبيد الانصاري السلمي ، خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سهم بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي السهمي قتل يومئذ فتأمت منه حفصة بنت عمر بن الخطاب ، خوات بن جبير الانصاري ضرب له بسهمه وأجره لم يشهدا بنفسه ، خولى بن أبي خولى العجلي حليف بني عدى من المهاجرين الاولين ، خلاد بن رافع ، وخلاد بن سويد ، وخلاد بن عمرو ابن الجوح الخزرجيون .

حرف الذال

ذكوان بن عبد قيس الخزرجي ، ذو الشمالين بن عبيد بن عمرو بن فضلة من غبشان بن سليم ابن ماسكان بن أقصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من بني خزاعة حليف لبني زهرة قتل يومئذ شهيداً . قال ابن هشام : واسمه عمرو وإنما قيل له ذو الشمالين لانه كان أعسرأ .

حرف الراء

رافع بن الحارث الاوسي ، رافع بن عنجدة قال ابن هشام : هي أمه ، رافع بن المعلى بن لوزان الخزرجي قتل يومئذ ، راعي بن رافع بن الحارث بن زيد بن حارثة بن الجذ بن عجلان بن ضبيعة وقال موسى بن عقبة راعي بن أبي رافع ، ربيع بن إلياس الخزرجي ، ربيعة بن أكم بن سخبرة بن عمرو بن لكيز بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة حليف لبني عبد شمس بن عبد مناف وهو من المهاجرين الاولين ، ربيعة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بياضة الخزرجي ، رفاعه ابن رافع الزرق أخو خلاد بن رافع ، رفاعه بن عبد المنذر بن زهير الأوسي أخو أبي لبابة ، رفاعه ابن عمرو بن زيد الخزرجي .

حرف الزاي

الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ابن عمه رسول الله ﷺ وحواريه . زياد بن عمرو وقال موسى بن عقبة زياد بن الاخرس بن عمرو الجهني . وقال الواقدي زياد بن كعب ابن عمرو بن عدى بن رفاعه بن كليب بن بردعة بن عدى بن عمرو بن الزبيري بن رشدان بن قيس بن جبهينة ، زياد بن لبيد الزرق ، زياد بن المزين بن قيس الخزرجي ، زيد بن أسلم بن ثعلبة ابن عدى بن عجلان بن ضبيعة . زيد بن حارثة بن شرحبيل مولى رسول الله ﷺ رضي الله عنه ، زيد بن الخطاب بن نفيل أخو عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، زيد بن سهل بن الاسود بن حرام النجاري أبو طلحة رضي الله عنه .

حرف السين

سالم بن عمير الأوسى ، سالم بن [غنم بن] أعوف الخزرجى ، سالم بن معقل مولى أبى حذيفة ،
 سائب بن عثمان بن مظعون الجحى شهد مع أبيه ، سبيع بن قيس بن عائذ ^(١) الخزرجى ، سبرة
 بن فاتك ذكره البخارى ، سراقبة بن عمرو النجارى ، سراقبة بن كعب النجارى أيضا ، سعد بن
 خولة مولى بنى عامر بن لؤى من المهاجرين الاولين ، سعد بن خيثمة الأوسى قتل يومئذ شهيدا ،
 سعد بن الربيع الخزرجى الذى قتل يوم أحد شهيدا ، سعد بن زيد بن مالك الأوسى وقال الواقدي :
 سعد بن زيد بن الفاكه الخزرجى ، سعد بن سهيل بن عبد الأشهل النجارى ، سعد بن عبيد
 الانصارى ، سعد بن عثمان بن خلدة الخزرجى أبو عبادة وقال ابن عائذ أبو عبيدة ، سعد بن معاذ
 الأوسى وكان لواء الأوس معه ، سعد بن عبادة بن دليم الخزرجى ذكره غير واحد منهم عروة
 والبخارى وابن أبى حاتم والطبرانى فيمن شهد بدرًا ، ووقع في صحيح مسلم ما يشهد بذلك حين
 شاور النبي ﷺ في ملتقى النضير من قریش فقال سعد بن عبادة كأنك تريدنا يا رسول الله الحديث
 والصحيح أن ذلك سعد بن معاذ ، والمشهور أن سعد بن عبادة رده من الطريق قبل لاستنابته
 على المدينة وقيل لدعته حية فلم يتمكن من الخروج إلى بدر حكاه السهيلي عن ابن قتبية قاله أعلم
 سعد بن أبى وقاص مالك بن أهيب الزهرى أحد العشرة ، سعد بن مالك أبو سهل قال الواقدي
 تجهز ليخرج فرض فأت قبل الخروج ، سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى ابن عم عمر بن
 الخطاب يقال قدم من الشام بعد مرجعهم من بدر فضرب له رسول الله ﷺ بهمه وأجود ، سفيان
 ابن بشر بن عمرو الخزرجى ، سلمة بن أسلم بن حريش الأوسى ، سلمة بن ثابت بن وقش بن
 زغبة ، سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة ، سليم بن الحارث النجارى ، سليم بن عمرو السلمى ،
 سليم بن قيس بن فهد الخزرجى ، سليم بن ملحان أخو حرام بن ملحان النجارى ، سماك بن أوس
 ابن خرشة أبو دجانة ويقال سماك بن خرشة ، سماك بن سعد بن ثعلبة الخزرجى وهو أخو بشير بن
 سعد المتقدم ، سهل بن حنيف الأوسى ، سهل بن عتيك النجارى . سهل بن قيس السلمى ، سهل
 ابن رافع النجارى الذى كان له ولاخيه موضع المسجد النبوى كما تقدم ، سهل بن وهب الفهرى وهو
 ابن بيشاء وهى أمه ، سنان بن أبى سنان بن محصن بن حرنان من المهاجرين حليف بنى عبد شمس
 ابن عبد مناف ، سنان بن صيفى السلمى ، سواد بن زريق بن زيد الانصارى وقال الاموى سواد
 ابن رزام ، سواد بن غزيرة بن أهيب البلوى ، سويبط بن سعد بن حرملة العبدري . سويد بن

(١) كذا فى الاصابة وفى المصرية ابن عيشة وفى الروض عبسة بالمهمله .

نحش أبو نحش الطائي حليف بني عبدة شمس وقيل اسمه أزيد بن حير .

حرف الشين

شجاع بن وهب بن ربيعة الاسدي أسد بن خزيمه حليف بني عبدة شمس من المهاجرين الاولين
شماس بن عثمان الخزومي قال ابن هشام واسمه عثمان بن عثمان وإنما هي شماسا لحسنه وشبهه شماساً كان
في الجاهلية ، شمران مولى رسول الله ﷺ قال الواقدي لم يسهم له وكان على الأسرى فاعطاه كل
رجل ممن له في الأسرى شيئاً فحصل له أكثر من سهم .

حرف الصاد

صهيب بن سنان الرومي من المهاجرين الاولين ، صفوان بن وهب بن ربيعة الفهري أخو
سهيل بن بيضاء قتل شهيداً يومئذ ، صخر بن أمية بن خلفاء السلمي .

حرف الضاد

ضحاك بن حارثة بن زيد السلمي ، ضحاك بن عبدة عمرو النجاري ، ضمرة بن عمرو الجهمي
وقال موسى بن عقبة : ضمرة بن كعب بن عمرو حليف الانصار وهو أخو زياد بن عمرو .

حرف الطاء

طلحة بن عبيد الله التيمي أحد العشرة قدم من الشام بعد مرجعهم من بدر فضرب له رسول
الله ﷺ بسهمه وأجره ، طفيل بن الحارث بن المطلب بن عبدة مناف من المهاجرين وهو أخو
حصين وعبيدة ، طفيل بن مالك بن خلفاء السلمي : طفيل بن النعمان بن خلفاء السلمي ابن عم الذي
قبله . طليب بن عير بن وهب بن أبي كبير بن عبد بن قصى ذكره الواقدي .

حرف الظاء

ظهير بن رافع الأوسي ذكره البخاري .

حرف العين

عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح الانصاري الذي حمته الدبر حين قتل بالرجيع ، عاصم بن عدى
ابن الجند بن عجلان رده عليه السلام من الروحاء وضرب له بسهمه وأجره ، عاصم بن قيس بن ثابت
الخزرجي عاقل بن البكير أخو إلياس وخالد وعامر ، عامر بن أمية بن زيد بن الحسحاس النجاري ،
عامر بن الحارث الفهري كذا ذكره سلمة عن ابن اسحاق وابن عائذ وقال موسى بن عقبة وزياد

عن ابن اسحاق عمرو بن الحارث ، عامر بن ربيعة بن مالك المزني حليف بني عدي بن المهاجرين ،
عامر بن سلمة بن عامر بن عبد الله البلوي القضاعي حليف بني سالم بن مالك بن سالم بن غنم ، قال
ابن هشام ويقال عمر بن سلمة ، عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث
ابن فهر أبو عبيدة بن الجراح أحد المشركين من المهاجرين الأولين ، عامر بن فهر بن مولى أبي بكر ،
عامر بن مخلد النجاري ، عاتق بن ماعض بن قيس الخزرجي ، عباد بن بشر بن وقش الأوسي ،
عباد بن قيس بن عامر الخزرجي ، عباد بن قيس بن عبشة الخزرجي أخو سبيع المتقدم ، عباد
ابن الخشخاش القضاعي ، عبادة بن الصامت الخزرجي ، عبادة بن قيس بن كعب بن قيس ،
عبد الله بن أمية بن عرفة ، عبد الله بن ثعلبة بن خزعة أخو بخت المتقدم ، عبد الله بن جحش
ابن رئاب الاسدي ، عبد الله بن جبير بن النعمان الأوسي ، عبد الله بن الجعد بن قيس السلمي ،
عبد الله بن حق بن أوس الساعدي . وقال موسى بن عقبة والواقدي وابن عائد عبد رب بن حق ،
وقال ابن هشام عبد ربه بن حق ، عبد الله بن الحخير حليف لبني حرام وهو أخو خارجة بن الحخير
من أشجع ، عبد الله بن الربيع بن قيس الخزرجي ، عبد الله بن رواحة الخزرجي ، عبد الله بن
زيد بن عبد ربه بن ثعلبة الخزرجي الذي أرى النداء ^(١) ، عبد الله بن سراقمة المدني لم يذكره
موسى بن عقبة ولا الواقدي ولا ابن عائد وذكره ابن اسحاق وغيره ، عبد الله بن سلمة بن مالك
المجلان حليف الانصار ، عبد الله بن سهل بن رافع أخو بني زعورا ، عبد الله بن سهيل بن عمرو
خرج مع أبيه والمشركون ثم فر من المشركين إلى المسلمين فشهد بها معهم . عبد الله بن طارق بن
مالك القضاعي حليف الأوس ^(٢) ، عبد الله بن عامر من بني ذكره ابن اسحاق ، عبد الله بن عبد الله
ابن أبي بن سلول الخزرجي وكان أبوه رأس المناقين ، عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن
عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو سلمة زوج أم سلمة قتل يومئذ ، عبد الله بن عبد مناف بن النعمان
السلمي ، عبد الله بن عباس ، عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن تميم بن مرة بن كعب
أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، عبد الله بن عرفة بن عدي الخزرجي ، عبد الله بن عمر بن حرام
السلمي أبو جابر ، عبد الله بن حمير بن عدي الخزرجي ، عبد الله بن قيس بن خالد النجاري ، عبد الله
ابن قيس بن صخر بن حرام السلمي ، عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مازن بن عمرو بن
غنم بن مازن بن النجار جعله النبي ﷺ مع عدي بن أبي الزغباء على النفل يوم بدر ، عبد الله بن
مخرمة بن عبد المزي من المهاجرين الأولين ، عبد الله بن مسعود الهذلي حليف بني زهرة من
(١) في الإصابة : عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد الله . (٢) في الإصابة : عبد الله بن
طارق بن عمرو بن مالك البلوي حليف بني ظفر .

المهاجرين الأولين ، عبد الله بن مظهر الجعفي من المهاجرين الأولين ، عبد الله بن النعمان بن بلدمة
 السلمي ، عبد الله بن أنيسة بن النعمان السلمي ، عبد الرحمن بن جابر بن عمرو أبو عبيس الخزاز جعي ،
 عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة أبو عقيل القضاخي البجلي . عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف
 ابن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب الزهري أحد العشرة رضى الله عنهم ، عيسى بن عامر بن عدي
 السلمي ، عبيد بن النعمان أخو أبي الميمم بن النعمان ويقال عتيك بدل عبيد ، عبيد بن ثعلبة من
 بني غنم بن مالك ، عبيد بن زيد بن عامر بن عمرو بن العجلان بن عامر ، عبيد بن أبي عبيد ،
 عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف أخو الحارث والطفيل وكان أحد الثلاثة الذين بارزوا
 يوم بدر فقتل . يدعى مات بعد المعركة رضى الله عنه ، عتيان بن مالك بن عمرو الخزاز جعي . عتبة
 ابن ربيعة بن خالد بن معاوية البهراني حليف بني أمية بن لؤذان ، عتبة بن عبد الله بن صخر
 السلمي ، عتبة بن غزوان بن جابر من المهاجرين الأولين ، عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن
 عبد شمس بن عبد مناف الأموي أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد العشرة تخلف على زوجته
 رقية بنت رسول الله ﷺ عرضها حتى ماتت فضررب له بسهمه وأجره ، عثمان بن مظهر الجعفي
 أبو السائب أخو عبد الله وقدمه من المهاجرين الأولين ، عدي بن أبي الزغباء الجهني وهو الذي
 أرسله رسول الله ﷺ وبسبب بن عمرو بن عدي عينا ، عصبة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن
 العجلان ، عصيمة حليف ابني الحارث بن سواد من أشجع وقيل من بني أسد بن خزيمه ، عطية بن
 نيرة بن عامر بن عطية الخزاز جعي ، عقبة بن عامر بن نافي السلمي ، عقبة بن عثمان بن خلد الخزاز جعي
 أخو سمع بن عثمان . عقبة بن عمرو أبو مسعود البدرى وقع في صريح البخارى أنه شهد بدرًا وفيه
 نظر عند كثير من أصحاب المغازي ولهذا لم يذكره ، عقبة بن وهب بن ربيعة الأسدي أحد خزيمه
 حليف ابني عبد شمس وهو أخو شجاع بن وهب من المهاجرين الأولين ، عقبة بن وهب بن كلفة
 حليف بني غطفان ، عكاشة بن محصن الغنسي من المهاجرين الأولين ومن لا حساب عليه ، علي بن
 أبي طالب الهاشمي أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد الثلاثة الذين بارزوا يومئذ رضى الله
 عنه ، عامر بن ياسر الغنسي المذحجي من المهاجرين الأولين ، عامر بن حزم بن زيد النعجاري ، عمر
 ابن الخطاب أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد الشيخين المتقدمين رضى الله عنهما ، عمر
 ابن عمرو بن إياس من أهل اليمن حليف لبني لؤذان بن عمرو بن سالم وقيل هو أخو ربيع وورقة ،
 عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدي بن مالك بن عدي بن عامر أبو حكيم ، عمرو بن الحارث بن زهير
 ابن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن أمية بن ضبشة بن الحارث بن فهر الفهري ، عمرو بن سراقه
 العدوي من المهاجرين ، عمرو بن أبي سرح الفهري من المهاجرين . وقال الواقدي وابن عائد معمر

بدل عمرو ، عمرو بن طلق بن زيد بن أمية بن سنان بن كعب بن غنم وهو في بني حرام ، عمرو بن الجوح بن حرام الأنصاري ، عمرو بن قيس بن زيد بن سواد بن مالك بن غنم ذكره الواقدي والأماوي ، عمرو بن قيس بن مالك بن عدي بن خلفاء بن عمرو بن مالك بن عدي بن عامر أبو خارجة ولم يذكره موسى بن عقبة ^(١) ، عمرو بن عامر بن الحارث الفهري ذكره موسى بن عقبة ، عمرو ابن معبد بن الأزعر الأوسي ، عمرو بن معاذ الأوسي أخو سعد بن معاذ ، عمير بن الحارث بن ثعلبة ويقال عمرو بن الحارث بن لبدة بن ثعلبة السلمي ، عمير بن حرام بن الجوح السلمي ذكره ابن عوف والواقدي ، عمير بن الحفام بن الجوح بن عم الذي قبله قتل يومئذ شهيداً ، عمير بن عامر بن مالك ابن الخنساء بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن أبو داود المازني ، عمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو وسماه الأماوي وغيره عمرو بن عوف وكذا وقع في الصحيحين في حديث نعت أبي عبيدة إلى البحرين ، عمير بن مالك بن أهيب الزهري أخو سعد بن أبي وقاص قتل يومئذ شهيداً ، عنزة مولى بني سليم وقيل إنه منهم فله أعلم ، عوف بن الحارث بن رفاعه بن الحارث النجاري وهو ابن عفراء بنت عبيد بن ثعلبة النجارية قتل يومئذ شهيداً ، عويم بن ساعدة الأنصاري من بني أمية ابن زيد ، عياض بن غنم الفهري من المهاجرين الأولين رضي الله عنهم أجمعين .

حرف الغين

غنم بن أوس الخزرجي ذكره الواقدي وليس بمجمع عليه .

حرف الفاء

الفاكه بن بشر بن الفاكه الخزرجي ، فروة بن عمرو بن ودقة ^(٢) الخزرجي .

حرف القاف

قتادة بن النعمان الأوسي . قدامة بن مظعون الجحفي من المهاجرين أخو عمن وعبد الله ، قطبة ابن عامر بن حميدة السلمي . قيس بن السكن النجاري ، قيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيد المازني كان على الساقة يوم بدر . قيس بن محصن بن خالد الخزرجي ، قيس بن مخلد بن ثعلبة النجاري .

حرف الكاف

كعب بن حمان ويقال جهار ويقال جهار وقال ابن هشام كعب بن عيشان ويقال كعب بن مالك

(١) والذي في الإصابة : عمرو بن قيس بن حزن بن عدي بن مالك بن سالم بن عوف بن مالك

الأنصاري الخزرجي . (٢) وقال السهيلي ويقال ودقة بالذال المعجمة .

ابن ثعلبة بن جاز وقال الاموي كعب بن ثعلبة بن حباله بن غنم النساني من حلفاء بني الخزرج بن ساعدة ، كعب بن زيد بن قيس النجاري ، كعب بن عمرو أبو اليسر السلمي ، كافة بن ثعلبة أحد البكائين ذكره موسى بن عقبة ، كنان بن حصين بن يربوع أبو مرثد الفنوي من المهاجرين الأولين .

حرف الميم

مالك بن النخشم ويقال ابن النخشن الخزرجي ، مالك بن أبي خولى الجعفي حليف بني عدي ، مالك بن ربيعة أبو أسيد الساعدي ، مالك بن قدامة الأوسي ، مالك بن عمرو أخو ثقف بن عمرو وكلاهما مهاجري وهما من حلفاء بني تميم بن دودان بن أسد ، مالك بن قدامة الأوسي ، مالك بن مسعود الخزرجي ، مالك بن ثابت بن نميلة المزني حليف لبني عمرو بن عوف ، مبشر بن عبد المنذر ابن زهير الأوسي أخو أبي لبابة ورواة قتل يومئذ شهيداً . المنذر بن زياد الباهلي مهاجري ، محرز ابن عامر النجاري ، محرز بن فضلة الأسدي حليف بني عبد شمس مهاجري ، محمد بن ساعدة حليف بني عبد الأشهل ، مدج ويقال مدلاج بن عمرو أخو ثقف بن عمرو مهاجري ، مرثد بن أبي مرثد الفنوي ، مسطح بن أثامة بن عباد بن المطالب بن عبد مناف من المهاجرين الأولين وقيل اسمه عوف ، مسعود بن أوس الانصاري النجاري ، مسعود بن خلدة الخزرجي ، مسعود بن ربيعة القاري حليف بني زهرة مهاجري ، مسعود بن سعد ويقال ابن عبد سعد بن عامر بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث ، مسعود بن سعد بن قيس الخزرجي ، مصعب بن عمير العبدي مهاجري كان معه اللواء يومئذ ، معاذ بن جبل الخزرجي ، معاذ بن الحارث النجاري وهذا هو ابن عفراء أخو عوف ومعوذ ، معاذ بن عمرو بن الجوح الخزرجي ، معاذ بن ماعض الخزرجي أخو عائذ ، معبد بن عباد بن قشير بن القدم بن سالم بن غنم ويقال معبد بن عبادة بن قيس وقال الواقدي قشير بدل قشير وقال ابن هشام قشير أبو خميسة ، معبد بن قيس بن صخر السلمي أخو عبد الله بن قيس ، معتب بن عبيد بن إلياس الباهلي القضاعي ، معتب بن عوف الخزاعي حليف بني مخزوم من المهاجرين ، معتب بن قشير الأوسي ، معقل بن المنذر السلمي ، معمر بن الحارث الجمحي من المهاجرين ، معن بن عدي الأوسي ، معوذ بن الحارث الجمحي وهو ابن عفراء أخو معاذ بن عوف ، معوذ بن عمرو بن الجوح السلمي له أخو معاذ بن عمرو ، المقداد بن عمرو البهرازي وهو المقداد بن الأسود من المهاجرين الأولين وهو ذو المقال الحمود ابن المتقدم ذكره وكان أحد الفرسان يومئذ ، مليل بن وبرة الخزرجي ، المنذر بن عمرو بن خنيس الساعدي ، المنذر بن قدامة بن عرفة الخزرجي ، المنذر ابن محمد بن عقبة الانصاري من بني جحجحي ، مهجع مولى عمر بن الخطاب أصله من اليمن وكان أول قتيل من المسلمين يومئذ .

حرف النون

نصر بن الحارث بن عبد رزاح بن ظفر بن كعب ، نهمان بن عبد عمرو النجاري وهو أخو الضحالك ، نهمان بن عمرو بن رفاعه النجاري ، نهمان بن عصر بن الحارث حليف لبني الأوس ، نهمان ابن مالك بن ثعلبة الخزرجي ويقال له قوقل ، نهمان بن يسار مولى لبني عبيد ويقال نهمان بن سنان ، نوفل بن عبيد الله بن نضلة الخزرجي .

حرف الهاء

هانيء بن نيار أبو بردة الباهلي خال البراء بن عازب ، هلال بن أمية الواقفي وقع ذكره في أهل بدر في الصحيحين في قصة كعب بن مالك ولم يذكره أحد من أصحاب المغازي ، هلال بن المعل بن الخزرجي أخو رافع بن المعل .

حرف الواو

واقف بن عبد الله النخعي حليف بني عدي من المهاجرين ، وديعة بن عمرو بن جراد الجني ذكره الواقدي وابن عائد ، ورقة بن إلياس بن عمرو الخزرجي أخو ربيع بن إلياس ، وهب بن سعد ابن أبي سرح ذكره موسى بن عقبة وابن عائد والواقدي في بني عامر بن لؤي ولم يذكره ابن اسحاق .

حرف الياء

يزيد بن الاخنس بن جناب بن حبيب بن جرة السلمي قال السهيلي شهد هو وأبوه وابنه يعني بدرًا ولا يعرف لهم نظير في الصحابة ولم يذكرهم ابن اسحاق والأكثرون لكن شهدوا معه بيعة الرضوان ، يزيد بن الحارث بن قيس الخزرجي وهو الذي يقال له ابن قسح وهي أمه قتل يومئذ شهيداً ببدر ، يزيد بن عامر بن حديدة أبو المنذر السلمي ، يزيد بن المنذر بن سرح السلمي وهو أخو معقل بن المنذر .

باب الكنى

أبو أسيد مالك بن ربيعة تقدم ، أبو الأعور بن الحارث بن ظالم النجاري وقال ابن هشام أبو الأعور الحارث بن ظالم وقال الواقدي أبو الأعور كعب بن الحارث بن جندب بن ظالم ، أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان تقدم ، أبو حبة بن عمرو بن ثابت أحد بني ثعلبة بن عمرو بن عوف الانصاري ، أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة من المهاجرين وقيل اسمه مهشم ، أبو الحراء مولى الحارث

ابن رفاعه بن عفره ، أبو خزيمه بن أوس بن أصرم النخاري ، أبو سبرة مولى أبي رهم بن عبد المزي
من المهاجرين ، أبو سنان بن حصن بن حوثان أخو عكاشة ومعه ابنه سنان من المهاجرين ، أبو الصباح
ابن النعمان وقيل عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة رجع من الطريق
وقتل يوم خيبر رجع لرح أصابه من حجر فضر به له بسهمه ، أبو عرفة من خلفاء بني جحجحي ، أبو
كبشة مولى رسول الله ﷺ ، أبو لبابة بشير بن عبد المنذر تقدم ، أبو مرثد الفزوي كنز بن حصين
تقدم ، أبو مسعود البدرى عقبه بن عمرو تقدم ، أبو ليل بن الأضر بن زيد الأوسي .

﴿ فصل ﴾

فكان جملة من شهد بدرًا من المسلمين ثلثمائة وأربعة عشر رجلاً منهم رسول الله ﷺ كما قال
البخاري حدثنا عمرو بن خالد ثنا زهير ثنا أبو اسحاق سمعت أنبراء بن عازب يقول حدثني أصحاب
محمد ﷺ ورضي عنهم من شهد بدرًا أنهم كانوا عدة أصحاب طلوت الذين جاوزوا معه النهر بضعة
عشر وثلثمائة . قال أنبراء : لا والله ما جاوزوا مع النهر إلا مؤمن . ثم رواه البخاري من طريق
اسرائيل وسفيان الثوري عن أبي اسحاق عن أنبراء بن نوح . قال ابن جرير : وهذا قول عامة السلف
إنهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً . وقال أيضاً حدثنا محمود ثنا وهب عن شعبة عن أبي اسحاق
عن أنبراء . قال استعصرت أنا وابن عمر يوم بدر وكان المهاجرون يوم بدر نيفاً على ستين والانصار
نيفاً وأربعين ومائتين . هكذا وقع في هذه الرواية وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد الحارثي ثنا
أبو مالك الجبقي عن الحجاج — وهو ابن أوطاة — عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : كان
المهاجرون يوم بدر سبعين رجلاً . وكان الانصار مائتين وستة وثلاثين رجلاً . وكان حامل راية النبي
ﷺ علي بن أبي طالب . وحامل راية الانصار سعد بن عباد . وهذا يقتضي أنهم كانوا ثلثمائة وستة
رجال . قال ابن جرير : وقيل كانوا ثلثمائة وسبعة رجال .

قلت : وقد يكون هذا عددهم النبي ﷺ والأول عددهم بدون الله أعلم . وقد تقدم عن ابن
اسحاق أن المهاجرين كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً . وأن الأوس أحد وستون رجلاً . والخزرج مائة
وسبعون رجلاً وسرهم . وهذا مخالف لما ذكره البخاري ولما روى عن ابن عباس قاله أعلم . وفي
الصحيح عن أنس أنه قيل له شهدت بدرًا . فقال وأين أغيب ؟ وفي سنن أبي داود عن سعيد بن
منصور عن أبي معاذة عن الأعمش عن أبي سفيان طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله بن عمرو بن
حرام أنه قال : كنت أميح^(١) لاهباني الماء يوم بدر وهذان لم يذكرهما البخاري ولا الضياء قاله أعلم .

(١) الميح النزول إلى البئر وهل الذلومنها وذلك إذا قل ماؤها ومنه قولهم :

أبها المائح دلوى دونكا إني رأيت الناس يقصدونكا

قلت : وفي الذين عذبهم ابن اسحاق في أهل بصر من ضرب له بسهم في نفسها وأنه لم يحضرها تخلف عنها لعذر أذن له في التخلف بسببها وكانوا ثمانية أو تسعة وهم : عثمان بن عفان تخلف على رقية بنت رسول الله ﷺ يرضها حتى ماتت فضرب له بسهمه وأجره ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كان بالشام فضرب له بسهمه وأجره ، وطلحة بن عبيد الله كان بالشام أيضاً فضرب له بسهمه وأجره وأبو لبابة بشير بن عبيد المنذر رده رسول الله ﷺ من الروحاء حين بلغه خروج النضير من مكة فاستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره ، والحارث بن حاطب بن عبيد بن أمية رده رسول الله ﷺ أيضاً من الطريق وضرب له بسهمه وأجره ، والحارث بن الصمة كسر بالروحاء فرجع فضرب له بسهمه زاد الواقدي : وأجره ، وخوات بن جبير لم يحضر الوقعة وضرب له بسهمه وأجره ، وأبو الصياح بن ثابت خرج مع رسول الله ﷺ فأصاب ساقه فضيل حجر فرجع وضرب له بسهمه وأجره قال الواقدي وسعد أبو مالك تجهز ليخرج فمات وقيل إنه مات بالروحاء فضرب له بسهمه وأجره . وكان الذين استشهدوا من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً من المهاجرين ستة وهم : عبيدة بن الحارث ابن المطلب قطعت رجله فمات بالصفراء رحمه الله ، وعمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص الزهري قتله العاص بن سعيد وهو ابن ست عشرة سنة ويقال إنه كان قد أمره رسول الله ﷺ بالرجوع لصفراء فبكي فأذن له في الذهاب فقتل رضي الله عنه ، وحليفهم ذو الشمالين بن عبد عمرو الخزاعي ، وصفوان بن بيضاء ، وعافل بن البكير الليثي حليف بني عدي ، ومهجع مولى عمر بن الخطاب وكان أول قتيل قتل من المسلمين يومئذ ، ومن الانصار ثمانية وهم : حارثة بن سراقة رماه حبان بن المرقبة بسهم فأصاب حنجرته فمات ، ومهوذ وعوف ابنا عفراء ، وزيد بن الحارث . ويقال ابن قسحم . وعمير بن الحمام ، ورافع بن المعلى بن لؤذان ، وسعد بن خيشمة ، ومبشر بن عبد المنذر رضي الله عن جميعهم ، وكان مع المسلمين سبعون بعيراً كما تقدم . قال ابن اسحاق : وكان معهم فرسان على أحدهما المقداد بن الأسود واسمها بفرجة . ويقال ستمجة . وعلى الأخرى الزبير بن العوام واسمها اليمسوب . وكان معهم لواء يحمله مصعب بن عمير ، ورايتان يحمل احدهما المهاجر بن علي بن أبي طالب ، والآخر للانصار يحملها سعد بن عباد . وكان رأس مشورة المهاجرين أبو بكر الصديق ، ورأس مشورة الانصار سعد بن معاذ .

وأما جمع المشركين فأحسن ما يقال فيهم إنهم كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف وقد نص عروة وقتادة أنهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلاً . وقال الواقدي كانوا تسعمائة وثلاثين رجلاً وهذا التحديد يحتاج إلى دليل وقد تقدم في بعض الأحاديث أنهم كانوا أزيد من ألف فلعله عدد أتباعهم معهم والله أعلم . وقد تقدم الحديث الصحيح عند البخاري عن البراء أنه قتل منهم سبعون وأسر

سبمون وهذا قول الجمهور ، ولهذا قال كعب بن مالك في قصيدة له :

فأقام بالعطن المحطن منهم سبمون عتبة منهم والاسود

وقد حكى الواقدي الاجماع على ذلك وفيما قاله نظر ، فان موسى بن عقبة وعروة بن الزبير قالوا خلاف ذلك وهما من أئمة هذا الشأن فلا يمكن حكاية الاتفاق بدون قولهما وإن كان قولهما مرجوحاً بالنسبة إلى الحديث الصحيح والله أعلم . وقد سرد أسماء القتل والاسارى ابن اسحاق وغيره وحرر ذلك المافظ الضياء في أحكامه جيداً وقد تقدم في غضون سياقات القصة ذكر أول من قتل منهم وهو الاسود بن عبد الاسد الخزومي ، وأول من فروه خالد بن الأعلم الخزاعي — أو العقيلي — حليف بني مخزوم وما أفاده ذلك فانه أسر وهو القاتل في شعره :

ولسنا على الاعقاب تدمي كلومنا ولكن على أقدامنا يقطر الدم

فما صدق في ذلك ، وأول من أسروا عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث قتلاً صبراً بين يدي رسول الله ﷺ من بين الاسارى ، وقد اختلف في أيهما قتل أولاً على قولين وأنه عليه السلام أطلق جماعة من الاسارى مجاناً بلا فداء منهم أبو العاص بن الربيع الأموي ، والمطلب بن حنطب ابن الحارث الخزومي ، وصيفي بن أبي رفاعه كما تقدم ، وأبو عزة الشاعر ، وهب بن عمير بن وهب الجحفي كما تقدم ، وفادى بقيتهم حتى عمه العباس أخذ منه أكثر مما أخذ من سائر الأسرى لثلاث يحاييه لكونه عمه مع أنه قد سأله الذين أسروه من الانصار أن يتركوا له فداءه فأبى عليهم ذلك ، وقال لا تتركوا منه درهما ، وقد كان فداؤهم متفاوتاً فأقل ما أخذ أربع مائة ، ومنهم من أخذ منه أربعون أوقية من ذهب . قال موسى بن عقبة وأخذ من العباس مائة أوقية من ذهب ، ومنهم من استوجر على عمل بمقدار فدائه كما قال الامام احمد حدثنا علي بن عاصم قال قال داود ثنا عكرمة عن ابن عباس قال : كان فاس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة ، قال فجاء غلام يوماً يبكي إلى أمه فقالت ما شأنك ؟ فقال ضربني معلى فقالت الخبيث يطلب بدخل بدر والله لا تأتيه أبداً . انفرد به احمد وهو على شرط السنن وتقدم بسط ذلك كله والله الحمد والمنة .

﴿ فصل في فضل من شهد بدرًا عن المسلمين ﴾

قال البخارى في هذا الباب حدثنا عبد الله بن محمد ثنا معاوية بن عمرو ثنا أبو اسحاق عن حميد سمعت أنساً يقول : أصيب حارثة يوم بدر فجاءت أمه إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة منى فان يك في الجنة أصبر وأحسب ، وإن تكن الاخرى فترى ما أصنع فقال « ويحك أو هبلت أو جنة واحدة هي ؟ إنها جنان كثيرة وإنه في جنة الفردوس » انفرد به

البخارى من هذا الوجه . وقد روى من غير هذا الوجه من حديث ثابت وقتادة عن أنس وأن حارثة كان في النظارة وفيه « أن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » وفي هذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر فإن هذا الذي لم يكن في محبة القتال ولا في شدة الوعى بل كان من النظارة من بعيد وإنما أصابه سهم غرب وهو يشرب من الخوض ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس التي هي أعلى الجنان وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة التي أمر الشارع أمته إذا سألوا الله الجنة أن يدلوها إياها فإذا كان هذا حال هذا فما ظنك بمن كان واقعاً في بحر العدو وعدوهم على ثلاثة أضعافهم عدداً وعدداً ثم روى البخارى ومسلم جميعاً عن اسحاق بن راهويه عن عبيد الله بن إدريس عن حصين بن عبد الرحمن عن سمدة بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب قصة حاطب بن أبي بلتعة وبعثه الكتاب إلى أهل مكة عام الفتح ، وأن عمر استأذن رسول الله ﷺ في ضرب عنقه فإنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين . فقال رسول الله ﷺ « قد شهد بدرًا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ولفظ البخارى « اليس من أهل بدر وعلل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم الجنة - أو قد غفرت لكم - » فدمت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم . وروى مسلم عن قتيبة عن الليث عن أبي الزبير عن جابر أن عبداً لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً قال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار ، فقال رسول الله ﷺ « كذبت لا يدخلها إنه شهد بدرًا والحديبية » وقال الامام احمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا أبو بكر بن عياش حدثني الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال قال رسول الله ﷺ « لن يدخل النار رجل شهد بدرًا أو الحديبية » تفرد به احمد وهو على شرط مسلم . وقال الامام احمد حدثنا يزيد أنبأنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « قال إن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . ورواه أبو داود عن احمد بن سنان وموسى بن اسماعيل كلاهما عن يزيد بن هارون به . وروى البزار في مسنده ثنا محمد بن مرزوق ثنا أبو حذيفة ثنا عكرمة عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « إني لأرجو أن لا يدخل النار من شهد بدرًا إن شاء الله » ثم قال لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه . قلت : وقد تفرد البزار بهذا الحديث ولم يخرجوه وهو على شرط الصحيح والله أعلم . وقال البخارى في باب شهود الملائكة بدرًا حدثنا اسحاق بن ابراهيم ثنا جابر عن يحيى بن سعيد عن ماذ بن رفاع الزرقى عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال من أفضل المسلمين - أو كلمة نحوها - قال وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة انفرد به البخارى .

فصل في قدوم زينب بنت رسول الله ﷺ مهاجرة من مكة إلى المدينة

بعد وفاة بدر بثبر بنعتني ما كان شرط زوجها أبو المصطفى ﷺ كما تقدم

قال ابن اسحاق : ولما رجع أبو المصطفى إلى مكة وقد خلى سبيله - يعني كما تقدم - است رسول ﷺ زيد بن حارثة ورجلا من الانصار مكانه فقال كونا بيطن يا حبيبي حتى تمر بك زينب فتصحبكما فتأتيكما ، فخرجا مكانهما وذلك بعد بدر بشبر - أو شيه (١) - فلما قدم أبو المصطفى مكة أمرها بالحق بابيها فخرجت تجهز : قال ابن اسحاق لحدثني عبد الله بن أبي بكر قال حدثت عن زينب أنها قالت بينما أنا أنجز لثيبي عند بنت عتبة فقالت يا ابنة محمد ألم يبلني أنك تريد من الحقوق بايات قالت فقلت ما أردت ذلك ، فقالت أي ابنة عم لا تفلي إن كان لك حاجة يحتاجها فرفقي بك في سفرك أو مالي فتمنين به إلى أبيك فان دناي حاجتك فلا تضليني حتى تائه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال ، قالت والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل ، قالت ولكني خفتها فانكرت أن أكون أريد ذلك . قال ابن اسحاق فتجهزت فلما فرغت من جهازها قدمت إليها أخوها زوجها كنانة بن الربيع بديراً فركبته وأخذ قومه وكفاته ثم خرج بها نهاراً يتودعها وهي في هودج لها وتحدث بذلك رجال من قريش فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طوى وكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد المزي الفهري فروعها هبار بالرمح وهي في الهودج وكانت حاملاً فيها برعمون فطرحته وبرك حموها كنانة ونثر كنانة ثم قال والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهماً ففكر كره الناس عنه وأتى أبو سفيان في جملة من قريش فقال يا أيها الرجل كيف عانا نبالك حتى نسكالك ، فكف فاقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال إنك لم تصب خرجت بالمرأة على رؤس الناس علانية وقد عرفت مسيبتنا ونسكبتنا وما دخل علينا من محمد فيظن الناس إذ خرجت بأبنته إليه علانية على رؤس الناس من بين أظهرنا إن ذلك عن ذل أصابنا وإن ذلك ضعف منا ونحن ولهمري ما لنا يحبسها من أبيها من حاجة وما لنا من ثورة . ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فسلها سرا ولطفها بابيها ، قال فضل . وقد ذكر ابن اسحاق أن أوائل النفر الذين ردوا زينب لما رجعوا إلى مكة قالت عندئذ منهم على ذلك :

أبي السلمي أعياراً جناءً وخلفاً وفي الحرب أشباه النساء الموارك

وقد قيل إنها قالت ذلك الذين رجعوا من بدر بعد ما قتل منهم الذين قتلوا . قال ابن اسحاق : فقامت ليال حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه فقدا بها ليلاً على رسول الله ﷺ . وقد روي الباقي في الدلائل من طريق عمر بن عبد الله بن عروة (١) قوله أو شيه أي أو نحو من شهر حكاه في النهاية تفديراً لهذا الخبر .

ابن الزبير عن عروة عن عائشة فذكر قصة خروجها ووردها وما في بطنها وإن رسول الله ﷺ بعث زيدا بن حارثة وأعطاه خاتمه لتجبي معه فقلنا زيدا فاعطاه راعيا من مكة فاعطى الخاتم زينب فلما رآته عرفته فقالت من دفع اليك هذا؟ قال رجل في ظاهر مكة فخرجت زينب ليلا فركبت وراعه حتى قدم بها المدينة . قال فسكان رسول الله ﷺ يقول « هي أفضل بناتي أصيبت في » قال فبلغ ذلك علي بن الحسين بن زين العابدين فأتى عروة فقال ما حديث بلغني أنك تحدثه فقال عروة والله ما أحب أن لي ما بين المشرق والمغرب وأني انتقص فاطمة حقها ولما وأما بعد ذلك أن لا أحدث به أبدا . قال ابن اسحاق فقال في ذلك عبيد الله بن رواحة أو أبو خزيمة أخو بني سالم ابن عوف . قال ابن هشام هي لابي خزيمة :

أفاني الذي لا يقدر الناس قدره	لزينب فيهم من عقوق وبناتم
وأخرجها لم يخز فيها محمد	على ماقط وبيننا عطر ومنشم
وأمرى أبو سفيان من حلف ضمضم	ومن حربنا في رغم أنف ومندم
قرنا ابنه عمرا ومولى يمينه	بذي حلق جلد الصلصل تحكم
فاقسمت لا تنفك منا كئائب	سراة خميس من طام مسوم
نروع قریش الكفر حتى نعلمها	بخطاة فوق الانوف بعيسم
ننزلهم أكناف نجد ونفخة	وإن يتهموا بالليل والرجل نهم
يأبى الدهر حتى لا يعوج سريرنا	ونلحقهم آثار عاد وجرهم
ويندم قوم لم يطيعوا محمدا	على أمرهم وأى حين تدمم
فأبلغ أبا سفيان إما لقيته	لئن أنت لم تخلص سجودا وقسم
فأبشر بخزى في الحيلة معجل	وسر بال قار خالدا في جهنم

قال ابن اسحاق : ومولى يمين أبي سفيان الذي عناء الشاعر هو عامر بن الحضرمي . وقال ابن هشام إنما هو عقبة بن عبيد الخارث بن الحضرمي فاما عامر بن الحضرمي فانه قتل يوم بدر . قال ابن اسحاق وقد حدثني يزيد بن أبي حبيب عن بكير بن عبد الله بن الأشج عن سليمان بن يسار عن أبي اسحاق اللوسى عن أبي هريرة . قال : بعث النبي ﷺ سرية أنا فيها فقال « إن ظفركم بهما بن الاسود والرجل الذي سبق معه إلى زينب فخرقوها بالنار » فلما كان الغد بعث النبي ﷺ السراة فقال « إنى قد كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما ، ثم رأيت أنه لا ينبغي لاحد أن يحرق بالنار إلا الله عز وجل . فان ظفركم بهما فاقتلوهما » تفرد به ابن اسحاق وهو على شرط الشيخين ^(١) ولم يخرجوه

وقال البخاري حدثنا قتيبة ثنا الليث عن بكير عن سليمان بن يسار عن أبي هريرة أنه قال بعثنا رسول الله ﷺ في بعث فقال « إن وجدتم فلانا وفلانا فاحرقوها بالنار » ثم قال حين أردنا الخروج « إني أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا وأن النار لا يعذب بها إلا الله » فان وجدتموها فاقتلوهما » وقد ذكر ابن اسحاق أن أبا العاص أقام بمكة على كفره واستمرت زينب عندها بالمدينة حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص في تجارة لقريش : فلما قفل من الشام لقيته سرية فاخذوا ما معه وأعجزهم شربا وجاء تحت الليل إلى زوجته زينب فاستجار بها فاجارته ، فلما خرج رسول الله ﷺ لصلاة الصبح وكبر وكبر الناس صرخت من صفة النساء أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع فلما سلم رسول الله ﷺ أقبل على الناس فقال « أيها الناس هل سمعتم الذي سمعت » قالوا نعم قال « أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء حتى سمعت ما سمعتم وإنه يحير على المسلمين أديانهم » ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته زينب فقال « أي بنية أكرهى مشوا ولا يخلصن اليك فانك لا تحلين له » قال وبعث رسول الله ﷺ فحسبهم على رد ما كان معه فردود بأسره لا يفقد منه شيئا فاخذ أبو العاص فرجع به إلى مكة فاعطى كل انسان ما كان له ثم قال : يا معشر قریش هل بقي ل احد منكم عندي مال لم يأخذه ؟ قالوا لا فجزاك الله خيرا فقدم وجدناك وفيما كرمنا ، قال فاني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، والله ما منعني عن الاسلام عنده ألا تخوف أن تظنوا أنني إنما أردت أن آكل أموالكم فلما أداها الله اليكم وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ . قال ابن اسحاق : فحدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال رد عليه رسول الله ﷺ زينب على النكاح الاول ولم يحدث شيئا ، وهذا الحديث قد رواه الامام احمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث محمد بن اسحاق ، وقال الترمذي ليس باسناد بأس ولكن لا نعرف وجه هذا الحديث ولعله قد جاء من قبل حفظ داود بن الحصين . وقال السهيلي لم يقل به أحد من الفقهاء فيما علمت وفي لفظ ردها عليه رسول الله ﷺ بعد ست سنين ، وفي رواية بعد ستين بالنكاح الاول رواه ابن جرير وفي رواية لم يحدث نكاحا . وهذا الحديث قد أشكل على كثير من العلماء فان القاعدة عندهم أن المرأة إذا أسلمت وزوجها كافرا كان قبل الدخول تمجلت الفرقة وإن كان بعد انتظار إلى انقضاء العدة فإن أسلم فيها استمر على نكاحها وإن انقضت ولم يسلم انفسخ نكاحها وزينب رضی الله عنها أسلمت حين بعث رسول الله ﷺ وهاجرت بعد بدر بشهر وحرم المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست ، وأسلم أبو العاص قبل الفتح سنة ثمان فن قال ردها عليه بعد ست سنين أي من حين هجرتها فهو صحيح وهن قال بعد ستين أي من حين حرمت المسلمات على المشركين فهو صحيح أيضا ، وعلى كل تقدير فالظاهر انقضاء عدتها في

هذه المدة التي أقلها سنتان من حين التحريم أو قريب منها فكيف ردها عليه بالنكاح الأول ؟ فقال قائلون يحتمل أن عدتها لم تنقض وهذه قصة يبين يتطرق اليها الاحتمال ، وعارض آخرون هذا الحديث بالحديث الأول الذي رواه أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ رد بنته على أبي العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد . قال الامام أحمد هذا حديث ضعيف وإن لم يسمه الحجاج من عمرو بن شعيب إنما سمعه من محمد بن حبيب الله العرزمي والهرزمي لا يساوي حديثه شيئاً والحديث الصحيح الذي روى أن النبي ﷺ أقرها على النكاح الأول . وهكذا قال الدارقطني لا يثبت هذا الحديث والصواب حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ ردها بالنكاح الأول . وقال الترمذي هذا حديث في اسناده مقال والعمل عليه عند أهل العلم أن المرأة إذا أسلمت قبل زوجها ثم أسلم زوجها أنه أحق بها ما كانت في العدة وهو قول مالك والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق . وقال آخرون بل الظاهر انقضاء عدتها ، ومن روى أنه جدد لها نكاحاً فضعيف في قضية زينب والحالة هذه دليل على أن المرأة إذا أسلمت وتأخر اسلام زوجها حتى انقضت عدتها فنكاحها لا يفسخ بمجرد ذلك بل يبقى بالخيار إن شاءت تزوجت غيره وإن شاءت تربصت وانتظرت اسلام زوجها أي وقت كان وهي امرأته ما لم تنزوج وهذا القول فيه قوة وله حظ من جهة الفقه والله أعلم . ويستشهد لذلك بما ذكره البخاري حيث قال نكاح من أسلم من المشركت وحدثننا إبراهيم بن موسى ثنا هشام عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كان المشركون على منزلتين من رسول الله ﷺ والمؤمنين ، كانوا مشركي أهل الحرب يقاتلونهم ويقاتلونهم ، ومشركي أهل عهد لا يقاتلونهم ولا يقاتلونهم . فكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر فإذا طهرت حل لها النكاح ، فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت إليه وإن هاجر عبد منهم أو أمة فيها حران ولهما ما للمهاجرين ثم ذكر من أهل المهد مثل حديث مجاهد هذا لفظه بجر وفه . فقوله فكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر يقتضي أنها كانت تستبرئ بمحيضة لا تعند بثلاثة قروء ، وقد ذهب قوم إلى هذا وقوله فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت إليه يقتضي أنه وإن هاجر بعد انقضاء مدة الاستبراء والعدة أنها ترد إلى زوجها الأول ما لم تنكح زوجاً غيره كما هو الظاهر من قصة زينب بنت النبي ﷺ وكما ذهب إليه من ذهب من العلماء والله أعلم .

﴿ فصل فيما قيل من الاشعار في غزوة بدر العظمى ﴾

فمن ذلك ما ذكره ابن اسحاق عن حمزة بن عبد المطلب وأنكرها ابن هشام :
 ألم تر أمراً كان من عجب الدهر وللحين أسباب مبيدة الأمر

وما ذاك إلا أن قوما أقامهم
عشية راحوا نحو بدر بهم
وكنا طليبا السير لم نبلغ خيبرها
فلما التقينا لم تكن مشوية
وضرب بيض يقتل الهام حاشها
وفمن تركنا عتبة التي نلوا
وعرو توى فيمن توى من حالهم
جبريل نساء من لوى بن غالب
أولئك قوم قتلتوا في خلاطهم
لواء خلال قائد الجليس أهله
وقال لهم إن ما بين الأمر وأمرنا
فاني أرى مالا ترون وإني
قد سمعتم الحين حتى تورطوا
فكانوا غداة البصر الفا وجهنا
وفينا جنود الله حين عدنا
فشد بهم جبريل ففت لوانا

وقد ذكر ابن اسحاق جوابا من الخارث بن هشام تركناها عسدا . وقال علي بن أبي طالب
وأنكرها ابن هشام :

ألم تر أن الله أبل رسوله
يا أنزل الكفار دار مذلة
فأسى رسول الله قد عز نصره
فجاء برقان من الله مثل
فأمن أقوام بذلك وأيقنوا
وأنكر أقوام فزاعفت قلبهم
دامن منهم يوم بدر رسوله
بأيديهم بيض شفاف عسدا بها
فكم تركوا من ناشئ ذو حية

بلاء عز يذى اقتدار وذى فضل
فلاقوا هوانا من أسار ومن قتل
وكان رسول الله أرسل بالعدل
مبين آياته لوى القتل
فأمسوا بحمد الله بجمعي السمل
فزادهم ذو العرش خيلا على خيل
وقوما غضبا فلمهم أحسن القل
وقد جادوها بالجلاد وبالعتل
عريسا ومن ذى نجدة منهم كهل

فثبت ثبوت النجاسة عليهم
نوايح تنزع حبة التي واجهه
وعاد الرجل تنزع وأين جسدان فيهم
ثوى منهم في بئر بئر عصابة
دعا النبي منهم من دعا طعنه
فأضجوا لدى دار الجحيم يهرول
عن الشيب والسودان في أسفل السفل (١)

وقد ذكر ابن اسحاق قيسها من الطارث أيضا تركناها قصداً وقال كعب بن مالك :

هيبت لأمر الله والله قادر
قضى يوم بئر أن تلاقى مشراً
وقد حشمتوا وأستغفروا من يلهم
وسارت اليينا لا تقاول غيرنا
وفينا رسول الله والأوس حوله
وجمع بني النجار تحت لوائه
فلما لقيناهم وكل مجاهد
شهدنا بأن الله لا رب غيره
وقد عريت بيض خفاف كأنها
بين أهدنا بهم فشدوها
فكعب أبو جهول صريها لوجه
وشيبة والتميمي غادرت في الوغى
فأمسوا وقود النار في مستقرها
تلظى عليهم وهي قد شب جميعها
وكان رسول الله قد قال أقباوا
لأمر أراد الله أن يهاسكوا به

وقال كعب في يوم بئر :

ألاهل أتى غسان في نأى دارها
بأن قد رمتنا من قسي عداوة
وأخير شيء بالأمور عليهم
مما جهالها وحليهم

(١) كذا في المصرية وفي ابن هشام والخلبية : في أسفل السفل .

لأننا عبدنا الله لم نرج غيره رجاء الجنان إذ أنانا زعيمها
 نبى له فى قومه إرث عزة وأعراق صدق هذبها أرومها
 فساروا وسرنا فالتقينا كأننا أسود لقاء لا يرجى كليهما
 ضربناهم حتى هوى فى مكرنا لمنخر سوء من لوى عظيمها
 قولوا ودسناهم ببيض صوارم سواء علينا حلقها وصميمها
 وقال كعب أيضا :

لعمري أيبكا يا ابنى لوى على زهو لديكم وانتخاء
 لنا حاتم فوارسكم بيدر ولا صبروا به عند اللقاء
 وردناه ونور الله يجلو دجى الظلماء عنا والغطاء
 رسول الله يقدمنا بأمر من أمر الله أحكم بالقضاء
 فما ظفرت فوارسكم بيدر وما رجعوا اليكم بالسواء
 فلا تسجل أبا سفيان وارقب جياذ الخيل تطلع من كداء
 بنصر الله روح القدس فيها وميكل فيا طيب الملاء

وقال حسان بن ثابت قال ابن هشام ويقال هى لعبد الله بن الحارث السهمي :

مستشعري خلق الماذى يقدمهم جلد النجيرة ماض غير رعيد
 أعنى رسول إله الخلق فضله على البرية بالتقوى وبالجود
 وقد زعمتم بأن نحموا ذماركم وماء بدر زعمتم غير مورود (١)
 مستصمين بحبل غير منجذب مستحکم من حبال الله ممدود
 فينا الرسول وفينا الحق نلقبه حتى الممات ونصر غير محدود
 وافي وماض شهاب يستضاء به بدر أنار على كل الاماجيد
 وقال حسان بن ثابت أيضا :

ألا ليت شمري هل أنى أهل مكة إبادتنا الكفار فى ساعة العسر
 قتلنا سراة القوم عند مجالنا فلم يرجعوا إلا بقاصمة الظهر
 قتلنا أبا جهل وعتبة قبله وشيبة يكبو للبين والنحر
 قتلنا سويداً ثم عتبة بعده وطعمة أيضا عند نائرة القتر

(١) وبمده فى ابن هشام :

ثم وردناه لم نسمع لقولكم حتى شربنا رواء غير تصريح

فكم قد قتلنا من كريم مسودا له حسب في قومه نابه الذكر
تركناهموا العاويات ينبتهم (١) ويصلون ناراً بعد طامية الفقر
نمرك ما حامت فوارس مالك وأشياءهم يوم التقينا على بدر

وقال عبيدة بن الحارث بن عبيد المطالب في يوم بدر في قطع رجله في مبارزته هو وحمزة وعلى
مع عتبة وشيبة والوليد بن عتبة وأنكرها ابن هشام :

ستبلغ عنا أهل مكة وقمة يهب لها من كان عن ذاك نائيا
بعتبة إذ ولي وشيبة بدمه وما كان فيها بكر عتبة راضيا
فان تقطعوا رجلى فاني مسلم أرجى بها عيشا من الله دانيا
مع الحور أمثال النماثيل أخلصت من الجنة الطليا لمن كان عاليا
وبعت بها عيشا تعرفت صفوه وعاجلته حتى قدمت الأدانيا
فاكرمني الرحمن من فضل منه بشوب من الاسلام غطى المساويا
وما كان مكروها إلى قتالهم غداة دعا الا كفاه من كان داعيا
ولم يسبق إذ سألوا النبي سواءنا ثلاثنا حتى حضرنا المناديا
لنينا كالأسد تخطر بالقنا نقاتل في الرحمن من كان عاصيا
فما برحت أقدامنا من مقامنا ثلاثنا حتى أزيروا المنائيا (٢)

وقال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يذم الحارث بن هشام على فراره يوم بدر وتركه
قومه لا يقاتل دونهم :

تبلى فؤادك في المنام خريدة تشفى الضميج بيارد بسم
كالسك تخطه بماء سحابة أو عالق كدم الذبيح مدام
نفج الحقية يوصها مننضد بلهائ غير وشيكة الاقسام
بنيت على قطن أجمل كأنه فضلا إذا قعدت مدام رخام
وتكاد تكسل أن تجي فراشها في جسم خرعبة وحسن قوام
أما النهار فلا أفتى أذكرها والليل توزعني بها أحلامي
أقسمت أنساها وأنكر ذكرها حتى تغيب في الضريح عظامي
بل من لعاذلة تلوم سفاهة ولقد عصيت على الهوى لوامي

(١) ينبتهم معناه يأتونهم مرة بعد مرة . وفي رواية ينشئهم أى يتناولهم . (٢) قال الخشني
في غريب السيرة : المنائيا ، أراد المنايا فزاد الهرة وقد تكون منقلبة من الياء الزائدة في منية .

بكرت إلى بسخرة بعد السرى وتقارب من حادث الايام
 زعمت بأن المرء يكرب عمره عدم لمعتكر من الاصرام
 إن كنت كاذبة الذي حدثني فنجوت منجى الحارث بن هشام
 ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا رأس طمرة وجام
 ينذر الصغايح الجياد بقفرة مر الذمول بمحصد ورجام
 ملأت به الفرجين ظمئت به وثوى أحبته بشر مقام
 وبنو أبيه ورهطه في معرك نصر الآله به ذوى الاسلام
 طحتهم والله ينفذ أمره حرب يشب سعيها بضرام
 لولا الآله وجريها لتركه جزر السباع ودسسه بحوام
 من بين مأسور يشد وثاقه صقر إذا لاقى الأسنة حام
 ومجمل لا يستجيب لدعوة حتى تزل شوامخ الاعلام
 بالعار والنذل المبين إذا رأى بيض السيوف تسوق كل هام
 يبدى أغر إذا انتهى لم يخزه نسب القصار سميدع مقدم
 بيض إذا لاقت حديدًا صمت كالبرق تحت ظلال كل غمام

قال ابن هشام تركنا في آخرها ثلاث أبيات أقنع فيها . قال ابن هشام فأجابه الحارث بن هشام
 أخو أبي جهل عمرو بن هشام فقال :

القوم ^(١) أعلم ما تركت قتالهم حتى رموا فرسى ^(٢) بأشقر مزبد
 وعرفت أنى إن أقاتل واحداً أقتل ولا ينسكى عدوى مشهدي
 فصدت عنهم والأحبة فيهم طمعا لم بعقاب يوم مفسد
 وقال حسان أيضا :

يا حار قد عولت غير معول عند الهياج وساعة الاحساب
 إذ تمتطى سرح اليدى نجية مرطى الجراء طويلة الاقرب
 والقوم خلفك قد تركت قتالهم ترجو النجاء وليس حين ذهاب
 ألا عطفت على ابن أمك إذ ثوى قصص الاسنة ضائع الاسلاب
 عجل المليك له فاهلك جمعه بشنار مخزية وسوء عذاب

(١) في ابن هشام : الله أعلم . (٢) كذا في الحلبيّة ، وفي ابن هشام : حتى حبوا مهري ،
 وفي السهيلي ، علوا مهري . وقوله في البيت الثالث « يوم مفسد » الذى فى الشواهد يوم مرصد .

وقال حسان أيضا :

لقد علمت قريش يوم بدر غداة الأسر والقتل الشديد
بأننا حين تستجر العوالي حمة الحرب يوم أبي الوليد
قتلنا ابني ربيعة يوم سارا البنا في مضاعفة الحديد
وفر بها حكيم يوم جالت بنو النجار يُخطِر كلاسود
وولت عند ذاك جموع فهر وأسلمها الحويرث من بعيد
لقد لاقيتهموا ذلا وقتلا جهنزا نافذا تحت الوريد
وكل القوم قد ولوا جيعا ولم يلوا على الحسب التليد
وقالت هند بنت أنثاة بن عباد بن المطلب ترى عبيدة بن الحارث بن المطلب :
لقد ضمن الصفراء مجداً وسودداً وحلما أصيلاً وافر اللب والعتل
عبيدة فابكيه لأضياف غربة وأردلة تهوى لاشعث كالجلجل
وبكيه للأقوام في كل شتوة إذا احمر آفاق السماء من المحل
وبكيه للأيتام والريح زفر وتشيب قدر طالما أزيبت لغلى
فان تصيح النيران قد مات ضوءها فقد كان يذكمن بالخطب الجزل
لطارق ليل أو المنبس القرى ومستنبح أضحى لديه على رسل

وقال الاموى في مغازيه حدثني سعيد بن قطن قال قالت عائكة بنت عبد المطلب في رؤياها
التي رأت وتذكر بدراً :

ألم تكن رؤياي حقا ويأتكم بتأويلها قل من القوم هارب
رأى فأتاكم باليقين الذي رأى بعينه ما تفرى السيوف القواضب
فقلتم ولم أ كذب عليكم وإنما يكذبني بالصدق من هو كاذب
وما جاء إلا رهبة الموت هاربا حكيم وقد أعيت عليه المذاهب
أقامت سيوف الهند دون رؤوسكم وخطية فيها الشبا والتغالب
كان حريق النار لمع ظلماتها إذا ما تعاطتها الأيوت المشاغب
ألا بأبي يوم الأتقاء محمداً إذا عاض من عون الحروب الغوارب
مرى بالسيوف المرهفات نفوسكم كفأحا كما تمرى السحاب الجنائب
فكم بردت أسيافه من لمبكة وزعزع ورد بعد ذلك صالب
فما بال قتلى في القليب ومثلهم لدى ابن أخي أسرى له ما يضارب

فكانوا نساء أم أتي لنفوسهم من الله حين ساق والحين حالب
فكيف رأى عند اللقاء محمداً بنوعه والحرب فيها التجارب
ألم يفشكم ضرباً بحار لوقه السجبان وتبدو بالنهار الكواكب
حلفت لئن عادوا لنصطليهم بحاراً تردى تيجرتيها المقائب
كأنّ ضياء الشمس لمع ظلماتها لها من شعاع النور قرن وحاجب
وقالت عاتكة أيضاً فيما نقله الاموي :

هلاً صبرتم للنبي محمد بيدر ومن يقشى الوغى حق صابر
ولم ترجعوا عن مرهفات كأنها حريق بايدي المؤمنين بواتر
ولم تصبروا للبيض حتى أخذتموا قليلا بايدي المؤمنين المشاعر
ووليتموا نفراً وما البطل الذي يقاتل من وقع السلاح بنافر
أناكم بما جاء النبيون قبله وما ابن أخي البر الصدوق بشاعر
سيكني الذي ضيقتهموا من نبيكم وينصره الحيان عمرو وعامر
وقال طالب بن أبي طالب يمدح رسول الله ﷺ ويرثي أصحاب القليب من قريش الذين قتلوا
يومئذ من قومه وهو يمدح على دين قومه إذ ذاك :

ألا إن عيني أنفذت دمعي سكباً تبكي على كعب وما إن ترى كعباً
ألا إن كعباً في الحروب تخاذلوا وأرداهو إذا الدهر واجترحو أذنبا
وعامر تبكي لللمات غدوة فيالت شمري هل أرى لهم قرباً (١)
فيا أخويننا عبد شمس ونوفل فدا لسكالا تبعثوا بيننا حرباً
ولا تصبحوا من بعد ود وإلفة أحاديث فيها كلكم يشتكي النكبا
ألم تعلموا ما كان في حرب داحس وحرب أبي يكسوم إذ ملئوا الشعباً (٢)
فلولا دفاع الله لا شيء غيره لاصبحتموا لا تمنعون لكم سرّاً
فها إن جنينا في قريش عزيمة سوى أن حيناً خير من وطى التربا
أخا ثقة في النائبات مرزما كرمنا ثناء لا بخيلا ولا ذربا
يطيف به العاقون يفسون بابه يؤمون نهراً لا نزوراً ولا صربا

(١) وأورد ابن هشام بعد هذا البيت :

ها أنصواي لم يعدا لغية تعد ولن يستام جارها غصبا

(٢) كذا في الأصلين ، وفي ابن هشام : وحيش أبي يكسوم إذ ملأ الشعبا .

فوالله لا تنفك نفسي حزينة تملح حتى تصدقوا الخرج الضربا

فصل

وقد ذكر ابن اسحاق اشعارا من جهة المشركين قوية الصنعة يرثون بها قتلاهم يوم بدر فمن ذلك قول ضرار بن الخطاب بن مرداس أخى بنى محارب بن فهر وقد أسلم بعد ذلك ، والسهيلى فى روضه يتسكلم على أشعار من أسلم منهم بعد ذلك :

عجبت لفخر الأوس والحين دأثر	عليهم غداً والدهر فيه بصائر
ونغر بنى النجار إن كان معشر	أصيبوا ببدر كلهم ثم صائر
فإن تلك قتلى غودرت من رجالنا	فأنا رجالا يمدحهم سفادر
وتردى بنا الجرد المناجيج وسطكم	بنى الأوس حتى يشفى النفس نائر
ووسط بنى النجار سوف نكرها	لها بالقتنا والدارعين زوافر
فترك صرعى تعصب الطير حولهم	وليس لهم إلا الامانى ناصر
وتبكيهم من أرض يثرب نسوة	لهن بها ليل عن النوم ساهر
وذلك أنا لا تزال سيوفنا	بن دم ممن يحاربن مائر
فإن تظفروا فى يوم بدر فأنما	باحمد أمسى جدم وهو ظاهر
وبالنفر الاخيار هم أولياؤه	يحامون فى اللأواء والموت حاضر
يمد أبو بكر وجهزة فيهم	ويدعى على وسط من أنت ذا كر
أولئك لامن نتجت من ديارها	بنو الأوس والنجار حين تفاخر
ولكن أبوهم من لوى بن غالب	إذا عدت الانساب كعيب وعامر
هم الطاعنون الخيل فى كل معرك	غداة الهياج الاطييون الا كابر

فاجابه كعب بن مالك بقصيدته التى أسلفناها وهى قوله :

عجبت لأمر الله والله قادر على ما أراد ليس لله قاهر

قال ابن اسحاق : وقال أبو بكر واسمه شداد بن الاسود بن شعوب .

قلت : وقد ذكر البخارى أنه خلف على امرأة أبى بكر الصديق حين طلقها الصديق وذلك لما

حرم الله المشركات على المسلمين واسمها أم بكر :

نحيى بالسلامة أم بكر وهل لى بعد قومي من سلام

فماذا بالقلب قلبى بدر من القينات والشرب الكرام

وماذا بالقلب قلب بدر من الشيزى تكال بالسنام
 وكم لك بالطوى طوى بدر من الحومات والنعم المسام
 وكم لك بالطوى طوى بدر من الغايات والسمع المظام
 وأصحاب الكريم أبى على أخى الكأس السكرية والندام
 وانك لو رأيت أبا عقيل وأصحاب الثنية من نعام
 إذا اظلمات من وجد عليهم كأم السقب جائلة المرام
 يخبرنا الرسول لسوف نحييا وكيف حياة أصداء وهام

قلت وقد أورد البخارى بعضها فى صحيحه ليعرف به حال قائلها. قال ابن اسحاق وقال أمية بن

أبى الصلت يرئى من قتل من قرش يوم بدر:

ألا بكيت على الكرا م بنى الكرام أولى المادح
 كبكا الحام على فرو ع الأيك فى الغصن الجوانح
 يمين حراً مستكيت ننت برجن مع الزوايح
 أمثالها الباكيا ت الممولات من النوائح
 من يمينهم يمينى على حزن ويصدق كل مادح
 ماذا بيدر والقفه قل من مرازمة ججاجح
 فدافع البرقين فالسحان من طرف الاواشح
 شعث وشباب بها ليل مغاور وحواح
 ألا ترون لما أرى ولقد أبان لكل لامح
 أن قد تغير بطن مكة ففى موحشة الأباطح
 من كل بطريق لبطريق نقى الود واضح
 دعوص أبواب الملو لك وجائب للخرق فاح
 ومن السراطة الخلاء حمة الملاوثة المناجح
 التائلين الفاعل بن الأمرين بكل صالح
 المطامير الشحم فوق الخبز شحما كالانافح
 نقل الجفان مع الجفان ن إلى جفان كاللناضح
 ليست باصفار لمن يعفو ولا رح رحارج
 للضيف ثم الضيف بعبد الضيف والبسط السلاطح

وهب المئين من المئتين إلى المئين من اللوائح
 سوق المؤبل للمؤبسل صادرات عن بلادج
 لكرامهم فوق السكرام مزية وزن الرواجج
 كشاقل الارطال بالقسطنس بالأيدي الموائج
 خذلتهموا فئة وهم يحمون عورات الفضائح
 الضاربين التقدمية بالمهنة الصفائح
 ولقد عتافى صوتهم من بين مستسق وصائح
 لله در بئى على أيم منهم وتناكح
 إن لم يغيروا غارة شعواء تحجر كل قابج
 بالمقربات المبعدا ت الطامحات مع الطوامج
 مرداً على جرد إلى أسد مكالية كوالج
 ويلاق قرن قرنه مشى المصافح للمصافح
 بزهاء ألف ثم ألف بين ذى بدن ورامج

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله ﷺ (١)

قلت : هذا شعر الخندول المعكوس المنكوس الذى حملة كثرة جهله وقلة عقله على أن مدح
 المشركين وذم المؤمنين واستوحش بمكة من أبى جهل بن هشام وأضرابه من الكفرة اللثام والجهالة
 الطغام ولم يستوحش بها من عبد الله ورسوله وحبيبه وخليله نحر البشر ومن وجهه أنور من القمر ذى
 العلم الاكل والعقل الاشمل ومن صاحبه الصديق المبادر إلى التصديق والسابق إلى الخيرات وفعل
 المسكرات وبذل الالوف والمئات فى طاعة رب الأرض والسماوات ، وكذلك بقية أصحابه الغر
 السكرام الذين هاجروا من دار الكفر والجهل إلى دار العلم والاسلام رضى الله عن جميعهم ما اختلط
 الضياء والظلام ، وما تعاقبت النيانى والايام . وقد تركنا أشعاراً كثيرة أوردناها ابن اسحاق رحمه
 الله خوف الاطالة وخشية الملالة وفيما أوردنا كفاية لله الحمد والمنة . وقد قال الأموى فى ممازیه
 سمعت أبى حدثنا سليمان بن أرقم عن ابن سيرين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ عفا عن شعر
 الجاهلية . قال سليمان فذكر ذلك الزهرى فقال : عفا عنه إلا قصيدتين ؛ كلمة أمية التى ذكر فيها
 أهل بدر ، وكلمة الاعشى التى يذكر فيها الاخوص . وهذا حديث غريب وسليمان بن أرقم هذا
 متروك والله أعلم .

(١) يوجد فى بعض هذه القصائد اختلاف وتجرىف اعتمدنا فى تصحيحه على ابن هشام والخشنى .

﴿ فصل في غزوة بني سليم في سنة ثنتين من الهجرة النبوية ﴾

قال ابن اسحاق : وكان فراخ رسول الله ﷺ من بدر في عقب شهر رمضان - أو في شوال - ولما قدم المدينة لم يبق بها إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري - أو ابن أم مكتوم الأعشى - قال ابن اسحاق : فبلغ ماء من مياههم يقال له الكدر فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فأقام بها بقية شوال وذا القعدة وأفدى في أقامته ثلاث جل الاسارى من قریش .

فصل

﴿ غزوة السويق في ذي الحجة منها وهي غزوة قرقرة الكدر ﴾

قال السهيلي : والقرقرة الأرض الملساء ، والكدر طير في ألوانها كدرة . قال ابن اسحاق : وكان أبو سفيان كما حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان ومن لا أتهم عن عبيد الله بن كعب بن مالك - وكان من أعلم الانصار - حين رجع إلى مكة ورجع فل قریش من بدر نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً ، فخرج في مائتي راكب من قریش لتبريمه فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له نيب من المدينة على يريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل فأتى حيي بن أخطب فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كثرهم ، فاستأذن عليه ، فأذن له فقراه وسقاه و بطن له من خبير الناس ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجالاً من قریش فأتوا ناحية منها يقال لها العريض فحرقوا في أصوار من نخل بها ووجدوا رجالاً من الانصار وحليفاً له في حرث لها فقتلواهما وانصرفوا راجعين ، فنذر بهم الناس فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم . قال ابن هشام واستعمل على المدينة أبا لبابة بشير بن عبيد المنذر ، قال ابن اسحاق : فبلغ قرقرة الكدر ثم انصرف راجعاً وقد فاتته أبو سفيان وأصحابه ووجد أصحاب رسول الله ﷺ أزواداً كثيرة قد القاهوا المشركون يتخفون منها وعامتها سويق ، فسميت غزوة السويق . قال المسامون : يا رسول الله أنظعم أن تكون هذه لنا غزوة ؟ قال نعم . قال ابن اسحاق وقال أبو سفيان فيما كان من أمره هذا ويمدح سلام بن مشكم اليهودي :

وإني فخيرت المدينة واحداً خلف فلم أندم ولم أتلوم
سقاني فرواني كيتا مداعة على عجل مني سلام بن مشكم
ولما تولى الجيش قلت ولم أكن لافرجه أبشر بعز ومغنم

تأمل فإن القوم سر وإتهم صريح لوى لاشماطيط جرم
وما كان إلا بمض ليلة راكب أتى ساعيا من غير خلة مدمم

فصل

في دخول علي بن أبي طالب رضي الله عنه على زوجته فاطمة بنت رسول الله ﷺ وذلك في سنة ثنتين بعد وقعة بدر لما رواه البخاري ومسلم من طريق الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب قال : كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر ، وكان النبي ﷺ أعطاني شارقا مما أفاء الله من الحسن يومئذ فلما أردت ابتي فاطمة بنت النبي ﷺ واعدت رجلا صواغا من بني قينقاع أن يرتحل معي فتأتى باذخر فاردت أن أبيه من الصواغين فاستعين به في وليمة عرسى فبينما أنا أجمع لشارفي من الاقتاب والغرائر والحبال وشارفاني مناختان إلى جنب حجرة رجل من الانصار حتى جمعت ما جمعت ، فاذا أنا بشار في قد أجبت أسنمتها وبقرت خواصرها وأخذ من أكبادها ، فلم أملك عيني حين رأت المنظر فقلت من فعل هذا ؟ قالوا فعله حمزة بن عبد المطلب وهو في هذا البيت وهو في شرب من الانصار وعنده قيته وأصحابه ، فقالت في غنائها :

« ألا يا حمز للشرف النواء »

فوثب حمزة إلى السيف فاجب أسنمتها وبقر خواصرها وأخذ من أكبادها ، قال علي فانطلقت حتى أدخل على النبي ﷺ وعنده زيد بن حارثة فعرف النبي ﷺ الذي لقيت فقال مالك ؟ فقلت يا رسول الله ما رأيت كالיום عدا حمزة علي ناقتي فاجب أسنمتها وبقر خواصرها وها هو ذا في البيت معه شرب فدمنا النبي ﷺ بردائه فارتداه ثم انطلق بمشي واتبعته أنا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي فيه حمزة فاستأذن عليه فاذن له فطفق النبي ﷺ يابوم حمزة فيما فعل فاذا حمزة تمل حمزة عيناه فنظر حمزة إلى النبي ﷺ ثم صعد النظر فنظر إلى ركبتيه ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه ثم قال حمزة : وهل أنتم إلا عبيد لأبي فعرف النبي ﷺ أنه تمل فكس رسول الله ﷺ على عقبه القهقري فخرج وخرجنا معه . هذا لفظ البخاري في كتاب المغازي وقد رواه في أما كن آخر من صحيحه بالفاظ كثيرة وفي هذا دليل على ما قدمناه من أن غنائم بدر قد خست لا كما زعمه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الاموال من أن الحسن إنما نزل بعد قسمتها وقد خالفه في ذلك جماعة منهم البخاري وابن جرير وروينا غلطه في ذلك في التفسير وفيما تقدم والله أعلم . وكان هذا الصنع من حمزة وأصحابه رضي الله عنهم قبل أن تحرم الحر بل قد قتل حمزة يوم أحد كما سيأتي وذلك

قبل تحريم الخمر والله أعلم . وقد يستدل بهذا الحديث من يرى أن عبادة السكران مسلوية لا تأثير لها
لا في طلاق ولا أقرار ولا غير ذلك كما ذهب إليه من ذهب من العلماء كما هو مقرر في كتاب الأحكام
وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن أبيه عن رجل سمع علياً يقول : أردت أن
أخطب إلى رسول الله ﷺ ابنته فقلت ما لي من شيء ثم ذكرت عائدة وصلته فخطبها إليه فقال
« هل لك من شيء ؟ » قلت لا قال « فأين درعك الخطمية التي أعطيتك يوم كذا وكذا ؟ » قال هي
عندي قال فأعطنيها قال فأعطيتها إياه . هكذا رواه أحمد في مسنده وفيه رجل مبهم وقد قال أبو
داود حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني ثنا عبدة ثنا سعيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس
قال : لما تزوج علي فاطمة رضي الله عنهما قال له رسول الله ﷺ أعطها شيئاً قال ما عندي شيء .
قال ابن درع الخطمية ؟ ورواه النسائي عن هارون بن إسحاق عن عبدة بن سليمان عن سعيد بن
أبي عروبة عن أيوب السخيتي به . وقال أبو داود حدثنا كثير بن عبيد الخطمي ثنا أبو حيوة عن
شميب بن أبي حمزة حدثني غيلان بن أنس من أهل حمص حدثني محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان
عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن علياً لما تزوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ أراد أن يدخل بها
فمنعه رسول الله ﷺ حتى يعطيها شيئاً فقال يا رسول الله ليس لي شيء فقال له النبي ﷺ « أعطها
درعك » فأعطاها درعة ثم دخل بها . وقال البيهقي في الدلائل : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو
العباس محمد بن يعقوب الأصم ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثني
عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن علي قال : خطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقالت مولاة لي
هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ قلت لا ، قالت فقد خطبت فما يمنعك أن تأتي
رسول الله ﷺ فيزوجك ، فقلت وعندي شيء أتزوج به ؟ فقالت انك إن جئت رسول الله ﷺ
زوجك ، قال فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ فلما أن قعدت بين يديه أخذت
فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبه فقال رسول الله ﷺ « ما جاء بك ألك حاجة ؟ فسكت
فقال لعالمك جئت تخطب فاطمة ، فقلت نعم ! فقال « وهل عندك من شيء تستحلها به ؟ » فقلت لا
والله يا رسول الله فقال « ما فعلت درع سلحتكها » فوالذي نفس علي بيده أنها خطمية ما قيمتها
أربعة دراهم فقلت عندي . فقال قد زوجتكها فأبعث إليها بها فاستحلها بها ، فان كانت لصدوق
فاطمة بنت رسول الله ﷺ . قال ابن إسحاق : فولدت فاطمة لعلي حسناً وحسيناً ومحمداً - مات
صغيراً - وأم كلثوم وزينب ثم روى البيهقي من طريق عطاء بن السائب عن أبيه عن علي قال جهز
رسول الله ﷺ فاطمة في خميل وقربة ووسادة آدم حشوها اذخر . ونقل البيهقي عن كتاب المعرفة
لابي عبد الله بن منبه أن علياً تزوج فاطمة بعد سنة من الهجرة وابتنى بها بعد ذلك بسنة أخرى .

قلت : فملى هذا يكون دخوله بها في أوائل السنة الثالثة من الهجرة فظاهر سياق حديث الشارفين يقتضى أن ذلك عقب وقعة بدر بيسير فيكون ذلك كما ذكرناه في أواخر السنة الثانية والله أعلم .

فصل

﴿ في ذكر جل من الحوادث في سنة ثنتين من الهجرة ﴾

تقدم ما ذكرناه من تزويجه عليه السلام بمائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وذكرنا ما سلف من الغزوات المشهورة وقد تضمن ذلك وفيات أعيان من المشاهير من المؤمنين والمشركون ، فمكان من توفى فيها الشهداء يوم بدر وهم أربعة عشر ما بين مهاجرى وأنصارى تقسم أسمائهم ، والرؤساء من مشركى قريش وقد كانوا سبعين رجلا على المشهور ، وتوفى بمعد الوقعة بيسير أبو لطف عبد العزى ابن عبد المطلب لعنه الله كما تقدم ، ولما جاءت البشارة إلى المؤمنين من أهل المدينة مع زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة بما أحل الله بالمشركون وبما فتح على المؤمنين وجدوا رقية بنت رسول الله ﷺ قد توفيت وسألوها عليها التراب . وكان زوجها عثمان بن عفان قد أقام عندها بمرضاها بأمر النبي ﷺ له بذلك . ولهذا ضرب له بسهمه في مغائم بدر وأجره عند الله يوم القيامة ، ثم زوجه باختها الأخرى أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ولهذا كان يقال لعثمان بن عفان ذو النورين ويقال إنه لم يخلق أحد على ابلى نبي واحدة بمعد الأخرى غيره رضى الله عنه وأرضاه . وفيها حولت القبلة كما تقدم وزيد في صلاة الحضر على ما سلف ، وفيها فرض الصيام صيام رمضان كما تقدم . وفيها فرضت الزكاة ذات النصب وفرضت زكاة الفطر وفيها خضع المشركون من أهل المدينة واليهود الذين عم بها من بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة ويهود بنى حارثة وصانموا المسلمين وأظهر الاسلام طائفة كثيرة من المشركون واليهود وهم فى الباطن منافقون منهم من هو على ما كان عليه ومنهم من انحلت بالسكينة فبقى مذبذبا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كما وصفهم الله فى كتابه .

قال ابن جرير وفيها كتب رسول الله ﷺ المعاقل وكانت معلقة بسيفه قال ابن جرير وقيل إن الحسن بن علي ولد فيها ، قال وأما الواقدي فإنه زعم أن ابن أبي سبرة حدثه عن اسحاق بن عبد الله عن أبي جعفر أن علي بن أبي طالب بنى بفاطمة فى ذى الحجة منها قال فان كانت هذه الرواية صحيحة فالقول الاول باطل ما

﴿ تم الجزء الثالث من كتاب البداية والنهاية ﴾

﴿ ويليه الجزء الرابع وأوله سنة ثلاث من الهجرة ﴾

فهرس الجزء الثالث

من كتاب البداية والنهاية

صفحة	صفحة
٢	باب كيفية بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ
١٥	وذكر أول شيء أنزل عليه من القرآن
٣	عرض ما فوجئ به من النبوة على ورقة
١٦	ابن نوفل
٣	نزول قوله تعالى (يا أيها المدثر قم فأنذر) السورة
٤	ذكر عمره ﷺ وقت بعثته وتاريخها
٥	ذكر تنسكه في حراء ومعنى التحنث
١٩	٦
٢٠	تمهده قبل البعثة ، تاريخ أول ما نزل من القرآن ، نوقت نزول السكتب السماوية
٢١	وأنها في رمضان
٧	تفسير قوله ﷺ ما أنا بقارى ، ما كان يلقاه من ثقل الوحي
٢٣	٧
٢٣	تفسير قول خديجة له كلا والله لا يخزيك الله أبدا تشجيما له على ما كان يجده من الروح
٢٤	٨
٢٤	عودا على ذكر ورقة بن نوفل وذكر من تنصر من العرب قبل البعثة وأخبار في فضل ورقة
٢٩	٩
٣٠	دخول أبي بكر على خديجة وإخبارها عن روع رسول الله وذهابه معه إلى ورقة
٣٠	١٠
٣٠	ما روى لورقة من الشعر الدال على إيمانه وتصديقه برسول الله ﷺ
٣٠	١١
٣٠	خير تسليم الحجر والشجر على رسول الله
٣١	١٢
٣١	عودا على خبر تمهده في حراء وبمجيء جبريل بالرسالة ووصف ذلك بالتفصيل
٣١	٤
٣١	خير أول من آمن به خديجة وذكر ورقة

ابن نوفل عن الحافظ ابن عساكر

ذكر ذلك عن الحافظ البيهقي

فصل في فتور الوحي وحزن رسول الله ﷺ على ذلك ومدة الفترة

في منع الجن ومردة الشياطين من استراق السمع حين نزول القرآن

خوف ثقيف لدحور النجوم وأخبار عن ذلك

تسكيس الاصنام لبعثته ﷺ

فصل في كيفية اتيان الوحي اليه ﷺ وما كان يلقاه من ذلك

فصل في قوله تعالى (ولا تمجل بالقرآن من قبل أن يلقى اليك وحيه)

فصل في أخبار عن ابن اسحاق بقتابع الوحي

فصل في ذكر أول من أسلم وذكر متقدمي الاسلام وأن أبا بكر أول من أظهر اسلامه

وتمحيص الاخبار الواردة في ذلك

تفصيل لابي حنيفة في أول من أسلم وذكر من أسلم على يد أبي بكر وخبر تسمية أبي بكر وطاحه بالقرينين

خبر في أن أبا بكر أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله وأنه أول من وطئ وضرب في الله وموقفه في ذلك

اسلام عمر واظهاره الاسلام وطوافه على

صفحة	صفحة
٥٣	٣٢
٥٧	٣٣
٥٨	٣٤
٥٩	٣٦
٦٠	٣٧
٦٢	٣٨
٦٤	٣٩
٦٥	٤١
٦٦	٤١
٦٧	٤٥
٧٠	٤٥
٧١	٤٧
	٤٨
	٤٩
	٤٩
	٥٢

انشاء أبي طالب قصيدته اللامية يتوذكفها
 بحرم مكة ويتوذكفها اشراف قومهم ويخبرهم
 أنه غير مسلم لرسول الله ﷺ
 عدوان قريش على من أسلم ووثوب كل
 قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم
 ليفتنوهم عن دينهم
 شراء أبي بكر بلالا من أمية بن خلف
 وعقده ليخلصه من التعذيب
 قصة خباب بن الارت والعاص بن وائل
 وسبب نزول قوله تعالى (أفأريت الذي
 كفر بآياتنا) الآية
 باب مجادلة المشركين رسول الله واقامة
 الحجية عليهم واعترافهم في انفسهم بالحق
 وإن أظفروا المخالفة عناداً وجحوداً
 قصة مناظرة عتبة بن ربيعة رسول الله ﷺ
 وما نزل فيها من الآيات
 حكاية تجمع أبي جهل وأبي سفيان
 والاخنس بن شريق لتسمع قراءة رسول
 الله صرا عن قومهم
 صلة لهذه الحكاية في نزول قوله تعالى
 (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) الآية
 باب هجرة من هاجر من اصحاب رسول الله
 من مكة إلى ارض الحبشة فراراً بدينهم
 بيان عن ابن اسحاق في اسماء المهاجرين
 إلى الحبشة صحة جعفر بن أبي طالب
 خبر الهجرة إلى الحبشة من طريق الخافظ
 أبي نعيم
 قصة جعفر بن أبي طالب مع النجاشي بن
 طريق الخافظ ابن عساكر من تاريخه

مجالس قريش يعلمهم باسلامه ، اسلام أبي
 أمية عمرو بن عبسة السلمي
 معجزة الجذعة التي حلبها رسول الله ﷺ
 واسلام خالد بن سعيد بن العاص
 ذكر اسلام حزة عم رسول الله ﷺ
 ذكر اسلام أبي ذر الغفاري وتفصيل خبره
 واسلام قبيلة غفار وأسلم
 ذكر اسلام ضمار من رواق مسلم والبيهقي
 سرد أسماء من اسلم قديماً من الصحابة عن
 أبي نعيم
 باب امر الله رسوله ﷺ بإبلاغ الرسالة
 دعوته ﷺ لبني عبد المطلب
 مناوأة عمه أبي لهب وامراته له ﷺ
 حذب عمه أبي طالب عليه ومدافعتة عنه
 قصة الأراشي
 فصل في حكاية اشد ما صنع مشركو قريش
 برسول الله ﷺ
 فصل في تألب الملأ من قريش على رسول
 الله وعلى أصحابه واجتماعهم لذلك بأبي
 طالب وما عرضوه عليه
 مهاجر أبي طالب والمطم بن عدى وقصيدة
 أبي طالب الرائية في ذلك
 فصل في مبالغتهم في الاذية لأحد المسلمين
 المستضعفين
 فصل فيما اعترض به المشركون على رسول الله
 ﷺ وذكر ما تعنتوا له في استلهم اياه
 من طلب الآيات وخرق العادات
 سؤال أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل
 لهم الصفا ذهباً

صفحة	صفحة
٧٤	ماريقي أخرى لابن اسحاق في خبر الحبشة ويتصل بها قصص عمرو بن العاص الأغر يحمفر واصحابه عند النجاشي
٧٥	قصص بيع أهل النجاشي له وتفسير الزهري لهذا الظاهر
٧٦	خبر عمارة بن الوليد عند النجاشي وسحر النجاشي له
٧٦	كتابة أبي طالب للنجاشي يحضه فيها على العدل إلى من نزل عنده من قومه
٧٧	أخبار من فضائل النجاشي وصلاة رسول الله عليه صلاة النائب عند موته
٧٨	خدمة رسول الله لوفاء النجاشي بنفسه مكافأة لخدمتهم اصحابه
٧٩	تفصيل في اسلام عمر بن الخطاب وصلاته بالمسلمين عند السكينة جهاراً
٨١	اذاعة عمر اسلامه ليفيظ كفار قريش وتأليبهم عليه ومداومة العاص بن وائل السهمي عنه
٨٢	وفد نصارى الحبشة أو نصارى نجران على رسول الله ﷺ واسلامهم
٨٣	كتاب رسول الله إلى الأصم النجاشي ملك الحبشة يدعو إلى الاسلام
٨٤	تأليب قريش على بني هاشم وبني عبد المطلب وحصرهم بإمام في شعب أبي طالب وكتابة الصحيفة في مقاماتهم
٨٧	وقوف أبي طرب مع قريش ونزول قوله تمالي (نبت يدا أبي طرب) وقصيدة أبي طالب البائية
٩٠	ذكر من عاد من مهاجرة الحبشة إلى مكة ١٠٧ فصل في دعاء النبي ﷺ على قريش حين
٩٢	وقد بلغهم اسلام أهل مكة وكان النقل ليس بصحيح وسياق قصة القرانيق خبر عثمان بن مظعون مع لبيد بقوله وكل نميم لا محالة زائل (كذبت نعيم الجنة لا يزول)
٩٣	مؤازرة أبي طرب لابي طالب وإنشاء أبي طالب قصيدته الميمية بحرض أبا طرب على نصرته
٩٤	ذكر عزم الصديق على الهجرة إلى أرض الحبشة ورجوعه بجوار ابن الدغنة ورد هذا الجوار
٩٥	ذكر نقض الصحيفة التي تعاقبت عليها قريش والقائمون بنقضها وأخبار من ذلك عن ابن اسحاق
٩٧	قصيدة أبي طالب الدالية في ابطال الصحيفة قصيدة الطفيل بن عمرو والدوسي واسلامه
٩٩	خبر احراق ذي الكفين صنم عمرو بن جمعة
١٠١	قصيدة رفيق الطفيل بن عمرو والدوسي وازهاقه نفسه وفيه حكم الجاني على نفسه بقتلها
١٠١	قصيدة اعشى قيس وقصيدته الدالية وحسد قريش له عن الاسلام وموته على شركه
١٠٣	قصيدة مصارعته ﷺ وكانه واسلامه وخبر الشجرة التي دعاها اليه فاقبلت
١٠٤	خبر عن المستضعفين من اصحابه وما نزل فيهم من القرآن
١٠٥	خبر المستهزئين وما نزل فيهم من القرآن وخبر هلاكهم واحداً واحداً

صفحة	صفحة
شئ من فضائلها	استعصت عليه بسبع سنين مثل سبع
فصل في تزويجه عليه السلام بمد خديجة بمأثثة	يوسف
١٣٠	١٠٨
وسودة بنت زمعة	فصل في قصة الروم وفارس ونزول قوله
فصل فيما قال رسول الله عليه السلام بمد وفاة أبي طالب	تعالى (ألم غلبت الروم في ادنى الارض)
١٣٣	الآيات
من سفهاء قريش ودفع أبي طالب عنه	١٠٨
فصل في ذهابه عليه السلام إلى الطائف يدعوهم	فصل في قصة اسراء رسول الله عليه السلام من مكة
إلى الاسلام وردهم عليه اقبح الرد	إلى بيت المقدس ثم عرجه إلى السموات
١٣٥	وما رآه من الآيات
فصل في ذكر رجعه من الطائف وسامع الجن	١١٢
لقراءته ودخوله مكة في جوار المطامير بن عدي	مطلب في فرض الصلوات الخمس وتردد
١٣٧	رسول الله عليه السلام بين موسى وبين ربه جل جلاله
فصل في تفصيل عرض رسول الله عليه السلام	١١٥
نفسه الكريمة على احياء العرب في مواسم	اختلاف العلماء في أن الاسراء والمعراج
الحج على أن يأتوه وينصروه ويمنعوه	هل كانا في ليلة أو كل في ليلة على حدة
من كذبه وخالفه وأنه لم يجبه أحد منهم	١١٥
عرض نفسه عليه السلام على بني عامر بن صعصعة	سياق خبر المعراج من طريق البخاري
١٤١	في صحيجته
بسوق عكاظ وقبيل ردهم ومدافعة ضباغة	١١٧
بنت عامر عنه	فصل في تبين كيفية الصلاة وأوقاتها وأمر
خروجه عليه السلام إلى منى وعرض نفسه على	رسول الله عليه السلام أصحابه فاجتمعوا وصلى به جبريل
١٤٢	في ذلك اليوم إلى الفد
ربيعة ومنسأخرة دفغل بن حنظلة الذهلي	١١٨
لابي بكر وكان مع رسول الله عليه السلام ثم انتباهواهم إلى	فصل في قصة الشقاق القمر
مجلس شيوخ بني شيبان بن ثعلبة وثناء	١٢٢
رسول الله عليه السلام عليهم	فصل في وفاة أبي طالب عم رسول الله
١٤٥	١٢٣
خبر ميمونة بن مسروق العبسي حين عرض	عرض كلة الشهادة عليه في آخر لحظة من
رسول الله عليه السلام نفسه على قومه ثم اسلامه رضي	حياته وقول العباس يا ابن أخي لقد قال
الله عنه	أخي السكامة التي امرته أن يقول واستدلال
فصل في تفصيل اخبار قديم الانصار عامما	الشيعية بذلك إلى أنه مات مسلما
١٤٥	١٢٤
بعد عام حتى يأتوه عليه السلام بيعة بعد بيعة إلى	نهى الله تعالى رسوله عليه السلام عن الاستغفار
أن يحول اليهم فنزل بين أظهرهم فن ذلك	له وذكر ما نزل في ذلك من القرآن
١٤٧	١٢٥
خبر سويد بن السمات ابن خالة عبدالمطلب	حديث أنه أهون أهل النار عذابا واستعدان
جد رسول الله عليه السلام	على بدفنه
١٤٧	١٢٦
فصل في موت خديجة زوج رسول الله عليه السلام وذكر	كلمة للمؤلف في أبي طالب
١٤٧	١٢٧

صفحة	صفحة
١٤٨	اسلام ابياس بن معاذ وموته على ذلك
١٤٨	باب بدء اسلام الانصار رضى الله عنهم
١٥٠	بيعة العقبة الاولى وكانوا اثني عشر رجلا
١٥٢	سنة الدخول في الاسلام وتعليم مصعب
١٥٣	ابن عمير لمسلمي الانصار ذلك
١٥٣	خبر قيس بن الاسلت الشاعر وتأخر اسلامه
١٥٤	وتميه قريش عن رسول الله بتصيدته البائية
١٥٤	استطراد لذكرك حرب داحس والغبراء
١٥٧	وقوف ابي قيس عن الاسلام متحيراً وخبر
١٥٨	ترهيه في الجاهلية وأشعاره بذلك
١٦١	قصة بيعة العقبة الثانية وذكرها تفصيلاً
١٦٤	ذكر اسماء الانقباء من رواية ابن اسحاق
١٦٤	صرخة الشيطان من رأس العقبة بانفذ صوت
١٦٥	انذاراً لقريش باجتماع العقبة
١٦٥	فصل في رجوع الانصار إلى المدينة
١٦٨	واظهار الاسلام بها وحرقتهم صم عمرو
١٦٩	ابن الجرح
١٧٠	فصل يتضمن اسماء من شهد العقبة الثانية
١٧٠	من رواية ابن اسحاق
١٧١	باب بدء الهجرة من مكة إلى المدينة
١٧١	أول المهاجرين هجرة أبو سلمة عبد الله بن
١٧٢	عبد الأسد وذكر قصة زوجه أم سلمة
١٧٢	خبر دار بني جحش بن رئاب وخالو أهلها
١٧٣	هجرة وهم بنو غنم بن دودان وقصيدة أبي
١٧٣	احمد البائية في ذلك
١٧٣	خبر هجرة عمر بن الخطاب وعياش بن أبي
١٧٣	ربيعة
١٧٣	هجرة صهيب وتركه ماله لقريش فدى عنه
١٧٣	وقول رسول الله ربح صهيب ربح صهيب
١٧٤	فصل في سبب هجرة رسول الله بنفسه الكريمة
١٧٥	حذر أهل مكة لهجرة رسول الله ﷺ
١٧٥	وعزمهم على قتله
١٧٧	باب هجرة رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر
١٧٩	قصة دخولها الغار وما كان في ذلك
١٨١	قصة العنكبوت ونسجها على فم الغار
١٨٢	خبر تسمية اسماء بنت أبي بكر بذات
١٨٢	النطاقين
١٨٥	خبر سراقبة بن مالك وخروجه ليرد على
١٨٥	قريش رسول الله وقد بذلت في ذلك ديتة
١٨٥	وما كان في ذلك من الآيات
١٩٠	خبر نزول رسول الله ﷺ وأبي بكر على أم معبد
١٩٠	وما في ذلك من الآيات
١٩٣	وصول خبر رسول الله ﷺ إلى مكة وأنه نزل
١٩٣	على أم معبد وما سمع في ذلك من الشعر وأبيات
١٩٤	لحسان بن ثابت يفيل فيها أمر قريش
١٩٤	قصة اسلام عبد الله بن مسعود
١٩٦	فصل في دخوله عليه السلام المدينة واين
١٩٦	استقر منزله بها وما يتعلق به
١٩٧	استقبال أهل المدينة له ﷺ
١٩٧	اقامة علي بن أبي طالب بمكة ثلاثة أيام
١٩٧	حتى ادى عن رسول الله ﷺ الودائع التي
١٩٨	كانت عنده ثم لحوقه بالرسول إلى المدينة
١٩٨	أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ بالمدينة وذلك
١٩٨	في بني سالم بن عوف بوادي رانوفاه
١٩٩	نزوله بالمدينة على أبي أيوب الانصاري
٢٠٠	خبر اسلام عبد الله بن سلام وكان من
٢٠٠	احبار اليهود
٢٠١	كراهته ﷺ أكل الثوم وامتناعه من

صفحة	أ	صفحة
٢٢٠	فضل المساجد الثلاثة	٢٠٣
٢٢٠	بناء حجر رسول الله ﷺ وصفها	٢٠٤
٢٢١	فصل في حى المدينة وأثر هوائها على المهاجرين إليها	٢٠٥
٢٢٤	فصل في عقدة الألف والياء بين المهاجرين والانصار بالكتاب الذى أمر به فكتب بينهم وموادعته اليهود الذين كانوا بالمدينة	٢٠٦
٢٢٦	فصل في مؤاخاة النبي ﷺ بين المهاجرين والانصار ليرتقى المهاجرى بالانصارى وتسميتهم واحداً واحداً	٢٠٧
٢٢٩	فصل في موت أبى أمامة أسعد بن زرارة أحد النقباء الاثني عشر وموت كاثوم بن الهذم	٢٠٨
٢٣٠	فصل في ولادة عبد الله بن الزبير والنعمان ابن بشير أول مولود للمهاجرين وأول مولود للانصار	٢٠٩
٢٣٠	فصل في بناء رسول الله ﷺ بمائشة بنت أبى بكر الصديق	٢١٠
٢٣١	فصل في هذه السنة - أى الاولى - زود في صلاة الحضر ركعتان وفيها كان الأذان ومشر وعينه وسببه وصفته	٢١٢
٢٣٤	فصل في هذه السنة الاولى بعد مقدمه المدينة كانت سرية حمزة بن عبد المطلب وسرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب	٢١٣
٢٣٤	فصل وفيها فى ذى القعدة عتد رسول الله ﷺ ابن أبى وقاص إلى الخرار في عشرين رجلاً هو ذكر وقائع السنة الثانية من الهجرة	٢١٤
٢٣٦	كتاب المغازى - سرد اسماء أخبار اليهود	٢١٥
		٢١٦
		٢١٧
		٢١٨
		٢١٩
		٢٢٠
		٢٢١
		٢٢٢
		٢٢٣
		٢٢٤
		٢٢٥
		٢٢٦
		٢٢٧
		٢٢٨
		٢٢٩
		٢٣٠
		٢٣١
		٢٣٢
		٢٣٣
		٢٣٤
		٢٣٥
		٢٣٦
		٢٣٧
		٢٣٨
		٢٣٩
		٢٤٠
		٢٤١
		٢٤٢
		٢٤٣
		٢٤٤
		٢٤٥
		٢٤٦
		٢٤٧
		٢٤٨
		٢٤٩
		٢٥٠
		٢٥١
		٢٥٢
		٢٥٣
		٢٥٤
		٢٥٥
		٢٥٦
		٢٥٧
		٢٥٨
		٢٥٩
		٢٦٠
		٢٦١
		٢٦٢
		٢٦٣
		٢٦٤
		٢٦٥
		٢٦٦
		٢٦٧
		٢٦٨
		٢٦٩
		٢٧٠
		٢٧١
		٢٧٢
		٢٧٣
		٢٧٤
		٢٧٥
		٢٧٦
		٢٧٧
		٢٧٨
		٢٧٩
		٢٨٠
		٢٨١
		٢٨٢
		٢٨٣
		٢٨٤
		٢٨٥
		٢٨٦
		٢٨٧
		٢٨٨
		٢٨٩
		٢٩٠
		٢٩١
		٢٩٢
		٢٩٣
		٢٩٤
		٢٩٥
		٢٩٦
		٢٩٧
		٢٩٨
		٢٩٩
		٣٠٠
		٣٠١
		٣٠٢
		٣٠٣
		٣٠٤
		٣٠٥
		٣٠٦
		٣٠٧
		٣٠٨
		٣٠٩
		٣١٠
		٣١١
		٣١٢
		٣١٣
		٣١٤
		٣١٥
		٣١٦
		٣١٧
		٣١٨
		٣١٩
		٣٢٠
		٣٢١
		٣٢٢
		٣٢٣
		٣٢٤
		٣٢٥
		٣٢٦
		٣٢٧
		٣٢٨
		٣٢٩
		٣٣٠
		٣٣١
		٣٣٢
		٣٣٣
		٣٣٤
		٣٣٥
		٣٣٦
		٣٣٧
		٣٣٨
		٣٣٩
		٣٤٠
		٣٤١
		٣٤٢
		٣٤٣
		٣٤٤
		٣٤٥
		٣٤٦
		٣٤٧
		٣٤٨
		٣٤٩
		٣٥٠
		٣٥١
		٣٥٢
		٣٥٣
		٣٥٤
		٣٥٥
		٣٥٦
		٣٥٧
		٣٥٨
		٣٥٩
		٣٦٠
		٣٦١
		٣٦٢
		٣٦٣
		٣٦٤
		٣٦٥
		٣٦٦
		٣٦٧
		٣٦٨
		٣٦٩
		٣٧٠
		٣٧١
		٣٧٢
		٣٧٣
		٣٧٤
		٣٧٥
		٣٧٦
		٣٧٧
		٣٧٨
		٣٧٩
		٣٨٠
		٣٨١
		٣٨٢
		٣٨٣
		٣٨٤
		٣٨٥
		٣٨٦
		٣٨٧
		٣٨٨
		٣٨٩
		٣٩٠
		٣٩١
		٣٩٢
		٣٩٣
		٣٩٤
		٣٩٥
		٣٩٦
		٣٩٧
		٣٩٨
		٣٩٩
		٤٠٠
		٤٠١
		٤٠٢
		٤٠٣
		٤٠٤
		٤٠٥
		٤٠٦
		٤٠٧
		٤٠٨
		٤٠٩
		٤١٠
		٤١١
		٤١٢
		٤١٣
		٤١٤
		٤١٥
		٤١٦
		٤١٧
		٤١٨
		٤١٩
		٤٢٠
		٤٢١
		٤٢٢
		٤٢٣
		٤٢٤
		٤٢٥
		٤٢٦
		٤٢٧
		٤٢٨
		٤٢٩
		٤٣٠
		٤٣١
		٤٣٢
		٤٣٣
		٤٣٤
		٤٣٥
		٤٣٦
		٤٣٧
		٤٣٨
		٤٣٩
		٤٤٠
		٤٤١
		٤٤٢
		٤٤٣
		٤٤٤
		٤٤٥
		٤٤٦
		٤٤٧
		٤٤٨
		٤٤٩
		٤٥٠
		٤٥١
		٤٥٢
		٤٥٣
		٤٥٤
		٤٥٥
		٤٥٦
		٤٥٧
		٤٥٨
		٤٥٩
		٤٦٠
		٤٦١
		٤٦٢
		٤٦٣
		٤٦٤
		٤٦٥
		٤٦٦
		٤٦٧
		٤٦٨
		٤٦٩
		٤٧٠
		٤٧١
		٤٧٢
		٤٧٣
		٤٧٤
		٤٧٥
		٤٧٦
		٤٧٧
		٤٧٨
		٤٧٩
		٤٨٠
		٤٨١
		٤٨٢
		٤٨٣
		٤٨٤
		٤٨٥
		٤٨٦
		٤٨٧
		٤٨٨
		٤٨٩
		٤٩٠
		٤٩١
		٤٩٢
		٤٩٣
		٤٩٤
		٤٩٥
		٤٩٦
		٤٩٧
		٤٩٨
		٤٩٩
		٥٠٠
		٥٠١
		٥٠٢
		٥٠٣
		٥٠٤
		٥٠٥
		٥٠٦
		٥٠٧
		٥٠٨
		٥٠٩
		٥١٠
		٥١١
		٥١٢
		٥١٣
		٥١٤
		٥١٥
		٥١٦
		٥١٧
		٥١٨
		٥١٩
		٥٢٠
		٥٢١
		٥٢٢
		٥٢٣
		٥٢٤
		٥٢٥
		٥٢٦
		٥٢٧
		٥٢٨
		٥٢٩
		٥٣٠
		٥٣١
		٥٣٢
		٥٣٣
		٥٣٤
		٥٣٥
		٥٣٦
		٥٣٧
		٥٣٨
		٥٣٩
		٥٤٠
		٥٤١
		٥٤٢
		٥٤٣
		٥٤٤
		٥٤٥
		٥٤٦
		٥٤٧
		٥٤٨
		٥٤٩
		٥٥٠
		٥٥١
		٥٥٢
		٥٥٣
		٥٥٤
		٥٥٥
		٥٥٦
		٥٥٧
		٥٥٨
		٥٥٩
		٥٦٠
		٥٦١
		٥٦٢
		٥٦٣
		٥٦٤
		٥٦٥
		٥٦٦
		٥٦٧
		٥٦٨
		٥٦٩
		٥٧٠
		٥٧١
		٥٧٢
		٥٧٣
		٥٧٤
		٥٧٥
		٥٧٦
		٥٧٧
		٥٧٨
		٥٧٩
		٥٨٠
		٥٨١
		٥٨٢
		٥٨٣
		٥٨٤
		٥٨٥
		٥٨٦
		٥٨٧
		٥٨٨
		٥٨٩
		٥٩٠
		٥٩١
		٥٩٢
		٥٩٣
		٥٩٤
		٥٩٥
		٥٩٦
		٥٩٧
		٥٩٨
		٥٩٩
		٦٠٠
		٦٠١
		٦٠٢
		٦٠٣
		٦٠٤
		٦٠٥
		٦٠٦
		٦٠٧
		٦٠٨
		٦٠٩
		٦١٠
		٦١١
		٦١٢
		٦١٣
		٦١٤
		٦١٥
		٦١٦
		٦١٧
		٦١٨
		٦١٩
		٦٢٠
		٦٢١
		٦٢٢
		٦٢٣
		٦٢٤
		٦٢٥
		٦٢٦
		٦٢٧
		٦٢٨
		٦٢٩
		٦٣٠
		٦٣١
		٦٣٢
		٦٣٣
		٦٣٤
		٦٣٥
		٦٣٦
		٦٣٧
		٦٣٨
		٦٣٩
		٦٤٠
		٦٤١
		٦٤٢
		٦٤٣
		٦٤٤
		٦٤٥
		٦٤٦
		٦٤٧
		٦٤٨
		٦٤٩
		٦٥٠
		٦٥١
		٦٥٢
		٦٥٣
		٦٥٤
		٦٥٥
		٦٥٦
		٦٥٧
		٦٥٨
		٦٥٩
		٦٦٠
		٦٦١
		٦٦٢
		٦٦٣
		٦٦٤
		٦٦٥
		٦٦٦
		٦٦٧
		٦٦٨
		٦٦٩
		٦٧٠
		٦٧١
		٦٧٢
		٦٧٣
		٦٧٤
		٦٧٥
		٦٧٦
		٦٧٧
		٦٧٨
		٦٧٩
</		

صفحة	صفحة
الذين نصبوا الصداوة لرسول الله ﷺ	٢٣٧
فصل في ذكر اسماء المنافقين من أهل	٢٤٥
المدينة الأوس والخزرج من مالكو عليه	
احبار اليهود وذكر ما نزل فيهم من القرآن	
فصل في ذكر من أسلم من احبار اليهود على	
سبيل التقية فكانوا كفاراً في الباطن	
فاتبعهم ابن اسحاق بصنف المنافقين وهم	
من شرهم	
ذكر أول المغازي وأول البعوث وعدد	
غزواته ﷺ على الاجمال وعدد سراياه	
فكانت أول غزوة الابداء وتسمى غزوة	
الودان	
ذكر غزوة بواط من ناحية رضوى ثم غزوة	
العشيرة	
ذكر غزوة بدر الاولى	
باب سرية عبد الله بن جحش التي كانت	
سبباً لغزوة بدر العظمى وكان عبد الله	
هذا أول أمير في الاسلام	
فصل في تحويل القبلة في سنة اثنتين من	
الهجرة قبل وقعة بدر	
فصل في فريضة شهر رمضان من السنة	
المدكورة قبل وقعة بدر	
غزوة بدر العظمى يوم الفرقان يوم التقى	
الجمان	
رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب المفردة	
بحدوث بدر ومجيء ضمضم بن عمرو	
الغفاري مستنقراً قريشاً لحماية العير التي	
مع أبي سفيان	
خبر أمية بن خلف مع حليفه سعد بن معاذ	
قبيل وقعة بدر وانذار سعد له بان رسول الله	
ﷺ أخبرهم بأنه مقتول بأيديهم	
خبر تبدي ابليس لقريش بصورة سراقه	
ابن مالك الجعشمي وتشجيعهم على حرب	
رسول الله ﷺ وخروج قريش باشرافها	
ورجالها إلى بدر	
خروج رسول الله ﷺ من المدينة باصحابه	
لمعارضة عير أبي سفيان وذكر الطريق التي	
سلكها في سيره هذا	
استشارة رسول الله ﷺ أصحابه وقد أناه	
الخبر عن قريش لينفوا عيرهم وأراد بذلك	
رأى الانصار وردهم الرد الجميل المشجع	
رضي الله عنهم	
نزول رسول الله ﷺ على بدر وارساله	
على بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد	
ابن أبي وقاص لائتماس الخبر واصابتهم راوية	
لقريش واستكشافهم خبرهم وعدتهم	
احراز أبي سفيان العير التي كانت مقصودة	
وانذاره قريش بالرجوع واعصرارها على	
حرب رسول الله ﷺ	
سبق رسول الله ﷺ وأصحابه الماء وعمله	
برأى الحباب بن المنذر ونزول الوحي بذلك	
عدة أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر وعدة	
المشركين وما جاء في ذلك من الآيات	
تهيئة رسول الله ﷺ أصحابه للحرب	
وصفهم صفاً محكما حتى كان يعمل من يخرج	
عن الصف منهم بقدح يده	
أول من قتل من المشركين الاسود بن	
عبد الاسد الخزومي هجم على الخوض	

صفحة	صفحة
٣٠١	فبدره حمزة بن عبد المطلب فقتله
٣٠٢	أول شهيد من المسلمين عبيدة بن الحارث
٣٠٣	ابن المطلب مبارزة وأول شهيد في المعركة
٣٠٤	مجمع مولى عمر بن الخطاب رمى بسهم فقتل
٣٠٥	خبر نزول الملائكة يوم بدر وما ورد في ذلك من الآيات
٣٠٦	سياق الواقعة من طريق الامام احمد ثم من طريق الامام البخاري ثم من طريق الواقدي
٣٠٧	ثم من طريق ابن اسحاق ثم من طريق الاوصى
٣٠٨	خبر مقتل أبي البختري بن هشام وقصته
٣٠٩	رسول الله ﷺ عن قتله وخبر مقتل أمية ابن خلف
٣١٠	خبر مقتل أبي جهل لعنه الله واحتراز ابن مسعود رأسه وإخبار رسول الله بذلك وقوله ﷺ هذا فرعون هذه الامة
٣١١	رده عليه السلام عين قتادة وذكر قصة أخرى شبيهة بها
٣١٢	ذكر طرح رؤوس الكفر في بئر يوم بدر ووقوف رسول الله ﷺ عليهم يخاطبهم تقريرا لأعمالهم
٣١٣	قصيدة لحسان بن ثابت في قتلى بدر المشركين وتفنيل رأيهم
٣١٤	كلمة له مؤلف [ابن كثير] في ختام واقعة بدر
٣١٥	فصل في اختلاف الصحابة في أسارى بدر أقتلون أو يفادون وما حدث في ذلك ونزل فيه من القرآن
٣١٦	فصل في أن الأسارى كانوا سبعين والقتلى من المشركين منهم أيضا وخلاصة ما جاء في واقعة بدر
٣١٧	فصل في اختلاف الصحابة في المغانم من المشركين لمن تكون منهم وما ورد في ذلك من الحوادث
٣١٨	فصل في رجوعه ﷺ من بدر إلى المدينة وما كان من الأمور في مسيره إليها مؤيداً منصوراً
٣١٩	مقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط لهما الله شهيراً وثناء قتيلة لأخيها النضر ذكر فرح النجاشي بواقعة بدر وإخباره عن ذلك جعفر ومن معه من المسلمين بالحبشة
٣٢٠	وصول خبر مصاب أهل بدر إلى أهاليهم بمكة
٣٢١	فصل في بعث قريش إلى رسول الله ﷺ في فداء أسراهم
٣٢٢	ذكره من من عليهم رسول الله ﷺ من الأسارى بغير فداء
٣٢٣	حكاية عمير بن وهب وإتفاقه مع صفوان ابن أمية على قتل رسول الله ﷺ ثم أسلم وكان نسكاً على قريش
٣٢٤	فصل في تسمية من شهد بدر من المسلمين مرتباً لهم على حروف المعجم مع الاستقصاء
٣٢٥	فصل في الكلام على من شهد بدرًا جملة وفيمن ضرب له بسهم فيها ولم يحضرها وفي حوادث تتعلق بالبدرين ووظائف المتميزين منهم رضي الله عنهم
٣٢٦	الكلام على جمع المشركين ببدر وما يتصل بذلك
٣٢٧	فصل في فضل من شهد بدرًا من المسلمين
٣٢٨	فصل في قدوم زينب بنت رسول الله ﷺ

صفحة	صفحة
٣٤٣	مهاجرة من مكة إلى المدينة بعد وقعة بدر
٣٤٤	وتفصيل حوادث تتصل بذلك
٣٤٤	أسر أبي العاص زوج زينب بنت رسول الله ﷺ ثم إسلامه ثم رد زينب له بالنكاح
٣٤٥	الاول واختلاف أهل العلم بذلك
٣٤٥	فصل فيما قيل من الأشعار في غزوة بدر
٣٤٥	من ذلك جماعة من الصحابة
٣٤٥	فصل وقد ذكر ابن اسحاق وتبعه السهيلي
٣٥٧	في ذكر جملة قصائد قيلت ببدر من جانب
٣٥٧	المشركين من أسلم منهم بعد ذلك
٣٥٧	تفتين من الهجرة

تم الفهرس بعون الله تعالى

